

الجلد السنين سبعة في الأخبار والآثار الأندلسية

وهي معلمة أندلسية تحيط بكل ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود

بمقتل
الأمير شكيب أرسلان
من أعضاء المجمع العلمي العربي
وفقه الله ليأرضاه

الجزء الأول

١٣٥٥ هـ الطبعة الأولى ١٩٣٦ م

حقوق هذه الطبعة محفوظة للناسر

محمد المهدي الحبابي

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بفاس

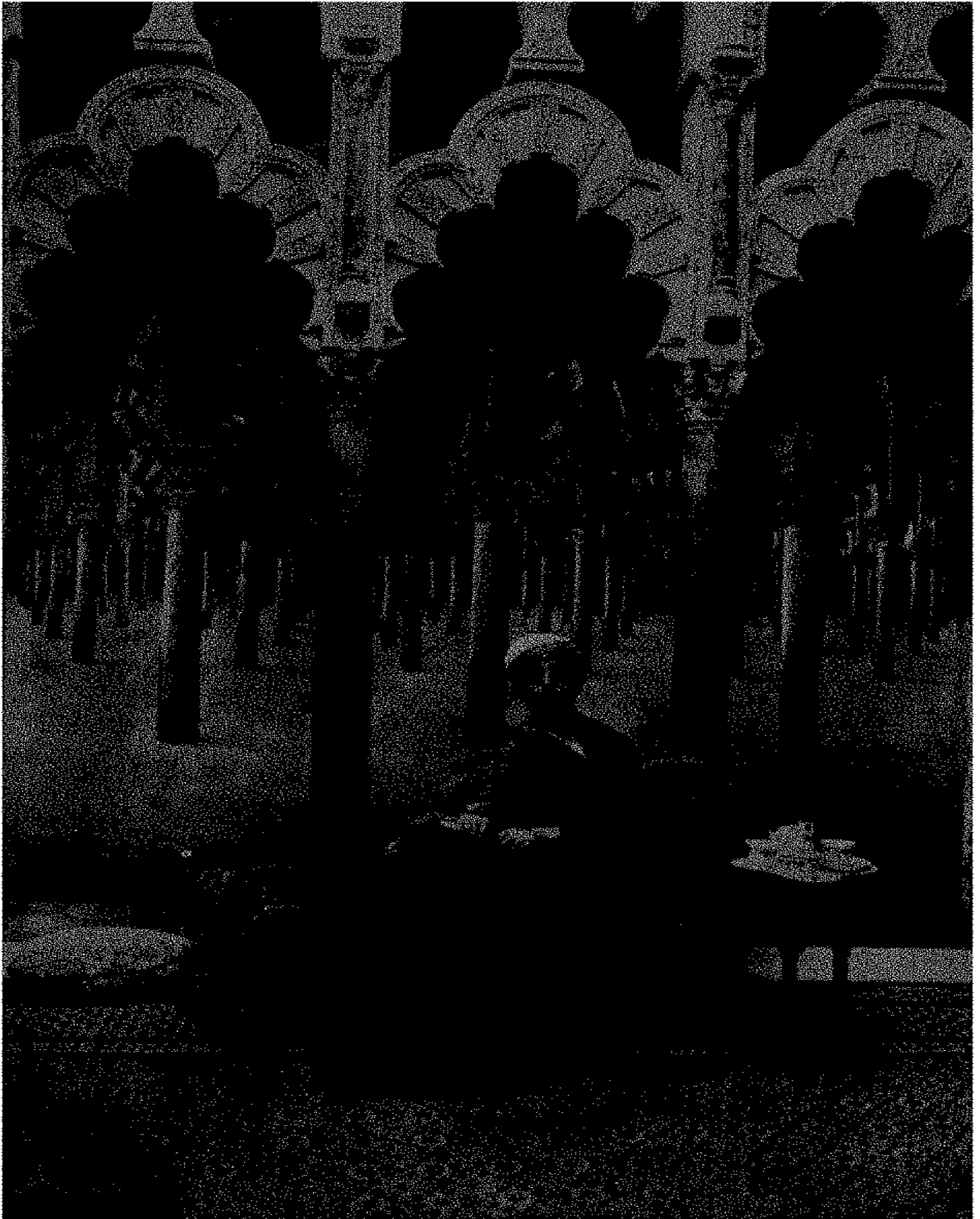
وفروعها بالأقطار المغربية

الطبعة الرحمانية بضمير

الرهراء

هدية روحية من المؤلف إلى روح أبي المطرف
الخليفة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر
الأموي الذي يعجب به المؤلف أكثر
من كل خليفة حاشا الخلفاء الراشدين

المؤلف



صورة المؤلف أمام مسجد قرطبة

كلمة الناشر

نحمدك اللهم على ما يسّرت من الخير ، ونصلي ونسلم على عبدك ورسولك محمد الذي بعثته بالهدى ودين الحقّ وعلى آله الهداة ، وصحبه الذين أقاموا عمود الدين وتابعيه المجاهدين منهم والصابرين . وبعد ؛ فقد أدّيتُ بي تقصى أنباء الذخائر من الكتب التي يمكن أن يرفعها ناشرها في صحيفته ثواباً ، الى العلم بأن حارس لغة القرآن ، وفارس حليلة البيان ، الأمير شكيب أرسلان ، قد توجّج دراسته لتاريخ الأندلس أربعين حولاً برحلة رحلتها إلى ذلك الفردوس المفقود استنفدت منه فترة من الزمن قضائها يسأل مجرّ العوالي فيها عن فاتحها ، ومجرى السوابق في أراضيها عن مالكيها ، ويستخبر آثرها عن الغابرين ، ومماهدا عن الملوك السابقين ، ويسأل بقايا الملك في رباعها يستنبي ، عن كل درة من تاجها مواقع شعاعها ، ويستقصى أخبار ذلك الملك العربي الذي هوى ، والتاريخ الزاهر الذي في ترابها انطوى ، وأنه - مد الله في حياته المباركة - متوفر على تدوين رحلته وإتمام تحريرها في عدة أجزاء لم تغادر من جغرافية ذلك الفردوس المفقود وأحواله وأطواره وأدوار حياته ، وصور ملوكه وأعلامه ، من قادة ووزراء ، صغيراً ولا كبيراً ، وهو أعلم معاصر بدقائق ذلك التاريخ ومكنون أسرارهِ وخفي أخبارهِ ، إلى ما عهد في قلمه الكريم من دقائق التحقيقات التي لم تزده السنون الأربعمون التي قضائها في استيعابها إلا تضاعفاً منها وإحاطة بها . وتفرداً فيها .

فسافرنا إلى جنيف حيث لقينا ذلك الأمير الجليل منذ ستة أشهر ، وأقننا في ضيافته بضعة أيام كانت من أكرم أيام العمر علينا ، وأحبها إلينا ، فقد لقينا منه ليجاً ذاخراً بطريف المعلومات التاريخية وتليدها ، وعلماً واسعاً بأخبار الدول السابقة وسير رجالها ، وحقائق حالاتها ، وإطلاعا وافياً على فلسفة التاريخ وبخاصة التاريخ الإسلامي منه ، وأصبنا منه لطفاً أنساناً مشقة السفر وتكاليفه . وقد تقدمنا إلى فضله

بطلب طبع هذه الرحلة ففضل بأن أذن لنا مشكوراً ، ثم قفلنا من عنده ونحن نلهج
بالتناء عليه ، ونوجه وفود الحمد إليه .

وقد جاءت تلك الرحلة أكبر موسوعة مصورة ، لتلك الدنيا المصغرة ، ودارت
على مزايا وخصائص لم يمهدها مثلها في مثل هذا الكتاب

فقد أحاط أوفى إحاطة وأتمها وأدقها بتاريخ الدولة الإسلامية في كل قطر من
أقطار الأندلس وفي كل عصر ، وما كان بين بعض ملوكها وبعض من التمايس الذي نفذ
الضعف من خلاله ، وأتم فيها أصبح إمام بالحياة الإسلامية في تلك الجنة الأرضية
التي هبط منها المسلمون هبوط آدم من الجنة ، وصورة الحياة النفسية التي كانت تسيطر
على الحكومة في تلك الفترة من الزمن ، وعرض فيما بين ذلك كله روايات مؤرخي
الفرنجية والعرب وجماعة المستشرقين قديماً وحديثاً ، فعارض بعض تلك الروايات بأسانيد
"صحيحة" ، وأثبت ونفى ، وخضاً وصوت ، وقد جعل شرحه وراده بياناً لتجموعات
كبيرة من صور ملوك "قموط والأندلس" ، وآثار الحضارة الإسلامية بقانونها ومعاندها
ومعاهدتها . وصور قاداتها ووزرائها وبعض وقائمه ، ثم علل أسباب "الضعف الذي
سرى إلى الحكومة والحكام وأسهب في ذلك حتى تمخيل للقارىء ، أنه عاصر ذلك
الزمن وشاهد بنفسه ما أثارته الإح من العن .

فهذه الرحلة في حملتها وتفصيلها تاريخ حتى ماثل للبيان في أسلوب رائع من البيان
وهي أصدق مرجع لمن شاء من المحققين والمؤرخين ، وهي قبل ذلك ، بعده المثل
الأعلى في التحقيق العمى بأحدث الوسائل المعصرية .

وان كل سطر منها إيثرى بنفسه جيلاً على القلم الذي دمج . والفكر الذي أخرج
ويقيننا أننا بطبع هذه الموسوعة التاريخية النادرة المثال قد أضفنا إلى المكتبة
العربية ذخراً من أنفس الذخائر . جزى الله الأمير جزاء الخير ، وخير الجزاء .

الناشر

محمد المهدي الحبابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ
وَاَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نٰصِيْرًا

الحمد لله قبله الكلام ، والصلاة على رسول الله باب السلام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تشفى الأوام ، وتقشع الظلام ، وتكون لنا العدة الواقية في حشرة الأنفس وسكرات الحما ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، النبي العربي الأُمى الذي كرم بنى آدم بنعمة الاسلام ، وجنبهم عبادة الأصنام ، وسنهم من التوحيد نعمة دائمة لا تريم ، وذروة عالية لا ترام ، والذي نثر بدعوته يافوخ الشرك نثراً ليس له من بعده نظام ، النبي الذي تمخض لظهوره الكون قبل أن تلج الأيام في الليالي والليالي في الأيام ، والرسول الذي بلغت به الرسالة أمدّها الأقصى فانطوت من بعده الصحف السماوية وجفت الأقلام ، إذ ليس وراء توحيد الله تعالى مذهب ولا بغير حبه تعالى هيام ، صلى الله عليه وسلم صلاة لباسها الدوام وشعارها اللزام ، وسلم سلاماً نفحه الرند ونشره الخزام . ورضى الله عز وجل عن آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور التمام ، وأنصاره الذين أزمهم كلمة التقوى وكانوا بها أحق الأنام ، الذين أقبلوا على الأمم بالمقيدة الحق والأخلاق العظام ، وطلعوا بخيل الله على المشرق والمغرب بسهام غير خطاء وسيوف غير كهام ، ونشروا علم الفرقان الذي فرقت له قلوب الطوائف وخفقت من الخوف سائر الأعلام ، ففتحوا عذارى الممالك وأدركوا غر الأمانى بشدة الحزم لا بشدة الخزام .

وبعد ، فإن من غرائز الجبلة البشرية التي لا جدال فيها ، تذكر الحوادث

الماضية ، والتحدث بالوقائع الحالية ، والوقوف على الرسوم العافية ، والاعتناء بحفظ الغابر إلى الحد الذي جعل الناس ينقشون الأخبار على الأحجار ، ويزرون القصص على الجراد ، فضلا عن أن يكتبوها في الأوراق ويحفظوها ضمن الأجلاد ، خشية عليها من الضياع بتقادم العهد ، وذهاباً بها عن النسيان بتطاول الدهر ، وذلك بما فطر الله عليه هذا النوع من حب الاشراف والاطلاع ، والفرام بالرواية والسمع ؛ وبأن الإنسان يجتهد أبدأ أن يحفظ الماضي ، كما يجتهد أن يستدرك الآتى ، فحياته عبارة عن وصل آخر بأول ، وربط ماضٍ مع مستقبل ، وتعليل حديث بقديم ، فهذا لا يبرح بين أثر دارس يقف عنده ، ورسم طامس يتعرف خطبه ، وكتابة مطلوسة يفك حروفها ، وحكاية مأثورة يتندس نصوصها ، تارة يعرضها على أصولها ، وطوراً يقيسها بشكولها ؛ وهو لا يزال يجمع بين قرائنها ، حتى يدرك مبادئها ويفقه مغازيها ، وكَم للانسان من سهر ليل ، وبذل غوال ، وأعمال حَلٍ وترحال ، وراء قصة مغلقة يستوحى حديثها ، وقضية مرَّنة يستوحى نَحِيْبها ؛ وكَم من واقعة مبهمه ينشد عند الهير وغليف سرها ، ولدى القلم المسرى بحِيْبها ؟ سنة الله الذى أقام الناس عليها بإزاء أى علم وأمام أى سر ، لا يتقيدون فيها بقريب دون بعيد ، ولا يقصرونه على حاضر دون غابر ، ولا يختصون به موضعاً دون موضع ؛ بل استشراف الأسرار ، واستشفاف الأستار ، وهما من لوازم الانسان أياً كان متعلق العلم ومتساق الفكر . إلا أنه إذا تعلق بالأباء والأجداد كانت النفوس به أواع ، وإليه أنزع ؛ وإذا اتصل بالقرابات والكلالات ، أو انتسب إلى الديارات والمبائات ، كان الحنين إليه أعظم ، والتهافت عليه أسرع ؛ فان المرء ايجرص على مآثر آبائه ، ما لا يجرص على مآثر سواهم ، ويُعنى بالقمص وراء أصوله ما لا يُعنى وراء من تعدهم ؛ بل إن قسط هم من هذا الأمر هو على نسبة القرب والبعد ، وبمقدار الفصل والوصل .

وكل أمة من الأمم تدرس توارىخ البشر أجمع ، إلا أنها تجعل تاريخ سلفها هو العلم المقدم ، والدرس المقدس ، والبغية التى يجب أن تتوجه اليها خواطر ناشئتها ،

والغاية التي يتعين أن تُستَحَثَّ نحوها ركاب نابهتها ؛ لما في ذلك من وصل حديث
 بقديم ، وربط آخر بأول ، وإعادة فرع إلى أصل ، ورد عجز على صدر . فان كان
 الحاضر مماثلاً للماضي ، والطريف غير مختلف عن التليد ، فغزى التاريخ هو حفظ
 التسلسل ومنع التخلف ، وحثّ الأخلاف على متابعة الأسلاف ، وبناء المجد سافاً
 من فوق ساف ، فان الأمم هي في تنازع بقاء لا يفتر ، وتزاحم ورد لا يسكن ، وكل
 منها ينبغي أن يحفظ كيانه ، ويوطد بنيانه ، ويحمي حقيقته ، ويخلّد سجيته . بل
 يحاول أن يتقدم عما كان ، وأن يطاول كل درجة إمكان . وإن كان الحال مقتضراً عن
 الخالي ، وقد عادت البدور أهلة ، وذهب المجد إلا أقله ، وصارت الأوساط أطرافاً ،
 واستمحات الأثواب أطياراً ، ولم يبق من تلك المعالي السوائف إلا أخبار وسير
 وثلاث ، وذكّر وحكايات ، يعتبر بها من اعتبر ، كان درس تاريخ السلف أحسن
 وسائل النشاط من المقال ، وأفضل حوافز الاستباق إلى الكمال ، ليقال للناشئ :
 هكذا كان آباؤك ، فأين إناؤك ؟ وهذا ما فعله أجدادك ، فأين جهادك ؟ وإذا
 كان هذا قرى آباءك ، فكيف ترضى أن تقصر عنهم ، وإذا رضيت بأن تقصر
 عنهم ، فقد يستبعد العقل أن تكون منهم . أيرضى أصحاب النفوس الأبوية أن
 يقدموا مع الخوائف ، وقد كان أوائلهم من السابقين الأول ؟ أو أن يكونوا تابعين ،
 بعد أن كانوا متبوعين ، وأن يسودهم من كان لهم من جملة الخوّل ؟

فاذا كان علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء ، فضلاً عن الارتقاء ؛
 وشرطاً من شروط الاحاق ، فضلاً عن السباق ؛ فأية أمة أجدر بمدارسته من هذه
 الأمة العربية ذات التاريخ الأجد ، والسنام الأقمس ، والعرق الأنجب ، واللسان
 الأذرب ، والجهاد الذي شرّق وغرّب . أيام ملأت من الدهر مسمعيه ، وضربت
 كل جبار في أخدعيه ، وفرضت الذلّة على جماجم الأكاسرة ، وأطارت النعرة من
 معاطس القياصرة .

قوم ابتسلوا الموت نفوسهم ، فرفعوا في الحياة رؤوسهم ؛ يركبون من البر والبحر

كل غارب ، ويلتمسون بالجيش دار المحارب ؛ أحت أنوفهم حياة القفر ، وأعزّت نفوسهم الرمال المغرّ ؛ فكانت بلادهم عذارى تُخلف ظن كل فاتح ، وعقائل لا ينتهى إليها الطيف فضلاً عن الطائف .

ثم لما جاءهم الإسلام بعزائم القرآن ، وعزّز ما فيهم من خيم كريم ، وطبع سليم ، بصلاية الايمان ؛ اندقت سيولهم من منابها ، وخرجت منابهم من قنابها ؛ وملكوا ما بين الصين وبحر الظلمات فى أقل من مائة عام ، وأتوا من الأعمال ما لو حدثوا أنفسهم به من قبل لقل إنه من الأحلام . على أنهم لم يلبثوا بعد ذلك العز الأمتع ، والسناء الأسنع ، أن انصاعوا انصياع الكواكب عند انكدارها ، وأسرعوا إلى الهبوط سرعة المياه عند انحدارها . وذلك بتجردهم عما كان قد كسبهم الإسلام من فضائل ، وأهبّ فيهم القرآن من عزائم ، وبسقوطهم فى مثل ما كان قد سقط فيه أعداؤهم من الأعاجم ؛ وبانفاسهم فى الشهوات البدنية ، وانصرافهم إلى السفسافات الزمنية ؛ وولوعهم بالانتقاض على أمرائهم ، واشتغال الأمراء بأغراضهم وأهوائهم ، وتخلّف العلماء عن تقويم منآدهم ، وردعهم عن فسادهم . فشى الفساد فى جنباتهم ، وطار الطيش بمذباتهم ، وتنازعوا ففلشت ریحهم ، وجاءت تباریحهم ؛ وتنكروا ؛ حتى لو عرّضوا على السلف فى أجدانهم لجهلهم ، وتغيروا ، حتى لو نُشِر الآباء وتلاقوا بأبنائهم لأهلوم ؛ فجنوا من انقلاب أخلاقهم فقد خلاقهم ، ونالوا من اعوجاج مسالكهم ، ضياع ممالكهم ؛ وبعد أن كانت أفتهم ملء العرائين ، وحميتهم ملء الحيازيم ، صاروا يرضون بكل حطة ، ويسلكون من الهوان كل خطة ، وهووا عن صهوات ذلك المجد العظيم ، وأخرجوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم .

وكان من أنفس ما سدّهم الله إلى فتحه ، وقبض لهم بالجهاد الطويل وسائل ربحه ، هذه الجزيرة الأندلسية الخضراء ، الخطة العذراء ، والدرّة الدهماء ، والبقعة الجامعة بين الشمس والأفياء ، الرافلة فى حلل موشية من حوك الأرض وطرّاز السماء ، فأثوها من كل فج ، بين محتسب ومكتسب ، وراغب فى الدنيا وماهد للآخرة ،

وساموا ولايتها بالنفقات الوجيمة ، والبطشات الذريعة ؛ والنفوس السائلة أنهارا ، والجماجم الطائرة أسرابا ، والجيش يتلو الجيش ، والبعث يردف البعث ، وما زالوا يفاورونها بخيل لا تنحط لبودها ، وفوارس لا تفارقها زرودها ، ويريقونها من بين أيديها ومن خلفها ، وعن أيمانها وشمالها ، إلى أن ذلّوا أعرافها ، وألأنوا أعطافها ؛ فخيم الإسلام بعقرتها تخيم من أجمع الاعمار ، وسكن إليها سكنى من ألقى عصا التسيار ، وأمدتهم جزيرة العرب بأقلاذ أكبادها ، ورمت أعداءهم بأنجاد أجنادها ؛ وكانوا لولا العصبية بين القيسية واليمينية ، والخلاف على الخلافة بين الأموية والعباسية ، وما أضيف إلى ذلك من ملاحم بين القبائل العربية والبربرية ؛ قد ألحقوا بالأندلس جميع الأرض الكبيرة ، وصارت لهم جوف جبال البرانس أندلسات كثيرة ؛ ولكن اشتغالهم بفتنهم الداخلية ، وانهماكهم بمشاجراتهم العائلية ، وبقاء ما بقى في طباعهم من حمية الجاهلية ، واستبدالهم ملوك الطوائف ، بجيوش الصوائف ، وحركات الفساد ، بحركات الجهاد ، ورضاهم عن تحمل الهزائم ، بدلا من تجريد العزائم ؛ كل ذلك أعاد تقدمهم تأخرآ ، وردّ تجمعهم تبعثرا ، حتى صار عدوهم في الجزيرة قسما لهم مشاركا ، وخليطآ معهم مشابكا ؛ وكان هو لم يبق له من البلاد إلاّ الجبال والصخور ، ولم يملك إلاّ ما تركه له العرب من مسارح الغزلان وأوكار النصور ؛ وكانوا هم رتعوا في كل روض نصير ، وملك كبير ، ومالوا إلى طعام أنيق وفراش وثير ، وجرّروا من التيه مطارف سندس وحرير ، وأغرّتهم السعة بالدعة ، وأفضى بهم الرخاء إلى الارتخاء ، وأورثتهم رفاهية العيش قلة الانتخاء . وشتان بين من أليف الترف ومال إلى الهوى ، وبين من لزم الشظف وطوى على الطوى . ولله در من قال عن وقعة بطرنة بقرب بلنسية ، وقد مُحصّ فيها المسلمون :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُلّ الحرير عليكمُ ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن بيطرنة ما كانا

وهكذا لم يزل الخشوشن يفتك بالمتعم ، حتى دوّخه ؛ والمحروم يوقع بالمترف ، إلى

أن رينحه ؛ والشقاق مع ذلك بين المسلمين لا تنطفيء ناره ، ولا تنقطع أخباره ، والإصلاح بينهم تُخفق مساعيه ، والشر أبداً تَجَادَعُ أفاعيه ؛ لا ينجع في عقولهم بلوغ نصيح ، ولا يعوج بأسماعهم نذير خطب ؛ ولا يعولون على شاهد نقل ، ولا دليل عقل ، ولا يعتبرون بحلول بَشَقٍ واقع على بَشَقٍ . تنزل بهم كل هذه القوارع وهم في سكرتهم يعمهون ، ويقرأ عليهم الدهر كل يوم سورة الفاتية فلا يتدبرون ، ولا يسمعون ، و (يفتنون في كلِّ عامٍ مرةً أو مرتين ثم لا يتوبون ، ولا هم يذكرون) وأخيراً تناثروا بَدَا ، وتطايروا قِدَا ، فكل بلدة دولة وأمير ، ومنبر وسرير ؛ وكل جار لجاره مناظر لا نظير ، يجور عليه ولا يحير ، ولا يفار عايه بل يفير !
وتفرقوا سيماً فكلُّ مدينةٍ فيها أمير المؤمنين ومنبر

وهم في أثناء هذا يتسابقون في ميدان الاستماتة ، بعضهم على بعض ، بالطاغية الذي يساومهم على المناصرة بتسليم الحصون ، وتعطيل الثغور ، والانهزام بلا سيف ، والرضى بكل حيف . ويواظبون على حوزة الإسلام علناً (ويأخذون عرضَ هذا الأذنى ويقولون سيغفر لنا) والعدو كل يوم يتقدم ، وحوض الإسلام كل يوم يتهدم ؛ والخلاصة : ما زال يطغى وهم يحسرون ، ويمد وهم يجزرون ، ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى عالم ناكس . وصوت خافت ، واثوا - كما يقال - طوع كل شامت ؛ وتوقع كل عاقل انفاقرة "كبرى" . وأن من هو باق بسيف البحر لبس بثابت ؛ وما كانت إلا شقاقة في إثناء الأنداس أراد العدو أن يستصفي سُورها ، وبقية فيما وراء البحر صمم أن يقتاع جذرها ، وجاءهم ذلك حين لم يبق مرابطون ولا موحدون ، ولا أبطال يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، بل حينما كل ملك بالعدوة مشغول بسد فتوقه ، وحفظ حقوقه ؛ سعيد بأن يثبت في مكانه ، راض بأن يخلس من عادية جيرانه ، بل من عائلة إخوانه . فكيف يستطيع أن يركب البحر لينازل الطواغيت ، ويجمع من الاسلام ذلك الشمل الشتيت ؟ فأراد الله أن يتركهم وشأنهم ، وهو تعالى المحي المميت . واستأسد بذلك العدو ، فلم يزل يواهبهم

ويكافهم ، ويناديهم القتال ويراوحهم ، حتى أجهضهم عن أمّاكنهم ، وجفّهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق ، واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق ؛ وردوا في الحافرة ، وصاروا رهن هوى الأمة الظافرة . ومن اختار منهم الدجن انتقلوا تدريجاً إلى دين الطاغية ولسانه ، فحسروا الدنيا والآخرة ، وصاروا عبرة في العالمين (وتلك الأيام تُدَوِّلُهَا بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين)

نعم ؛ حواضر كالبهار الزاخرة ، كانت تموج بالبشر ؛ وحصون كالجبال الشاخبة ، تحصى بالألوف وتكبو فيها جياد الفكر ، وجيوش كانت حصى الدهناء ، ورمال البطحاء ، ومساجد كانت في الجمع المشهورة تفصّء بالألوف من المصلين ، ومدارس كانت مكتنظة بالألوف من القراء والطلّابين ، وما شئت من إسلام وإيمان ، وحديث وفرقان ، وأذان يملأ الآذان ، وما أردت من نحو ولغة وطب ، وحكمة وممان وبيان ، بلاغة عربية عرباء ، يحرسها علماء كنجوم السماء^(١) ؛ وما أردت من عيش خضل

(١) قال العلامة دوزي المستشرق الكبير الهولاندي ، أوثق أوربي كتب عن الأندلس ، وذلك في كتابه « مباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها في القرون الوسطى »
Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge ما يلي :

« انهم كتبوا (يعني الاسبانيول) تاريخ وطنهم الذي منه عدة مقاطعات تولاها العرب مدة ثمانية قرون ، وذلك بدون أن يعرفوا لغة العرب . ولما لم يكونوا قادرين على مراجعة الكتب العربية كان لا مناص لهم من الخطب عند كل خطوة كلما أرادوا الكلام عن الدول العربية أو عن الحرب والسلم بين المسيحيين ، ولهذا تجد كثيراً من الحقائق التي هي في الدرجة القصوى من البال مجهولة عندهم مع أنها متعلقة بأخبار عمالك النصرى ، وذلك لأن هذه المعلومات لا توجد في الكتب اللاتينية ولا الاسبانيولية بل في كتب مؤرخي العرب وأدبائهم وشعرائهم ، لأن اسبانية المسلمة هي البلاد الأوربية التي في القرون الوسطى كتب فيها أكثر من الجميع ، والتي كان فيها المذهب التاريخي أكمل وأدق منه في أي مكان ،

وزمن نفس ، وحزرات أنفس ، وضججات قلوب . كل هذا عاد كعشيم المحتظر ، كأن لم يغن بالأمس ، ولم يبق منه إلا آثار صوامت ، وأخبار تنقلها الكتب ، كأنه لم يعمر الأندلس من هذه الأمة عامر ، ولا سمر فيها سامر . قال تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَمَا كُنَّا بِمَعْلُومٍ) .

وبقيت الأمة العربية تنوح على هذا الفردوس المفقود الذي هبط منه أهل بأعماهم ، نحواً من أربعة عام . نواح الشاكل لولده لا يريد أن يدسى مصابه ، ولا يفتأ يذكر فضاله ؛ ولما كنت من حملة هذه الأمة الباكية على ذلك الفردوس الضائع ، أولعت من أوائل صباى بقراءة تزيخ الأندلس ، والتقيب عن كل ما يتعلق بالعرب فى تلك الجزيرة . حتى إني لما اطعت على رواية « آخر نبى سراج » للكاتب الافراسى الكبير « رينه ستورويان » بدرت بنقلها إلى العربية وذياتها بتاريخ للأندلس بشرته من أربعين سنة ؛ ثم نقلت نسخة بأحدها . فأعدت طبعه منذ إحدى عشرة سنة . وقد قمت فى خاتمة كتابى ذلك مايناسب أن أعيدته هنا ، زعياً لكون الغرض الذى حدانى يومئذ إلى نشر ذلك الماخص ، هو نفس الغرض الذى يحدونى اليوم إلى نشر هذا المطول ؛ ولروح التى أملت ذلك هى التى قد أملت هذا ، وكلامى الأول هو كلامى الآخر . ولو كرت الأنياء وتعددت الأعوام ، قلت :

« ولأاكم القارى . الذى هو خايق بأن لا يحفى عليه ذلك بشفه بصره واطف حسه ، أن الأمر غير حل فى هذا الإملاء . من نزعة جسية ، وحنوة عصبية ، وهفوة للفؤاد وراء آثار بنى الجلدة . مما تستشعر فيه مرضاة هذه النفس ، العظيمة السر ، البعيدة مهوى الغرض ، الغربية تسكل اضم . وتوفر له اللذة والراحة لهذا الوجدان الداخلى ، السائح فى إثر ما يتعلق بالنفس من جميع جهاتها ، على ترجيح الأقرب فالأقرب ؛ وقد طبع الخالق الحكيم هذا المرء على حب جنسه ، والميل للاتصال بأبناء أبيه . فكأنما يتمثل بذلك صورة نفسه التى هى جزء من هذا المجموع ، لما يُحس من أن أقرب أنواع الدم إلى دمه ، هو الجارى فى عروق قومه ؛ فهو يمن إليهم ويمنو

عليهم ، ويتألم لألمهم ، ويعتز بعزهم ؛ وتراه إذا غابت أشخاصهم استأنس بآثارهم بعد الأعيان ، وارتاح إلى مواطنهم ورغب في الدوس على مواطنيهم ، أقدامهم ولو بعد أزمان . وقد عهدنا الذي يصاب بعزيز أو بنى قرابة يختلف إلى قبره ، ويشقى بالبكاء عنده حرارة صدره ؛ وإذا ظفر بقطعة من ملبوسه ، أو مفروشه أو برقعة من خطه ، احتفظ بها ، وغالى في قيمتها ، وجعلها مدار أنسه ، في خلوات نفسه ، وروح حياته في منتبذ مناجاته . وبناء على هذا الشعور أولع الخلق بحفظ آثار الغابرين ، وتطلعوا بغريزة فيهم إلى معرفة سير السالفين ، ووقفوا على الأطلال الدوارس ، وبكوا على الدمن البوالى ، كأنما يجدون عندها عهدهم مع آبائهم ، ويشدون لديها معهم عروة وفأهم .

إلى أن أقول : « فياليتنا تتبع الآن سنن من قبلنا ، ونقتدى بسلفنا ، ونبنى بناء أوائلنا ، ونعتبر بحمراء غرناطتنا ، وخضراء دمننا ، ونأمل في سالف عزها ، وسابق أمرها ، ونتجنب الفرقة التي آلت إلى فقدها ، ونسأل رسومها عما مضى من نعيمها ، فهي رسوم إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً ؛ فلا يكون دائماً من شأننا أن نتباهى بمجد الأوائل ونفاخر بالعظم الرميم ، دون أن تقتص أثر الآباء . ونحبي ذكر القديم ، ولا يبقى من نصيبنا في المجد إلا حديث سمر ، ومجرد ذكر . وما أحسن ما قال شوقي شاعر العصر :

وذا ذلالٍ من بنى الروم حولها	إذا ما تبدت إخوة سبعة مُردُ
عُنيت بها حتى التقينا فهزها	قوى عربى مله بردته مجدُ
فقلت : أطيّبُ بعد عسر وشدةٍ ؟	فقلت نعم مسكُ الأحاديث والندُ
عطلنا من النعمى وطوق غيرنا	تداولت الأيام وانتقل العقدُ
وما ضاعت الدنيا علينا وحسبنا	ولكن عن أغصانه رحل الوردُ

هذا ، وكان الفراغ من كتابة هذا التاريخ ، ليلة السبت الواقع فى السادس

والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وثلثمائة بعد الألف « اه

فأنت ترى أن الكتاب الأول قد مضى عليه أربعون سنة ، وهي مدة تسمى عمراً ، ولقد سمعت من كثير من أعيان الأمة العربية أنهم قرءوا كتابي ذاك في وقته ، وتبعوا حوادث سقوط مملكة غرناطة وجلاء المسلمين الأخير عن الأندلس باهتمام عظيم ، ودمع سجين . وقال لي بعضهم إنهم قرءوه مرتين ، وإن منهم من كان يبكي ، ومنهم من كان يتلهَّب وجداً ، ومنهم من كانت مهبته تذوب حسرة عند قراءته . وقد تضاعفت الآن هذه الذكرى ، و بعد مضى هذه السنين الأربعين ازداد الولوج بتاريخ الأندلس ، بازدياد الناشئة المقبلة على العلم ، و بنمو الشعور العربي في جميع طبقات هذا الشعب ، سواء منهم من في الشرق ومن في الغرب ، ولا يزال هذا الشعور في نمو ، وما برحت هذه الهمم في سمو ؛ ولا عجب فإن قوة الأمة هي على قدر ما مجت من مشارب العلم ، وارتقت من درجات الثقافة الجم ، والأمة العربية في هذه المدة قد اجتازت عقبات جياداً ، وقطعت أشواطاً طويلاً ، وسارت السير النجاء ، وشمَّرت التشمير الباعث على الرجاء ؛ فأخذت تُجني سؤال التاريخ عن ماضي أحوالها ؛ كما صرفت معظم نالها . في توطيد استقلالها .

ولهذا رأيت أنه من أمثل ما يمكنني أن أخدم به هذه الأمة ، قبل انصرافي من هذه الدنيا ، هو أن أهدى نشتتها عن هذه القطعة النفيسة من تاريخها ، كتاباً شافياً للغليل ، جُمعاً لأقطار هذا المبحث ، ناظراً بين القديم والحادث ، مقابلاً بين ما قاله العرب وما قاله الأفرنج .

وكنت قدّمتُ بين يدي هذا تأليف رحلة قمت بها من ست سنوات في أكثر أنحاء أسبانية ، لأقرن الرواية بالرؤية ، وأجعل القَدَم رِداءً للقلم ، ونويت أن أجعل الرحلة أساس الكلام وواسطة النظام ، وأن أضم التاريخ إليها ، وأفرِّع التخطيط عليها .

ومن أجل ذلك كنت نويت أن أسمي هذا الكتاب « بالرحلة السندسية في رحلة الأندلسية » وأشرت إلى هذا الاسم في كتابي المنشور من سنتين ، الموسوم

« بغزوات العرب في جنوبي فرنسا وشمالى إيطاليا وفي سويسرة وجزائر البحر المتوسط » الذى عدده جزءاً من كتابى الأندلسى . إلا أنى رأيت فيما بعد أن ما نحن بسبيله قد اتسع جداً عن الرحلة ، وأن الاسم قد ابتعد عن المسمى ، وأن الكتاب قد يقع في عدة مجلدات كبار ، وقد يكون أوسع كتاب عربى كتب عن الأندلس ؛ هذا إذا فسح الله في الأجل ، ووفق للعمل ، فمدلت إلى اسم آخر يشعر ما أنا متوخيّه من الإحاطة بقدر الطاقة ، وهو « الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية » وآليت لأبغض فيه جهيدى ، وأعقل به ما شرد عن سواى . ولم أقصد في ذلك تنبلاً على الخلق ، ولا تزيئاً فيما ليس بحق ، وإنما أردت النصح ما استطعت ، والتحصيص ما قدرت . والعلم أمانة ، من حملها فقد حمل إداً وتجشم بهراً . والتاريخ من عاجله فقد رقى حزناً ، وركب خشناً . فان كنت قرطست أو قاربت ، فقد بلغت من عملى المراد أو بعض المراد ؛ وإن كان سهمى قد طاش ، فكم قى حام وما ورد ، وغنى وما أطرب ، ولكن شفع له الاجتهاد .

ولقد سهرت في هذا التأليف ليالى متمطيات بأصلاها ، تحقيقاً عن لفظ ، أو تنقيباً عن اسم ، أو ضبطاً لرواية مختلف فيها ، أو لمدد أقلّ فيه الواحد وأكثر الآخر ، أو تعييناً ليوم واقعة من أىّ شهر أو من أية سنة ، أو مقابلة بين ما قاله عربى وما قاله أوربى عن الحادثة الواحدة ، أو تعريباً لعلم اسبانيولى على الوجه الذى كان يقوله العرب ، أو تبيناً لعلم عربى كيف كان يتلفظ به الاسبانيول ، وما أشبه ذلك مما أذبت له سواد العيون ، وأحييت كثيراً من الليالى الجون . ولا أزعم مع ذلك أنى بلغت به الأمد الذى ينبجيه من تعنت الحساد ، أو يمليه على تصفّح النقّاد ، ولكنى بلغت فيه الجهد ، وأبليت العذر ، ولم أبق في القوس منزع ظفر .

ومما لا بد لى من الإشارة اليه في هذه المقدمة أنى اخترت النقل عن المؤلفين ما استطعت ، لتكون هذه الموسوعة في هذا الموضوع معرضاً للآراء ، ومجماً للأفكار التى يطلع منها القارىء على الصور المختلفة التى كانت عن مملكة العرب في الأندلس ،

في أذهان الذين عاشوا في ذلك العصر وكتبوا عنه ، أو في أذهان من كانوا على مقربة منه . ولم أشأ أن أصنع ما يصنعه الكثيرون من أخذ الشيء عن الآخرين وإرازه للناس كأنه من وري زنادهم ، وفيض قرائحهم ؛ فليس هذا مذهبي في الكتابة ، ولا أراه الطريقة المثلى في التأليف ؛ وإنما ينقل الانسان ما يستطيع الاتصال به من آراء الناس ورواياتهم ، ثم يشفعها برأيه الخاص ، وبالرواية التي يكون قد جزم هو بها ، أو رجحها على غيرها بحسب اجتهاده ؛ وله أن يستدل على صحة رأيه أو ثبوت روايته بما وجد من قرائن ، وآانس من تنوهد ، وللقارىء بعد ذلك أن يذهب في الترجيح والتجريح كيف شاء بحسب ما يؤديه اليه نظره .

وهذا نقلت ما قدرت أن أعر عليه من الفصول المتعلقة بالأندلس ، عن المسعودى ، وابن حوقل ، والمقدسى ، والشريف الادريسي ، وابن الأثير ، وياقوت الحموى ، وابن عذارى ، وابن بشكوان ، وابن عميرة . وابن الأبار ، وابن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ، وصاعد الطيطلي ، والهمداني ، والقاسمى ، والمقرئ صاحب نفع الطيب ، وغيرهم من مؤلفي العرب ؛ ونقلت أيضاً عن دوزى المستشرق الهولندي ، وعن رينو المستشرق الأفرسى ، وعن أيزيدور الباجى ، وغيره من مؤلفي القرون الوسطى ، وعن أصحاب الانسيكلوبيديا الاسلامية ، وعن لاوي بروفنسال من المعاصرين ، وعن المسبوجوسه P. Gousset صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال ، وعن بديكر ، وعن بعض علماء الاسبانيول مثل سيمونه Simonet وكوندي Comte وعن ألبار دوسيركور صاحب تاريخ المدجنين ، والمورىك Albert de Circourt وعن دو مارليس de marlès وعن كتب أخرى اسبانيولية استعنت على ترجمتها بعض أصحابى من الأسبان ، ومن غيرهم . وعزوت الروايات إلى أصحابها ، ونقلت كثيراً من الفصول نصوصها ، أو تلخيصاً مع التعليق عليها في الحواشى بما يعنى لي مخالفاً أو موافقاً .

وهناك اصطلاح آخر ، جرى عليه بعض مؤلفي الافرنجة ، ونابهم فيه الشرقيون

وهو إرسال الكلام من عندهم في الموضوع ، ثم الاستشهاد بأقوال الآخرين بادماج بعض الجمل المأخوذة عنهم ، وذلك في صلب الكلام مع الإشارة في الحاشية إلى ماخذ تلك الجمل ؛ ولست أرى في ذلك بأساً ، وإنما ألاحظ هنا أن المؤلف قد يكون له رأى خاص في مسألة من المسائل ، فيهمه تأييد رأيه ، فينقّب في الكتب على كل ما يعزّز وجهة نظره ، وكلما وقع على جملة لمؤلف رأى فيها تقوية لنظريته نقلها دون سواها ، وأدججها في كلامه ، فربما جاءت بتراء لا يعرف ما تقدمها ولا ما تأخر عنها ، وربما جاء نقل تلك الجملة من قبيل « ولا تقربوا الصلاة » وحذف « وأنتم سكارى » فمن المعلوم أن الحكم لا يصح باعتبار جملة واحدة لمؤلف ، وإنما يصح باعتبار مجموع كلامه بمد تصفحه بمحذاهيره . وهذا الذي حداني إلى نقل فصول بأصبارها ، أخذ العنق بشماريخه ، ولو كان في خلالها ما ليس عندي بثبت ، وما اضطرت أحياناً إلى رده .

وإتماماً للفائدة رأينا تزيين هذا الكتاب باطالس جغرافية ، محررة فيها أسماء البقع والمدن ، باللغة العربية ؛ ورصّعناه بتصاوير لم يسبق أن اطلع عليها العرب ، وذلك لأن التصوير بالريشة قد يفعل ما لا يفعله التصوير بالقلم ، ولأن الصورة المحسوسة في العين هي أوقع من الصورة المجردة في الذهن ، فما ظنك إذا كانت الواحدة رديفاً للأخرى ؟

ولما كان المقصود بهذا الكتاب التوسع في الموضوع بقدر الطاقة ، قسمناه إلى قسمين : جغرافية وتاريخ . وبدأنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ ، ولم تقتصر في الجغرافية على ما كانت عليه إسبانية في أيام العرب أو في القرون الوسطى ، غير ناظرين إلى أحوالها الجغرافية الحاضرة ، بل جمعنا القديم إلى الحديث ونظمنا بين الحالى والحالى وقرنا ما كتبه العرب بما كتبه الأفرنج ، وإن كنا لم نحب أن نملأ الكتاب بالأرقام والاحصائيات ، في الكلبيات والجزئيات ، مما قد تمل الأنفس مطالعته .

وقد أدخلنا في القسم الجغرافي ذكر من نبغ من أهل العلم في كل بلد من البلدان التي ذكرناها؛ ولم نحصر ذلك في العرب، بل تجاوزناه إلى الأسبان، ولكننا استقصينا في أسماء العرب بالبدية ما لم نستقص في أسماء أولئك، واكتفينا من الأسبان بالمشاهير، لأن قراءنا هم من العرب وغرضنا إنما هو تعريف ناشئة العرب بالأندلس العربية، ولن يقرأ كتابنا من غير العرب إلا من شاء من المتخصصين. وقد كان مرادنا بادي ذي بدء أن نسرّد أسماء العلماء والأدباء المنسوبين إلى كل بلدة سرداً مجرداً من دون ترجمة، ثم نرد تراجم أحوالهم إلى جزأين في الآخر، مخصصين بذلك الموضوع؛ ولكننا رأينا في ما بعد أن السرد المجرد لا يفيد شيئاً ولا يبلغ في صدور القراء حاجة، وأنه لا بد من شئ من ترجمة كل واحد منهم، ومن تبين العلم الذي كان متخصصاً به، وذلك في الأجزاء الأولى. وإن كنا عوّلنا على هذا الأسلوب فهو لا يمنعنا من أن ننتخب من هؤلاء المترجمين طبقة عبقرية وفئة ممتازة نكتب لهم في الآخر سيراً ضافية. إن شاء الله، تأتي فيها بمختارات من أقوالهم وأتموجات من نظمهم ونثرهم.

هذا ولقد أحببت أن أتوجع هذا الكتاب الذي تعبت فيه هذا التعب كله، باسم أحد أمراء الإسلام وأقطاب الشرق، الدين يتفق في شأنهم الكلام ممن يتلأ العيون والصدور، ولا يكون الثناء عليه تنميق جملة وتشقيق ألفاظ، بل يكون نفس فعله هو هو الماتف بمدحه بدون منةٍ لقائل، ولا فضلٍ لمنّوه، وتكون سيرته الشخصية وما أثره المستمرة هي المخلدة له في الأعقاب وعلى طول الأحقاب، وإذا رأى الناس اختبرته لتتويج هذا الكتاب باسمه قالوا بأجمعهم: تالله لقد أحسن الاختيار وأتى الأمر من باب، وما أطرى ولا بالغ، ولا تماق ولا داهن، وإنما هو الحق الذي لا يجمله أحد. ولا يأتي على هذا الشرط عظيم من عظماء الإسلام قبل الأمير الكبير العلامة الخطير صاحب السمو الأمير عمر طوسون حفظ الله مهجته للإسلام والمسلمين وأمتع بطول حياته الشرق والشرقيين فقد أصبح هو في هذا العصر أمين هذه الأمة

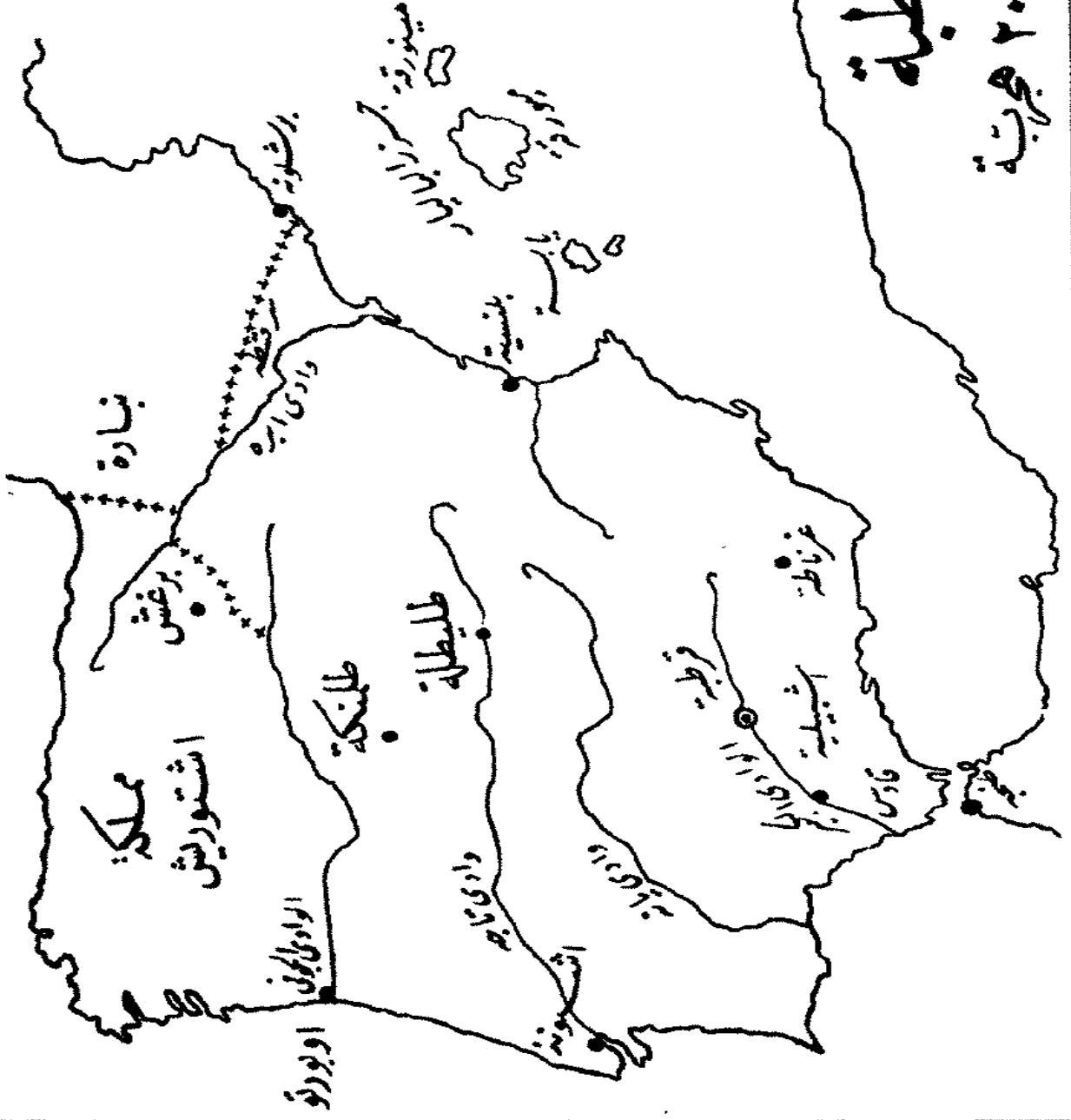
في كل ملة ، ومفزعها في كل مهمة . وإليه ارتاحت جميع الضمائر ، وعليه حامت جميع الخواطر ، وما من بَزْلَاءَ إِلَّا وقد نهض بها يشار إليه بالبنان في جميع أنحاء العالم الاسلامي لا يعمل شيئاً مما يعمله رثاء ولا سمعة ولا ابتغاء شهرة ولا أمانة ، هو الذي يزينها وليس بالذي يتزين بها ، وإنما يعمل ما يعمله ابتغاء وجه الله تعالى ، وخدمة لهذه الأمة التي أبي أن يكون من أعظم أمرائها نسباً وجلاء ، بدون أن يكون من أجل أمرائها علماً وعملاً وجَدَاءَ ، فكان قدوة لكل أمير لا يعرف العيب ، ولا يريد أن يضيع من عمره لحظة واحدة بدون فائدة للبشر . وما أقول هذا عن متابعة للناس في شأن هذا الأمير المنقطع النظير ، ولا عن روايات معننة ولا عن شهرة طائفة وإن كان التواتر يفيد اليقين وإن كان الناس اَكْبَسَ من أن يجمعوا على مدح رجل إن لم يكن لذلك أهلاً ، وإنما أقول ما أقوله عما خبرته بنفسى وشاهدته بعيني ، وتبادلت معه فيه الكتب المتصلة والرسائل المتواترة ، مدة تزيد على خمس وعشرين سنة ، من أيام الحرب الطرابلسية إلى الحرب البلقانية ، إلى الحرب الكبرى إلى جميع الخطوب والنوازل التي حلت بالاسلام من بعدها مما قيدت خلاصته في ترجمة حياتي التي أوصيت بأن تنشر من بعدى ، واستودعتها مكتب المؤتمر الاسلامي في بيت المقدس ، وكذلك مما سجلته في تاريخ الدولة العثمانية الذي حررته تعليقاً على تاريخ العلامة ابن خلدون رحمه الله إجابة لطلب المتصدي لتجديد طبعه الحاج محمد المهدي الحبابي الفاسي وفقه الله ، ولست والله أعلم في شيء مما قيدته من أعمال الأمير الأوحى عمر طوسون مد الله ، في حياته بالذي وقاه إلا النزر الأقل مما يجب من حقه على هذه الأمة التي تعرف له من فضله عليها بقدر ما ينكر هو من ذاته ، ولست في جعلى هذا الكتاب باسمه الكريم إلا الكاتب الذي عرف أن يسد ما نقصه من العلم ويتلافى ما فاته من براعة الانشاء بما وفق إليه من معرفة الفضل وألهمه من براعة الاهداء .

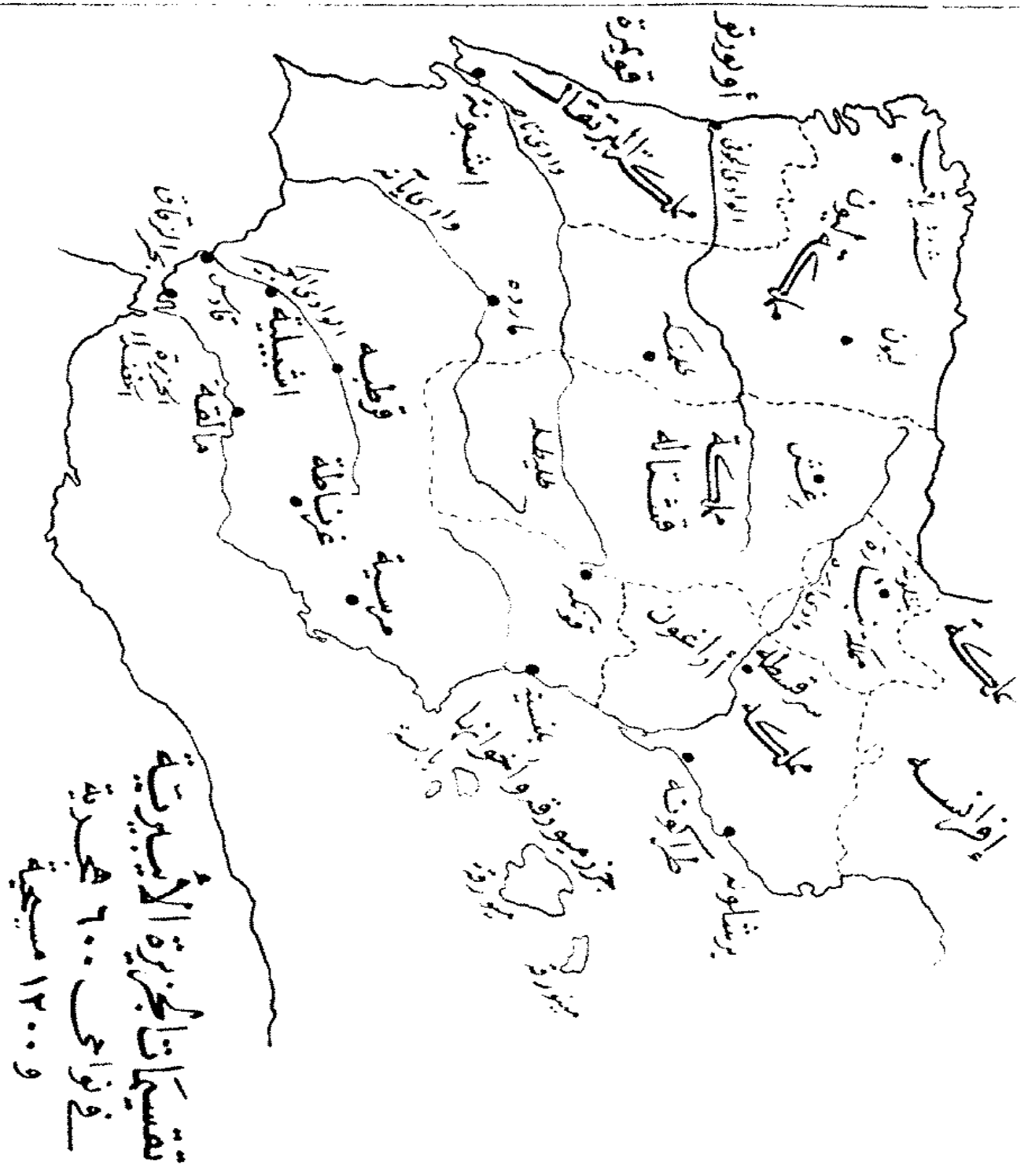
ولأبدأ الآن بالموضوع مستمداً من الله الصواب والسداد (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) .



إمارة قرطبة

في فوجحة سنة ٢٠٠ هجرية





تقسيمات الجزيرة الأيبيرية
 في نواحي ٦٠٠ هجرية
 و ١٢٠٠ مسيحية



مملكة غزاطة
و تقسيمات الجزيرة الابرية
والقرن الرابع عشر المسيحي

لمحة عامة

من الأمثال المصروفة في أوربة أن جبال البرانس — كما يقول العرب (١) — أو البيرانية Pyrenees كما يقول الأفرنج — هي الحد الفاصل بين أوربة وأفريقية . ويقولون : إذا تجاوزت معابر البيرانية فاعلم أنك قد دخلت في أفريقية . وربما يستغرب القارىء هذا القول بعد علمه أن في غرب البرانس (أو البيرانية) بلاداً طويلة عريضة هي من أكبر أقسام أوربة . تتألف منها مملكتان أوربيتان هما إسبانية والبرتغال فكيف يمكن أن تكون هذه البلاد من أفريقية ؟ وما الموجب ، ياليت شعري ! لضرب هذا المثل الذي قد يكون من باب المبالغة في تشبيه إسبانية والبرتغال الضاربتين في مناطق الجنوب بجراتها سواحل أفريقية الشامية ؟ والحقيقة أنه ليس في هذا المثل شئ من المبالغة . أما من جهة الشجر والحجر والتراب والدماء فإن الجزيرة الأيبيرية المنفصلة عن أوربة بجبال البرانس أشبه بشلى أفريقية وغربي آسية . واتقد جرّبت هذا الشعور بنفسى فور دخولى إلى أسبانية . إذ كان ذهافى إليها من طريق فرنسة أى من الشيل ، فما عبرت الحدود الواقعة بين فرنسة وإسبانية حتى خلت بنفسى سائراً في سواحل الشام بلادى . فكيف نظرت وقع نظرى على التين والزيتون والخروب والصنوبر والصير وجميع الأتجار والنباتات الحرجية التى أعرفها في بلادى ، مع وجوه الشبه الكثيرة فى منظر الأرضين ولون التراب وتمحدر الغدران يحف بها القصب والخفاء ، ومع حنين النواعير فى البقاع التى لا يصح لها الشرب من الغدران ، وغير ذلك مما يخيّل لك أنك فعلاً فى سواحل سورية . ولا تنك فى أن هذا التشابه بين البلادين هو الذى حدا عرب سورية على انتجاع الأندلس أكثر من أى بلاد سواها ، لأن الانسان يحب إذا تغرّب أن يقع فى أرض تشبه مسقط رأسه .

وكان الجغرافيون القدماء يقسمون الكرة الأرضية إلى مناطق سبع ، وبحسب

(١) وقد يقول لها العرب جبال البرتات

هذه المناطق تكون اسبانية وجزائر البحر المتوسط مثل سردانية وصقلية وكريت وقبرص ، وكذلك البلاد الشامية والعراقية ، منطقة واحدة . وقد شاهدت شمالي المغرب فرأيته لا يفترق عن جنوبي أسبانية . وكيف يختلف عنه وكل العاصل بينهما مضيق لا يتجاوز في بعض الأماكن أكثر من مسافة ١٥ كيلو متراً ؛ وهذا الفاصل قد جرى الماء فيه حديثاً بالنسبة إلى الأدوار الجيولوجية . وأنت إذا نظرت إلى شكل الأرض في الجزيرة الخضراء وجبل طارق ، من جهة ، وإلى شكلها في طنجة وجبل موسى وسبتة تجده واحداً ، فهي بقعة خرقتها الماء من الأوقيانوس الاطلانطيقي إلى البحر المتوسط فجعلها شطرين ، ولكن لم ينزع من كل من الشطرين وحدته الطبيعية مع الآخر . وقد قيل لي : إن في برية جبل طارق نوعاً من القردة قديم الوجود فيها ، وهذا النوع نفسه يسكن في جبل موسى المقابل لجبل طارق وذلك من جهة افريقية .

هذا من جهة الجغرافية الطبيعية . أما من جهة الجغرافية السياسية التي تتعلق بالسكان والممالك ، أو من الجهة الاثنوغرافية كما يقال ، فلا شك أن الاسبانيين والبرتغاليين وإن كانوا أوربيين في سلالاتهم فإنهم لاختلاطهم بالعرب والبربر والأمم السامية مدة قرون متطاولة أصبحوا أمة وسطاً بين الغرب والشرق (١) . وإذا صح

(١) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الايبيريين الذين هم سكان أسبانية الاولون هم البربر من أصل واحد . ويستدلون على ذلك بالتشابه بين عادات الفريقين . من ذلك ما رواه سترابون من أن المرأة كان لها المقام الأول عندهم إلى زمن الرومانيين وهذه العادة معروفة الآن عند الطوارق في صحراء إفريقية . ثم إن السليتين جاءوا من أوربة الوسطى فاختلفوا بالايبيريين ، كما أن قرطاجنة أرسلت إلى أسبانية مهاجرين كثيرين من إفريقية ، وقبل قرطاجنة كان الفيذقيون قد عمروها . فأنت ترى أن أسبانية ملتقى للعناصر الشرقية والغربية ، فمنها العناصر العربية التي أتت من شمالي البرانس ومنها العناصر الشرقية التي أتت من جنوبي بحر الزقاق .

ثم إنه طراً على اسبانية جاليات يونانية نزلت في أقسامها الشرقية ، وتلاها

الاقتراض الذى يذهب إليه بعضهم من أن السلالة البيضاء هى التى انتقلت من على عنق الدهر من المغرب إلى أوربة لم يكن العرب هم أول من أجاز من إفريقية إلى الأندلس .

إن شبه الجزيرة الايبيرية لا يتصل بأوربة إلا ببرزخ ، هو جبال البرانس ، وهى جبال شهيرة متوسط ارتفاعها سبعمائة متر عن سطح البحر تتكسر على أذيالها جاليات رومانية غلبت على جميعها ، وفى أثناء ذلك دخلها العنصر السامى أيضاً بمجىء عدد كبير من اليهود .

وبعد أن تلاقى فيها الايبيريون والسليتون واللاتينيون واليونانيون من السلائل الأوربية ، والقرطاجنيون والفيثيقيون واليهود من السلائل الآسيوية . طرأت على اسبانية أمم جرمانية مثل السوييف والالانين والفندالس والقوط الذين ملكوها وكانوا الطبقة السائدة فيها عندما فتحها العرب .

ولما جاء العرب دخلها ملايين منهم ومن البربر . فاختلطت آسية وأفريقية بأوربة اختلاطاً شديداً ، وصار الغالب على اسبانية هو المدنية الشرقية ، ولا عبرة بما جرى من إجلاء العرب والبربر فيما بعد ، فإن هؤلاء قد بقى منهم فى الجزيرة عدد كبير اندمجوا فى الأهالى فى جميع المقاطعات ودانوا بالنصرانية ولا يوجد فى اسبانية مكان يخلو منهم حتى أن القشتاليين الذين هم أقل أهل اسبانية اختلاطاً بالعناصر الشرقية والذين يمثلون السلالة الايبيرية القديمة لا يخلون من عنصر دخيل من العرب والبربر .

وعلى وجه الاجمال السلالة الآرية هى الغالبة على القسم الشمالى الغربى من اسبانية ولذلك أجسامهم أقوى وعضلاتهم أصلب . ومنهم القشتاليون الذين يعدون أنفسهم محررى البلاد ، فى أنوفهم نعرة شديدة . ومثل القشتاليين فى حمية الأنوف أهل أراغون وأهل مقاطعة مرسية . أما الكنتكلونيون فهم أهل صناعة وعمل ، ولا يفترقون كثيراً عن أهل اللندوق فى جنوبى فرنسة لأنهم جيرانهم . وأما سكان الأندلس أى المقاطعات الجنوبية فيغلب على أهلها الذكاء والجمال والسرور وحب الترف ، وذلك لأنهم من بقايا العرب ومن كان اندمج فى العرب . اه تلخيصاً عن جوسه صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال .

أمواج البحر المتوسط من الشرق والاطلانطيقى من الغرب ، وقد حفرت المياه على منحدرها سواء من جهة الشرق أو من جهة الغرب مُسلاناً لا تحصى وأنهارا تتدفق وجرّدت صخورها من التراب الذى لا يزال يجحف به السيل من عشرات الآلاف من السنين .

والجيولوجيون يقولون : إنه لو حصل خلل فى توازن قشرة الأرض الصلبة أدّى إلى اضطراب أعماق البحار لما أمكن أن تكون الجزيرة الايبيرية بمنجاة من هجوم البحر من جهة الوادى الكبير فى الجنوب وجون نهر « إبره Ebre » فى الشرق حيث أن طرطوشة ليست إلا على ارتفاع مترين فقط من مصب نهر « إبره » كما أن إشبيلية لا تعلو إلا عشرة أمتار عن الوادى الكبير . ولو قدّر أن البحر ارتفع مائة متر عما هو الآن لضربت أمواجه حيطان قرطبة . ولو أن البحر انبسط على سهل اشبيلية لغمر أكثر سهول الأندلس ، ولم يقف إلا فى سفوح جبال مورينه ، sierra - morena بحيث يعود إلى التشكل ذلك البوغاز القديم الذى يسميه العلماء بالبوغاز البيتى D'étroit Bétique الذى كان يصل البحر المتوسط بالاقيانوس فاصلا بين جبال إسبانية الوسطى وبين جبال شلير الثلج^(١) sierra nevada التى يعدها العلماء من جبال أفريقية والتى ذروتها المسماة بقمة مولاى الحسن تعلو عن البحر ٣٤٨١ مترا . وهذا قبل أن حصلت الهزات الجيولوجية الكبرى التى نشأ عنها الخرق البحرى المسمى ببوغاز جبل طارق .

كذلك ضفاف نهر « ابره » كضفاف الوادى الكبير الذى كان القدماء يقولون له نهر « بتيس » هى تحت تهديد البحر الدائم ، وذلك بحسب درجة ما يمكن أن يرتفع . فاذا ارتفع بضع مئات من الأمتار فان بنبلونة من نبارة^(٢) Panpelune

(١) nevada معناها بالاسبانيولى الثلجة فالاسبانيون يعنون بقولهم Sierra nevada سلسلة جبال الثلج وأما العرب فكانوا يسمون سلسلة هذه الجبال شلير الثلج وكانوا يطلقون على مجموعها اسم الشارات أو الشرايا وهى تعريب للفظه Sierra مع الجمع navarre (٢)

لا تعلو أكثر من أربعمائة متر ، ووتسقه Huesca لا تعلو أكثر من ٤٦٦ متراً . وكذلك لاردة هي من هذه الأماكن التي قد تغمرها المياه ، وأهم من الجميع سرقسطة التي لا تعلو أكثر من مائتي متر وتطيلة التي علوها ٢٥٧ متراً

ولقد نلت وجود مواد مالحة في أعماق هذه الأودية تدل على أن البحر لم يتقلص عنها إلا من عهد قريب بالنسبة للأعمار الجيولوجية . قلعة الجزيرة الأيبيرية في وجه البحار هي في الجنوب جبال مورينه وجبال البشرات وفي الشرق جبال البرانس . وأما في الشمال فهناك جبل قنطيرية ^(١) Cantabrique التي تعلو نحواً من الفين وخمسة مائة متر ثم تنقطع دفعة واحدة فوق سواحل الأطلانطيك ، حيث تصادم البحر سلسلة صخور لا تنتهي إلا عند وادي الكبير في الجنوب . وإلى الأطلانطيك تنحدر الأنهر الأربع « مينو Minho » و « دورو Duero » ^(٢) و « تاجه Tage » « وادي يانه Guadiana » ومنها « دورو » و « تاجه » قد حفرا أخاديد ضيقة في الأرض هي من العمق بحيث صارت فواصل طبيعية أبدية . ولا شك أنها لم تحل من تأثير في السياسة وأن لها يداً في فصل البرتغال عن أسبانية ، على حين أنه لا يوجد من جهة السكان فاصل بين الفريقين .

ثم أن التسم لأعلى من جبال اسبانية يقسم البلاد إلى قسمين : قشتالة القديمة ، وقشتالة الجديدة : ويقال لها وبلاد ايون Léon والاستراما دور Estramadure و« الميزيتا » meseta وهي أعلى اسبانية التي لولاها لدخل البحر على الجزيرة الأيبيرية من جهات متعددة بارتفاع قابل ، ولجمال عايبها سافها .

(١) الغالب على مؤلفي العرب أنهم كانوا يسمون هذه الجبال في شمالي اسبانية بجبال استورياس Asturias أو جبال جليقيه . وأما قنطيرية الأصلية فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تلتقي بالبرانس . والطرف الشمالي الممتد من بلدة الفارو le Ferrol إلى بيوتة Bayonne على الساحل يقال له جبال « شبية » .
(٢) يسميه العرب « بالوادي الجوفي »

ثم إن الفاصل بين القشتالتين *les deux Castilles* سلسلة أهاضيب يقال لها شارات وادى الرمل ، لكثرة رملها ، والاسبانيول حرفوا « الرمل » فجمعوها « الرامه » فهم يقولون « وادى الرامه » وهو التوجيه الأرجح *Guadarrama* وسلسلة أخرى يقال لها هضاب « غريدوس » *Sierra de Gredos* وهى متصلة بسلسة مثلها من جهة الغرب يقال لها شارات « غاتا » والشارات البرتغالية التى يقال لها « استريلاً » *Estrella* كما أنها متصلة من جهة الشرق بنشود « شوريه » *Seoria* ومرتفعات « ديمنده » *Demanda* على نهر « ابره »

ولما كانت هضاب وادى الرمل عارية من الشجر الذى من طبيعته أنه يمسك الأرضين ، فقد تفككت أجزاءها بحرارة شمس القيظ وبرودة جلد الشتاء ، وتكون منها كتل كثيرة لاسيما فى الجنوب حيث هى البلاد التى يعبر عنها بقشتالة الجديدة . وأن هذه الشارات التى فى وسط اسبانية هى التى تنحدر منها مياه وادى « الدوره » *Duero* الذى يجرى فى قشتالة القديمة ومياه النهرين الشقيقين « تاجه » *Tage* ووادى « يانه » *Guadiana* ^(١) اللذين يتحيفان فى جريهما جبال طليطالة *Tolède* وهضاب « وادى لب » *Guadalupe* و يحترقان البلاد إلى البرتغال ، إلا أن أحدهما « تاجه » ينصب فى خليج « اشبونة » *Lisbonne* والآخر يلتوى عن محراه المستقيم قاصداً إلى الجنوب ، بدلا من الغرب ، فينصب بحذاء « بطايوس » *Badajoz* بقرب خليج فادس *cadix*

وغير بعيد عن مصب وادى يانه ، ينصب الوادى الكبير *Guadilquivir* الذى ينبع من الجبال الوسطى فى اسبانية . ولكن انصباب الأنهار من جهة البحر

(١) فى أسبانية نهران بهذا الاسم أحدهما يسير من شلير الثلج *nevada* ويمر ببلدة وادى آش *guadis* فى الجنوب والثانى الذى نذكره الآن يمر ببلاد البرتغال ويتصبب فى البحر المحيط

المتوسط في القسم الجنوبي من اسبانية هو قليل ، نظراً لاشراف شلير الثلج على البحر يتدلى إليه بدون فاصل ، فلا تسكاد تجمد الجداول مجالا للجري . وذلك مثل وادي مالقة Guadalhorce ونهر المرية ونهر شنقورينه المشتق من نهر شقر Seegur والنهر المسمى بوادي الأبيار وادي بلنسية Guadalaviar وغيرها ويندر في الدنيا وجود ساحل مضرّس مشقق تشقق هذا الساحل الذي هو شاطيء البحر المتوسط من اسبانية وهو معهد زلازل وموقد حركات بركانية لم تنطفئ ، وآثار ذلك بارزة في الشقوق الخائلة التي تتخلله من جبل طارق جنوباً ، إلى كتلونية شمالاً ، وأعظمها الشق الذي ينحدر منه نهر « ابره » إلى البحر . ويرجح العلماء أن الهزاهز البركانية هي التي فصلت جزيرة ميورقة عن راس « نو » nao وأن ميورقة نفسها . إن هي وأخواتها ميورقة ويابسة إلا حلقات من سلسلة كان من جملتها قورسيكا وسردانية .

ويظهر أن الزلازل البركانية التي شقت بوغاز جبل طارق ، وفصلت هذا الجبل عن أمه افريقية ، وجعلته من أوربة ، وأقامت وأقعدت أركان تلير الثلج ، وفتحت في ساحل اسبانية الشرقي فجاً ، وأحدثت فوق كثير من أقسام ذلك الساحل لججاً وأمواجاً ، لم تنقطع حركتها بالمرّة ولا سكن توهجها ؛ فانه لا يزال هذا الشاطيء في قلق إلى يومنا هذا . وكل يعلم أنه في ٢ دسمبر سنة ١٨٨٤ وقعت زلزلة عظيمة كان معظم شدتها في مالقة وغرناطة ونواحيهما ، وذهبت طائفة من العلماء حينئذ إلى هناك وحققوا منطقة الزلزال فوجدوا أنها لم تتجاوز اسبانية السفلى ، وأنها وقفت في حذاء شارات مورنيا فكان الحاجز الذي صدّ الزلازل عن شمول اسبانية العليا هو شفير « الميزيتا » meseta الايبيرية . وهكذا رجعت من أمام هذا الحاجز إلى الورا تصديقاً لقوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميد بكم)

ولا تشتد الزلازل في اشبيلية وقرطبة شدتها في هذا الساحل من جبل طارق إلى برشلونه ، بل إن شارات الثلج أو الجبال التي يقول لها العرب جبال شلير Solair

بالرغم من غلظ أعناقها وثبوت أركانها ، ليست بمنجاة تماماً من تأثير هذه الهزات الأرضية ، يظهر لك ذلك من أودية غرناطة و وادي آش ولورقة والوادي المسمى شافورينة عند مرسية . وتستمر آثار عمل الزلازل إلى بلنسية فبرشلونة فجيرونده من كتلونية .

وكثيراً ما تتجاوز الشقوة مع السعادة ويسكن الخير مع الشر في بيت واحد ، فان هذه المنطقة هي مع زلازلها أخصب بقاع اسبانية ، ناهيك بمرج غرناطة و بساتين مالقة وجنان مرسية ولورقة وغيضة نخيل أش وحقول القنت ، وأخيراً غوطة بلنسية التي تضارع غوطة دمشق . و بالاختصار هذا الخط البديع الذي فوقه الماء وتحتة البار والذي هو بين الشمس والأمطار قد بسقت فيه عظام الأشجار وتهدلت فوقها أصناف الثمار ، وهو لجيد الجزيرة الايبيرية كالعقد لجيد الحسناء بلا إنكار .

اسم الجزيرة الايبيرية

توخينا أن نطابق على أسبانية والبرتغال اسم « الجزيرة الايبيرية » لا لأنها فعلاً جزيرة ، قد جزر البحر عنها من الجهات الأربع ، بل فراراً من تكرار جملة « شبه الجزيرة الايبيرية » واقد كان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة الاندلسية مع معرفتهم أيضاً بأنها شبه جزيرة وأنها متصلة بالأرض الكبيرة من ناحية جبال « البرتات » أو البرانس . وقد قالوا كذلك « جزيرة العرب » مع أنها محاطة بالبحر من جهات ثلاث لا غير مثل جزيرة الاندلس . هذا ولو ارتفع البحر المتوسط قليلاً من جهة « أربونة » Narbone لعمر تلك البسائط إلى خليج « برديل » Bordeaux وصارت أسبانية والبرتغال جزيرة حقيقية

أما هذه النسبة وهي الايبيرية فهي نسبة إلى أمة قديمة يقال لها « الايبير » ibère كانت أقدم أمة عمرت تلك البلاد ، ولم يعرف قبلها هناك أمة أخرى . وجميع الذين أوطنوا هذه الجزيرة إنما جاءوا بعد أمة الايبير هذه .

اسم الجزيرة الأندلسية

أما الجزيرة الأندلسية التي كان العرب يسمون بها هذه البلاد فهي منسوبة إلى « الأندلس » وقد كثر الكلام في أصل هذه اللفظة ، ولكن أرجح الأقوال أنها مشتقة من اسم « الفاندالس » وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر « الأودر » oder ونهر « الفيستول » vistule في شرقي المانية . ويقال إنهم من أصل جرمانى ، ويقال إن بعضهم من أصل سلافي أو صقاي كما تقول العرب . وهؤلاء الفاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بانغوا بوغاز جبل طارق ، وذلك سنة ٤١١ قبل المسيح . ومن هناك أجازوا إلى إفريقية . فلما عرفهم أهل إفريقية أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاءهم منها وسموا هذه البلاد بالأندلس . وقالوا أن عمورهم إلى المغرب كان من جهة « طريف » tarifa وقالوا بل من الجزيرة الخضراء .

وجاء في الأسيكوبديا الإسلامية في الجزء الأول صفحة ٣٥٤ بقلم سيولد Seybold أن الفاندالس لم يقيموا في جنوبي إسبانية إلا ثمانى عشرة سنة لا غير ، وأن بلاد جنوبي إسبانية كان يقال لها إلى ذلك الوقت « باتيكا » Batique فصار يقال لها « فنداليسيا » ومنها جاءت لفظة الأندلس ، ولما جاء العرب وفتحوا إسبانية أطلقوا عليها هذا الاسم وصاروا يقولون أندلس ، لالابقعة الجنوبية المقابلة للمغرب فحسب ، بل لجميع الجزيرة الأيبيرية ولجميع ما فتحوه من البلدان بعد أن عبروا بوغاز جبل طارق . فالأندلس عند العرب هي من بحر الزقاق أو بوغاز جبل طارق . إلى جبل البرانس . وربما أطلقوا لفظة الأندلس على ما وراء البرانس من أرض الأفرنجية فاما الأسبان أنفسهم فكانوا لا يعرفون هذا الاسم قبل العرب وكانوا يسمون البقاع الجنوبية من الجزيرة الأيبيرية بإسبانية القديمة ، كما كانوا يسمون شمالي إسبانية بأسمائها المختلفة مثل استورية التي كان العرب يقولون لها اشتورية أو اشتورياس ومثل ليون وقشتالة وأراغون الخ . ولكن بعد أن غلب العرب على تلك الأقطار

واشتهر اسم الأندلس عند الأسبانيول أنفسهم صاروا يطلقونه على جنوبي اسبانية ، لاسيا بعد أن بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، إلى أن انحصر هذا الاسم في مملكة غرناطة الصغيرة . انتهى كلام الانسيكلوبيديا الاسلامية ملخصاً وقد نقل ذلك عنها المستشرق ليثي أو لاوي بروقتسال E. Levi - Provençal في كتابه (اسبانية المسلمة في القرن العاشر ^(١) المطبوع في باريس سنة ١٩٣٢)

قلنا أن هذا الاسم لا يزال يطلق إلى الآن على ولايات اسبانية الجنوبية ، مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة ورُندة وماقته وما جاورها . ولننظر الآن إلى ما قاله مؤرخو العرب في أصل اشتقاق لفظة الأندلس :

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : الأندلس يقال بضم الدال وفتحها وضم الدال ليس إلا ، وهي كلمة عجمية لم يستعملها العرب في القديم وإنما عرفت في العرب في الاسلام وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام . وقد استعمل حذفها في شعر ينسب إلى بعض العرب فقال عند ذلك :

سألت القوم عن أنسٍ فقالوا بأندلس وأندلسٌ بعيد

ثم أخذ ياقوت يبحث في بناء لفظة أندلس ومكانها من الأوزان العربية وكيف أنه لا يوجد لها وزن في هذه اللغة ، بحثاً ليس له طائل ، لأن هذه اللفظة هي أعجمية من أصلها كما قال هو فلا حاجة لعرضها على وزن عربي . ولم يقل ياقوت مصدر هذه اللفظة كما ذكر غيره ، ولكن نقل المقرئ في نفع الطيب عن ابن سعيد أنها إما سميت بالأندلس لأن هذا الاسم هو اسم ابن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدو المقابلة لها وإليه تنسب مدينة سبتة (؟) قال : وقال ابن غالب : إنه أندلس بن يافث والله تعالى أعلم .

وقال القلقشندي في صبح الأعشى الجزء الخامس : وقد اختلف في سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم ، فقليل ملكته أمة بعد الطوفان يقال لها الأندلس بالشين المعجمة

(١) L'Espagne musulmane au xème siècle

فسمي بهم ، ثم عرب بالسين المهملة . وقيل خرج من رومة ثلاثة طوابع في زمن الروم يقال لأحدهم القندلس بالقاف في أوله وبالشين المعجمة في آخره ، فنزل القندلس هذه الأرض فعرفت به ثم عربت بإبدال القاف همزة والشين المعجمة سيناً مهملة . ويقال أن اسمها في القديم « آفارية »^(١) ثم سميت « باطقه » ثم أشبانية^(٢) ثم الأندلس باسم الأمة المذكورة . قال في تقويم البلدان : وسميت جزيرة لاحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب وإن كان جانبه الشمالي متصلاً بالبحر

(١) لا نعرف ما دا أراد القلقشندى بهذه اللفظة ، آفاريه ، وإن لم تكن محرفة أو مصحفة فيكون الأشبه بها أن تكون ، آوريه ، والحال أن بلاد الآفاريين هي في شمال القوقاس . ثم إن الشعب الآفاري هو من أصل تركي زحف من الشرق إلى الغرب في القرون الوسطى لكنه لم يتجاوز بوهيميا غرباً ووقع بين السلاف من جهة والفرنجة من جهة أخرى ثم اندمج في الشعوب الأخرى لاسيما في المجر

(٢) الأيبيريون السليون هم أقدم أمة في غربي أوربة اجعت شبه الجزيرة الأيبيرية أي إسبانية والبرغال الحاضرتين وقتها من بلاد الغال أي جيوني فرنسا وبعض شمالي إيطاليا . وقيل لاسبانية الحالية « ايبيرية » نسبة إليهم ثم تحولت هذه اللفظة إلى « هيسبرية » ، قلب الألف ها ، Hesperie وهو اسم كان اليونانيون يسمون به شبه جزيرة إيطاليا كما كان الرومانيون يسمون به شبه جزيرة إيبيرية وبعد ذلك تحولت « هيسبرية » إلى « هيسبانية » Hispanie ومنها صارت « إسبانية » ، Espagne والعرب كانوا يعرفون هذا الاسم إلا أنهم كانوا يجعلون السين شيئاً

وهناك توجيه آخر لاسم إسبانية ، وهو أن اشبيلية كانت في القدم مستعمرة إيبيرية ، وكان يقال لها « هيسباليس » Hispalis ولم تلبث أن صارت عاصمة « باتيكا » أي إسبانية الجنوبية ، فلا عجب أن اشتق اسم إسبانية من هيسباليس لأن اللام والنون كثيراً ما يحصل التبادل بينهما ولا نفس أن أصل البلاد التي يقال لها إسبانية هو الجيوب من إسبانية الحالية وأن اسم إسبانية لم يشمل شمالي الجزيرة الأيبيرية إلا حديثاً فلا يبعد أن يكون اسم اشبيلية القديم شمل البلاد التابعة لها ، وكثيراً ما نسمت المملكة باسم العاصمة .

وهذا التوجيه هو الذي ظهر لمحرر هذه السطور ولم أجده في كتاب وقد كاشفت

ما قاله دوزى عن اشتقاق اسم الأندلس

لم يأت دوزى فى هذه المسألة بشىء جديد ، ففى كتابه المسمى « بمباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها فى القرون الوسطى » المحرر بالفرنسية ، يقول : ان هذا الاسم كان يطلق على مقاطعة بتيكة وقد جمعه العرب عاماً لجميع اسبانية ، فترجح أن لفظة اندلس مشتقة من الفندالس الذين قبل أن أجازوا إلى افريقية احتلوا جنوبى أسبانية . وهذا رأى فى هذا الاشتقاق هو قديم ، لأنه قد رواه الرازى ورد عايه بأن مقام الفندالس فى جنوب أسبانية كان قصيراً جداً ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أول من أطلق لفظ اندلس على مقاطعة بتيكة وعلى أسبانية كلها هم المسلمون ، فان مؤرخى شمالى أسبانية لا يعرفون هذا الاسم بل يسمون باسبانية *Spania* جميع البلاد التى كانت فى حوزة العرب . فاما مؤلفو العرب فيسمون البلاد بالاندلس ويذكرون وجه التسمية . وفى « أخبار مجموعة » يقول إن أندلس كان اسم الجزيرة التى نزل بها طريف ، ويقال لها جزيرة طريف . من ذلك الوقت . وقال المؤرخ عريب : أن به الأستاذ المدقق السيد محمد علال الفاسى من آل الجد وهو من ثقوب الذهن وأصالة رأى وسعة الاطلاع بالمكان الذى يعرفه له كل من عرفه فأجبنى بما يلى :

إن المحدثين تكلموا عن مصدر اشتقاق هذا الاسم « اسبانية » فذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ من لفظة « شافان » السامية ومعناها الأرنب وهو الحيوان المعروف قيل لأن الفينيقيين وجدوه بكثرة هناك . ويظن الآخرون أنها سميت « اسبانية » من لفظة « أزبانيا » وهى لفظة باسكية معناها « شاطىء » ونفسى تظمن لهذا التعليل لأنه منطبق تماماً على حال الجزيرة وليس فيه تغير كبير . أما كونها سميت اسبانية باسم اشيلية التى كانت تدعى « هيسباليس » فغير متعين لأنى أظن أن هذه اللفظة كانت من قبل ، أى بعد سقوط مملكة القرطاجنيين ، علماً على شبه الجزيرة كلها وأن اشيلية كانت معروفة عند الفينيقيين باسم « سيفيلا » والرومان هم الذين أبقوا اسم المملكة على خصوص هذه المدينة اه فرأى السيد علال هو إذا اشتقاقها من ازبانيا بمعنى شاطىء والله أعلم .

طريقاً نزل قبالة طنجة في الاندلس التي يقل لها اليوم حزيرة طريف . إذاً أصل الاسم كان لذلك المحل لا للبلاد كلها ، وقد ذكر غريغوار التورى Grégore de Tours ما يدل على أن اسم المكان الذي نزل فيه طريف كان طرادوكته Traducta وهو المكان الذي أجاز منه القنادلس إلى افريقية فلما جاء البربر ونزلوا في هذا المكان سمو باندلس كل البلاد وجاء طارق من بعده فكان هذا الاسم أصبح مستعملاً

تخطيط الجزيرة الاندلسية

فل سيبولد في الانسيكو بيديه الاسلامية : إن العرب لم يكونوا ليتخاصوا من المصور الجغرافي المعكوس المنحرف الذي وضعه بطليموس من قديم الزمان ، فكانوا يصورون اسبانية بشكل مثنى غير مننظم . أطرافه هي : من الجنوب طريف ورأس مراكتس ، ومن الشمال الشرقى رأس كريوس Caesus ومرسى ونتر fort-Vendres وفي الشمال الغربى بلاد فينستير I mistere وكذلك كانوا يصورون جميع الشواطىء الممتدة من طريف إلى كريوس أو بالأفصل إلى طركونة ورتلونة كأنها تغور جنوبية كما تعلم ذلك من كتاب المراكشى . ثم حول البرانس فهى في تصورهم تغور شرقية للاندرلس ! ثم إنهم فيما بعد فهموا أن طريق الأندلس إنما هو سواحل بايسية ومرسية وفهموا أن الحد الغربى هو الاقيايوس الاطلاتيكى الذى كانوا يقولون له بحر الظلمات أو البحر المظلم أو البحر المحيط لأعظم أو الاقيايوس أو القماموس أو البحر الغربى فى مقابلة الشرقى الذى كانوا يقولون له البحر الرومى أو البحر الشامى أو المتوسط . وكان الحد الغربى للأندلس عندهم ممتداً من طريف إلى رأس « سان فنسان » Cap Saint - Vincent أو رأس « روكه » Roca عند أشبونة Sisbonne ومن هناك يصير عندهم الحد الشمالى الذى يمتد وراء عايسية Galice إلى جبال البرانس فى بلاد « فونترابية » Fontarabie . وكانوا يقولون لجبال البرانس جبل البرتات أو الجبل الحاجز أو الفاصل ، ويسمون جبال قشتالة بجبل الشارات وجبال نيفاده

Névacla بجبل التاج أو جبل شاير chulair (واصل هذه اللفظة هو سولور يوس
(Solorius

ولهذا جميع الاطالس الجغرافية المتعاقبة باسبانية العربية المنشورة إلى اليوم هي غير
صحيحة ، سواء أطالس « سبرونر » و « منك » Spruner et menka المطبوعة
سنة ١٨٨٠ وأطالس دوريزين Draysen المطبوعة سنة ١٨٩٤ في كتاب اوغست
مولر المسمى « بالإسلام في الشرق والغرب » أو أطالس ستانلي لانبول Sane-Poole
في كتابه « العرب في اسبانية » وكما قد تناقنا الأغلط الجغرافية من أيام
« كازيري » و « كوندى » و « سوزة » و « جوبرت » و « غاينغوس » و « هامر »
و « ملرن » وغيرهم ، حتى أن دوزى Dozy نفسه برغم مجهوداته الكثيرة لم يترك
أثراً يذكر في تصحيح جغرافية اسبانية ، وهو في ترجمته لكتاب الادريسي عن
الاندلس والمغرب وتعليقه عليه لم يأت أيضاً بشئ ، من تصحيح الأغلط التي وردت
في نفس الأصل ^(١) نعم أنه في تضاعيف كتبه عن الأندلس حقق بعض أما كن

(١) عاق دوزى بعض ملاحظات على الادريسي ، إلا أن جل همه كان تحقيق
الأعلام التي ذكرها الادريسي وذكر ما يقال لها بالاسبانية ، وقد رمى فقرطس
في جميع ما قاله إلا في مواضع مدودة توقف فيها أو كان في قوله نظر . وعلى كل حال
فترجمته لكتاب الادريسي هي أحسن ترجمة ، وكفاها حسناً تصحيحه للأغلط الفظيعة
التي وقعت في ترجمة « جوبر » Joubert ، وذهبت بالمعاني إلى أبعد ما يصل إليه التصور
ومن أمثلة هذه الأغلط أن الادريسي ذكر الروس فقال : إنهم يخلقون لحام ومنم
من يجمعها ويضفرها كاعراف الدواب . فوقع تصحيح في « اعراف » جعلها « اعراب »
فترجم جوبر ذلك بما يلي :

la réunion et la tressent à la manière des Arabes de Douab

أى يجمعونها ويضفرونها على نسق اعراب بلاد دواب

وجاء في كلام الادريسي عن أحد الظالمين انه « مسخ » وهو فعل مبني للمجهول

فلم يفهم جوبر لفظة « مسخ » وظنها اسم علم وترجمها هكذا on dit que c'est masth
بدلاً من أن يقول il fut métamorphosé ووقع جوبر في اغلط كثيرة من هذا

لا سيما في مبحثه المسمى « بملاحظات جغرافية على بعض مقاطعات الأندلس القديمة » وذلك في كتابه المسمى « بالتنقيبات عن تاريخ اسبانية وآدابها »

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne

وإن تقدم جغرافية اسبانية العلمية في كتابات « سافيدرا » Soavedra ولا « سيمونه »

Simoner ولا « اغيلاز » Egilaz ولا « قديره » Codera ولا « باسه » Basser

وقد كان يجب جمع جميع ما تقدم من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، ونحياها

نحلا دقيقا ، مع طرح جميع المحازفات والأخطاء التي تراكت من أيام كزيري Caisri

وكوندي Conde إلى أيام هامر Hamner وميرن Mehren فكما أن دوزي الكبير

عندما كتب التاريخ المسمى بتاريخ مسعى اسبانية ترك جميع ما كان تقدم عنها من

الكتابات ، وعدّها لغوا ، ورجع إلى المنابع العربية نفسها ؛ كذلك يجب العمل

الخط . أتينا بأمثله منها استدلالا على خط بعض المستشرقين . ولكن بعض هؤلاء

تعقوا جوهر هذا في ترجمته السقيمة هذه ، ومن هؤلاء ، كاترمار ، Quatremère

ومنهم دوزي . إلا أن كاترمار وإن أصاب في أكثر ما تعقب به جوهر فقد أخطأ

في بعضه مثل أن أكثر خشب مسجد قرطبة هو من الصنوبر الطرطوتي . فذهب

كاترمار إلى أن الطرطوتي هنا لا محل له وأه قد يكون محرفا عن لفظة « مرصوص » ،

والحال أنه هو الصنوبر الطرطوي المنسوب إلى طرطوشة tortose الموصوفة بجودة

الصنوبر والتي فيها دار صفة للسفن بسبب منانة خشب صنوبرها

وفدكات ترجمه دورتره ارهه المشتاق في اختراق لادق ، عن نسخة مخطوطة

في مكتبة باربر ، وأخرى في مكتبة اكسفورد ، وفي كليهما أغلاط نسخ تحير دوزي

وغير دوزي في ردها إلى الأصل . وأما على وجه الاجمال فقد كان اجتهاد دوزي

بغرم بعض آراء تعسف فيها بما أراح السائر عن أكثر حقائق العلم بالأندلس سواء

من جهة تاريخها أم من جهة جغرافيتها . وذلك في نظر الأوربيين الذين لم يكونوا

يعلمون عنها من قبله إلا معلومات ناقصة وأخبارا مشوهة ولم تكن لهم عنها إلا آراء

مشوبة باهواء رجال الكنيسة

نفسه في جغرافية هذه البلاد . وهذا العمل يحتاج إلى مراجعة الكتب اللاتينية والاسبانية والعربية نفسها . وذلك أنه وإن كان التعصب الأعمى ، بعد سقوط مملكة غرناطة ، قد أخنى على كنوز أدبية هي فوق كل تقدير ، ومحا كتباً ذهب وأصبح لا يمكن إحيائها ، فانه لا بد أن يكون في الشرق وفي شمالي أفريقيا كتب عربية متعلقة بالأندلس يمكن الاستفادة ، جدُّ الاستفادة منها ؛ بل يجب جمع التأليف الجغرافية والتاريخية التي كتبها العرب ، من زمن ابن خردادبه ، إلى اليعقوبي ، إلى المسعودي ، إلى ياقوت ، إلى المقرئ الذي أخذ عن مائة مصنف ، هذا مع مراجعة كتب التراجم التي فيها نسبة العلماء الأندلسيين إلى بلدانهم مما تؤخذ منه معلومات جغرافية كثيرة أيضاً ، ومما يدل على انتشار العلم في اسبانية العربية بصورة مدهشة . ومما لا شك فيه أنه قبل كل شيء تلزم مراجعة المكتبة العربية الاسبانية *Biblioteca Arabico - Hispana* لقُدرة^(١) التي هي عشرة مجلدات وفيها تراجم علماء الأندلس ، وإن كان مع الأسف فيها تحريف أسماء كثيرة من أسماء البلاد التي ينسب إليها أولئك العلماء . انتهى ماخصاً .

وقال لاوى بروقتسال في كتابه « أسبانية الاسلامية في القرن العاشر » : إن جغرافيات العرب لم ترد فيها تفاصيل كافية شافية عن الاندلس ، ونحن مضطرون أن نفتنح بالموجود بين أيدينا منها ، مثل كتاب الهمداني الذي كتب في حوالي سنة ٩١٠ مسيحية ، وكتاب الأصطخرى الذي تاريخه ٩٢١ مسيحية ، أي أوائل عهد عبد الرحمن الناصر ، وابن حوقل الذي أكل جغرافيته سنة ٩٧٦ والمقدسي الذي كتب كتابه في أحسن التقاسيم . بعد ابن حوقل ، فالاصطخرى ذكر أن أهم مدن

(١) *Franciscus codera* هو مستشرق أسباني يقال إنه من سلالة عربية واسمه قديرة دليل على ذلك . وقد علمنا من الأستاذ القسيس آسين بالاسيوس *Acin palacios* المستشرق الاسبانيولى المعاصر الذي أثبت أن داتى في المهزله الالهية سرق رسالة الغفران للبعري أن قديره هو أستاذه

الاندلس في أيامه كانت شنترين ، وجبل طارق . وطليلة ، ووادي الحجارة ، وورية ، وفحص البلوط ، وقورية ، وماردة . وقال : إن أهم الثغور لذلك العهد كانت ماردة ونفزة ووادي الحجارة وطليلة . وأما المقدسي فأحصى ثمانى عشرة كورة للاندلس (سيأتى كلام المقدسي بحروفه نقلا عن الأصل)

أما محمد بن أحمد الرازى لانداسى فله تاريخ وجغرافية للاندلس ، لا يوجد لها سوى ترجمة باللغة الاسبانية قشتالية ، عن ترجمة برتغالية ، عن الأصل العربى الذى كتب فى أوائل القرن الرابع عشر ، وقد أمر بهذه الترجمة إلى البرتغالية دنيس ملك البرتغال . وكتاب الرازى هذا كان عمدة ياقوت الحموى عن الأندلس . وبحسب كلام الرازى كانت الأندلس إحدى وأربعين كورة : قرطبة ، وقبرة ، والبيرة ، وجيان ، وتدمير ، وناسية ، وطرطوتة ، وطراكونة ، ولاردة ، وبرباطانية ، ووشقة ، واطيابة ، وسرقسطة ، وباروتة ، ومدينة سالم ، وشنتبرية ، وراقوبيل ، وزوريتة ، ووادي الحجارة ، وطليلة ، واربيط ، وفحص البلوط ، وقرش ، وماردة ، وبضايوس ، وبيجه ، واقشنونه ، وشنترين ، وقويره ، واكشيتانية ، واشبونة ، واشبيلية ، وقرمونة ، ومورون ، وشذونة . والجزيرة ، وريّة ، واسجه ، وناكرونه . وأما الادريسي الذى كتب جغرافيته فى القرن الثانى عشر فالأندلس عنده ستة وعشرون أقيما - وهو تقسيم جغرافى ليس سياسى ولا إدارى - وهذه الأقاليم هى : البحيرة ، وشذونة ، وحرف ، وقنباية ، واشونه ، وريّة ، والبشرات ، وبجانة ، والبيرة ، وفريرة ، وتدمير ، وقونسه ، وأرجيرة ، ومربيطر ، واقواطم ، والفلجّه ، والبلاطة ، والفخر ، وقصر أبى دنيس ، والبلاط ، وبلاطة ، والشارات ، وأرنيد ، والزيتون ، والبرتات ، ومرمريّة . قال : وقد رأينا أن الشاميين نزلوا فى البيرة ، وأن أهل الأردن نزلوا فى المقة ، وأن أهل فلسطين نزلوا فى شذونة ، وأن أهل حمص نزلوا فى اشبياه ، وأن أهل قنسرين سكنوا جيان ، وأن أهل مصر كانوا فى بيجه ومرسية ؛ فكانت هذه المدن فى زمن الخلافة الأموية امصاراً . وأما سائر الكور

فتشكلت فيما بعد ، مثل كور الجنوب العربي وهي : مورون ، ولبله ، وماردة ، وشنترين ، وتاكرونه ، وريّة ، وبجّانه ، أي زُندة ، ومالقة ، واطرية . وسنة ٣٥٠ عند ما تولى الحكم المستنصر كانت الثغور خطأً منحنيًا ماراً بالقسم الشمالي من الأندلس من شرقيّه إلى الغرب ، يبتدىء من جنوبي برشلونة و يمتد شمالاً بغرب ، وذلك من عند بربشتر ووشقة ، ثم يتصل بوادي إبره شمالى تطيلة ، ثم يصعد من هذا الوادي إلى هارو ، ثم يعود فينحني صوب الجنوب تابعاً مجرى الوادي الجوفي أي دويره ، إلى المحيط الاطلانتيكي بعد أن يمر بالمدن التالية : أشمه ، وسيمينكاس ، وزموره ، ولاميغو ، وبورته . وأما المسعودي فيقول في مروج الذهب الذي تاريخه سنة ٣٢٧ للهجرة : إن الثغر الشمالي يمتد من طرطوشة إلى افراغة إلى لاردة . انتهى وسيأتى كلام المسعودي بحروفه .

عدد سكان أسبانية

لا شك أن العصر الذي بلغت فيه أسبانية ذروة نموها هو العصر الروماني ، فقد قيل أنه كان فيها أيام الرومان من ثلاثين إلى أربعين مليون نسمة . ولكن لم يوجد وثائق تاريخية تؤيد بلوغ أهالي الجزيرة الايبيرية هذا العدد . ثم أسبانية كانت في نمو عظيم أيام العرب ، يستدل على ذلك بكثرة مدنها الحافلة لعهد العرب ، فقد كان فيها نحو من أربعين مدينة عربية ، ومنها قرطبة التي أحزر عدد سكانها بنحو من مليوني نسمة ، كما سيأتى الكلام في هذا المبحث . إلا أنه مع الأسف لا يوجد عندنا وثائق يعرف منها بالضبط عدد المسلمين الذين كانوا في أسبانية لعهد الناصر مثلاً ولا عدد مجموع السكان من مسلمين ومسيحيين في ذلك العصر

ومن باب الحزر والتخمين أقول إنه لا يمكن أن يكون عدد مسلمي الأندلس لعهد الناصر والمستنصر أقل من خمسة عشر مليوناً . ولما أجلى الاسبانيول المسلمين واليهود هبط عدد سكان أسبانيا ، لهذا السبب ولسبب آخر هو كشف اميركة التي هاجروا إليها ، هبوطاً عظيماً . ففي سنة ١٥٩٤ كان عدد سكان أسبانية نيفاً وثمانية

ملايين ، ومضى على ذلك قرنان ولم يزد عدد الأهالي أكثر من مليون واحد ، ففي سنة ١٧٦٨ كان في أسبانية تسعة ملايين ومائة وستون ألفاً من السكان ، ثم ازداد هذا العدد في زمن آل بربون إلى عشرة ملايين ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وسنة ١٨٣٢ كانوا احد عشر مليوناً ، وسنة ١٨٤٩ كانوا ١٤ مليوناً ، وفي أوائل هذا القرن العشرين صاروا ٢١ مليوناً ، والآن هم ٢٢ مليوناً و٣٣٨ ألفاً

ومعدل كثافة السكان بالنسبة إلى مساحة الأرض هو ٤٠ نسمة في الكيلومتر الواحد ، هذا بالتعديل المتوسط . وأسباب عدم ترايد السكان كما في الممالك الأخرى ، لا تنحصر في المهاجرة ، بل هناك أسباب أخرى ، مثل عدم التناسب في توزيع الأراضي ، ومثل فدح الضرائب ، ومثل التعامل بالربا . ومن حملة هذه الأسباب ندور الحراج والغابات . فاناس يرحلون إلى اميركة من فقر ولا سيما من بلاد البشكونس ولاردة ووشقة وحيرونة . وأكثر الذين يرحلون من الجيوب هم أهالي المرية والقمق ، ففي السنة يرحل زهاء مائتي ألف . وهم يرحلون إلى المكسيك والارجنتين وسائر أمريكا . ومنهم من يرحل إلى المغرب وإلى الجزائر . وفي عمالة وهران ١٧٥ ألف اسانيولي

أقوال العرب عمه جغرافية الأندلس

قول ابن حوقل

قال ابن حوقل الذي خرج واحداً من مدينة السلام سنة ٣٣١ ، ووصف جميع ماشاهده ؛ وأما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وعامر ، وطولها من الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة ، وتغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر . نى أسباب التملك الفاشية من أكثرهم ، ولما هم بها من رغد العيش وسعته وكثرتة . يملك ذلك أهل منهم وأرباب صنائعهم لقله مؤسهم وصلاح بلادهم . ويساوى ملكهم بقلة شغله وسقوط تكلفه بشيء . يحذره

وحال يخافه ، إذ لا خوف عليه ولا رقبة لأحد من أهل جزيرته مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله . ومما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدينار والدرهم ضربتها في كل سنة مائتا ألف دينار ، يكون ، عن صرف سبعة عشر دينار ، ثلاثة آلاف ألف درهم وأربعمائة ألف درهم ، هذا إلى صدقات البلد وجباياته وخراجاته واعشاره وضماناته ومراصده والأموال المرسومة الواردة والصادرة والجوالى والرسوم على بيوع الأسواق . ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يدهم مع صغر أحلام أهلها وضمة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانتجاد والأبطال ، وعلم موالينا^(١) عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها^(٢)

(١) في النسخة التي عندنا من « المسالك والممالك » لابن حوقل وهي المطبوعة في لندن سنة ١٨٧٣ يقول : وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها الخ ، وأما في نفع الطيب نقلا عن ابن حوقل فيقول : ، مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها الخ ،
 (٢) كلام ابن حوقل هنا لا يقره عليه أحد من أهل العلم الذين أجمعوا على وصف أهل الأندلس بخلاف هذه الأوصاف التي ينزهم ابن حوقل بها ، وأقروا بمكان أهل الأندلس من سعة العقول وعلو الهمم وشدة البأس وسائر المناقب التي بلغوا بها ذرى أحسن مدينة وجدت في القرون الوسطى ، إلا خصلتين كانتا بدون شك سبب بوارهم أحدهما كثرة الانقراض على ملوكهم وحب الشقاق فيما بينهم ، والثانية شدة الانغراس في الترف الذي أدى إلى رجحان عدوهم عليهم في الحروب بما كان عليه من الخشونة والصبر على الشدائد ، والذي يظهر لنا أن ابن حوقل إنما أراد تصغير شأن أهل الأندلس يومئذ أغراء لبني العباس ، وهو من أتباعهم بشن الغارة عليها وإعادتها إلى حوض الخلافة العباسية ، فقال ما قال على سبيل الدعاية لا غير ، وإلا فإن كثيراً مما قاله مخالف للمحسوس ومنقوض بالاجماع ، وقد نقل المقرئ في نفع الطيب عن ابن سعيد مكمل هذا الكتاب ما يلي :

لم أر بدأ من إثبات هذا الفصل وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة ، فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم

فأما مغرب هذه الجزيرة ، فن مدخل هذا الحايج المذكور ^(١) ومصب مائه

مع مرادة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حووا ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب؟ وإني لأعجب منه إذ كان في زمن قد دلفت فيه عباد الصليب إلى الشام والجزيرة ، وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبة العظمى ، حتى أنهم دخلوا مدينة حلب . وما أدراك ، وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ . ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب ، وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره . وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره اه قلت : لم يقصد بن سعيد بما قاله عن تحاذل مسلمي الشام ، الحروب الصليبية المعهودة التي تجلت فيها هذه الحالة بعينها لأن ابن حوقل عاش قبل الحروب الصليبية بمائة وخمسين سنة ، وإنما قصد حروب الروم البيزنطيين التي كانت سجالا بينهم وبين المسلمين . وحادثة حلب هذه كانت سنة ٣٥١ أي في عصر ابن حوقل ، وسي دمشق من حلب بضعة عشر ألف صبي وصبية وفعل الأفاعيل ، ولكن المسلمين في أمر البخازل سواسية لاشرق منهم يقدر أن يندد بغرب ولا غرب يقدر أن يندد بشرق إلا من رحم ربك (١) قوله المدكور يشير به إلى ما ورد له من كلام سابق عند ذكره لبلاد المغرب وذلك في الصفحة ٧٣ من كتابه المسالك والممالك طبعة ليدن ، فان ابن حوقل يقول في تلك الصفحة ما يلي : فأما ناحية البربر الذين بنواحي طيجة وأزيلة والبصرة وظاهر فاس فأكثرهم في ضمن ولد ادريس بن عبد الله وهو ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهم في غاية من طيب العيش ورفاهيته وخصبه ورخص الأسعار وطيب الأهوية والأغذية . وكانت حالهم فيما تقدم أزيد من هذه الحال صلاحاً . وفي وقتنا هذا فقد تدانت أحوالهم وصلحت أمورهم وعمر طريقهم . ولم يزل أهل هذا النسب منظوراً إليهم مرعية حقوقهم عند بني أمية على سالم الدهر . وأدركت عبد الرحمن أبا المطرف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان يحافظ عليهم مرة ويسوقهم بالعصا مرة لما كان تظاهر به أبو العيش من

عند البحر المحيط من نواحي « لبلبة » (niebla) « وجبل العميون » (Gibraleon)
 آخذاً على « ألب » (Hielba) و « شلب » (Silves) إلى أن يتصل « بشنطرة »
 (cintre) ذاهباً على « سمورة » (Zamora) وليون (Léon) واربونة
 (narbonne) من بلاد جليقية^(١) إلى أقاصى (بياض بالأصل) ومشرقها . فمن
 مشرق جليقية إلى الخليج الرومى على نواحي « سرقصة » وضواحي « وسكة »^(٢)
 وطرطوشة وجميع بلاد الأفرنجية من جهة البر ، وجنوبها الخليج المذكور من تجاه
 جزيرة صقلية إلى بلاد بلنسية ومرسية والمرية ومالقة والجزيرة إلى ركن البحر المحيط
 وأول أرضها المعمورة على الخليج الرومى ، فمن أشبيلية إلى طرطوشة وهى آخر المدن
 التى على البحر المتصلة ببلاد الأفرنجية ، ومن جهة البر ببلاد (علجسكس) وهى بلاد
 حرب من النصارى ، ثم تتصل ببلاد (بسكونس) وهى أيضاً نصارى ، ثم ببلاد
 الجلالقة ، فتنتهى الأندلس إلى حدين : حد إلى دار الكفر ، وحد إلى البحر .
 وما ذكرته من المدن على البحر وغيره فمدن كبار عامرة ولم تزل الأندلس فى أيدي
 بنى مروان إلى هذه الغاية . ومن مشاهير مدنها القديمة جيان (Jian) والاسبانيول
 قبح السيرة وخبث المعاملة لبني السيل وكثرة العيلة ، وذلك أن عبد الرحمن هذا
 (يعنى به الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموى الملقب بالناصر وكان ابن حوقل من
 أبناء عصره) وأهله يملكون الأندلس ويحاذون هذه الناحية وبينهم أصل الخليج
 الخارج إلى بلد الروم عن قرب مسافة ما بين العدوتين ، حتى انهم ليرى بعضهم ماشية
 بعض وصور أشجارهم وزروعهم ويتبينون الأرض المفلوحة من الأرض البور وعرض
 الماء فى ذلك يكون ١٢ ميلا

(١) المعهود أن العرب كانوا يقولون جليقية لشمالى الأندلس ، وقد يقولون لها
 غاليسية كما يقول الاسبانيول ، وإذا كان كذلك فاربونة (Narbonne) ليست
 من بلاد جليقية المذكورة . والذي يظهر أن ابن حوقل أراد بجليقية هنا البلاد المسماة
 بلاد الغال من الأفرنجية وهى بلاد تقع أربونة فيها

(٢) الغالب أن أهل الأندلس يقولون سرقسطة ووشقة ولكن ابن حوقل كثيراً
 ما يتابع اللفظ الاسبانيولى فتجد بينه وبين جغرافى العرب بعض الاختلاف فى الاسماء

بلفظونها الآن خيان (بالخاء على عادتهم في قلب الجيم خاء) وطليطلة (Toledo)
 ووادي الحجارة (والاسبانيون يكتبونها هكذا Guadalajara) وكان العرب
 يسمونها أيضاً مدينة الفرج) وجميعها قديمة ولم يحدثوا بها بالاسلام غير مدينة بجانة
 (Pechina) وهي المرية (نقل القلقشندی في صبح الأعشى عن تقويم البلدان أن
 مدينة مرسية هي إسلامية محدثة بنيت في أيام الأمويين) وهي على حدود رستاق
 البيرة وشمترين على ظهر البحر المحيط . وبالاندلس قلاع كثيرة ترد إلى مصر والمغرب
 وأكثر جهازهم الرقيق من الجوارى والغنم ، من سى أفرنجة وجانية والحدم
 الصقالبة .

وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الحصيان من جاب ^(١) الأندلس ،

(١) ذكر لافي بروفسان في كتابه اسانية المسلمة في القرن العاشر ، ان لفظ
 صقالبة كان يطلقها العرب على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربة . وأصل ذلك
 أن الجيوش الجرمانية عند ما كانت تغزو بلاد السلاف كانت تتكبر من السبي منهم
 وإذا رجعت من غزواتها بالأسرى باعتهم من عرب اسانية . ولما كان هؤلاء الأرقاء
 من جنس السلاف سماهم العرب صقالبة ، وصارت لفظه الصقالبة تطلق على جميع هؤلاء
 الماليك . فان . وفي زمان الرحالة ابن حوقل في أواسط القرن العاشر كانوا يسمون في
 اسانية صقالبة جميع الماليك الذين من أصل أوربي والذين كانوا يخدمون في الشرطة
 أو في الجند أو في قصر الخلافة . وقد ذكر أنه لما كان يجول في الأندلس ، لعهد
 الحكم المستنصر ابن الناصر . لم يكن الصقالبة أي الماليك كلهم من الجنس السلافي بل
 كان منهم جم غفير من سى كلابره ، و لومباردية ، و كلونبة ، و غاليسية ،
 وكان أكثر وصولهم إلى الأندلس بواسطة غزاة البحر من المغاربة والاندلسيين ،
 وأما الذين منهم كانوا يرشحون لخدمة الحرم في القصور فقد كانوا يخصوصهم . وكان
 تجار اليهود عندهم كما قال دوزي معامل للحصى أهمها معمل فردون Verdune في فرنسا
 فكانوا بعد خصيمهم يبيعونهم في الاندلس ، ونظرا لأنهم كانوا يأتون بهم صفاراً
 فكانوا يتعلمون العربية بسرعة وينشأون في الاسلام انتهى .

وأقول إن ترجمة لفظه سلاف بصقالبة آتية من كون أحد أصناف الأئمة السلافية

لأنهم بها يحرصون ، ويفعل ذلك بهم تجار اليهود عند قرب البلد . وجميع ما يسبي إلى خراسان من الصقالبة فباق على حالته ، ومقدّم على صورته ؛ وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من بحر الروم ممتدًا على القسطنطينية واطرابزنده يشق بلدهم بالعرض ، فنصف بلدهم بالطول يسويه الخراسانيون ، والنصف الشمالي يسويه الأندلسيون ، من جهة جيايقية وافرنبجة وانكبردة Lombardia وقلورية Calabria وبهذه الديار من سبيهم الكثير باق على حاله

وريو ^(١) Rio كورة عظيمة خصيبة ، ومدينتها « ارجدونة » ومنها كان عمر ابن حفصون الخارج على بنى أمية ، وخص البلوط متصل بديار ابن حفصون كورة واسعة خصيبة . واسقفة رستاق حسن ومدينته غافق ^(٢) . وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الماس لم تمدن . وهم على دين النصرانية روم ، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ قوم منهم إلى حصن ، فطال جهادهم لأنهم في غاية العتو والتمرد ، وإذا خاموا ربة الطاعة صب ردهم إلا باستنصاهم ، وذلك شئ يطول . وماردة وطليلة من أعظم مدن الأندلس وأشدّها منعة ^(٣) وثغور الجلالة « ماردة » و « نفزة » ^(٤)

ومنهم من يسكن الآن في يوغسلافية ، يقال لها الاسكلافون Eiseklavon أو الاسكلابون فمر بها العرب اسقلابون ، ثم جمعوها على صقالة أو صقالب . قال المنبهي :

يجمع الروم والصقالب والبلغار فيها وتجمع الآجالا

(١) الغالب على العرب أنهم يقولون « ريه » لا « ريو » فابن حوقل تابع فيها لفظ الاسبانيول .

(٢) سياق ذكرها كلها .

(٣) سياق إن شاء الله في القسم التاريخي من « الحلل السندسية » أخبار ثورات هاتين البلدين على بنى أمية وهم في عنفوان أمرهم وريمان قوتهم .

(٤) نفزة بفتح فسكون فزاي بلدة بالأندلس جاء في معجم البلدان ما يلي : قال السلقى : نفزة بكسر النون قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبه . ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن الفقيه النفزي أحد الأئمة على

و « وادى الحجارة » و « طايطلة » . ومدينة الجلالة مما يلي ثغور الأندلس يقال لها « سمور » (Zamora) وعظيم الجلالة بمدينة يقال لها « ليون » (Léon) فيها سلطانهم وعدتهم بعد سمورة ، ومدينة يقال لها « أوبيت » (Ovido) وهي بعيدة عن بلد الاسلام ، وليس في أصناف الكفر الذين يلون الأندلس (يريد أن يقول أنهم يجاورون الأندلس) أكثر عددا من الأفرنج ، غير أن الذين يلون المسلمين منهم فئة ضعيفة شوكتهم ، قبيلة عدتهم ، وفيهم إذا ملكوا طاعة ، وحسن نصيحة ، ومحاسن كثيرة ، وإنيهم يرغب أهل الأندلس عن الجلالة بأولادهم ، والجلالة أصدق محاسن ، وأقل طاعة ، وأشد قوة ، وأكثر بأساً و بسالة ، وفيهم غدر . وهم في عرض طريق الافرنجة .

وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ، وايس بجميع المغرب عندي لها تبيه في كثرة أهل وسعة رقعة ، وفسحة أسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد . وكثرة حمامات وفنادق . ويزعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبي بغداد : وذلك أن عبد الرحمن بن محمد ^(١) ابني في عربها مدينة تعرف بانزهراء في سفح جبل يعرف بجبل « بطاش » ^(٢)

مذهب مالك وله تصانيف . وأبو العباس احمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي الأندلسي سمع مشايخنا ودخل نيساور واصلهان ، وخرج من بغداد سنة ٦١٣ ودخل شيراز . وأبو عبد الله محمد بن سلمان الميالي النفزي . وهو اس أخت غانم بن الوليد بن عمرو ابن عبد الرحمن المخزومي أبي محمد من الأندلس . روى عن خالد . مات في شوال سنة ٥٢٥ ومولده سنة ٤٣٤ قال أبو الحسن المقدسي : وأبو محمد عد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله النفزي ، وله تصانيف مات في ربيع الآخر سنة ٥٣٩ وأبوه من أهل الرواية مات في سنة ٣٧ . هـ

(١) يريد به عبد الرحمن الثالث الأموي الملقب بالناصر أعظم ملوك ذلك القطر بل أعظم ملوك عصره

(٢) العرب يسمونه جبل العروس والمعروف أن قرطبة هي مبنية في سفوح شارات موريتنا

وخط فيها الأسواق ، وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء : ألا من أراد أن يبني داراً أو يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربع مائة درهم ، فتسارع الناس إلى العمار ، فتكاثفت وتزايدوا فيها ، فنكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهاء ، وانتقلوا ببیت مالهم وديوانهم وخزائنهم . وقد نقل جميع ذلك وأعيد إلى قرطبة تطيراً منهم بها ، وتشاؤماً بموت رجالهم فيها ، ونهب سائر ذخائرهم .

وسمعت من غير ثقة ممن يستنبطن حالهم أن لعبد الرحمن بن محمد ، مما أتجه له جمعه من مال الأندلس وجباياتها ، من حقوقها وغير واجبها إلى سنة ٣٤٠ نحو عشرين ألف ألف دينار ، ولست أشك على ما يوجهه النظر ، وتواطأ به الخبر ، في ما جمعه الحكم بعد هلاك أبيه ، من خدمه والمصادر من الذين كانوا في جملة ، وإلى وقتنا هذا عن أسباب الأندلس ولوازمها وجباياتها وخراجها وأعشارها وصدقاتها وجواليها^(١) تمام أربعين ألف ألف دينار . وليس لهذا المال في وقتنا هذا بموضع من مواضع الأرض نظير ، غير ما في يد أبي تغلب الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فانه مما يملكه الخاص والعام بالعراق وديار ربيعة ، جمع من تركة أبيه ما يضاويه ويزيد عليه زيادة بيّنة .

وقرطبة وإن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولا حقة به إن شاء الله ، وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ، وفيها كان مسكن سلطانهم قديماً ، وداره داخل سورها ، وأكثر أبواب هذه الدار مشرعة في البلد من غير جهة . ولها بابان يشرعان في نفس السور إلى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة ، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسفلها من ربضها ، مشتبكة أبنيتها ، محيطة بها ، مستديرة عليها من شرقها وشمالها وغربها . فأما الجنوبية

(١) الجوالي جمع جلية وهي ما يؤخذ من أهل الذمة المقيمين في دار الاسلام

منها فهو إلى واديها ، وعليها الطريق المعروف بالرصيف ، والأسواق والبيوع والحانات والحمامات ومساكن العامة بر بضيا^(١) ، ومسجد جامعها جليل في نفس المدينة ، والحبس منه قريب ، وقرطبة هذه بائنة بنفسها عن مساكن أرباضها ظاهرة ، ودُرْتُ بها في غير يوم في قدر ساعة ، وقد قطعت شمس حمسة عشر دقيقة ماشياً .

وللهراء أيضاً مسجد جامع دون جامع البلد في الخجل والتقدير والكبر ، وعلى سورها سبعة أبواب حديد . وليس لها نظير بالقرب فحامة حال ، وسعة تلك ، وابتداءً لجيد الثيب والكسي . وفراغة كراع ، وكثرة حلي ، وإن لم يكن لها في عيون كثير من الناس حسن نارع . وليس جيوتها حلاوة في العين ، ولا لها ثمانين الفروسية وقوانيها . ولا باشجعة وطرقها . وأكثرت جيوتها في القمل بالكيد ، ومما يدل على ذلك أني لم أر قط لها أحداً أجري فرس فده أو بردون هجين . ورجلاه في الركب . ولا يستطيعون ذلك . ولا بغني عن أحدهم . وكل ذلك نخوفهم من السقوط إلى فشل فيهم عند تقهيم وتواضعهم على نزع أرجلهم من ركبهم ، ولم تطبق قط جريدة عند الرحمن . ولا من سبقه من آته . حمسة آلاف فارس . فمن يقبض رزقه ويحتم عليه ديوانه لأنه مكى النؤونة بأهل تغور ، ثم ينوبه من كيد العدو الذي يجاوره من الزوم ، ولا عدو عليه سواهم . وقوما يكثر لحمهم . ورتما طرقه في الأحابيين مراكب الروس والترك والصقالبة والتجمكية . وعم جيل من أجيال الترك المجاورين لأرض الخزر والمغار ، وسكوا في أعمال الأندلس وربما انصرفوا خاسرين .

وبالأندلس غير محباب من التجارة كالزبيب والرقيق والحديد والرصاص ، وضروب من الفرس ، كقطع الأرمني الحسن . وعندهم تعمل اللبود المشهورة في جميع الأرض بالجودة والصبيغ الحسن . ولهم من الألوان والأصباغ والحشائش التي يلون بها الحرير وأنواع الصوف والنياب . ما ليس في بلد من بلدان الأرض له نظير حسناً

(١) سيأتي الكلام مفصلاً عن خطط قرطبة ومعه أطلس خاص بها على ما كانت عليه أيام العرب

وكثرة . فأما أسعارهم فتضاهى النواحي الموصوفة في الرخص ، وكثرة فواكههم مع طيبة فيها فكالمباحة التي لا ثمن لها . وملابسهم نظيفة ، إلى طيب عيش يناله عوامهم وقل من يصير إليه أهله من أهلها إلا على الفاره من المركوب ، ولا يعرف فيهم المهنة والمشى إلا أهل الصنائع والأرذال ، وأكثر ركوبهم البغال وفيها يتفاخرون وبها يتكاثرون . ولهم منها نتاج في جزائرهم^(١) لم أر مثله في معادن البغال المذكورة ، ومواضعها المشهورة ، كارمينية والران ، ونتاج برزعة ، وباب^(٢) الأبواب ، وشروان شاه ، لأنها توضع عندهم ، وتنجب في بلدهم ، ويحلب إليهم أيضاً منها شىء . حسن الشية ، عظيم الحاق ، كثير الثمن والطالب من ميورقة ، وهي جزيرة في بحرهم منقطعة تلى ناحية الفريجة ، واسعة الخير ، كثيرة الثمار ، رخيصة الماشية ، لكثرة المراعى ، غزيرة النتائج والمواشى . معدومة الجوائح ، قليلة الآفة ، فليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم في سائمهم ، ورأيت منها غير بغل بيع بخمسمائة دينار ، وإليها ترغب ملوكهم وإياها يستوطون ، ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما تبلغ قيمته منها المائة والمائتى دينار فأكثر من أن يحصى . وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة في حسن السير وسرعة المشى ، بل لعظم خلقها ، وحسن شياتها ، واختلاف ألوانها ، وجمال مناظرها وعلو ظهورها ، وصحة قوائمها .

ذكر المسافات بها من قرطبة إلى «مراد»^(٣) مرحلة ، ومن مراد إلى «غرغيره»^(٤) يوم . ثم إلى اشبيلية يوم ، وهي مدينة كثيرة الخير والفواكه والكروم ، والتين خاصة ، وهي على وادى قرطبة (أى الوادى الكبير) . ومن اشبيلية إلى «لبلة»^(٥)

(١) لا سيما جزيرة ميورقة

(٢) يقال باب الأبواب للبلاد المسماة اليوم بطاغستان

(٣) هو عند الأسيان Moratalla

(٤) الادريسي يقول عن هذا المحل الغيران

(٥) هي التي يقول لها الأسيان Niebla وهي وطن بنى الجد الفهريين الذين هم اليوم

يومان . وهي مدينة صالحه القدر ، عليها سور . ومنها إلى « جبل العيون » يومان ، وهي مدينة قديمة أزلية كثيرة الخير ، ومن جبل العيون إلى « ألب » (٢) ثلاثة أيام ، وهي أيضاً مدينة قديمة ذات سور ، ومن ألب إلى « أخشنة » (٣) وهي مدينة مشهورة عظيمة كثيرة الخير ، أربعة أيام ، ومن أخشنة إلى مدينة « شلب » (٤) ستة أيام ، ومن شلب إلى « قصر أبي » (٥) دانس « خمسة أيام ، وهي مدينة صالحه خصيبة ، ومنها إلى المعدن ، وهو فم النهر ، إلى مدينة « لشبونة » (٦) يوم ، ومن لشبونة إلى شنترين (٧) يومان ، ومن شنترين إلى « يابرة » (٨) أربعة أيام ، ومن يابرة إلى « جليانة » يومان ، ومن جليانة إلى « ألبش » يوم ، ومن ألبش إلى « بطليوس » (٩) عدوة النهر ، يوم ، ومن بطليوس إلى « قنطرة » (١٠) السيف « أربعة أيام ، ومن قنطرة السيف إلى « ماردة » (١١) يومان ، ومن ماردة إلى « مدلين » (١٢) يومان ، ومن

بفاس وما زال يظهر منهم التوابغ سواء في الأندلس أو في المغرب . وكان تزوجهم من لبله إلى مالقة أولاً ثم إلى إشبيلية ثم إلى فاس

(١) Gebraleon عندالاسبانيول

(٢) هي Huelva عند الاسبانيول وأكثر ما يقول لها العرب « أونيه »

(٣) عندالاسبان Oseonba

(٤) عندهم Selves

(٥) Abidanis

(٦) Lisbonne و Lisboa

(٧) Santirem

(٨) عندالاسبانيول Evora وهي بلدة سكانها اليوم ٦ ألفاً ولكنها كانت ذات

بال في أيام العرب ولا تزال عليها المسحة العربية إلى اليوم وهي من أعمال البرتغال وسندكرها فيما بعد .

(٩) Badajoz كانت من حواضر الأندلس وسيأتي خبرها الوافي بقدرها

(١٠) عندالاسبانيول Alcantara

(١١) ماردة هي merida وهي أيضاً من أمهات الأندلس وسيأتي ذكرها

(١٢) مدلين هي medellin وكان الرومان يقولون لها metellinum

مدائن إلى « ترجيلة »^(١) يومان ، ومن ترجيلة إلى « قصراش »^(٢) يومان . ومن قصراش إلى « مكناسة » يومان . ومن مكناسة إلى « مخاضة البلاط » يوم ، ومن مخاضة البلاط إلى « طابيرة »^(٣) خمسة أيام ، ومن طابيرة إلى طليطلة ثلاثة أيام . ومن قرطبة إلى بطليوس في جهة المغرب على الجادة ست مراحل . ومن قرطبة إلى بلنسية اثنتا عشرة مرحلة . ومن قرطبة إلى المرية ، فرضة بجانة ، سبعة أيام ، ومن المرية إلى مرسية خمسة أيام .

وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالفلات والتجارات والكروم والعمارة والأسواق والعيون والحمامات والخانات والمساجد الحسنة ، وفيها ما يزيد على بعضها في المحال والجباية والارتفاع والولاية والقضاة والمحلفين على رفع الأخبار ، وتأمل الأحوال ، وليس بها مدينة غير معمورة ، ذات رستاق فسيح إلى كور ، إلا ولها ضياع كثيرة ، وأكارة واسعة ، وماشية وسائمة ، وعدة وكراع وعبيد . ومن قرطبة إلى كركويه^(٤) ، مدينة فيها منبر ولها أسواق وبها حمامات وفنادق ، أربعة أيام ، وفي كل ليلة ينزل بقرية أهلة ، ومن كركويه إلى « قلعة رباح »^(٥) يوم ، وهي مدينة كبيرة ذات سور من حجارة ، ولها واد كبير هي عليه ، منه شربهم ، ويزرعون عليه ، وبها أسواق وحمامات ومتاجر ، والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح إلى « ملقون » مرحلة ، وهي مدينة على نهر ، لها سور من تراب ، وهي دون قلعة رباح في الكبر ، ونهرها يعرف باسمها ، ومنه شرب أهلها . ومنها إلى « أبلش » مرحلة ، وهي قرية فيها فندق وعين منها شربهم أهلة ، ومن

(١) ترجيله هي Trajillo

(٢) قصراش هي Caseres

(٣) Talavera de la Reina

(٤) Caracuel وقال يلاج الأويطي Pélage D'oviedo هي - caraqui أي

كما يلفظها العرب

(٥) Calatrava

أبلش إلى طابطة مرحلة ، وطابطة مدينة كبيرة جايطة مشهورة ، أكبر من بجانة ، ذات سور منيع ، وهي على وادي تجة . وعنه قنطرة عظيمة ، ويقال إن طولها خمسون باعاً ، ويصير واديها إلى الوادي المنصب إلى شنترة .

ومن طابطة إلى « مغم »^(١) مرحلة . وهي قرية كبيرة بها معدن الطفل الأندلسي ، ومن مغم إلى « نمر » مرحلة ، وهي مدينة كبيرة ذات سوق ومحل ، وتكون نحو وادي ش . ومن نمر إلى وادي الحيرة ، وهي مدينة كبيرة ، ونمر مشهور الحل مسور بحجارة . وهي ذات أسواق وفنادق وحمامات وحدائق ومحافظ وبها تسكن ولاية الغنور كأحمد بن يعلى وعاب ، وعنه كثير جهاد جليقية ، ومنها إلى « شعراء قوارير » مرحلة ، وبها مهبل تترله الزرق ، ومن شعراء قوارير إلى « مدينة سلم » مرحلة . ومن مدينة سلم إلى مدينة عاب بن عبد الرحمن ، ولها سور عظيم ورساتيق واقليم واحد ومشية . رفهة في جميع أسبابها ، وهي أكثر الأندلس حرباً وغزواً . انتهى كلام ابن حوقل .

قول ياقوت الحموي

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان :

قال ابن حوقل التاجر الموصل . وكان قد طوف البلاد ، وكتب ما شاهدته : أما الأندلس فجزيرة كبيرة ، فيها سامر وغامر . طولها نحو الشهر . في أيف وعشرين مرحلة ، تغاب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسمة في الأحوال . وعرض فم الخايج الخارج من البحر المحيط قدر اثني عشر ميلاً ، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادرهم . قال : وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس . وإلى « طبرقة » إلى « جزائر مزغناي » ثم إلى « أنكور » ثم إلى « سبتة » ثم إلى « أربلي » ثم إلى البحر المحيط . وتتصل

(١) مغم magham

الأندلس في البر الأصغر من جهة جليقية ، وهو جهة الشمال ، ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها ، والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها من حد الجلالة على كورة « شنترين » ^(١) إلى « اشبونة » ^(٢) ثم إلى جبل الغور ، ثم إلى ما لديه من المدن إلى جزيرة جبل طارق ، المحاذي لسبته ، ثم إلى « مالقة » ثم إلى « المرية » فرضة « بجانة » ^(٣) ثم إلى بلاد « مرسية » ^(٤) ثم إلى « طرطوشة » ^(٥) ثم تتصل ببلاد السكفر مما يلي البحر الشرقي في ناحية أفرنجية ، ومما يلي المغرب ببلاد « عأجسكس » ^(٦) وهم جبل من الانكبرد ^(٧) ثم إلى بلاد « بسكونس » ^(٨) ورومية الكبرى في وسطها ، ثم ببلاد الجلالة حتى تنتهي إلى البحر المحيط

ووصفها بعض الأندلسيين بأتم من هذا وأحسن . وأنا أذكر كلامه على وجهه قال : هي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث ، قد أحاط بها البحران

(١) Santarem (٢) Lisbonne (٣) Béchina (٤) Marcie (٥) Tortose

(٦) نظن أنه يعني بهذا الاسم الجبل الذي يقال له عندهم Cuskaldonac والاسبان يقولون vascongados

(٧) يريدون بهم اللومباردين وقد جاء تعريفه الانكبرده في معجم البلدان قال : الانكبرده بالفتح ثم السكون وفتح الكاف وضم الباء الموحدة وسكون الراء ودال مهملة وهاء بلاد واسعة من بلاد الافرنج بين القسطنطينية والاندلس تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذة جبل القلال وتمر على محاذة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية انتهى . قلت هذا الوصف لا ينطبق إلا على مملكة إيطالية الحاضرة الممتدة من جبل القلال غرباً وهو الجبل المشرف على مدينة نيس إلى بلاد كالبرة شرقاً وهي التي يعنها بقوله قلورية . عليك لمعرفة جبل القلال بمراجعة كتابنا « غزوات العرب في أوربة » .

(٨) هم الباسك في شمالي أسبانية وجنوبي فراسة والعرب يقولون لهم الباشكنس أوالباسكنس ولعقتم يقال لها vascuence ومن هذه اللفظة قال لهم العرب ذلك لأن الغاء (٧) هي دائماً باء عند العرب .

المحيط والمتوسط ، وهو خليج خارج من البحر المحيط ، قرب سلا من بر البربر . فالركن الأول هو في هذا الموضع الذي فيه صنم قادس ، ^(١) وعنده مخرج البحر المتوسط الذي يمتد إلى الشام ، وذلك من قبلى الأندلس . والركن الثانى شرقى الأندلس بين مدينة « أربونة » ^(٢) ومدينة « بُرديل » ^(٣) وهى اليوم بيد الافرنج بازاء جزيرتي « ميورقة » و« منورقة » مجاورة من البحرين المحيط والمتوسط ومدينة أربونة تقابل البحر المتوسط ، ومدينة برديل تقابل البحر المحيط . والركن الثالث هو ما بين الجنوب والغربى من حير جليقية ، حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيه الصنم العالى المشبه بصنم قادس ، وهو البلد الطالع على بريطانيا ^(٤) . فالضاح الأول منها أوله حيث مخرج البحر المتوسط الشامى من البحر المحيط ، وهو أول الزقاق فى موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مسمودة بازاء سلا فى المغرب الأقصى من البر المتصل بأفريقية وديار مصر ، وعرض الزقاق ههنا اثنا عشر ميلا ، ثم تمر فى القبلة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس المقابلة لمدينة سبتة . وعرض الزقاق ههنا ثمانية عشر ميلا . وطوله فى هذه المسافة إلى ما بين جزيرة طريف وقصر مسمودة إلى المسافة التى ما بين الجزيرة الخضراء وسبتة نحو العشرين ميلا . ومن ههنا يتسع البحر الشامى إلى جهة المشرق ، ثم يمر من الجزيرة الخضراء إلى مدينة « مائة » ^(٥) إلى حصن « المنكب » ^(٦) إلى مدينة « المرية » ^(٧) إلى قرطاجة ^(٨) الخافاء ، حتى تنتهى إلى جبل « قاعون » ^(٩) الموفى على مدينة « دانية » ^(١٠)

(١) على ربوة من الأرض كان هذا الصنم إلى جنوبى المكان المسمى الآن سان فرناندو وهو من بناء الفينيقيين وكان خبر بنائه محفوراً على أعمدة الفولاذ بأحرف فينيقية . وقد عمر فينيقيو صور قادس من منذ ١١٠٠ قبل المسيح ثم فى سنة ٥٠١ قبل المسيح فتحها فينيقيو قرطاجنة .

(٢) Narbonne فى جنوبى فرنسا (٣) Beaurdeaux (٤) جزيرة انكلترا

(٥) Malaga (٦) Amonacar (٧) Almeria (٨) Cartagène

(٩) Caoun (١٠) Dénia



مرود العرب لأول مرة من المغرب إلى الأندلس سنة ٧١٠ ب.م

ثم ينعطف من داية إلى شرق الأندلس ، إلى حصن « قليره » ^(١) إلى بلنسية .
ويمتد كذلك شرقاً إلى « طَرَ-كونة » ^(٢) إلى « برتلونة » ^(٣) إلى « اربونة » إلى
البحر الرومي ، وهو الشامي ، وهو المتوسط .

والضلع الثاني مبدؤه كما تقدم من جزيرة « طريف » ^(٤) آخذاً إلى الغرب في
الحوز المتسع الداخل في البحر المحيط ، فيمر من جزيرة طريف إلى « طرف الأغر » ^(٥)
إلى جزيرة « قادس » ^(٦) وههنا أحد أركانها . ثم يمر من قادس إلى بر المائدة ^(٧) ،
حيث يقع نهر إشبيلية في البحر ، ثم إلى جزيرة « شاطيش » ^(٨) إلى وادي « يانة » ^(٩)
إلى « طبيرة » ^(١٠) ، ثم إلى « سمنترية » ^(١١) إلى « شاب » ^(١٢) ، وههنا عطف
إلى أتبونة وسمنترين . وترجع إلى طرف العرف . مقابل شاب وقد يقطع البحر من
شلب إلى طرف العرف مسيرة خمسين ميلاً . وتكون أتبونة وسمنترية وسمنترين على
يمين من حوز طرف العرف . وهو جبل منيف داخل في البحر نحو أربعين ميلاً . وعليه
كنيسة الغراب ^(١٣) المشهورة . ثم بدور من طرف العرف مع البحر المحيط فيمر على
حوز « الريحانة » وحوز « المذرة » وسائر تلك البلاد متولاً إلى الجوف ^(١٤) . وفي
هذا الخير هم الركن الثاني .

Tarifa (٤) Barcelonne (٣) Tarracone (٢) Culera (١)

Saltes (٨) Almeida (٧) Cadix (٦) Tratalgar (٥)

Silves (١٢) Cintra (١١) Tavira (١٠) Guadiana (٩)

(١٣) ينكر ذكر كنيسة الغراب في جغرافيات العرب وتحرير خبرها وجود
أسطورة مألها أن الرومان في صدر النصرانية قتلوا قديساً مسجياً اسمه سان فنسان
في بلنسية وطحوا تجاليد في البرية لأكلها الوحوش فجاء غراب وحمله من أكل
الضواري له ولا تعلم لأي سبب أريد نقل جثته هذا القديس من شرق الأندلس إلى
غربها ؟ وإنما نعلم أنه في أيام عبد الرحمن الداخل صدر الأذن للنصارى بنقلها إلى كنيسة
في طرف مقاطعة الغرب على البحر المحيط .

(١٤) الجوف في اصطلاح إخواننا المغاربة والاندلسيين هو الشمال وقد فكرت

كثيراً في وجه هذا الاصطلاح فلم يظهر لي شيء يصح التعويل عليه ولا عثرت على نص

والضلع الثالث ينعطف في هذه الجهات من الجنوب إلى الشرق ، فيمر على بلاد جليقية وغيرها حتى ينتهي إلى مدينة برديل (Bordeaux) على البحر المحيط المقابل

يفيد سبب تسميتهم الشمال بالجوف وقد سألت أهل الذكر ممن أعتقد بعلمهم فأبدي كل واحد ما عنده : فالسيد علال الفاسي يظن أنه لما كان الجوف واقعاً شمالي مكة فقد غلب على أهل الحجاز أن يقولوا لكل شمال جوفاً ثم سرى هذا الاستعمال من الحجاز إلى المغرب والأندلس . وهو وجه وجيه لأن مدينة الجوف هي في وسط البرية إلى الشمال من الحجاز وإلى الغرب من العراق وإلى الشرق من الشام ، وكما غلب على الناس جميعاً في الشام أن يقولوا للجنوب قبلة نظراً لكون الكعبة هي إلى الجنوب من الشام يجوز أن يكون الحجازيون سموا الشمال جوفاً لكون الجوف ونواحيها هي في شماليهم وأنت ترى أنهم يقولون للشمال شاماً بغلبة الاصطلاح المبني على كون الشام هي إلى الشمال من الحجاز وفي كثير من الصكوك تجدهم يكتبون : يحده من القبلة كذا ومن الشام كذا وقد أجابني الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي بأنه يستحسن رأى الأستاذ علال الفاسي في هذه اللفظة ويقول إنهم في الحجاز يعبرون عن الشمال بالشام وإنه وجدت في أوراق الطابو التركية القديمة ما ورد فيه لفظة « يمني » بمعنى الجنوب فانهم في الحجاز نفسه كما عبروا عن الشمال بالشام فقد عبروا عن الجنوب باليمن وهو شيء طبيعي بالنسبة لهم ثم قال الشيخ المغربي : إلا أنه يوجد في الأندلس بلدان باسم الجوف كما يظهر من معجم البلدان أحدهما في غربي الأندلس على البحر المحيط والآخر في إقليم كشتونية فالى أى جوف انتسب هذا الاصطلاح ؟ هل هو الجوف الذى في الشرق أم الجوف الذى في الأندلس ؟ وأما الأستاذ الاب انسطاس الكرملى فقد أجابني بما يلي : الجوف : الشمال وهو من اصطلاح المغاربة جاء في كتاب الادريسي وفي اللمحة البدرية : وسبب هذه التسمية هو ان الذين سموا بهذا الاسم ربح الشمال أو الشمال نفسه هم سكان البلاد الواقعة في جنوبي بحر الروم فاذا هبت الشمال عندهم جاءتهم من « جوف » ذبالك البحر فلذلك عرفوها بهذا الاسم كأنهم أشاروا إلى أصل مهها فحذفوا وا كتفوا باللفظ الظاهر الاشارة إليه انتهى . أما دوزى ففي كتابه « متمم المعاجم العربية » ذكر في صفحة ٥٣٥ مايلي : جوفى : شمالي . هذا المعنى كثير الاستعمال لدى المؤلفين المغاربة ربح جوفى : ربح الشمال انتهى . قلت : أما في الأندلس فلا يكادون يعبرون عن الشمال إلا بالجوف .

لأربونة على البحر المتوسط ، وهنا هو الركن الثالث ، وبين أربونة وبرديل الجبل الذى فيه هيكل ازهرة ، الحاجز بين الأندلس وبين بلاد أفرنجية العظمي ، ومسافته من البحر نحو يومين للقاصد . ولولا هذا الجبل لالتقى البحران ، ولكانت الأندلس جزيرة منقطعة عن البر ، فاعرف ذلك ! فان بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها البحر فى جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة ، وائس الأمر كذلك ، وإنما سميت جزيرة بالغلبه ، كما سميت جزيرة العرب وجزيرة « أقور »^(١) وغير ذلك وتكون مسيرة دورها أكثر من ثلاثة أشهر . ليس فيها ما يتصل بالبر إلا مقدار يومين كما ذكرنا وفى هذا الجبل المدخل المعروف بالأبواب^(٢) الذى يدخل منه من بلاد الأفرنج إلى الأندلس ، وكان لا يرام ولا يمكن أحداً أن يدخل منه لصعوبة مسلكه فذكر بطليموس أن قلو بَطْرَةَ ، وهى امرأة كانت آخر ملوك اليونان ، أول من فتح هذه الطريق وسهّلها بالحديد والخل .

قلت : ولولا خوف الاضجار والاملال لبسط القول فى هذه الجزيرة ، فوصفها كثير . وفضائلها جمة ، وفى أهلها أئمة وعلماء وزهاد ، ولهم خصائص كثيرة ، ومحاسن لا تحصى ، وإتقان لجميع ما يصنعونه ، مع غلبة سوء الخلق على أهلها ، وصعوبة الانقياد^(٣) . وفيها مدن كثيرة ، وقرى كبار ، يحجى ذكرها فى أماكنها من هذا الكتاب حسب ما يقتضيه الترتيب إن شاء الله تعالى ، وبه العون والعصمة انتهى كلام ياقوت فى المعجم .

- (١) هى إقليم الموصل وآمد وديار بكر وديار ربيعة وما إليها .
 (٢) ولذلك عرف حتى عند العرب بلفظة « البرتات » أى الأبواب بلغات الأفرنج
 (٣) وهذا هو الأمر الذى كان سبب ضياع هذا الفردوس على العرب فما حصله عرب الأندلس بحزمهم وحسن ترتيبهم أضاعوه بشدة لإنشاقهم واستمرار تشغيهم والله أمر هو بالغه .

قول الشريف الإدريسي

وقال الشريف الإدريسي في كتابه « نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق » وهو أشهر جغرافية عربية -- الكلام الآتي :

الجزء الأول من الأقليم الرابع مبدأوه من المغرب الأقصى حيث البحر المظلم ، ومنه يخرج خليج البحر الشامي ماراً إلى المشرق ، وفي هذا البحر المرسوم بلاد الأندلس المسماة باليونانية « أشبانية » وسميت جزيرة الأندلس بجزيرة لأنها شكل مثلث ، وتضيق من ناحية المشرق حتى يكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بجزيرة الأندلس ٥ أيام . ورأسها العريض نحو من ١٧ يوماً . وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء العمور من الأرض ، محصور في البحر المظلم ، ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ^(١) ولا وقف بشر منه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره وتعاضم أمواجه ، وكثرة أهواله ، وتسلط دوابه ، وهيجان رياحه ، وبه جزائر كثيرة ، ومنها معمورة ومغمورة . وليس أحد من الربانيين يركبه عرضاً ولا ملججاً ، وإنما يمرّ منه بطول الساحل ، ولا يفارقه . وأمواج هذا البحر تندفع منفاقة كالجبال ، لا ينكسر ماؤها ، وإلا فلو تنكسر موجه لما قدر أحد على سلوكه . والبحر الشامي ^(٢) فيما يحكي كان بركة منحازة مثل ما هو عليه الآن ببحر طبرستان ^(٣) لا تتصل مياهه بشيء من مياه البحر .

وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الأضرار . وأهل الأندلس أيضاً يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة ، إلى أن كان زمان الإسكندر ^(٤) ووصل إلى أهل الأندلس ، فاعلموه بما هم

(١) خلفه بر اسمه أمريكاً حاول العرب العبور إليه من قبل وقيل وصلوا إليه

(٢) أي المتوسط

(٣) أي بحر الخزر أو قزوين Caspienne

(٤) من عادة مؤرخينا نقل روايات العامة ومن عادة العامة أنهم كلما رأوا أثراً

عليه من التناكر مع أهل السوس ، فأحضر الفعلة والمهندسين ، وقصد مكان الزقاق ، وكان أرضاً جافة ، فأمر المهندسين بوزن الأرض ، ووزن سطوح ماء البحرين ، ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف علوه على البحر الشامي بشئ يسير ، فرفعوا البلاد التي على الساحل من بحر الشام ، ونقلها من أخفض إلى أرفع . ثم أمر أن تحفر الأرض التي بين طنجة وبلاد الأندلس ، فحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التي في أسفل الأرض ، وبني عندها رصيفاً بالحجر والجيار فراغاً ، وكان طول البناء ١٣ ميلاً ، وهو الذي كان بين المحررين من المسافة والبعده ، وبني رصيفاً آخر يقابله مما يلي أرض طنجة . وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط . فلما أكمل الرصيفين حفر الماء من جهة المحر لأعظم . ثم بؤد بسيلد وقوته بين الرصيفين ، ودخل البحر الشامي . ففض . وؤده ، وهناك مدن كثيرة كانت على الشطين معاً ، وغرق أهلها . وطفى الماء على الرصيفين نحو ١١ قهمة . فلما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فانه يظهر في وقت صفاء البحر ، في جهة الموضع المسمى راصفيحة ظهوراً بيناً ، طوله على خط مستقيم (هما لـ نقيس "الكتابة) وقد رأينا عياناً ، وحرينا على طوله مع هذا البناء . وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة ، ووسط هذا البناء يوافق الموضع الذي فيه حجر الأيال على البحر .

وأما الرصيف الآخر الذي بناه الاسكندر في جهة بلاد طنجة ، فان الماء حمله في صدره ، واحتفر ما خافه من الأرض ^(١) ، وما استقر ذلك منه حتى وصل إلى متوغلا في القدم أو خبراً أحاطت به الظلم نسبه إلى الاسكندر أو إلى هرقل أو إلى العمالة أو إلى الجن وهلم جرا .

(١) علماء الجيولوجية يذهبون إلى أن إتصال البحر المحيط بالبحر المتوسط كان نتيجة زلازل ونوازل طبيعية بها الله تعالى مرج البحرين يلتقيان وإن ذلك لم يكن من عهد شديد التوغل في القدم بالنسبة إلى الادوار الجيولوجية وعليه فتكون حكاية الاسكندر وفتح بحر الزقاق ليمنع الغارات بين أهل السوس وأهل الأندلس هي من جملة الخرافات التي يروى مثلها في كل مكان عن الاسكندر ولو كان منع الغارات

الجبال من كلتي الناحيتين . وطول هذا الجواز المسمى بالزقاق ١٣ ميلا ، وعلى طرفه من جهة المشرق المدينة المسماة بالجزيرة الخضراء ، وعلى طرفه من ناحية المغرب المدينة المسماة بجزيرة طريف . ويقابل جزيرة طريف في الضفة الثانية من البحر مرسى القصر المنسوب لمصمودة ، ويقابل الجزيرة الخضراء في تلك العدو مدينة سبتة . وعرض البحر بين سبتة والجزيرة الخضراء ١٨ ميلا ، وعرض البحر بين جزيرة طريف وقصر مصمودة ١٣ ميلا وهذا البحر في كل يوم وليلة يجر مرتين ، ويمتلئ مرتين ، فعلا دائماً ، ذلك تقدير العزيز الحكيم .

وأما على ضفة البحر الكبير من المدن الواقعة في هذا البحر المرسوم فهي « طنجة » و « سبتة » و « نكور » و « ناس » و « المزمة » و « مايلة » و « هنين » و « بنو زار » و « وهران » و « مستفانم » فأما مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء ، وهي سبعة أجيل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ، طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل ، ويتصل بها من جهة المغرب ، وعلى ميلين منها ، جبل موسى وهذا الجبل منسوب لموسى بن نصير ، وهو الذي كان على لديه افتتاح الأندلس في صدر الإسلام . وتجاوره جنات وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، وقصب سكر ، وأترج ينجهز به إلى ما جاور سبتة من البلاد ، لكثرة الفواكه بها . ويسمى هذا المكان الذي جمع هذا كله (بليونش)^(١) . وبهذا الموضع مياه جارية ، وعيون والحروب بين الشعوب يقتضى أن يحال بين الفريقين المتقاورين بيجر لامتلات كرة الارض ترعا وخلصاً وما الناس بعد ذلك يبالغى مرادهم من السلام لانه قد يغير بعضهم على بعض بالسفن وكم من أمة أغارت على أمة أخرى وبينهما أبحر محيطه وأبعاد لا يكاد يتصورها العقل فالحدث الذى روه عن الاسكندر هو غريب ، وأغرب منه ذلك التعليل الذى جعلوا وصل ما بين البحرين من أجله

(١) مما أرويه عن بليونش هذه أنها جنة غناء ولكن طريقها في غاية الوعورة ولهذا قال أحدهم :

بليونش جنة ولكن طريقها يقطع النياطا
بجنة الخلد لا يراها إلا الذى جاوز الصراطا

مطرده ، وخصب زائد ، ويلى المدينة من جهة المشرق جبل عال يسمى « جبل المنية »^(١) وأعلاه بسيط ، وعلى أعلاه سور بناه محمد بن أبي عامر عند ما جاز إليها من الأندلس وأراد أن ينقل المدينة إلى أعلى هذا الجبل فمات عند فراغه من بنيان أسوارها ، وعجز أهل سبتة عن الانتقال إلى هذه المدينة المسماة بالمنية ، فكشوا في مدينتهم ، وبقيت المنية خالية ، وأسوارها قائمة ، وقد نبت حطب الشعراء فيها . وفي وسط المدينة بأعلى الجبل عين ماء لطيفة لكنها لا تجف البتة ، وهذه الأسوار التي تحيط بمدينة المنية تظهر من عدوة الأندلس لشدة بياضها . ومدينة سبتة سميت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة ، والبحر يطيف بها من جميع جهاتها ، إلا من ناحية المغرب ، فإن البحر يكاد يلتقي بعضه ببعض هناك ، ولا يبقى بينهما إلا أقل من رمية سهم ، واسم البحر الذي يابح شمالاً بحر الزقاق ، والبحر الآخر الذي يليها في جهة

(١) دوزى يقرأ هذه الجملة « جبل المياء » لا جبل المنية ونحن نقول لا مانع من ذلك ولكن نكثر تسمية المصايف والمرتبات عند العرب باسم « منية » بالكسر وفي مصر من هذه المياح ما لا يحصى منها ما هو بالمفرد ومنها ما هو بالتثنية ومنها ما هو بالجمع . وقد عد الزبيدي في التاج نحواً من مائة وتسعين منية بالمفرد . وزيادة على ثلاثين بالتثنية هكذا : منيتا طاهر وأمامه . منيتا فاتك ومزاح ، منيتا السويد والطبل الخ وعدة منيات أو منيات بالجمع هكذا : منى مرزوق ، منى جعفر ، منى مغنوج ، منى غصين الخ وكل هذا في مصر . وفي الشام بعض منيات ، أيضاً منها « المنى » بقرب طرابلس الشام وهي تلفظ بالامالة على عادة الشام . وفي الأندلس عدة منى ذكر منها الزبيدي منية عجب ، منها خلف بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٥ ولم يذكر غيرها . ولكن لأبي يروفسال في كتابه « اسبانية المسلمة في القرن العاشر » قال إن بالأندلس عدة أما كن اسم الواحد منها « منية » وإنما يلفظها الأندلسيون بالضم ويظن أن أصل اللفظة يوناني ثم دخلت في لغة القبط بمعنى ميناء أو محط أو دير . وكان في قرطبة « منية الناعورة » للخليفة الناصر وهو منزه معروف و « منية عبد الله » و « منية المغيرة » و « منية عجب » ولم يذكر ياقوت من منى الأندلس سوى منية عجب ولم يذكر من منى مصر إلا منية أبي الخصب واضع عشرة أخرى

الجنوب يقال له بحر بسول ، وهو مرسى حسن يُرْسَى فيه فيُكَيَّن من كل ريح .
و بمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يمد لها بلد في إصابة الحوت و جلبيه ، و يصاد بها
من السمك نحو من مائة نوع ، و يصاد بها السمك المسمى بالتنين الكبير ، و صيدهم
له يكون زرقاً بالرماح وهذه الرماح لها في أسنتها أجنحة بارزة تنشب في الحوت
ولا تخرج ، وفي أطراف عصبها شرائط القنب الطوال ، ولهم في ذلك دربة و حكمة
سبقوا فيها جميع الصيادين .

و يصاد بمدينة سبتة شجر المرجان الذي لا يمد له صنف من صنوف المرجان
المستخرج بجميع أقطار البحار . و بمدينة سبتة سوق لتفصيله و حكّه و صنعه خرزاً
و ثقبه و تنظيّمه ، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد ، و أكثر ما يحمل إلى « غانة »
و جميع بلاد السودان ، لأنه في تلك البلاد يستعمل كثيراً . و من مدينة سبتة إلى قصر
مصمودة في الغرب ١٣ ميلاً و هو حصن كبير على ضفة البحر ، تنشأ به المراكب و الحراريق
التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس ، وهي على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس
و من قصر مصمودة إلى مدينة طنجة غرباً ٢٠ ميلاً . و مدينة طنجة قديمة أرلية ،
و أرضها منسوبة إليها . وهي على جبل عال مطل على البحر ، و سكنى أهلها منه في
سند الجبل إلى ضفة ^(١) البحر ، وهي مدينة حسنة لها أسواق و صناعات ، و فعلة و بها
انشاء المراكب ، و بها أقلاع و حط ، وهي على أرض متصلة بالبر فيها مزارع و غلات
و سكانها برابري ينسبون إلى صنهاجة . و من مدينة طنجة ينعطف البحر المحيط الأعظم
أخذاً في جهة الجنوب إلى أرض « شمّس » و شمّس كانت مدينة كبيرة ذات
سور من حجارة يشرف على نهر « سفدر » و بينها و بين البحر نحو ميل ، و لها قرى
عامرة باصناف من البربر ، و قد أفنتهم الفتنه و أبادتهم الحروب المتوالية عليهم . و من
شمّس إلى قصر عبد الكريم ، وهو على مقربة من البحر ، و بينه و بين طنجة ،
(١) سند الجبل ما قالك منه و علا عن السفح فأما الآن فقد ارتفعت طنجة إلى
أعلى الجبل وهي مدينة حسنة كما قال ، عمرها الله بأهلها

يومان ، وقصر عبد الكريم مدينة صغيرة على ضفاف نهر « لكس » وبها أسواق على قدرها يباع بها ويشتري ، والأرزاق بها كثيرة والرخاء بها شامل . ومن مدينة طنجة إلى مدينة « أزيلا » مرحلة خفيفة جداً ، وهي مدينة صغيرة جداً ، وما بقي منها الآن إلا نزر يسير ، وفي أرضها أسواق قريبة . وأزيلا هذه ، ويقال أصيلا ، عليها سور . وهي متعاقبة على رأس الخليج المسمى بالزقاق ، وشرب أهلها من مياه الأنار . وعلى مقربة منها في طريق القصر مصب نهر سفدد ، وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب ، ومنه يشرب أهل تشمس التي تقدم ذكرها . وهذا الوادي أصله من مائتين يخرج أحدهما من بلد « دنهاجة » من جبل « البصرة » والماء الثاني من بلد كتامة ، ثم يلتقيان ، فيكون منهما نهر كبير . وفي هذا النهر يركب أهل البصرة في مراكبهم بأمتعتهم حتى يصلوا البحر فيسيروا فيه حيث شاءوا . وبين تشمس والبصرة دون المرحلة على الظهر . والبصرة ^(١) كانت مدينة مقتصدتة عليها سور

(١) بعد أن ذكر ياقوت البصرة المتروية في معجم البلدان عاد فذكر البصرة المغربية فقال : بلد في المغرب في أقصاه قرب السوس خربت . قال ابن حوقل وهو يذكر مدن المغرب من بلاد البربر : والبصرة مدينة مقتصدتة عليها سور ليس بالمنيع ولها عيون خارجها عليها بساتين يسيرة وأهلها ينسبون إلى السلامة والخير والجمال وطول القامة واعتدال الخلق وبينها وبين المدينة المعروفة بالأقلام أقل من مرحلة وبينها وبين مدينة يقال لها تشمس أقل من مرحلة أيضاً . ولما ذكر المدن التي على البحر قال : ثم تعطف على البحر المحيط يساراً وعليه من المدن قريبة منه وبعيدة وجرماية ، و « ساوران » و « الحجى » على نحر البحر ودونها في البرمشرقا ، الأقلام ، ثم البصرة وقال البشارى : البصرة مدينة بالمغرب كبيرة كانت عامرة وقد خربت وكانت جليلة . وكان قول البشارى هذا في سنة ٣٧٨ . وقرأت في كتاب المسالك والممالك لأبى عبيد البكرى الأندلسى : بين فاس والبصرة أربعة أيام قال : والبصرة مدينة كبيرة وتعرف ببصرة الكتان كانوا يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجاراتهم بالكتان وتعرف أيضاً بالحراء لأنها حراء التربة وسورها مبنى بالحجارة والطوب وهي بين شرفين ولها

ليس بالحصين ، ولها قرى وعمارات وغلات ، وأكثر غلاتها القطن والقمح ، وسائر الحبوب بها كثيرة ، وهي عامرة الجهات ، وهوؤها معتدل ، وأهلها أعفاء ، ولهم جمال وحسن أدب . وعلى نحو ١٨ ميلا مدينة « باب أقلام »^(١) وهي من بناء عبدالله بن ادريس ، بين جبال وشعار متصلة ، والمدخل إليها من مكان واحد . وبالجملة فإنها خصيبة كثيرة المياه والفواكه ، وعلى مقربة منها مدينة « قرت » وهي على سفح جبل منيع ، لا سور عليها ، ولها مياه كثيرة وعمارات متصلة . وأكثر زراعتهم القمح والشعير وأصناف الحبوب . وكل هذه البلاد منسوبة إلى بلاد طنجة ومحسوبة منها . وفي جنوب البصرة على نهر « سبو » الآتي من ناحية فاس قرية كبيرة كالمدينة الصغيرة يقال لها « ماسنة » وكانت قبل هذا مدينة لها سور وأسواق وهي الآن خراب . وعلى مقربة منها مدينة « الحجر » وكانت مدينة محدثة لآل ادريس ، وهي على جبل شامخ الذرى ، حصينة منيعة ، لا يصل أحد إليها إلا من طريق واحد ، والطريق صعب المجاز ، يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهي خصيبة رفة كثيرة الخيرات ، وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمارات ، ومن مدينة سبتة عشرة أبواب وماؤها زعاق وشرب أهلها من بئر عذبة على باب المدينة وفي بساتينها آبار عذبة ونساء هذه البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهن . قال أحمد بن فتح المروفي بابن الحزاز التهرتي يمدح أبا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم .

قبح الاله الدهر إلا قينة بصرية في حمرة وبياض
 الخرف في لحظاتها والورد في وجناتها والكشح غير مفاض
 في شكل مرجى ونسك مهاجر وعفاف سني وسمت إباح
 تهرت ، أنت خايبة وبرقة عوضت منك ببصرة فاعتاضى
 لا عذر للحمرء في كلني بها أو تستفيض بأبجر وحياض

قال : ومدينة البصرة مستحدثة أسست في الوقت الذي أسست فيه أصيلة أو قريامنة

(١) ورد ذكرها في نقلنا عن ياقوت هنا

السابق ذكرها بين جنوب وشرق إلى حصن « تطاون » مرحلة صغيرة ، وهو حصن في بسيط الأرض ، وبينه وبين البحر الشامي خمسة أميال . وتسكنه قبيلة من البربر تسمى بـجـكـسـة^(١) . ومنه إلى « أنزلان » وهو مرسى فيه غمارة ، نحو من ١٥ ميلا وأنزلان مرسى عامر ، وهو أول بلاد غمارة . وبلاد غمارة جبال متعالة بعضها ببعض كثيرة الشجر والغياض وطولها نحو من ثلاثة أيام . ويتصل بها من ناحية الجنوب جبال « السكواكب » وهي أيضاً جبال عامرة كثيرة الخصب ، وتمتد في البرية مسيرة ثلاثة أيام حتى تنتهي قرب مدينة فاس . وكان يسكنها غمارة إلى أن طهر الله منهم الأرض ، وأفى جمعهم ، وخرب ديارهم ، لكثرة ذنوبهم ، وضعف اسلامهم وكثرة جراتهم ، وإصرارهم على الزنا المباح ، والمواربة الدائمة ، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، وذلك من الله جزاء الظالمين . وبين سبتة وفاس على طريق « زجان » ثمانية أيام . وعلى مقربة من انزلان حصن « تقساس » على البحر ، وبينهما نصف يوم ، وهو حصن معمور في غمارة ، لكن أهله بينهم وبين غمارة حرب دائمة ، ومن تقساس إلى قصر « تاركنا » وله مرسى . ومنه إلى حصن « مسيكاسه » نصف يوم ، وهو لغمارة . ومن مسيكاسه إلى حصن « كركال » ١٥ ميلا ، وهو أيضاً لغمارة . ومن حصن كركال إلى مدينة « بادس » مقدار نصف يوم ، وبادس مدينة متحضرة فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغمارة ياجأون إليها في حوائجهم ، وهي آخر بلاد غمارة . ويتصل بها هناك طرف الجبل ، وينتهي طرفه الآخر في جهة الجنوب ، إلى أن يكون بينه وبين بلد بني « تاوده » أربعة أميال ، وكان بهذا الجبل قوم من أهل « مزكادة » أهل جرأة وسفاهة وتجاسر على من جاورهم ، فأبادهم سيف الفتنة ، وأراح الله منهم . ومن مدينة بادس إلى مرسى « بوزكور » ٢٠ ميلا ،

(١) كان هذا في القرن السادس للهجرة وهو القرن الذي عاش فيه الشريف الإدريسي ولكن في القرن العاشر للهجرة عمرت تطاون بالأندلسيين بعد جلائهم الأخير وصارت من المدن الكبار المعدودة من القواعد زادها الله من فضله .

وكانت مدينة فيما ساف لكنها خربت ولم يبق لها رسم ، وتسمى في كتب التواريخ « نكور » وبين بوزكور وبادس جبل متصل يُعرف بالأجراف ، ليس فيه مرسى . ومن بوزكور إلى المزمّة ٢٠ ميلا ، وكانت به قرية عامرة ومرسى توسق المراكب منه . ومن المزمّة إلى واد بقرها ، ومنه إلى طرف « ثغلال » ١٢ ميلا . وهذا الطرف يدخل في البحر كثيراً ، ومنه إلى مرسى « كرت » ٢٠ ميلا وبشرقي كرت واد يأتي من جهة « صاع » ومن كرت إلى طرف جون داخل في البحر ٢٠ ميلا ، ومن كرت إلى مدينة « مليلة » في البحر ١٢ ميلا ، وفي البر ٢٠ ميلا .

ومدينة مليلة مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع وحال حسنة على البحر ، وكان لها قبل هذا عمارات متصلة وزراعات كثيرة ، ولها بئر فيها عين أزرية كثيرة الماء ومنها شربهم ، ويحيط بها من قبائل البربر بطون بطوية .

ومن مليلة إلى مصب الوادي الذي يأتي من « آقرسيف » ٢٠ ميلا ، وأمام مصب هذا النهر جزيرة صغيرة . ويقابل هذا الموضع من البرية مدينة « جراو » ومن مصب وادي آقرسيف إلى مرسى « تافركنيت » على البحر ، وعليه حصن منيع صغير ٤٠ ميلا . ومن تافركنيت إلى حصن تابجريت ثمانية أميال ، وهو حصن حصين ، حسن عامر أهل وله مرسى مقصود . ومن تابجريت إلى « هنين » على البحر ١١ ميلا ومنها إلى « تلمسان » في البر ٤٠ ميلا . وفيما بينهما مدينة « ندرومة » وهي مدينة كبيرة عامرة أهلة ، ذات سور وسوق ، موضعها في سند ، ولها مزارع ولها واد يجري في شرقيها ، وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقى كثير .

وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر ، وهي عامرة ، عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء ، وخارجها زراعات كثيرة ، وعمارات متصلة . ومن هنين على الساحل إلى مرسى « الوردانية » ستة أميال ، ومنها إلى جزيرة « القشقار » ثمانية أميال ، ومنها إلى جزيرة « إرشقول » و « يروي » « ارجكون » وكانت فيما ساف حصناً عامراً له مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال السائمة ، ومرساها في جزيرة فيها

مياه ومواجل كثيرة للمراكب ، وهي جزيرة مسكونة ، ويصب بجذائرها نهر مَلَوِيَّة .
ومن مصب الوادي إلى حصن « أسلان » ستة أميال على البحر ، ومنه إلى طرف
خارج في البحر ٢٠ ميلا ، ويقابل الطرف في البحر جزيرة الغنم ، وبين جزائر الغنم
وأسلان ١٢ ميلا . ومن جزائر الغنم إلى بني وزَّار ١٧ ميلا ، وبنو وزَّار حصن منيع
في جبل على البحر ، ومنه إلى « الدفالي » وهو طرف خارج في البحر ١٢ ميلا ،
ومن طرف الدوالي إلى طرف « الحرشة » ١٢ ميلا ، ومنه إلى « وهران » ١٢ ميلا .

وقد ذكرنا وهران وأحوالها فيما صدر من ذكر الأقليم الثالث ، والله المستعان
فانرجع الآن إلى ذكر الأنداس ووصف بلادها ، ونذكر طرفاتها ، وموضوع
جهاتها ، ومقتضى حالاتها ، ومبادئ أوديتها . ومواقعها من البحر ، ومشهور جمالها
وعجائب بقعها ، وذاتى من ذلك بما يجب بعون الله تعالى فقول :

أما الأنداس في ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث ،
فجنوبها يحيط به البحر الشامي ، وغربها يحيط به البحر المظلم ، وشمالها يحيط به بحر
الانقايثيين^(١) من الروم . والأنداس طولها من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم
إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل ، وعرضها من كنيسة « شنت
ياقوب »^(٢) التي على أنف بحر الانقايثيين إلى مدينة المرية التي على بحر الشام
ستائة ميل .

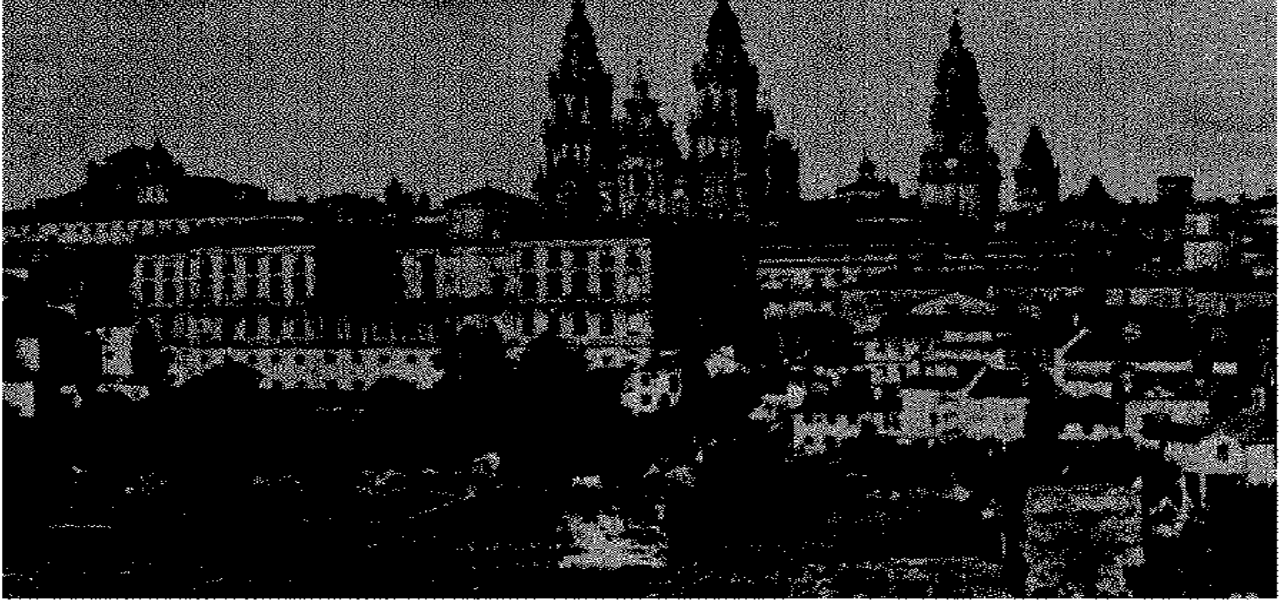
وجزيرة الأنداس مقسومة من وسطها في الطول بجبل طويل يسمى الشارات^(٣)
وفي جنوب هذا الجبل تأتي مدينة طليطلة . ومدينة طليطلة مركز لجميع بلاد الأنداس

(١) يريد بالانقليش أو بالانقايثيين الانكليز وكان من عادة العرب أن يقلبوا
السين والزاي شيئا في أكثر الاحيان .

(٢) العرب يقولون شنت ياقوب أو شنت ياقب والاسبان يقولون : سانتياغو
دو كومبستله ، Santiago De Compostela وهي أقدس كنيسة عند الاسبانول
وفيهما قبر يعقوب أحد الحواريين .

(٣) Sierra وقد صارت الشارات تفيد معنى سلسلة جبال .

وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة ، بين غرب وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها إلى لشبونة غرباً تسع مراحل ، ومن طايطالة إلى شنت ياقوب على بحر الانقليشيين تسع

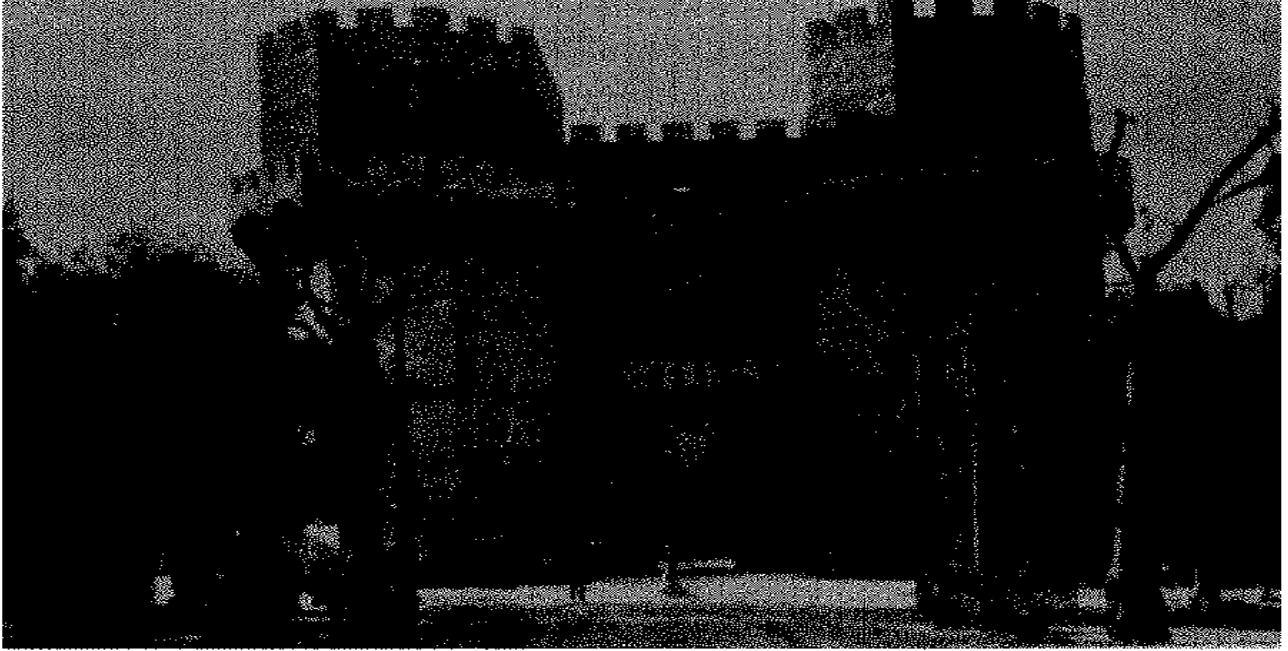


مدينة شانت ياقب أقدس بلدة عند الاسبانيين



متنزه في شانت ياقب

مراحل ، ومنها إلى « جاقة »^(١) شرقاً تسع مراحل ، ومنها إلى مدينة بلنسية ، بين شرق وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل .



برج سرافوس (بلنسية)

ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملك ومداراً لولاتها ، وبها وجدت مائدة سليمان بن داود ، مع جملة ذخائر يطول ذكرها . وما خلف الجبل المسمى بالشارات في جهة الجنوب يسمى اشبانية ، وما خلف الجبل في جهة الشمال يسمى قشالة . ومدينة طليطلة في وقتنا هذا يسكنها سلطان الروم القشتاليين .

(١) جاقة من بلاد سرقسطة بلدة فيها اليوم ٥٠٠٠ نسمة من السكان وهي مركز ناحية و سوبراربي ، ولها سور يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر وقد أنشئ خط حديدي بين جاقة Jaca واولورون oloron يختصر بنحو مائة كيلو متر المسافة بين باريز ومجربط .



متزه النخل (بلنسية)

والأندلس المسماة اشبانية أقاليم عدة ، ورساتيق جملة ، وفي كل إقليم منها عدة مدن نريد أن نأتى بذكرها مدينة مدينة بحول الله تعالى . ولنبدأ الآن منها بأقليم البحيرة ^(١) وهو إقليم مبدأه من البحر المظلم ، ويمرّ مع البحر الشاميّ ، وفيه من البلاد جزيرة طريف ، والجزيرة الخضراء ، وجزيرة قادس ، وحصن « أركش » ^(٢) ، و« بكة » ^(٣) و« شريش » ^(٤) ، و« طشانة » ^(٥) ، و« مدينة ابن السليم » ^(٦) ، وحصون كثيرة كالمدن عامرة ، سنأتى بها في موضوعها ويتلوه إقليم « شدونة » ^(٧) ، وهو من إقليم البحيرة شمالا ، وفيه من المدن

(١) Le Lago de la janda (٢) Arcos (٣) Becca (٤) Jeres (٥) Tocina (٦) Grazalema وأظن اسمها محرفاً عن قرية سالم ، وهي الآن قرية كبيرة في برية تبعد عن رندة ٢٥ كيلو متراً إلى الجنوب وقد زرتها بالسيارة لما كنت في رندة (٧) Sidonia

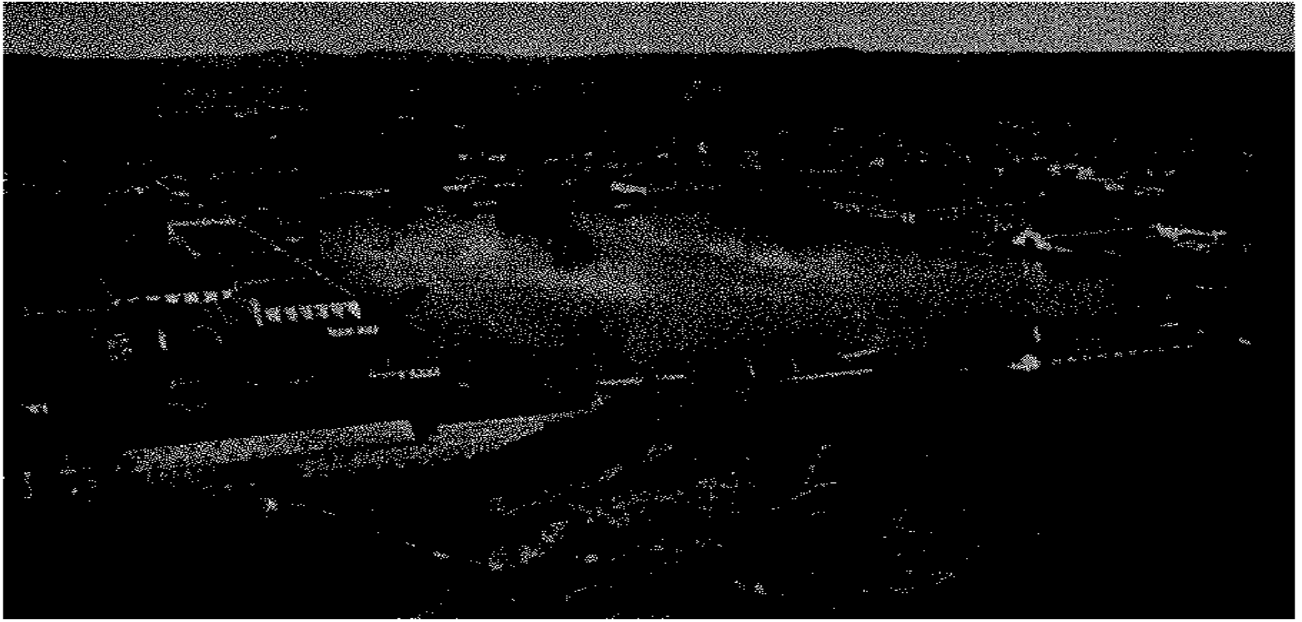
مدينة « اشبيلية » (١) ، ومدينة « قرمونة » (٢) ، و« غلسانة » (٣) ، وحصون كثيرة . ويتلوه اقليم الشرف ، وهو ما بين اشبيلية و« لبله » (٤) والبحر المظلم ، وفيه من المعامل « حصن القصر » (٥) ومدينة لبله و« ولبة » (٦) وجزيرة « شلطيش » (٧) وجبل العميون . ثم يليه اقليم « الكنبنانية » (٨) وفيه من المدن قرطبة و« الزهراء » (٩) و« استجة » (١٠) و« بيانة » (١١) و« وقبرة » (١٢) و« اليسانة » (١٣) وبه جملة حصون كبار سنذكرها بعد هذا . ويلى اقليم الكنبنانية اقليم « اتونة » (١٤) وفيه حصون عامرة كالمدن ، منها لورقة واشونة وهو اقليم صغير . وياليه مع الجنوب اقليم « رية » (١٥) وفيه من المدن مدينة مائقة و« ارتذونة » (١٦) و« مريلة » (١٧) و« بْبَشَطَر » (١٨) و« لاكنصاد » (١٩) وغير

(١) Sevilla (٢) Carmona بلدة ذات موقع نادر في الدنيا مبنية على جبل مشرف على سائط لا ينتهى البصر إلى مداها وقد زرتها بالسيارة من اشبيلية
(٣) غلسانه هي اليوم عند الاسبانيول médina Sidonia (٤) niebla
(٥) Hisnalcasar (٦) Hulba (٧) Saltes (٨) La campina
(٩) medina Az-zahra (١٠) Ecija (١١) Baena
(١٢) cabra (١٣) Lucina (١٤) usona (١٥) Rio
وليعلم القارئ أننا التزمنا ترجمة الأعلام العربية بما يقابلها من الأسماء الاسبانيولية وترجمة الأعلام الاسبانية بما كان يقوله لها العرب وتحرينا في ذلك جهد الطاقة ولم نبق في قوس البحث متزع ظفر حتى حققنا كل هذه الأسماء إلا ما ندر فان معرفتها بلساني العرب والافرنج شرط في فهم جغرافية الأندلس وتاريخها وبدون ذلك لا تتحصل للقارئ صورة تامة عنها في ذهنه ولم نكتف بترجمة الأعلام من العربي إلى الاسبانيولي ومن الاسبانيولي إلى العربي مرة واحدة بل ربما كتبنا اسم المكاتب الواحد باللغتين مرتين وثلاثاً لا نمل من ذلك حتى يرسخ في ذهن القارئ بالتكرار وإلا فانه لا يحفظ هذه الأعلام المتبادلة من قرأها مرة واحدة .

(١٦) Archidona وقد يكتبها العرب بالجيم (١٧) marbella

(١٨) Bobachtero (١٩) هذه اللفظة لم ندر حقيقتها

هذه من الحصون . ويتلو هذا الإقليم « البشارات »^(١) وفيه من المدن « جيان »^(٢) وجملة حصون وقرى كثيرة تشفّ على ستمائة قرية ، يتخذ بها الحرير . ثم إقليم « بجانة »^(٣) وفيه من المدن « المريّة »^(٤) و « برجة »^(٥) وحصون كثيرة منها « مرشانة »^(٦) و « برشانة »^(٧) و « طرجالة »^(٨) و « ناش »^(٩) ويتلو



صورة مرسى قرطاجنة

في جهة الجنوب إقليم « البيرة »^(١٠) وفيه من المدن « اغرناطة »^(١١) و « وادي آش »^(١٢) و « المنكب »^(١٣) وحصون وقرى كثيرة . ومنها إقليم « فريرة »^(١٤)

(١) Sierra (٢) jaen واصل اسمها في زمن الرومان usiense وكان القشتاليون

يقولون لها Gien (٣) Béchina (٤) Almeria (٥) Berja

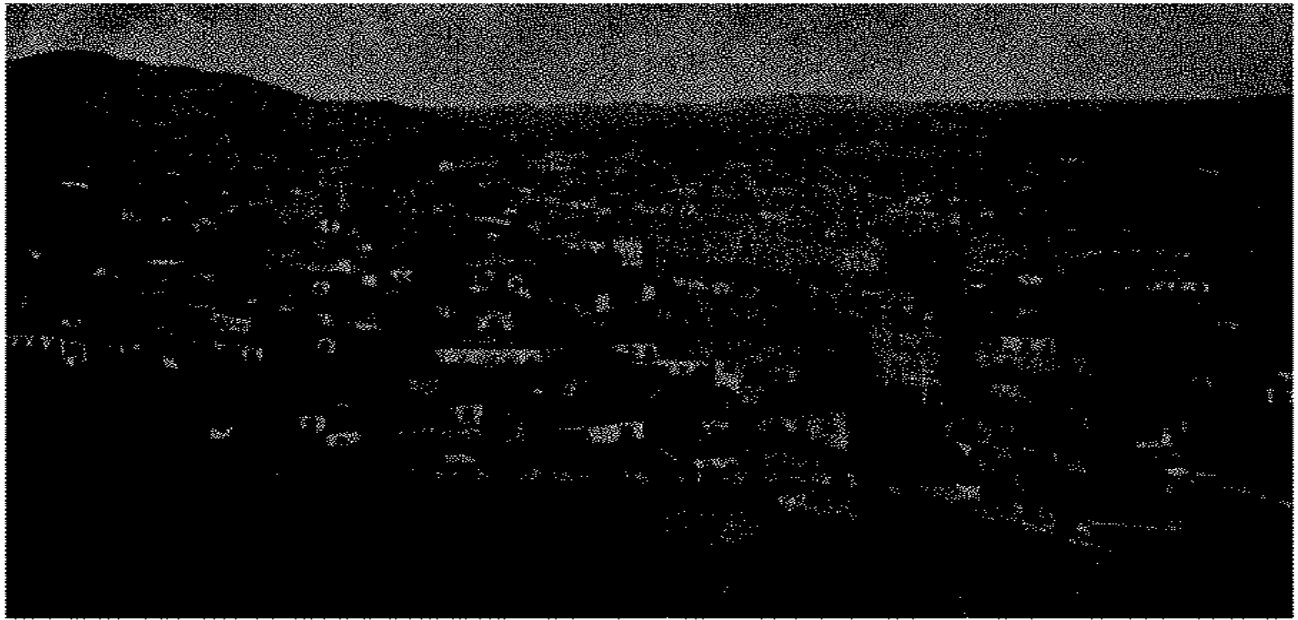
(٦) merchana هي من مقاطعة بجانة وقد درست ولا تزال منها بقايا في دسكرة يقال

لها ترك ، Terque (٧) برشانة Purchina هي أيضا من مقاطعة بجانة

(٨) Targela (٩) velez (١٠) vera (١١) Grenade

(١٢) Guadix (١٣) Almonacar (١٤) Ferreira

وهو يتصل بأقليم البشارت ، وفيه مدينة « بسطة » ^(١) وحصن « تشكر » ^(٢) الموصوف بالمنعة . وفيه حصون كثيرة وسنأتى بها بعد . ثم كورة « تدمير » ^(٣) وفيها من المدن « مرسيه » ^(٤) و « اوربولة » ^(٥) و « قرطاجنة » ^(٦) ، و « لورقه » ^(٧) و « مولة » ^(٨) و « جنجاله » ^(٩) ويتصل بكورة « كونكة » ^(١٠) وفيها « الش » ^(١١) و « القنت » ^(١٢) و « شقورة » ^(١٣) ويليه اقليم « ارغيرة » (؟) وفيه من البلاد

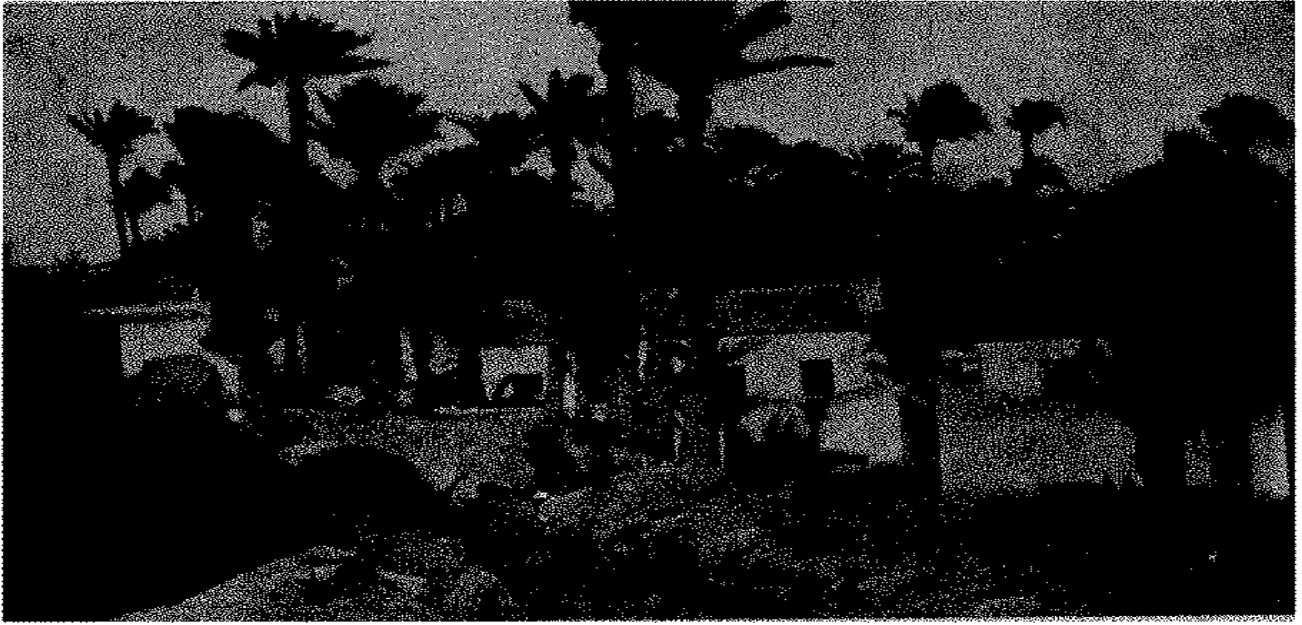


مدينة قرطاجنة

« شاطبة » ^(١٤) و « شقر » ^(١٥) و « دانية » ^(١٦) وفيه حصون كثيرة . ويليه اقليم مرباطر وفيه من البلاد « بلنسية » ^(١٧) و « مرباطر » ^(١٨) و « بُر يانة » ^(١٩) وحصون

- Murcie (٤) Todmir (٣) Tixar (٢) Baza (١)
 Mola (٨) Lorca (٧) Cartagène (٦) Orihuela (٥)
 Alicante (١٢) Elche (١١) Cuenca (١٠) Chinchilla (٩)
 Se gur (١٥) Jatiba أو Chativa (١٤) Segura (١٣)
 Brienne (١٩) Murviedro (١٨) Valence (١٧) Denia (١٦)

كثيرة . وياليه مع الجوف إقليم « القواطم » ^(١) وفيه من البلاد « الفنت » ^(٢) و « شنت » ^(٣) ماريه « المنسوبة لابن رزين . ويتصل به إقليم « الوجة » ^(٤) وفيه من البلاد « سرته » ^(٥) و « قلعة رباح » ^(٦) و « فتة » ^(٧) ويلى هذا الاقليم اقليم « البلاطة » ^(٨) . وفيه حصون كثيرة منها ومن أكبرها « بطروش » ^(٩)



الساقية العتيقة (الش)

و « غافق » ^(١٠) وحصن ابن هارون (؟) وغيرها دونها في الكبر . ويلى هذا الاقليم غربا اقليم « الفقير » (؟) وفيه من البلاد « شنت » ^(١١) ماريه « و « مارتلة » ^(١٢) و « شلب » ^(١٣)

- (١) دوزى يظن أن الاسم محرف بالنسخ وأن أصله « القواسم » ونحن نرجح أنه محرف عن « القواطم » ، وسيأتى الكلام على ذلك (٢) puente
 (٣) Albarracine (٤) لم ندرأه عربي أم معرب ؟ وهي Walaja
 (٥) Zarruta (٦) Calatrava (٧) Puente (٨) البلاطة أى البلوطيين
 نسبة إلى خص البلوط (٩) Pedroche (١٠) Gafic
 (١١) Santa Maria (١٢) Martela (١٣) Silves

و حصون كثيرة وقرى . ويلي هذا الاقليم اقليم « القصر »^(١) وفيه القصر المنسوب
« لأبي دانس » وفيه « يابرة »^(٢) و « بطليوس »^(٣) و « شريشة »^(٤) و « ماردة »^(٥)
و « قنطرة »^(٦) السيف و « قوراية »^(٧) . و يليه اقليم البلاط وفيه مدينة « البلاط »^(٨)

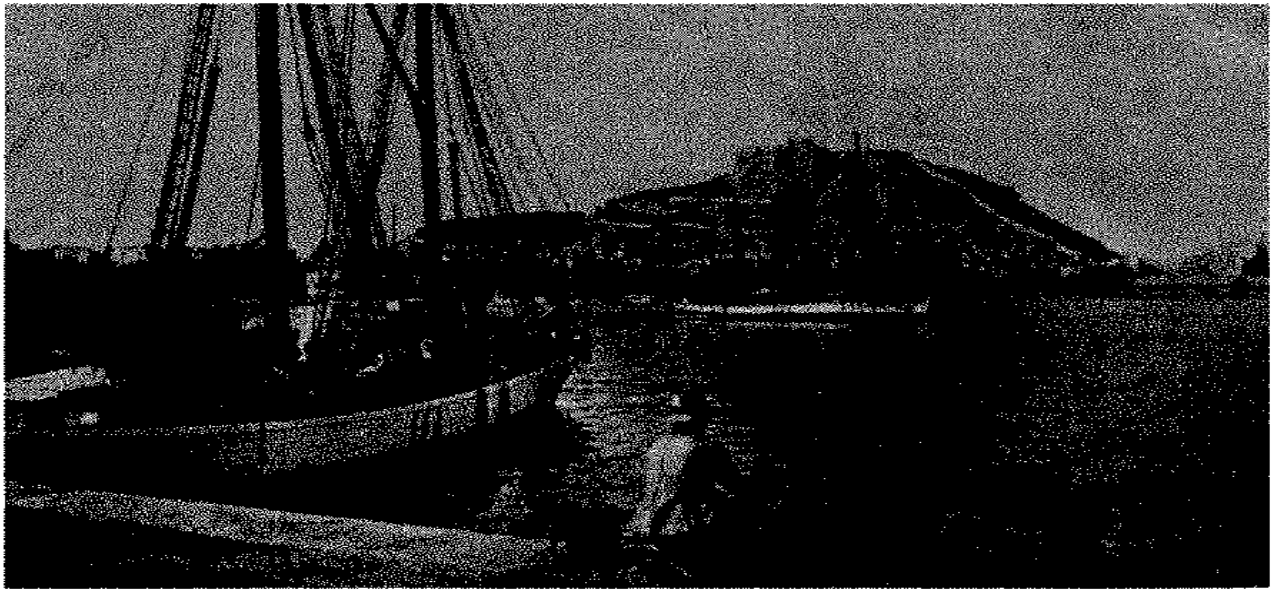


غيزة من غياض الش

ومدين ^(٩) . ويلي هذا الاقليم إقليم بلاطه ^(١٠) وفيه « شترين » و « لشبونة »
و « شنترة » و يليه إقليم الشارات وفيه « طابيرة »^(١١) و « طليطلة »^(١٢)

(١) Cacer (٢) Evora (٣) Badjoz (٤) Xerex de Estramador وهي عند العرب شريشة إلا أنها غير شريش التي منها أبو العباس
الشريشي شارح المقامات الحريرية (٥) Merida (٦) Alcantara (٧) Coria (٨) Albalat (٩) Medellin (١٠) بورة البلاط في أيام العرب كانت تشتمل على شترين
Santarem و أشبونة Lisbonne أو Lisboa و شنترة Cintra ويقال لها في هذه
الأيام « استرمادوره ، البرتغالية (١١) Talavera (١٢) Toledo

- و « ومجريط »^(١) و « الفهمين »^(٢) و « وادي الحجارة »^(٣) « اقليش »^(٤)
 و « وبندة »^(٥) و يليه أيضاً إقليم « أرنيط »^(٦) وفيه من البلاد « قلعة أيوب »^(٧)
 و قلعة « دروقة »^(٨) ومدينة « سرقسطة »^(٩) و « وشقة »^(١٠) و « تطيلة »^(١١)
 ثم يليه إقليم الزيتون وفيه « جاقة »^(١٢) و « لاردة »^(١٣) و « مكناسة »^(١٤)
 و « افراغه »^(١٥) و يليه إقليم « البرتات »^(١٦) وفيه « طرطوشة »^(١٧) و « طركونة »^(١٨)



مرسى القنت

- (١) Madrid (٢) بلدة من أعمال طليطلة اسمها عربي منسوبة إلى بني فهم
 على ما ورد في معجم البلدان لياقوت وقد ذكرنا ما قال في موضع آخر
 (٣) Guadalajara وقد يقول لها العرب مدينة الفرج محرقة (٤) Aclés
 (٥) Huete (٦) أظن أن أرنيط هي التي يقال لها Arenedo
 (٧) Calatayud (٨) Daroca (٩) Saragosse
 (١٠) Huesca (١١) Tudela (١٢) Jaca (١٣) Lerida
 (١٤) Méquinensa (١٥) Fraguas (١٦) جبال البرتات هي جبال
 البرانس أو جبال البيرانه (١٧) Tortosa (١٨) Tarracona



متزه راميرو (الفنت)

و « برشلونة » ^(١) ويلي هذا الاقليم غرباً اقليم « مرمرية » ^(٢) وفيه حصون خالية ، ومما يلي البحر حصن « طشكره » ^(٣) و « كشتالي » ^(٤) و « كتندة » ^(٥) فهذه كلها أقاليم اشبانية المسمى جمتها بالأندلس . فأما جزيرة « طريف » ^(٦) فهي على البحر الشامي ، في أول الحجاز المسمى ، بالزقاق ، ويتصل غربها ببحر الظلمة . وهي مدينة صغيرة ، عليها سور تراب ، ويشقها نهر صغير ، وبها أسواق وفنادق وحمامات ، وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى احدهما « القنتير » ^(٧) وهما على مقربة من البر . ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا ، تخرج من الجزيرة إلى « وادي » ^(٨) النساء « وهو نهر جار ، ومنه إلى الجزيرة » ^(٩) الخضراء

(١) Barcelone (٢) Marmaria (٣) Tixar

(٤) Castello (٥) Cutenda (٦) Tariffa

(٧) لم نعرف اسمها بالاسباني (٨) الاسبانيون يقولون Guadannasi

وذلك أنهم حكوا في لفظها العرب وهؤلاء في الأندلس كانوا يملون الألف كثيراً
(٩) الاسبانيون بحسب عاداتهم من قلب الجيم خاء والسين والزاي ثاء يقولون

وهي مدينة متحضرة لها سور حجارة مفرغ بالجيار ، ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة ، ويشقها نهر يسمى نهر العسل ، وهو حلو عذب ، ومنه شرب أهل المدينة ، ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكنتي ضفتيه معاً . وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط ، وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر ، وعرضه هنالك ثمانية عشر ميلاً . وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة « أم حكيم » وبها أمر عجيب ، وهو أن فيها بئراً عميقة كثيرة الماء حلوة ، والجزيرة في ذاتها صغيرة مستوية السطح ، يكاد البحر يركبها ^(١) والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الاسلام ، وذلك في سنة ٩٠ من الهجرة ، وافتتحها موسى بن نصير من قبل الروانيين ، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي ، ومعه قبائل البربر . فكانت هذه الجزيرة أول مدينة افتتحت في ذلك الوقت ، وبها على باب البحر مسجد يسمى بمسجد الرايات ، ويقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى ، وكان وصولهم اليها من جبل طارق وإنما سمى جبل طارق لأن طارق ^(٢) بن عبد الله بن ونمو الزناتي لما جاز بمن معه من البرابر

والخثيرة ، وقد ذكرت في إحدى مقالاتي عن رحلتي إلى الأندلس أن للقوم رغبة شديدة في حرف « الخاء » ثم طالعت بعد ذلك كتاب « السفر إلى المؤتمر » لصديقي العلامة أحمد زكي باشا المصري رحمه الله وفيه فصل عن رحلته إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ فوجدته يقول في صفحة ٣٨٧ ما يلي : « لاحظت دوران حرف الخاء في غالب كلماتهم التي يكون فيها شين أو جيم أو سين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المزاج لأستمح السماح وقال أن لغة القوم تدور على حرف الخاء ، قال : وقد سمعتهم يقولون « الخثيرة » فسألت فاعلموني بأنها الجزيرة الخضراء ، فقد توارد الخاطر مع الخاطر

(١) قد يوجد الماء الحلو أحياناً في وسط البحر إذا انقشعت عنه موجة الماء المالح شرب منه ركاب السفن .

(٢) لا نعلم لماذا ينسب الشريف الادريسي طارق المنسوب إليه جبل الفتح بخلاف ما هو شائع ، فانه يجعله طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي والمشهور أن اسم أبيه زياد وأن عبد الله هو جده جاء في « البيان المغرب في أخبار المغرب » لابن

وتحصنوا بهذا الجبل ، أحس في نفسه أن العرب لا تثق به ، فأراد أن يزيح ذلك عنه ، فأمر باحراق المراكب التي جاز فيها ، فتبرأ بذلك عما اتهم به .
وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال ، وهو جبل منقطع عن الجبال



صورة طرا كونة من كلونية

مستدير ، في أسفله من جهة البحر كهوف ، وفيها مياه قاطرة جارية ، وبمقربة منه مرسى يعرف بمرسى الشجرة . ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية خمسة أيام . وكذلك من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مالقة خمس مراحل خفاف ، وهي مائة ميل ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية طريقان طريق في الماء ، وطريق في البر ، فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء إلى الرمال في البحر ، إلى موقع نهر «برباط»^(١)

عذارى المراكشي الجزء الأول المطبوع في « ليدن » بتصحيح المستشرق الشهير الهولاندى دوزى Dozy وذلك سنة ١٨٤٨ أن طارق هو ابن زياد بن عبد الله بن ولفو بن ودغوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطومت بن نفاوارة . وأجمع مؤرخو العرب على أنه ابن زياد

(١) يقول دوزى في ترجمة كلام الادريسي أن نهر برباط يمر بقرب الموضع

المسمى اليوم Alola de los Gazules

٢٨ ميلا ، ثم إلى موقع نهر « بكة »^(١) ستة أميال ، ثم إلى الحلق المسعى « شنت »^(٢) بيطر « ١٢ ميلا ، ثم إلى « القناطر »^(٣) وهي تقابل جزيرة قادس ١٢ ميلا ، وبينهما مجاز ستمه ستة أميال . ومن القناطر تصعد في النهر إلى رابطة « روطة »^(٤)



صورة طرا كونة متنزة المحطة

٨ أميال ، ثم إلى « المساجد »^(٥) ٦ أميال ثم إلى مرسى « طبرشانة »^(٦) إلى « العطوف »^(٧) إلى « قبطور »^(٨) إلى « قبطل »^(٩) . وقبطور وقبطل قريتان في وسط النهر ، ثم إلى جزيرة ينشتالة^(١٠) ثم إلى الحصن الزهر^(١١) إلى مدينة اشبيلية

(١) Becca وهي بقرب طرف الأغر Sancti petri (٢)

(٣) هي الجزائر التي يقال لها عند الاسبانول Iles des lions

(٤) بلدة محصنة على جون قادس والاسبانول يكتبونها هكذا : Rola

(٥) يقول الاسبان للمساجد San Locar ويقال إن أصلها Solucar وإنها محرفة

عن Solis Lucos (٦) Tebugena (٧) لم نعلمه

(٨) Captor (٩) Cabtal (١٠) Jenechtelà

(١١) لم نعرف هل يسميه الاسبان باسمه العربي أم له عندهم اسم آخر ؟

فذلك من اشبيلية إلى البحر ٦٠ ميلا . وأما طريق البر فالطريق من الجزيرة إلى « الرتبة » ثم إلى نهر « برباط »^(١) إلى قرية « فيسانة »^(٢) وبها المنزل . وهي قرية كبيرة ، ذات سوق عامرة ، وخلق كثير . ومنها إلى مدينة « ابن السليم »^(٣) إلى جبل « مُنت »^(٤) ثم إلى قرية « عسلوكة »^(٥) ، وبها المنزل . ثم منها إلى



صورة سرقسطة أو الثغر الأعلى ، منظر عمومي ،

« المدائن »^(٦) إلى « زيرد »^(٧) الحباله « وبها المنزل ، ثم إلى اشبيلية مرحلة . ومدينة اشبيلية مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة ، وأسواق كثيرة ، وبيع وشراء ، وأهلها مياسير ، وجل تجارتها بالزيت ، يتجهز به منها إلى أقصى المشارق

(١) مر ذكره (٢) Faisana

(٣) هذه التي يقال لها عند الأسبان « غرازالما » ، Grasalema

(٤) mont

(٥) لم نعرف هذه القرية ولا عرفنا هل هذا هو اسمها الحقيقي أم هو محرف ؟

(٦) ما اطلعنا على هذه المدائن

(٧) ولا على حقيقة هذا الاسم الآخر

والمغرب ، برآً وبحراً ، وهذا الزيت عندهم يجثم من « الشرف »^(١) وهذا الشرف هو نافذة أربعين ميلاً ، وهذه الأر بعون ميلاً كلها تمشى في ظل شجر الزيتون والتين ، أوله بمدينة اشبيلية وآخره بمدينة « لبلبة »^(٢) وكله شجر الزيتون وسعته ١٢ ميلاً وأكثر ، وفيه فيما يذكر ثمانية آلاف قرية عامرة أهلة بالحمامات والديار الحسنة . وبين الشرف وأشبيلية ثلاثة أميال . والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية اشبيلية تمتد من الجنوب إلى الشمال . وهو تل تراب أحمر ، وشجر الزيتون مفروسة به من هذا المكان إلى قنطرة لبلبة . واشبيلية على النهر الكبير ، وهو نهر قرطبة

ومدينة لبلبة مدينة حسنة أزية ، وهي متوسطة القدر ، ولها سور منيع . وبشرقيها نهر يأتيها من ناحية الجبل ، ويمجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبلبة . وبها أسواق وتجارات . ومنافع . وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربيها . وبين مدينة لبلبة والبحر المحيط ستة أميال .

وهناك على ذراع من البحر تطل مدينة « ولبية »^(٣) وهي مدينة صغيرة متحضرة ، عابها سور من حجارة ، وبها أسواق وصناعات ، وهي مطلة على جزيرة « شاطيش »^(٤) وجزيرة شاطيش يحيط بها البحر من كل ناحية ، ولها من ناحية الغرب اتصال بأحد طرفيها إلى مقربة من البر ، وذلك يكون مقدار نصف رمية حجر . ومن هناك يجوزون لاستقاء الماء لشربهم ، وهي جزيرة طولها نحو من ميل وزائد ، والمدينة منها في جهة الجنوب ، وهناك ذراع من البحر يتصل به موقع نهر لبلبة ، ويتسع حتى يكون أزيد من ميل ، ثم لا يزال الصعود فيه في المراكب إلى أن يضيق ذلك الذراع حتى

(١) لا يزال يقال له الشرف إلى اليوم

(٢) Niebla وكان اسمها عند الرومان « ايلبوله » فنلفظ العرب بها أقرب إلى

الاسم الروماني القديم

(٣) Hueloa واسمها الروماني القديم « أونبة » Onba وهكذا كان يقول لها

العرب وربما قالوا « ولبية »

(٤) Saltés

يكون سعة النهر وحده مقدار نصف رمية حجر ، ويخرج النهر من أسفل جبل عليه مدينة ولبة ، ومن هناك تتصل الطريق إلى مدينة لبلبة . ومدينة شلطيش ليس لها سور ولا حظيرة ، وإنما هي بنيان يتصل بعضه ببعض ، ولها سوق وبها صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه ، وهي صنعة المراعى التى ترمى بها السفن والمراكب الحاملة الجافية ، وقد تغلب عليها المجوس ^(١) مرات ، وأهلها إذا سمعوا بمخطور ^(٢) المجوس فروا عنها واخلوها . ومن مدينة شلطيش إلى جزيرة قادس ١٠٠ ميل ، ومن جزيرة قادس المتقدم ذكرها إلى جزيرة طريف ٦٣ ميلا . ومن جزيرة شلطيش مع البحر ماراً في جهة الشمال إلى حصن « قسطلة » ^(٣) على البحر ١٨ ميلا وبينهما موقع نهر يانة ، وهو نهر ماردة وبطليوس ، وعليه حصن « مارتلة » ^(٤) المشهور بالزمنة والحصانة . وحصن قسطلة على نحر البحر ، وهو عامر آهل ، وله بساتين وغلات شجر التين كثيرة ، ومنه إلى قرية « طيرة » ^(٥) على مقربة من البحر ١٤ ميلا ، ومن القرية إلى مدينة « شنت » ^(٦) ماريه « الغرب ١٢ ميلا .

ومدينة شنت ماريه على معظم البحر الأعظم ، وسورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان المد ، وهي مدينة متوسطة القدر . حسنة الترتيب ، لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة ، وهي كثيرة الأغاب والتين .

ومن مدينة شنت ماريه إلى مدينة شاب ٢٨ ميلا ، ومدينة شاب حسنة ، في بسيط من الأرض ، وعليها سور حصين ، ولها غلات وجنات ، وشرب أهائها من

(١) يريد بالمجوس النورماندين الذين كانوا يطارقون سواحل فرنسا وأسبانية وغيرهما وكانوا في الماضى مجوساً ثم بعد طول ترددهم إلى البلدان الجنوبية استقروا في غربي فرنسا وتركوا العبث ولصوصية البحر ودخلوا في النصرانية .

(٢) استعمل الادريسي « الخطور » بالمعنى الذى تستعمله فيه العامة وهو الحضور

أو السفر وأما في الفصحح فهو مصدر خطر الشيء بالبال

(٣) Castella أو Casella (٤) Martola (٥) Tavira

(٦) Santa Maria ويقال لها Santa maria de Algaroe ويقال لها أيضا

« فارو » وهي من البرتغال

واديها الجارى بجنوبها ، وعليه ارحاء البلد ، والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ، ولها مرسى فى الوادى ، وبها الانشاء ، والعود بجبالها كثير ، يُحمل منها إلى كل الجهات . والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة ، بديعة المباني . مرتبة الأسواق ، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها ، وهم يتكلمون بالكلام العربى الصريح ، ويقولون الشعر وهم فصحاء نبلاء ، خاصتهم وعامتهم . وأهل بوادى هذا البلد فى غاية من الكرم ، لا يجارهم فيه أحد . ومدينة شلب على إقليم الشنشين^(١) ، وهو إقليم به غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب كلها ، وهو تين طيب علك لذيذ شهى . ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل . وكذلك من شلب إلى حصن « مارتلة » ثلاثة أيام . ومن مارتلة إلى حصن ولبة مرحلتان خفيفتان . ومن مدينة شلب إلى حلق « الراوية »^(٢) ٢٠ ميلا وهو مرسى وقرية ومنه إلى قرية « شقرش »^(٣) على مقربة من البحر ١٨ ميلا ومنه إلى طرف الغرب ، وهو طرف خارج فى البحر الأعظم ١٢ ميلا ، ومنه إلى « كنيسة الغراب »^(٤) ٧ أميال .

وهذه الكنيسة من عهد الروم إلى اليوم لم تتغير عن حالها ، ولها أموال يتصدق بها عليها . وكرامات يحملها الروم الواردون عليها ، وهى فى طرف خارج فى البحر وعلى رأس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها وعهد زوالها ، وقسيسو الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بفرائب يتهم الخبىر بها ولا سبيل لأحد من المجتازون بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة الكنيسة ، ضريبة لازمة وسيرة دائمة ، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منها ، وورثها الخلف عن السلف ، أمر معتاد متعارف دائم ، والكنيسة فى ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين والرهبان ، وبها أموال مدخرة ، وأحوال واسعة وأكثر هذه الأموال محبسة عليها فى أقطار الغرب وبلاده

(١) Chinchin

(٢) يقول دوزى أن حلق الزاوية مقاطعة هناك

(٣) Sagres (٤) تقدم ذكرها

وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها ، مما يكرم به الأضياف الواردون على الكنيسة المذكورة ، قلوا أو كثروا .

ومن كنيسة الغراب إلى القصر مرحلتان . وكذلك من شلب إلى القصر أربع مراحل . و « القصر » ^(١) مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى « شطوبر » ^(٢) وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً . وفي ما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوبر ، ولها الانشاء الكثير ، وهي في ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والمسل واللحوم . وبين القصر والبحر ٢٠ ميلا . ومن القصر إلى « يبورة » ^(٣) مرحلتان .

ومدينة يبورة كبيرة عامرة بالناس ، ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد بغيرها من كثرة الخنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ، وهي أحسن البلاد بقعة ، وأكثرها فائدة ، والتجارات إليها داخلية وخارجية ، ومن مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان في شرق . ومدينة بطليوس مدينة جليلة في بسيط الأرض ، وعليها سور منيع ، وكان لها ربح كبير ، أكبر من المدينة في شرقها فخلا بالفتن . وهي على ضفة نهر « يانة » ^(٤) وهو نهر كبير ويسمى النهر الغور ، لأنه يكون في موضع يحمل السفن ، ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد

(١) وهي الآن بلدة صغيرة ليس فيها أكثر من ٢٥٠٠ نسمة وفيها آثار قديمة

ويقول لها الاسبانول Alcacer do jal

(٢) Chetvubar وهذا الاسم هو اسم بلدة اليوم على هذا النهر

(٣) ويقال لها أيضاً « يابره » بضم الباء وبالاسبانول Evora وهي الآن بلدة

ليس فيها أكثر من ١٦ الف نسمة وكانت هذه البلدة شهيرة في زمان الرومانيين

واستولى عليها العرب سنة ٧١٥ مسيحية ثم استردها الاسبان سنة ١١٦٦ وكان مجلس

فيها ملوك البرتغال أحيانا وإذا دخل إليها الانسان إلى هذه الساعة يظنها مدينة عربية

لكثرة مباني العرب فيها وغلبة طرز الانشاء العربي على مبانيها

(٤) Guadiana

منه قطرة فسعى الغور لذلك ، وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ، ويصب في قريب من جزيرة شلطيش . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة اشبيلية ٦ أيام على طريق حجر بن أبي خالد ، إلى جبل العيون ^(١) ، إلى اشبيلية . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة على الجادة ٦ مراحل . ومن بطليوس إلى مدينة ماردة على نهر يانة شرقاً ٣٠ ميلاً ، وبينهما حصن على يمين المارّة إلى ماردة .

ومدينة ماردة كانت دار مملكة « لماردة » ^(٢) بنت هرسوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة ، تنطق عن ملك وقدره ، وتعرب عن نخوة وعزّة ، وتفصح عن غبطة . فمن هذه البنات ان في غربي المدينة قنطرة كبيرة ذات قسيّ ، عالية الذروة ، كثيرة العدد ، عريضة المجاز . وقد بنى على ظهر القسيّ أقباء تتصل من داخل المدينة إلى آخر القنطرة ، ولا يرى الماشى بها . وفي داخل هذا « الداموس » ^(٣) قناة ماء تصل المدينة . ومشى الناس والدواب على تلك الدواميس . وهي متقنة البناء ، وثيقة التأليف ، حسنة الصنعة . والمدينة عاليا سور حجارة منجورة من أحسن صنعة واثق بناء . ولها في قصبته قصور خربة . وفيها دار يقال لها دار الطبيخ ، وذلك أسها في ظهر مجلس القصر ، وكان الماء يأتي دار الطبيخ في ساقية ، هي الآن بها باقية الأثر ، لا ماء بها ، فتوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدي الملائكة ، فترفع على الموائد . ثم إذا فرع من

(١) Jibraltarion

(٢) المعروف أن مدينة ماردة بنيت سنة ٢٣ قبل المسيح بناها بوبليوس كاريزيوس ونمت نمواً عظيماً حتى صار يقال لها رومة الاسبانية وفي زمان القوط صارت قاعدة ولاية لوزيطانية وقيل أنه كان لها ٨٤ باباً وخمسة حصون و ٣٧٠٠ برج واستولى عليها العرب بقيادة موسى بن نصير سنة ٧١٣ مسيحية واستردها الاسبانيول سنة ١٢٢٨ مسيحية ومنذ استردها الاسبانيول سقطت أهميتها وسند كرها في الكلام على قواعد الأندلس .

(٣) الداموس هو القنطرة أو ما يستتر الانسان به .

أكل ما فيها وضعت في الساقية ، فتستدير إلى أن تصل إلى يد الطباخ بدار الطبخ ، فيرفعها بعد غسلها . ثم تمر بقية ذلك المساء في سرور القصر . ومن أغرب الغريب جلب الماء الذي كان يأتي إلى القصر على عمد مبنية تسمى « الأرجالات ^(١) » ، وهي أعداد كثيرة باقية إلى الآن قائمة على قوام ، لم تخل بها الأزمان ولا غيرتها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال ، بحسب الأماكن التي وجب فيها البناء ، وأطولها يكون غلوة سهم ، وهي على خط مستقيم . وكان الماء يأتي عليها في قنن مصنوعة ، خربت وفنيت ، وبقيت تلك الأرجالات قائمة يخيل إلى الناظر إليها أنها من حجر واحد ، لحكمة إتقانها ، وتجويد صنعها . وفي وسط هذه المدينة احناء قوس ، يدخل عليه الفارس بيده علم قائم ، عدة أحجاره ١١ حجراً فقط ، في كل عضادة منها ثلاثة أحجار ، وفي القوس أربعة أحجار حنيت . وواحد قنن ، فكانت الجملة ١١ حجراً . وفي الجنوب من سور هذه المدينة قصر آخر صغير ، وفي برج منه كان مكان مرآة ، كانت الملكة ماردة تنظر إلى وجهها فيها . ومحيط دوره ٢٠ شبراً ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانه قائماً . ومكانه إلى الآن باق . ويقال إنما صنعته ماردة لتحاكي به مرآة ذي القرنين التي صنعها في منار الاسكندرية .

ومن مدينة ماردة إلى قنطرة السيف يومان . وقنطرة السيف ^(٢) من عجائب

(١) هذه اللفظة لم تمر بنا أصلاً مع اتساع اللغة والذي يظهر لنا أن عامة الأندلس استعملوها بمعنى « الأرجل » جمع « رجل » بكسر فسكون وقد يأتي جمعه أيضاً على « أرجال » فتكون الأرجالات جمع الجمع وذلك كما جمعوا « الرجل » بفتح فضم على رجال ثم جمعوا رجالا على رجالات . ومعنى تسمية هذه الأعمدة التي يجرى فوقها الماء « أرجالات » هو أن قنن الماء قائمة عليها وهي لهذه الأقنية أشبه بالأرجل

(٢) هذه البلدة هي الآن صغيرة وموقعها على الضفة الجنوبية من نهر تاجه وشهرتها بالجسر الذي فيها وكان العرب لذلك يسمونها القنطرة والاسبان يقولون لها الآن Alcantara وكان ينسب إليها نظام فرسان القنطرة وكان هذا النظام تأسس سنة ١٨٧٦ مسيحية في قلعة سان يوليان دوبيرال لأجل حماية ثغور المسيحيين في وجه العرب فلما

الأرض . وهو حصن منيع على نفس القنطرة . وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شيء . والقنطرة لا يأخذها القتال إلاّ من بابها فقط . ومن مدينة قنطرة السيف إلى مدينة « قورية » ^(١) مرحلتان خفيفتان ، وقورية الآن مدينة في ملك الروم ، ولها سور منيع ، وهي في ذاتها أزيّة البناء واسعة الفناء من أحسن المعامل ، وأحسن المنازل . ولها بوايد شريفة خصيبة ، وضياح طيبة مجيبة ، وأصناف من الفواكه كثيرة ، وأكثرها الكروم وشجر التين .
ومن قورية إلى « قلرية » ^(٢) ٤ أيام . ومدينة قلرية مدينة على جبل مستدير ،

بدأ العرب يتراجعون بسبب فتنهم وتفرق كلمتهم تقدم هذا النظام إلى القنطرة وجعل مركزه فيها وصار رئيس فرسان القنطرة يجب أن يكون من بيت الملك وأما الجسر فهو روماني واقع إلى الشمال الغربي من البلد كان بناؤه سنة ١٠٥ بعد المسيح وهو من الحجر المحبب طوله ١٨٨ متراً وعرضه ٨ أمتار وهو على ستة أقواس اثنان منها في الوسط فوهة كل منها ١٥ متراً وعلوه ٥٨ متراً وله برج علوه ١٣ متراً . وفي بلدة القنطرة كنيسة اسمها سانتا مارية المكبر Almoeber بنيت في القرن الثالث عشر في محل جامع .

(١) Coria قال ياقوت في معجمه هي من عمل ماردة وهي النصف بينها وبين زموره مدينة الأفرنج

(٢) Coimbra يقول لها العرب « قلرية » قاعدة مقاطعة من مقاطعات البرتغال وعدد سكانها اليوم يناهز ٢٠ ألفاً وفيها مدرسة جامعة ومرصد فلكي وهي قسمان المدينة العليا والمدينة السفلى وهذه متصلة بنهر « منديق » Mondego وكان اسم قلرية عند الرومان هو « آمينيوم » Aeminium ثم في القرن التاسع أطلقوا عليها اسم « كونمبريكا » Conimbrica وهي مدينة قديمة خربت وانتقل أهلها إلى هذه . وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من الجزيرة الأندلسية ثم استرجعها النصارى منهم سنة ٨٧٢ أي بعد فتح المسلمين لها بقليل ثم استردها المسلمون سنة ٩٧٨ مسيحية في زمن الحكم المستنصر الأموي رحمه الله . على يد غالب مولاه وجاء في النسخ أن الحكم عمرها واعتنى بها . ثم عاد النصارى فاستولوا عليها سنة ١٠٦٤ بعد سقوط الدولة الأموية في قرطبة وذلك على يد فرديناند الأول القشتالي الذي بقي يحاصرها ستة أشهر إلى أن ملكها .

وعليها سور حصين ، ولها ٣ أبواب ، وهي في نهاية من الحصانة ، وهي على نهر « منديق »^(١) وجريه على غربها ، ويتصل جري هذا النهر إلى البحر ، وعلى مصبه هناك حصن « منت ميور »^(٢) ولها على النهر أرحاء . وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالفرابي منها إلى ناحية البحر ، ولها أغنام ومواش ، وأهلها أهل شوكة في الروم ، ومن القصر المتقدم ذكره إلى مدينة « لشبونة »^(٣) مرحلتان ، ومدينة لشبونة على شمالي النهر المسمى تاجة وهو نهر طليظلة ، وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجزر كثيراً ، وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور ، وقصبة منيعة ، وفي وسط المدينة حمامات حارة في الشتاء والصيف ، ولشبونة على بحر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه ، قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتمر ، فاذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الأرض ، وقد رأيناه عياناً . ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين^(٤) في ثم آلت إلى البرتغال وصارت عاصمة ملكهم ولذلك العهد زحف إليها أبو يعقوب يوسف سلطان الموحدين ليسترجعها للإسلام فامتعت عليه . وبقيت عاصمة للبرتغال إلى سنة ١٢٦٠ حينما جعلوا العاصمة في لشبونة ولكن الملك دنيس عوض قلرية بتعمل المدرسة الجامعة من لشبونة إليها . وفي زمن ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦) كان المسلمون قد فقدوها لأنه قال : وهي اليوم بيد الافرنج خذلهم الله

(١) Mondego (٢) Montemayor

(٣) لشبونة أو لشبونة Lisbonne أو Lisboa وسيأتي الكلام ساها مفصلاً

(٤) قصة الاخوة المغرورين هذه قصة شهيرة صارت الآن معلومة عند أهل هذا العصر بعد أن بقيت مدة طويلة مدفونة في كتاب الادريسي ، هذا الذي لم تتداوله الأيدي ، وإنما كان يطلع عليه بعض المستشرقين من علماء الافرنج ، وبعض المطالعين من العرب على خزائن الكتب . وقليلاً ما هم . وبقي الأمر كذلك إلى سنة ١٨٩٢ ، وكنت في باريز ، وكان عمري ٢٢ سنة . فقرأت في جريدة النشرة الأسبوعية التي كان ينشرها الأستاذ العلامة ابراهيم الحوراني باسم جمعية الأميركيين في بيروت ، وذلك

ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهأؤه ، كما تقدم ذكرهم ، ولهم بمدينة مقاله مترجمة ، عن مجلة أميركية ، لا أتذكر الآن اسمها ، يقول فيها بمناسبة كشف قارة أميركية : إنه شائع من جملة الأخبار كون العرب وصلوا إلى أميركة قبل كولمبوس وذلك بركوبهم البحر قاصدين الغرب من جهة الأندلس . ويقول : ليس عندنا نحن معلومات عن هذا الشأن تستند إلى وثائق خطية ، وإنما هو كلام متواتر بين الناس ، فكنا نود لو عرفنا ما عند العرب من هذا الموضوع ، وأردف الأستاذ الحوراني ذلك بزءاء إلى علماء العرب أن افتونا بما عندكم عن هذه المسألة .

ففي الحال فكرت في هذه المسألة ، وقلت أنا في باريس وأمامي المكتبة العمومية العظيمة ، فيمكنني أن أبحث فيها ما شئت وذهبت إلى خزانة الكتب الكبرى Bibliothèque National وبمجرد وصولي أمام ذلك البحر الخضم من الكتب فكرت أن حادثاً كهذا لا يمكن أن ينشأ إلا في كتب العرب المؤلفة عن الأندلس ورجحت أن أبدأ البحث في كتب الجغرافية على كتب التاريخ ، وقلت في نفسي أن أشهر جغرافية عربية في القرون الوسطى هي جغرافية الشريف الإدريسي ، فطلبت فهرس الكتب العربية ، ووجهت نظري إلى كتب الجغرافية ، فعثرت على كتاب « نزهة المشتاق ، إلى اختراق الآفاق ، للسيد الإدريسي ، وبدأت بتصفحه ، ولم أكن طالعه من قبل ، فامضى ربع ساعة حتى عثرت على هذه الواقعة ، وهي التي يسردها الإدريسي حسبما هو مكتوب في المتن . فكان ذلك عجباً ، لأن ما كنت أقدر له حتى أصل إليه أياماً طوالاً ، من بحث وتنقيب في مختلف الكتب ، قد وصلت إليه في ربع ساعة . فسنخت ماورد عن الاخوة المغرورين أو المغررين بتأمله ، وذهبت فكتبت مقالة بعثت بها إلى جريدة ثمرات الفنون في بيروت أوردت فيها في عرض الجواب على سؤال النشرة الاسبوعية وسؤال علماء أميركة ماجاء في كتاب الشريف الإدريسي بالحرف . ثم علقت على ذلك توجيهها للكلام يساعد على استخلاص المعنى ، وهو أن الاخوة المغرورين خرجوا من أشبونة أولاً ، إلى ناحية الغرب ، في نحر البحر ، وساروا ١٢ يوماً . فلم يجدوا شيئاً ، فانعطفوا إلى ناحية الجنوب ، فساروا ١٢ يوماً أخرى ، فوصلوا إلى جزيرة لم يجدوا فيها إلا غنماً لحومها مرة لا تؤكل ، فانعطفوا أيضاً إلى الجنوب ، وجروا ١٢ يوماً ، إلى أن وصلوا إلى جزيرة وجدوا فيها بشراً ، وأخذوا إلى أمير الجزيرة ، وجرى معهم ماجرى ، كما هو وارد في

لشبونة بموضع من قرب الحمة ، درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين إلى آخر الكتاب . وأزيد الآن هذا بيانا فأقول : الذى يلوح لى أنهم وصلوا أولا إلى جزيرة من جزائر الانطيل ، التى هى بين أميركة الشمالية ، وأميركة الجنوبية ، ومجموع هذه الجزائر هو بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى ، وبين ٦٢ و ٨٧ درجة من الطول ، فى غربى خط نصف النهار ، المار بباريز . وكان أول وصول كريستوف كولومبوس إلى جزيرة من أميركا كهذه فى ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ ، وجزر الانطيل تنقسم إلى الانطيل الكبرى ، وهى إلى الشمال الغربى ، والانطيل الصغرى ، وهى إلى الجنوب الشرقى ، وهذه الجزر صغيرة لا تحصى ، والذى يظهر أن الاخوة المغرورين بعد أن ساروا ١٢ يوماً خطأ مستقيماً إلى الغرب ، ولم يجدوا شيئاً . خافوا من التلف ، فرجعوا إلى الجنوب ، وكانوا لو صبروا وتابعوا جريهم خطأ مستقيماً ، وصلوا إلى ساحل القارة المسماة الآن بأميركا الشمالية ، ولكنهم يتسوا من الوصول إلى البر من جهة السير نحو إلى الغرب ، فساروا إلى الجنوب ، لعلمهم يجدون البر هناك . فوصلوا الجزيرة التى وجدوا فيها الغم ، ولم يجدوا البشر ، فحينئذ يتسوا ، وعادوا جنوباً إلى الشرق . فوصلوا إلى إحدى جزائر الخالدات أو جزائر أسور Acores وهذه الجزائر كما هو معلوم . مسكونة من قديم الزمان ، وهى واقعة بين ٢٧ و ٣٣ و ٤٠ درجة من الطول الغربى ، و ٣٦ و ٥٠ و ٣٩ و ٤٥ من العرض الشمالى . وهى أقرب قليلاً إلى أوربة منها إلى افريقية . وقد جاء فى الاسبىكلويدية الافرنسية الكبرى أن جزر آسور كان وصل إليها القرطاجيون . ثم النورمنديون ، ثم العرب . تجد هذا فى الجزء الأول صفحة ٤٣١ . ثم يقول أنهم لم يكتشفوا هذه الجزائر إلا فى القرن الخامس عشر ، حينما وصل إليها البرتغاليون ، وأن هؤلاء بدأوا باستعمارها سنة ١٤٤٤ ، ولم تنكشف جميع هذه الجزائر دفعة واحدة . بل الواحدة بعد الأخرى .

قال وإنه كان قد قصدتها بعد البرتغال قوم من الفلينك ، ثم قال ولما طرد العرب من اسبانية التجأ منهم أناس إلى هذه الجزر ؛ ونشروا فيها المدنية . أما الخالدات ويقال لها كنارى Canaries فهى أقرب إلى افريقية منها إلى أوربة ، وهى ممتدة من الشمال إلى الجنوب بين ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٥ من العرض الشمالى ، وممتدة من الشرق إلى الغرب بين الدرجة ١٥ و ٤٠ و ٢٠ و ٣٠ من العرض الغربى عن باريز ، وليس بين إحدى الخالدات المسماة فورت افنطوره Fortaventura وبين رأس جنوبى من مراكش

الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال ، كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مركباً حتمالاً ، وأدخلوا فيه

غير مائة كيلو متر لا غير وربما كان وصولهم إلى إحدى جزائر الخالدات أرجح ، لانهم من هناك ذهبوا بهم إلى مرسى أسفى (قرب) ما بين الخالدات ومراكش . وبالاختصار الاخوة المغرورون كانوا قد وطأوا البر الاميركي بأرجلهم ، ولكنهم بقلة عددهم ، وقلة الوسائل التي كانت في أيديهم ، لم يتقدموا الى الامام . ويغلب على الظن أن كريستوف كولومبوس لم يكن يجمل قصة المغرورين هذه ، وأنه سمع بنزولهم في إحدى الجزر بعد مسيرة ٢٤ يوماً في الاوقيانوس الاطلانطيكي ، ناحرين الغرب ثم منعطفين إلى الجنوب ، فاستنتج من ذلك أن وجود البر وراء بحر الظلمات أمر لا بد منه ولكن لا بد أيضاً من أن يكون الملججون في هذا البحر العظيم عدداً كبيراً . وتكون معهم جميع الاقوات والأدوات والأسباب اللازمة ، وأن يكونوا سائرين في عدة سفن ، بعضها في اثر بعض . ولذلك بقي كولومبوس مدة طويلة ، يراجع الملك فرديناند والملكة ايزابله حتى أقنعهما بتزويده بكل ماطلبه ، لعلمه أن السفر شاق وطويل ، وأن أمامه أهوالاً . ولذلك كلفت رحلته هذه حتى كشف أميركا مبلغاً قدره بثلاثمائة وستة وثلاثين ألفاً وخمسمائة فرنك افرنسي . وهو مبلغ جسيم بالنسبة إلى ذلك الوقت ، وسار بثلاث سفن كبيرة وكان سفره من جزيرة « شاليس » قبالة « أونية » في غربي أسبانية ، إلى جزر الخالدات ، ومنها بقي يخوض بحر الظلمات ٣٢ يوماً . إلى أن وصل إلى إحدى الجزر وهي التي سماها سان سالقادور . ومن المحقق أن قضية وجود بر وراء بحر الظلمات ، لم تكن تولدت في مخيلة كولومبوس بل هي فكرة قديمة معروفة وكان كولومبوس قد اطلع على كتاب « صورة الأرض » تأليف الكردينال بطرس دالى Pierre D'Ailly مطران كمبراي Combray ، وهو تأليف كتبه هذا المطران سنة ١٤١٠ ، وحشر فيه معلومات كثيرة تتعلق بصورة الأرض ، منها ما نقله عن التوراة ، ومنها ما نقله عن اليونان ، ومنها ما أخذه عن العرب ، كما جاء في الانسيكلويدية الكبرى الافرنسية ، في ترجمة كولومبوس . وقد ورد في هذا الكتاب أن أرسطو وشارحه ابن رشد لم يكونا يعتقدان أنه يوجد بين ساحل إفريقيا الغربي وساحل الهند الشرقي مسافة شاسعة البعد ، فطالعة كولومبوس هذا الكتاب بنوع خاص كانت تحمله على الاعتقاد بالوصول إلى الهند من طريق بحر الظلمات ولا تعاباً برواية الادريسي عن عدة أيام السفر التي رواها عن المغرورين ، فانه إنما روى عن أفواه

من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح ^(١) الشرقية فجروا بها نحواً من ١١ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح كثير التروش ^(٢)

الناس ، ولم يجتمع بالاخوة المذكورين . والأرجح أن سفرهم استمر أكثر مما قال ، لأن كولبوس بقي يلبجج في الجزر الخالدات إلى أول جزيرة وطئها من أميركا مدة ٣٢ يوماً ، وهذا ثابت تاريخياً ، وغاية ما يستفاد من العبرة في قصة المغرورين ، أن العرب حاولوا اختراق بحر المحيط ، والوصول إلى البر الذي يقال له اليوم أميركا .

هذا وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي عند ذكر ملوك مملكة « مالي » في السودان الغربي ما يلي : انه تولى منهم الملك منسى موسى بن أبي بكر ، قال في « العبر » : وكان رجلاً صالحاً ، وملاكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد ، قال في « مسالك الأبحار » : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال ، وقرى وضياع . قال في « مسالك الأبحار » ، قال ابن أمير حاجب : سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذي قلبي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئين من السفن وشحنها بالرجال والازواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تنفذ ازوادهم ، فعابوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم فقال . سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقني . فجهز التي سفينة . الفأ للاولاد ، والفأ للازواد . واستخلفني ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . وكان آخر العهد به وبمن معه قال في « العبر » ، وكان حجه في سنة أربع وعشرين وسبعمائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون . اه ومعناه أن هذا الحادث إن كان وقع فيكون في أول القرن الثامن من الهجرة وقد ورد هذا الخبر في الجزء الخامس من صبح الأعشى فليراجع هناك

(١) هذه اللفظة غير عربية ومعناها هبوب الريح .

(٢) هكذا في الأصل وربما كان المعنى مناسباً لسياق الكلام الذي تقدمه فان فعل

ترش في العربي معناه ساء خلقه

قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ، وجروا في البحر في ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم مالا يأخذه عدو ولا تحصيل ، وهي سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها ، فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها في دار ، فأرأوا رجالا شقراً زعراً شعور رؤوسهم شعورهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب ، فاعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، فسألهم عن حالهم وفي ما جاءوا ، وأين بلدكم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروه به للترجمان بالأمس : من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان خبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهراً ، إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا من غير حاجة ، ولا فائدة تجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يمدم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم ، إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم . وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بليالها ، حتى جيء بنا إلى البر ، فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضحى النهار ، وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال ، من شدة الأكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحننا بأجمعنا

(٧ - ج أول)

فأقبل القوم إلينا ، فوجدونا بتلك الحالة السيئة فحلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا برابري ، فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا : لا . فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم وأسفى ! فسمى المكان إلى اليوم « أسفى » ، وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب ، وقد ذكرناه قبل هذا . ومن مدينة لشبونة Lisbonne^(١) مع النهر إلى مدينة شنترين Santaren^(٢) شرفاً ثمانون ميلاً والطريق بينهما لمن شاء فى النهر أو فى البر ، وبينهما فحوص « بلاطة » ، ويخبر أهل لشبونة وأكثر أهل الغرب أن الخنطة تزرع بهذا الفحص : فتقيم بالأرض أربعين

(١) Lisbonne

(٢) Santaren مستعمرة رومانية كان يقال لها فى زمن قيصر سكالايبس Scallabis فأطلق عليها اسم « ريزيديوم يولوم » وقد تحول اسمها بعد النصرانية إلى سفنا ايرين أى القديسة ايرية وهى قديسة شهيدة عند الاسبانيول . والبلدة تعد مصراع وادى تاجه وكان لها شأن عظيم فى تاريخ البرتغال وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من اللدان ثم استرجعها منهم الاذفونش السادس ملك قشتالة سنة ١٠٩٣ وفى زمن أنى يعقوب يوسف سلطان الموحدين حاول المسلمون استردادها فردهم عنها الدون سانجه Don Sancho وفى هذه البلدة غرق فى النهر البرفس الفونس ابن يوحنا الثانى ملك البرتغال وكان الابن الوحيد لآبيه وكان عروساً وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة فذهب لاستقبال آبيه بمطيا حواده فرحاً لحملته غرارة الشباب على الخوض فى النهر فأخذته النهر وكانت فاجعة عظيمة لا تزال مراثيها عند البرتغال محفوظة إلى اليوم . وقد وقعت هذه المراجعة فى ١٣ يوليو سنة ١٤٩١ هذا وقد سقطت مكانة شنترين اليوم فالآن جميع سكانها عشرة آلاف نسمة وفيها بعض آثار من زمن العرب وأسوار وقصر عربى يقولون له « الكازار » Alcaazr كما يقولون لكل قصر عربى وفيها برج يقال له برج « كباساس » Cabacas كان فى أصله منارة مسجد . قال ياقوت الحموى عن شنترين : كلمتان مركبتان من شنت كلمة ورين كلمة ورين بكسر الراء وياء مشاة من تحت ونون مدينة متصله الأعمال أعمال باجه فى غربى الاندلس ثم غربى قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبايه فى البحر المحيط وهى حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة أربعة أيام وهى الآن للافرنج ملكت فى سنة ٥٤٣ هـ

يوماً فتحصد ، وأن السكيل الواحد منها يعطى مائة كيل ، وربما زاد ونقص .
ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جداً ، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة
ولا سور لها ، وبأسفلها ربح على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن
ماء النهر أيضاً ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ، ومباقل ، وخير شامل . ومن
مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس ^(١) أربع مراحل ، وعلى يمين طريقها مدينة
يلبش ^(٢) ، وهي في سفح جبل ، ولها سور منيع ، ورقعة فرحة ، وبها عمارة وأسواق
وديار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها إلى بطليوس ١٢ ميلاً . ومن ماردة ^(٣)
إلى حصن « كركوى » ^(٤) ثلاث مراحل ، ومن كركوى إلى مدينة « قلعة رباح » ^(٥)
على ضفة نهر يانة . وهذا النهر يأتي من مروج فوقها ، فيمر بقرية يانة ^(٦) إلى قلعة
رباح ، ثم يسير منها إلى حصن « أرندة » ^(٧) ومنه إلى ماردة ، ثم يمر بمدينة بطليوس
فيصير منها إلى مقربة من « شريشة » ^(٨) ، ثم يصير إلى حصن « مارتلة » ^(٩)
فيصب في البحر المظلم .

ومن قاعة رباح ^(١٠) إلى قلعة « ارلية » ^(١١) يومان ، وهو حصن منيع ، ومنه

- (١) Badajoz عاصمة بني الألفس وسيأتي الكلام عليها تفصيلاً
- (٢) بالأسبانيولى Elvas استرجعها ملك ليون من العرب سنة ١١٦٦
- (٣) بالأسبانيولى Merida وهي من قواعد الأندلس مر ذكرها وسيأتي أيضاً
- (٤) Karacuel أو Caraqui
- (٥) Calatrava (٦) Ana (٧) Aranda
- (٨) شريشة الوارذ ذكرها هنا يقال لها عند الأسبانيولى Xeres de Estramadura
وهي غير شريش البلدة المشهورة بقرب اشبيلية التي ينسب اليها الشريشى شارح مقامات
الحريري وسيأتي ذكرها .

(٩) يقول الأسبانيولى لهذا الحصن Martola

(١٠) حرف الأسبانيولى قلعة رباح إلى كالاتراية وسيأتي الكلام عليها .

(١١) عند الأسبانيولى Aralia

إلى طليطلة مرحلة . ومن قلعة رباح في جهة الشمال إلى حصن البلاط ^(١) مرحلتان ومن حصن البلاط إلى مدينة « طلبيرة » ^(٢) يومان . وكذلك من مدينة « قنطرة السيف » ^(٣) إلى المخاضة أربعة أيام ، ومن المخاضة إلى طلبيرة يومان وكذلك من مدينة ماردة إلى حصن مدلين ^(٤) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن عامر أهل ، وفيه خيول ورجال لهم سراياوطرفات في بلاد الروم . ومن حصن مدلين إلى « ترجاله » ^(٥) مرحلتان وهما خفيفتان ، ومدينة ترجاله كبيرة كالحصن المنيع ، ولها أسوار منيعة وبها أسواق عامرة وخیل ورجل يقطعون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم ، والأغاب عليهم اللصوصية والحداع . ومنها إلى حصن « قاصر » ^(٦) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن منيع ومحرم رفيع ، فيه خيل ورجل يغاورون في بلاد الروم . ومن مكناسة إلى مخاضة البلاط يومان . ومن البلاط إلى « طلبيرة » ^(٧) يومان ، ومدينة طلبيرة

Balat (١)

Talavera (٢) وسيأتي الكلام عليها وهي من المدن المدكورة وقد خرج منها رهط من العلماء .

Alcantra (٣) وسيأتي الكلام عليها .

Medellin (٤)

(٥) ترجاله يقول لها الاسبانيول Trugillo قال في دليل بديكر أنها اليوم قرية فيها ١٢٥٠ نسمة وفيها حصن من أيام العرب رعه الفرنسييس في زمن بونابرت لما كانوا في أسبانية

(٦) يقول الأسبانيول لهذه البلدة Cecaes جاء في دليل بديكر أن سكانها ١٦٩٠٠ وأن القسم القديم منها مبني على رابية تحيط به أسوار وأبراج وأبواب وأن القسم الجديد هو في الجانب الأدنى منها ثم أن في القسم الأعلى كنيسة يقال لها د سان ماتيو ، مبنية مكان المسجد الجامع وفيه أيضاً مكان القصر الذي كان في أيام العرب ويوجد في هذه البلدة في شارع الدانه Aldana رقم ١٠ بيت عربي لا يزال محفوظاً على حاله .

(٧) يوجد في الأندلس ثلاث بلاد باسم طلبيرة هذه وقرية إلى الجنوب منها

على ضفة نهر تاجة ، وهي مدينة كبيرة ، وقلعتها أرفع القلاع حصناً ، ومدينتها أشرف البلاد حسناً ، وهو بلد واسع المساحة ، شريف المنافع ، وبه أسواق جميلة الترتيب ، وديار حسنة التركيب ، ولها على نهر تاجة أرحاء كثيرة ، ولها عمل واسع المجال ، وإقليم شريف الحال ، ومزارعها زاكية ، وجهاتها حسنة مرضية ، أزية العارة ، قديمة الآثار ، وهي من مدينة طليطلة على سبعين ميلاً .

ومدينة طليطلة من طلبيرة شرقاً وهي مدينة عظيمة القطر ، كثيرة البشر حصينة الذات ، لها أسوار حسنة ، فيها حصانة ومنعة وهي أزية ، من بناء « العالقة » ^(١) وقليل ما رؤى مثلها اتقاناً ، وشماخة ^(٢) بنيان ، وهي عالية الذرى ، حسنة البقعة ، زاكية الرقعة ، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى « تاجة » لها قنطرة من عجيب البنيان ، وهي قوس واحدة والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جرى ،

يقال لها طلبيرة البقعة Talavera La Vega ويوجد على ضفة وادي يانة بقرب بطليوس قرية يقال لها طلبيرة . وأما المقصود هنا فهي الكبرى ويقال لها طلبيرة رينه De La Reina وهي الآن بلدة صغيرة سكانها عشرة آلاف لكنها واقعة في بقعة جميلة على نهر تاجه ولها جسر مركب من ٣٥ قوساً وفيها باب روماني قديم وفيها أبراج يقال لها « البرآناس » من بناء العرب يعود تاريخها إلى سنة ٩٢٧ مسيحية ولعل اللفظة محرفة عن « البرانية » أي الأبراج البرانية . ومن طلبيرة هذه يذهبون إلى الزهة في شاربات « غريدوس » وإلى وادي اللب Guadalupe . وبالقرب من طلبيرة بلدة قلصادة Colzada وهي بلدة ينسب إليها بعض أهل العلم من العرب

(١) يقول دوزي عند شرح هذه اللفظة أن العرب كانوا يعنون بالعملاق كل عظيم الجثة . فكأنه يريدان يقول أنه لا يجب أن يفهم أن العالقة الساميين الذين هم من بلاد العرب والذين كانت الحروب بينهم وبين اليهود هم الذين بنوا طليطلة وإنما قصدوا بذلك شعباً عظام الجثث وقد جرت العادة عند الناس أنهم كلما رأوا بناء عظيمًا شامخاً نسبوه إلى العالقة أو إلى الجن أو إلى الإسكندر وما أشبه ذلك بما يهولهم من منظره

(٢) المعروف في اللغة شمع يشمخ شمخاً وشموخاً ولم نجد شماخة وربما كانت هذه اللفظة من جملة خطأ النسخ

ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو ٩٠ ذراعاً ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة . ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم ، وموضع قصدهم ، ووجد أهل الاسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة ، فمنها أنه وجد بها ١٧٠ تاجاً من الذهب مرصعة بالدر ، وبأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد بها ألف سيف مجوهر ، ماسكى ، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق . ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة مالا يحيط به تحصيل ، ووجد بها مائدة سليمان بن داود ، وكانت في مايدكر من زمردة وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة .

ومدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار جارية مخترقة ، ودواليب دائرة ، وجنات يانعة ، وفواكه عديمة المثال ، لا يحيط بها تكيف ولا تحصيل ، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، وقلاع منيعة ، تكنفها . وعلى بعد منها في جهة الشمال الجبل العظيم المتصل المعروف بالشاريات ، وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلورية . في آخر المغرب . وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابيون إلى سائر البلاد ، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً ، بل هي في نهاية السمن ، ويضرب بها في ذلك المتل ، في جميع أقطار الأندلس . وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى مغام^(١) ، وجبالها وترابها

(١) عند الأسبانيول Magham وقد ذكر ياقوت هذه البلدة وقال أنه يقال لها أيضاً مغامه ، بالفتح فيهما وقال إنه ينسب إليها أبو عمران يوسف بن يحيى المغامى ومحمد بن عتيق بن فرج بن أبي العباس بن اسحق التجيبى المغامى المقرئ الطليطلى أبو عبد الله لقي أبا عمرو الداني وعليه اعتمد وروى عن أبي الربيع سليمان بن ابراهيم وأبي محمد بن أبي طالب المقرئ وغيرهم وكان عالماً بالقراءة بوجوهها إماماً فيها ذا دين متين وكان مولده لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٤٢٢ ومات باشبيلية في منتصف ذي القعدة سنة ٤٨٥ وحبس كتبه على طلبة العلم الذين بالعدوة وغيرها . قال : وفيها معدن الطين الذي تغسل به الرؤوس ومنها ينقل إلى سائر بلاد المغرب .

الطين المأكول ، الذى ليس على قرارة الارض مثله ، يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراق وبلاد الترك ، وهو نهاية في لذادة الأكل ، وفي تنظيف غسل الشعر^(١) . ولطليطة في جبالها معادن الحديد والنحاس ، ولها من المناير في سفح هذا الجبل مجريط^(٢) ، وهى مدينة صغيرة ، وقلمة منيعة معمورة ، وكان لها في زمن الاسلام مسجد جامع ، وخطبة قائمة ، ولها أيضاً مدينة الفهمين^(٣) ، وكانت مدينة متحضرة ، حسنة الأسواق والمباني ، وبها مسجد جامع ، ومنبر وخطبة ، وهى كلها اليوم مع طليطة في أيدي الروم ، وملكها من القشتالين ، وينتسب إلى الأذفونش الملك وفي الشرق من مدينة طليطة إلى مدينة وادى الحجارة ٥٠ ميلا وهى مرحلتان ومدينة وادى الحجارة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات ، جامعة لاشتات المنافع والغلات ، وهى مدينة ذات أسوار حصينة ، ومياه معينة ، ويجرى منها بجهة غربها نهر صغير ، لها عليه بساتين وكروم ، وجنات وزراعات ، وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير . يتجهز به منها ، ويحمل إلى سائر العمالات والجهات . وهذا النهر يجرى إلى جهة الجنوب ، فيقع في نهر تاجه الأكبر فيمده . ونهر تاجه

(١) الغسل بالكسر ما يغسل به الرأس من خطمى وطين واشنان ونحوه . عن لسان العرب .

(٢) هى التى يقول لها الاسبان مدريد وهى اليوم عاصمة اسبانية ومن أهم مدن أوربة وقد كانت مجريط في زمن الادريسي خرجت من يد الاسلام ومثلها طليطة فلذلك قال أنه كان لمجريط في زمن الاسلام مسجد جامع وخطبة قائمة وسنذكر طليطة تفصيلا وتؤيد ما يجب تأييده من كلام الادريسي عنها ونرد ما هو من قبيل الأساطير مثل قوله : أن طليطة هى من بناء العمالقة

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان : الفهمين كأنه جمع فهمى اسم قبيلة الفهميين بالأندلس من أعمال طليطة انتهى ولم يذكر زيادة على ذلك ونحن نعلم أنه يقال الفهميون لفهم الجرات بطن من لحم وأنه يوجد أيضاً في الأزد بطن اسمهم فهم بن غنم ابن دوس بن عدنان منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرص راجع تاج العروس

المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة ^(١) والفنت ^(٢) فينزل ماراً مع المغرب إلى مدينة طليطلة ^(٣) ، ثم إلى طليطلة ^(٤) ، ثم إلى المخاضة ^(٥) ، ثم إلى القنطرة ^(٦) ثم إلى قنيطرة محمود ^(٧) ثم إلى مدينة شنترين ^(٨) ، ثم إلى لشبونة ^(٩) ، فيصب هناك في البحر . ومن مدينة وادي الحجارة إلى مدينة سالم ^(١٠) شرفاً ٥٠ ميلاً . ومدينة سالم هذه مدينة جليله في وطاء من الأرض ، كبيرة القطر كثيرة العمارات والبساتين والجنان ، ومنها إلى مدينة شنت مارية ابن رزين ^(١١) أربع مراحل خفاف ، ومنها إلى الفنت أربع مراحل . وبين شنت مارية والفنت مرحلتان ، وشنت مارية والفنت مدينتان عامرتان ، هما أسواق فائمه ، وعمارات متصلة دائمة ، وفواكه عامة وكانا في الاسلام منازل القواطم ^(١٢) . ومن مدينة سالم إلى مدينة قلعة

(١) يقول دوزى في ترجمته لكلام الادريسي هنا إن المقصود بهذه القلعة هي قلعة كبريال وهي إلى الشمال الغربي من الفنت ،

(٢) الفنت هذه هي التي يقول لها الاسبانيول « البونت » Alpuente

(٣) Toledo (٤) Talevera De La Reina

(٥) لا نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذا المكان

(٦) هي قنطرة السيف بلدة معروفة ينسب إليها في زمن العرب جماعة من أهل

العلم والاسبان يقولون Alcantra (٧) لم نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذه البادية

(٨) Santaren وهي مدينة مشهورة سيأتي ذكرها

(٩) Lisboa عند البرتغال أو Lisbonne وسيأتي ذكرها

(١٠) Medinaceli عند الاسبانيول بحذف الميم

(١١) عند الاسبانيول Albarrazin

(١٢) غريب جداً ذكر الادريسي هؤلاء « القواطم » بدون التعريف عنهم بشيء .

ولذلك لم يفهم هذه اللفظة أحد من مترجمي كلام الادريسي ومفسريه ونحن أشكل علينا أيضاً فهمها ولم يذهب فكرنا إلى أنها « القواطم » ، بالفاء الموحدة لأنه لم يسمع أن قوماً من الفاطميين سكنوا بتلك الأرض واشتهروا بها واشتهرت بهم وكذلك من العادة أن يقال لهم « الفاطميون » ، أو « الطالبيون » ، أو « الهاشميون » ، ولم نسمع

أيوب^(١) . ٥٠ ميلاً شرقاً ، وهي مدينة رائقة البقعة ، حصينة شديدة المنعة ، بهية الأقطار كثيرة الأشجار والأثمار . وعيونها مخترقة ، وينايعها مغدودقة ، كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، وبها يصنع الغفار المذهب ، ويتجهز به إلى كل الجهات . ومن مدينة قلعة أيوب إلى قلعة دَرَوْقَه^(٢) ١٨ ميلاً . ودروقة مدينة صغيرة متحضرة ، كثيرة العامر

يقوم اسمهم القواطم يسكنون في شمالي الأندلس فبقى علينا أن نعلم ما المراد بالقواطم بالقاف المثناة ، فالعلامة دوزى يظن أنها محرقة عن « القواسم » لأنه كان في الفنت فخذ يقال لهم « بنو قاسم » ولا يزال هذا الاسم Beni Cassim يطلق على مكان بشرقى الفنت إلى اليوم . قال دوزى : فيجوز أن يكون قيل لهم فيما بعد القواسم ، ثم تحرفت القواسم هذه بطول الزمن إلى قواطم . قلنا : أن وجود أناس في تلك البقعة كان يقال لهم بنو قاسم لاشك فيه وقد رأيت في معجم البلدان ذكر مكان في تلك الناحية قال ياقوت عنه أنه من عمل بنى قاسم . ثم إن دوزى نفسه يقول إن بنى قاسم هؤلاء من ذرية عبد الملك بن قطن الفهرى أمير الأندلس المشهور الذى كان قبل بنى أمية فأنا أظن أن القواطم غير محرقة عن القواسم بل محرقة عن القواطن وذلك نسبة إلى عبد الملك بن قطن المذكور فان ذرية هذا الرجل ينبغي أن يقال لهم « القطنيون » فالناس استثقلوا جمع ذرية ابن قطن على القطنيين كما جمعوا بنى فهم على الفهميين لثقل الأولى وخفة الثانية فاختراروا للأولى جمع التكسير وقالوا قواطن يريدون به بنى قطن . ومثل هذا الجمع كثير عند العرب . وأما انقلاب نون قواطن إلى ميم بحيث صارت قواطم فان بين النون والميم تبادلاً كثيراً كما لا يخفى فهذا وجه خطر يبالا عن هذه اللفظة والله أعلم

(١) الاسبانيول يقولون لها « كالاتايود » Galatayud وهي بلدة على وادى شلون جاء في دليل بديكر أنه يشرف على هذه البلدة حصن اسمه قلعة أيوب بنى العرب في القرن الثامن للمسيح وأن أذفونش الأول ملك أراغون انتزع قلعة أيوب سنة ١١١٩ من أيدي العرب . والمشهور أن بانى قلعة أيوب هو أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير . وسنأتى على ذكرها تفصيلاً

(٢) هذه البلدة هي على ٣٥ كيلو متراً من قلعة أيوب ، والاسبان يقولون لها « داروكة » Daroca جاء في دليل بديكر أن هذه البلدة ازدهرت في زمان العرب

غزيرة البساتين والسكروم ، وكل شئ ، بها كثير رخيص . ومن دروقة إلى مدينة سرقسطة ^(١) ٥٠ ميلا . وكذلك من مدينة قلعة أيوب إلى مدينة سرقسطة ٥٠ ميلا ومدينة سرقسطة قاعدة من قواعد مدن الأندلس ، كبيرة القطر ، أهلة ممتدة الأطناب ، واسعة الشوارع والطرافات ، حسنة لديار والمساكن . متصلة الجنات والبساتين ، ولها سور منى من الحجارة حصين . وهى على ضفة النهر الكبير المسمى إيره ^(٢) ، وهو نهر كبير ، يأتي بعضه من بلاد الروم ، وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب ، وبعضه من نواحي قاهرة ^(٣) ، فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيله ^(٤) ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة . إلى أن تنتهى إلى حصن حبره ^(٥) . إلى موقع نهر الزيتون ، ثم إلى طرطوسة فيجتاز نهر بها إلى البحر .

ومدينة سرقسطة هى المدينة البيضاء . وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها ، ومن خواصها أنها لا تدخنها حية البتة . وإن جلدت اليها وأدخت المدينة ماتت وحياتاً بلا تأخير . ولمدينة سرقسطة حسر عظيم يجتاز عليه إلى المدينة ، ولها أسوار منيعة ، ومبان رفيعة ، ومنها إلى وثقة ^(٦) ٤٠ ميلا . ومن وثقة إلى لاردة ^(٧) ٧٠ وكان لها سور طوله ثلاثة كيلومترات وعليه ١١٤ برجاً وكان لدروقة قلعه منبذة على صخر عظيم من ماء العرب وسيأتى ذكرها بأوسع من هذا

(١) Saragosse وهى من قواعد الأندلس الكبار كان العرب يسمونها الغفر الأعلى وسند كر عنها كل ما يلزم عند الوصول إلى مكابها من جغرافية الأندلس

(٢) Ebro وسيأتى الكلام على هذا النهر ومنبعه ومجره .

(٣) Calahorra وهى بلدة قديمة على ضفة نهر سيدا كوس Cidacos اشتهرت

بشدة أهلها فى مقاومة الرومانيين ومنها إلى شوربة ، ٩٩ كيلومتر .

(٤) Tudela (٥) Chibrana

(٦) الاسبانول يقولون لها Huesca وهى مدينة قديمة جدا وكان الرومانيين

يسمونها أوسكة Osea وعمرت فى زمان العرب وبقيت فى أيديهم إلى سنة ١٠٩٦ ثم صارت قاعدة لمملكة أراغون وهى على مسافة ٢٢ كيلومترا من سرقطة وسكانها اليوم ١٣٠٠٠ نسمة وسيأتى ذكرها .

(٧) هذه البلدة هى من عمل كتلونية فيها اليوم ٢٣٠٠٠ نسمة والاسبان يقولون

ميلا . ومدينة لاردة مدينة صغيرة متحضرة . ولها أسوار منيعة ، وهي على نهر كبير ومن مكناسة ^(١) إلى طرطوشة ^(٢) مرحلتان وهما ٥٠ ميلا ، ومدينة طرطوشة مدينة على سفح جبل ، ولها سور حصين ، وبها أسواق وعمارات ، وصناع وفعلة ، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها يكون خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والفاظ ، ومنه تتخذ السوارى والقرى ^(٣) وهذا الخشب الصنوبر الذي بجبال هذه المدينة أحمر صافي البشرة ، دسم لا يتغير سريماً ، ولا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره ، وهو خشب معروف منسوب . ومن طرطوشة إلى موقع النهر في البحر ١٢ ميلا ، ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة ^(٤) ٥٠ ميلا .

ومدينة طركونة على البحر ، وهي مدينة اليهود ، ولها سور رخام ، وبها أبنية حصينة وأبراج منيعة ، ويسكنها قوم قلائل من الروم ، وهي حصينة منيعة ، ومنها

لها ليريدہ Lerida وكان الرومانيون يسمونها ايلرده Herda وهي مدينة قديمة جداً أيضاً وجدت فيها مسكوكات من زمان الايبيريين وعليها رأس ذئب . وفي السنة ٤٩٤ قبل المسيح هزمت فيها جيوش قيصر جيوش أعدائه المنتسبين إلى بومي . وكان اسديلاه العرب عليها سنة ٧١٣ مسيحية واسترجعها الاسبان سنة ١١١٧ وسيأتي ذكرها (١) الاسبان يلفظونها مكيننسة Mequinenza وهي من شارات ساحل كتلونية (٢) عند الاسبان تورتوزه Tortosa وكان الرومان يقولون لها درتوزه Dertosa وقال لها العرب طرطوشة وسيأتي ذكرها بما يليق من التفصيل .

(٣) السوارى جمع سارى وهو الخشبة المعترضة في وسط السفينة ويكون عليه الشراع وهو معروف . وأما القرى فليس في اللغة بهذا المعنى بل القرى جمع قرية وهي البلدة . ولكن يوجد في اللغة القرية ، بتشديد الياء وهي عود الشراع الذي يجعل في عرضه من أعلاه والمعروف أنه يجمع على قرايا . ورد ذلك في تاج العروس وقال الزبيدي : والعامية تقول القرية بالتخفيف أى أن الادريسي جرى في جمعه القرية على القرى بجرى العامة لأنه من بعد تخفيفها صار جمعها على قرى هو الأولى وقد لحظنا أن الادريسي يستعمل كثيرا من الألفاظ العامة ولحظ ذلك دوزى من قبل

(٤) Tarragona والاسبانيون يقولون لها طركونه كالعرب وهي مدينة بحرية

إلى برشلونة ^(١) في الشرق ٦٠ ميلا ، ومن مدينة طر كونة غرباً إلى موقع نهر إبره ٤٠ ميلا ، وهذا الوادي ههنا يتسع سعة كثيرة ، ومن موقع النهر إلى رابطة « كشطالى » ^(٢) غرباً على البحر ١٦ ميلا ، وهى رابطة حسنة ، حصينة منيعة ، على نحر البحر الشامى ، يسكها قوم أخيار ، وبالقرب منها قرية كبيرة وبتصل بها عمارات ومزارع ، ومن رابطة كشطالى غرباً إلى قرية « يانة » Ianna قرب البحر ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « بنشكاه » ^(٣) ٦ أميال ، وهو حصن منيع على ضفة البحر ، وهو عامر أهل ، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة . ومن حصن بنشكاه إلى عقبه « ابيشة » ^(٤) ٧ أميال ، وهو جبل معترض عال على البحر والطريق عليه لاند من السلوك على رأسه ، وهو صعب جداً . ومنه إلى مدينة « بوربانه » ^(٥) غرباً ٢٥ ميلا

سكانها ٢٤ ألفا ، مشرفة على البحر تعلوه إلى حد ١٦٠ مترا وهى مدينة قديمة ايبيرية ولا يزال فيها مسكوكات من ذلك العهد . استولى عليها الرومانيون وحصنوها وجعلوها مرسى شهيراً وصارت مركزاً لهم فى اسانية وأقام بها أغسطس الرومانى سنة ٢٦ قبل المسيح وجعلها قاعدة للمقاطعة المسماة اسانية الطركونية « وفيها ابنية رومانية ومشهد للتمثيل وبعد النصرانية صارت مركز اسقفية ولما جاء القوط سنة ٤٧٥ للمسيح جعلوا عليها سافلها واستولى عليها العرب سنة ٧١٣ واسترجعها الاسانيول بعد ذلك بأربعمائة سنة وصارت تابعة لبرشلونة

(١) Barcelona وهى قاعدة كتلونية وأكبر مدن اسبانية وأوسعها تجارة وأكثرها صناعة وسيأتى ذكرها تفصيلا

(٢) دوزى يعتقد أن هذه الرابطة هى التى يقول لها الاسانيول Castillo De Chiver وهى بقرب قلعة شيفر أو شير

(٣) ويقول لها الاسانيول « بنيسكولا » Penuscola ونسمى جبل طارق بلسانية لأنها فى جزيرة متصلة بالبر بلسان من الرمل وكان هذا الحصن فى يد العرب إلى سنة ١٢٣٣ إذ أخذه منهم جاك الأول ملك أراغون .

(٤) هى بالاسبانيول Abicha

(٥) الاسانيول يقولون لبوريانة Burriano أى بوريانة بالتشديد . وتأمل فى

ما ورد فى دليل بديكر فى كلامه على البلاد التى بين طرطوشة وبلنسية قال : إن

ومدينة بوربانه مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والسكروم ، وهي في مستو من الأرض ، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال . ومن بوربانه إلى « مرباطر » ^(١) وهي قرى عامرة وأشجار ومستغلات ، ومياه متدفقة ، ٦٠ ميلا ، وكل هذه الضياع والأشجار على مقربة من البحر . ومنها إلى « بلنسية » غرباً ١٢ ميلا .

ومدينة بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس ، وهي في مستو من الأرض ، عامرة القطر ، كثيرة التجار والعمار ، وبها أسواق وتجارات ، وحط واقلاع ، وبينها وبين البحر ٣ أميال مع النهر ، وهي على نهر جار ينتفع به ، ويسقى المزارع ، ولها عليه بساتين وجنات ، وعمارات متصلة . ومن مدينة بلنسية إلى مدينة سرقسطة ٩ مراحل على « كتندة » ^(٢) وبين بلنسية وكتندة ٣ أيام ، ومن كتندة إلى « حصن الرياحين » مرحلتان ، وهو حصن كثير الخلق عامر بذاته . ومن حصن الرياحين إلى « القنت » ^(٣) يومان ، ومن مدينة بلنسية إلى جزيرة « شقر » ^(٤) ١٨ ميلا ، وهي على نهر شقر

فسطلون البلاتة Castellon De La Plana هي مدينة زاهرة سكانها ٢٨ ألف نسمة وهي مركز تجارة للبرتقال ولها فرضة على البحر اسمها « غراو » والقطار الحديدي يمر منها في مكان اسمه المجر Migares على جسر ثلاثة عشر قوساً ركب فوق قناة قسطلون المشتقة من النهر . وهذه التحفة البديعة من بدائع هندسة العرب تسقى تلك الأراضي منذ ستمائة سنة ثم تفيض من هناك إلى مدينة فيلاربال Villarreal وهي مدينة سكانها ١٦ ألفاً ويوجد فيها بساتين البرتقال وبينها بعض أشجار النخل والنساء تحمل هناك أباريق غربية ترجع إلى عهد قديم ، ثم إن مياه المجر هذا لا تزال تتوزع على الأراضي إلى بوربانه التي هي أيضاً من الأماكن المشهورة بالبرتقال .

(١) Murbiter أو Merviedero

(٢) الاسبانول يقولون Ceutenda

(٣) Alicante » »

(٤) Rio Jucar » أي نهر شقر وعليه بلدة اسمها الصيرة

وجزيرة شقر المذكورة حسنة البقاع ، كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار ، وبها ناس وجلة ، وهي على قارعة الطريق الشارع إلى مرسية . ومن جزيرة شقر إلى « شاطبة »^(١) ١٢ ميلا . ومدينة شاطبة مدينة حسنة ، ولها قصاب ، يضرب بها المثل في الحسن والمنعة ويعمل بها من السكاغدا ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، ويعم المشارق والمغرب ومن شاطبة إلى « دانية »^(٢) ٢٥ ميلا ، وكذلك من شاطبة إلى بلنسية ٣٢ ميلا ، وكذلك من بلنسية إلى مدينة دانية ، على البحر مع الجون ٦٥ ميلا ومن بلنسية إلى حصن « قلييرة »^(٣) ٢٥ ميلا ، وحصن قلييرة قد أهدق البحر به ، وهو حصن منيع ، على موقع نهر شقر ، ومنه إلى مدينة دانية ٤٠ ميلا ومدينه دانية على البحر عامرة حسنة ، لها ر بص عامر ، وعابها سور حصين ، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر ، قد بنى بهندسة وحكمة ، ولها قسبة منيعة جداً ، وهي على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم ، وهي مدينة تسافر اليها السفن ، وبها إنشاء أكثرها ، لأنها دار انشاء السفن ، ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ، ومنها يخرج الاسطاول للغزو ، وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير يظهر من أعلاه جبال « يابسة »^(٤) في البحر ، ويسمى هذا الجبل جبل قاعون^(٥)

والعرب يسمونها جزيرة شقر والصيرة وهي تحريف الجزيرة

(١) الاسبانيول يقولون لها Jatiba ويقلبون الجيم خاء على عادتهم

(٢) Denia ولا بد من لفظ الألف بالاماله حتى يفهم الاسبانيولي أن المراد

هو هذه البلدة . ومن المعلوم أن عرب الأندلس كان أكثر لفظهم بالاماله . ولما كنت في الأندلس أردت الذهاب من القنت إلى دانية فلفظت هذه بغير اماله لأجل قطع تذكرة السفر فلم يفهموا منى في بادى الأمر .

(٣) دوزى يقول انه « كوليره ، Cullera

(٤) يابسة هي جزيرة Ibiza أعلى قمة فيها تعلو ٤٧٥ متراً

(٥) Càoun

ومن مدينة شاطبة إلى بكيران غرباً ٤٠ ميلا ، وحصن « بكيران » ^(١) حصن منيع عامر كالمدينة ، وله سوق مشهوده ، وحوله عمارات متصلة ، تصنع به ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية ، ويعمر الثوب منها سنين كثيرة ، وهى من أبداع الثياب عتاقة ورقة ، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض . ومن بكيران إلى دانية ٤٠ ميلا . ومن حصن بكيران إلى مدينة « الش » ٤٠ ميلا . ومدينة الش ^(٢) مدينة فى مستو من الأرض ، ويشقها خليج يأتى إليها من نهرها ، يدخل المدينة من تحت السور ، فيتصرفون فيه ، ويجرى فى حمامها ، ويشق أسواقها وطرقاتها ، وهو نهر مليح سبخى ، وشرب أهل المدينة من الخوابى ، يجلب إليها من خارجها ، ومياهها المشروبة من مياه السماء . ومن مدينة الش إلى مدينة « وريواله » ^(٣) ٢٨ ميلا ، ومدينة أوريولة على ضفة النهر الأبيض هو نهرها ونهر مرسية ، وسورها من ناحية الغرب على جريته ، ولها قنطرة على قوارب ، يدخل إليها منها ، ولها قسبة فى نهاية من الامتناع ، على قنة جبل ، ولها بساتين وجنات ، ورياضات دانية ، وبها من الفواكه ما لا تحصيل له ، وبها رخاء شامل ، وبها أسواق وضياع . وبين أوريولة والبحر ٢٠ ميلا . وبين أوريولة ومدينة مرسية ١٢٠ ميلا ، ومن مدينة أوريولة إلى « قرطاجنة » ٤٥ ميلا .

ومن مدينة دانية المتقدم ذكرها على الساحل إلى مدينة « لقنت » ^(٤) غرباً

(١) حصن بكيران هو فى جنوبى شاطبة والاسبانيول يكتبونه Bocayrant

(٢) Elehe وهى ذات النخل وسيأتى الكلام عنها . وأظن بنى الالشي فى

دمشق أصلهم منها

(٣) هى بالاسبانيولى أوريواله Orihuela والعرب يقولون لها اريوله وربما

يضعون الواو بعد الألف ولكن وردت فى جغرافية الادريسي وغيره بزيادة ألف

بعد الواو أى اريواله وتكررت على هذا الشكل ويقال لهذه البلدة تدمير باسم الأمير

الذى كان فيها يوم أخذها منه العرب صلحا

(٤) الاسبانيول يقولون آليكنت Alicante والعرب يقولون القنت بالألف

على البحر ٧٠ ميلا . ولقنت مدينة صغيرة عامرة ، وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر . وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب ولها قصبة منيعة عالية جداً في أعلى جبل ^(١) ، يصعد اليه بمشقة وتعب ، وهي أيضاً مع صفرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق . وبالقرب من هذه المدينة ، وبالقرب منها ، جزيرة تسمى « ابلناصة » ^(٢) وهي على ميل من البر ، وهي مرسى حسن ، وهي مكن لمراكب العدو ، وهي تقابل « طرف الناظور » ^(٣) ، ومن طرف الناظور إلى مدينة القنت ١٠ اميال ، ومن مدينة القنت في البر إلى مدينة الش مرحلة خفيفة ، ومن مدينة القنت إلى « حلق بالش » ^(٤) ٥٧ ميلا وبالش مع مراسى افواه أودية تدخلها المراكب ومن بالش إلى جزيرة الفيران ^(٥) ميل . وبين هذه الجزيرة والبر ميل ونصف ، ومنها إلى طرف « القيطال » ^(٦) ١٢ ميلا ، ومنه إلى « برتمان » ^(٧) الكبير ، وهو مرسى ، ٣٠ ميلا ، ومنه إلى مدينة « قرطاجنة » ^(٨) ١٢ ميلا . ومدينة قرطاجنة ، وهي فرضة مدينة مرسية .

واللام وأحيانا لقنت بلام دون ألف وجميع هذه المدن سيأتي الكلام عليها في مواضعها (١) الاسبانيول يقولون لهذه القصبة التي بأعلى الجبل حصن « سانتا برباره ،

Castillo De Santa Barbara

(٢) هنا خطأ في النسخ ولا يوجد ابلناصه وإنما الجزيرة اسمها بلانة وهي في

جنوبي القنت .

(٣) طرف الناظور هو سانتا بولو Santa Polo

(٤) بالش هي Bèlich ومرساها يقول له الاسبانيول Mar Menor

(٥) اسم هذه الجزيرة عند الاسبان Isla Grosa

(٦) القيطال Cap De Palos

(٧) برتمان الكبير هو عند الاسبان Puerto Pormann وكان يقال له أيام

الرومان Pertus Magnus

(٨) أحسن مرسى في أسبانية وسيأتي ذكرها

وهي مدينة قديمة أزلية ، لها مرسى ترسى بها المراكب الكبار والصغار ، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ، ولها إقليم يسمى « الفندون »^(١) وقليل ما يوجد مثاله في طيب الأرض ، وجودة نمو الزرع فيه ، ويحكى أن الزرع فيه يثمر بسقى مرة واحدة ، واليه المنتهى في الجودة .

ومن مدينة قرطاجنة على الساحل إلى «شجانة»^(٢) ٢٤ ميلا ، وهو مرسى حسن وعليه بقربه قرية ، ومنه إلى حصن « آقلة »^(٣) ١٢ ميلا ، وهو حصن صغير على البحر ، وهو فرضة « لورقة » ، وبينهما في البر ٢٥ ميلا . ومن حصن آقلة إلى وادي « بيرة »^(٤) في قعر الجون ٤٢ ميلا . وعلى مصب النهر جبل كبير وعليه حصن بيعة

(١) يظن دوزى أنه واقع تحريف لم يظهر معه أصل الكلمة

(٢) Chadjena

(٣) جاء في دليل بديكر عند ذكر مدينة لورقة قال أن سكانها ٣٠ ألف نسمة وكانت تسمى إلوكر و Iluero في زمن الرومانيين فقال العرب لها لورقة وهي مبنية إلى الشمال الغربي من شارات كانو ، ويشقها وادي « الأنطين » والبلدة القديمة لاتزال شوارعها ضيقة وهي تذهب صعدا فوق الصخور إلى أن تتصل بحصن عربي لا يزال مائلا وفيها كنيسة اسمها سفتامارية مبنية في المكان الذي خيم فيه الأذفونش الملقب بالحكيم قبل أن أخرج هذه البلدة من أيدي العرب سنة ١٢٣٤ وإلى الشمال شارات كانو والخط الحديدي يمر في مكان يقال له « نوغلت Nogalte كان ميداناً للوقائع الشداد بين عرب غرناطة والمسيحيين وهناك على البحر مرسى آكيلاس اه فهذه هي آقلة التي يشير إليها الادريسي

(٤) Vera جاء في كتاب « صفة مملكة غرناطة » المنقول عن « معيار الاختبار »

لابن الخطيب مايلي عن بيرة هذه وضبطها بفتح فسكون : « بلدة صافية الجور حبية الدو يسرح فيها البعير ويجم بها الشعير ويقصدها من مرسية واحوازاها العير فسا كنها بين تجر وابتغاء أجر ، وواديها نيلي الفيوض والمدود ، مصرى التخوم والحدود ، إن بلغ إلى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود ، إلا أنها قليلة المطر ، مقبحة

المطلّ على البحر ، ومن الوادى إلى الجزيرة المسماة « قرْبُنيرة »^(١) ١٢ ميلا ، ثم إلى « الرصيف » ستة أميال ، ثم إلى « الشامة البيضاء » ثمانية أيام ، ثم إلى طرف « قابطة »^(٢) ابن أسود « ستة أميال . ومن طرف القابطة إلى المرية ١٢ ميلا . ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر ٤٠ ميلا .

ومدينة مرسية فاعدة أرض تدمير . وهى فى مستو من الأرض ، على النهر الأبيض ، ولها ربح عامر أهل ، وعاليها وعلى ربحها أسوار حصينة ، وحظائر متقنة والماء يشق ربحها ، وهى على ضفة النهر المعروف ، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب . ولها أرحاء طاحنة فى المراكب ، مثل طواحن سرقسطة . التى هى تركب فى مراكب تنتقل من موضع إلى موضع ، وبها من البساتين والأشجار والعمارات مالا يوجد بتحصيل ، ولها كروم ، وبها شجر التين كثير ، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال . ومن مدينة مرسية إلى مدينة بلنسية خمس مراحل ، ومن مرسية إلى المرية على الساحل ٥ مراحل ، ومن مرسية إلى قرطبة عشر مراحل ، ومن مرسية إلى حصن شقورة^(٣) ، ٤ مراحل ، ومن مرسية إلى « جنجاله »^(٤) ٥٠ على الخطر ، مثلومة الأعراض والأسوار ، مطعة لداعى الوار ، خليفة الحسن المغلوب ، معلقة بالماء المجلوب ، آخذة بكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشورور ، وذهل أهلها فى الصلاه شائع فى الجمهور ، وسوء ملكة الأسرى من الذائع بها والمشهور .

(١) Carbonera (٢) Cap De Gata

(٣) النهر الذى تشرب منه مرسية كان يقال له فى القديم تادر Tader والاسبانيول يقولون له سيفغوره Segura والعرب يقولون له شقورة وسيأتى الكلام على شقورة وغيرها تفصيلا والادريسي يسميه بالنهر الأبيض ودوزى يقول إن Guadalaviar الذى يمر ببلنسية هو النهر الأبيض وكذلك جاء فى دليل بديكر ولكن تعريب Guadalaviar هو وادى الايار .

(٤) يقول الاسبانيول لهذه البلدة شنشيلة Chinchilla وهى على ٢٩٨ كيلومتراً من مجريط وفيها يتلاقى خطان حديدان خط مرسية وخط قرطاجنة وهى مبنية على

ميلا . ومدينة جنجالة متوسطة القدر ، حصينة القلعة ، منيعة الرقعة ، ولها بساتين وأشجار وعليها حصن حسن ، ويعمل بها من وطاء الصوف مالا يمكن صنعه في غيرها باتقان الماء والهواء ، ولنساتها جمال فائق وحصافة .

ومن جنجالة « إلى » كونكة « يومان ، وهي مدينة أزية صغيرة ، على منقع ماء مصنوع قصداً ، ولها سور ، وليس لها ربح ، ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة . ومن كونكة إلى قلصة ^(١) ثلاثة مراحل شرقاً ، وقلصة حصن منيع يتصل به أجبل كثيرة ، بها شجر الصنوبر الكثير ويقطع بها الخشب ويلقى في الماء ، ويحمل إلى دانية وإلى بلنسية في البحر ، وذلك أنها تسير في النهر من قاصة إلى جزيرة شقر ، ومن جزيرة شقر إلى حصن « قالبيره » وتفرغ هناك على البحر ، فتملاً منها المراكب ، وتحمل إلى دانية ، فتنشأ منها السفن الكبار ، والمراكب الصغار ، ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عريضاً ، فيصرف في الأبنية والديار . ولا تزال عادة ارسال الخشب في النهر إلى جزيرة شقر إلى قلييرة النخ إلى

راية عليها حصن وفي جوانبها كهوف يسكن فيها الناس ومنها يمتد الخط الحديدي إلى بلدة يقال لها « ألبره » على نحو ٤ كيلومترا من جنجالة ثم إلى محل يقال له عند الاسبانيول ألمصا Almansa ولا شك أنه محرف عن المصنع جاء في دليل بديكر أن هناك خزاناً بناه العرب طوله ألفا متر وعرضه ألفا متر وعمقه ثمانون متراً وهو منى على واد بين جانبيه سد وهناك حصن عربي مبني على حجر أبيض مشرف على السهل . قلت ولقد مررت على جنجالة والمصنع في طريقى إلى مرسية وأنا بالقطار وشاهدت هذا الخزان في أثناء المسير . وقد ضبطت يا قوت الحموى اسم شنشالة بالناء فقال شنشجاله وبخط الأشتوى شنتجيل بالياء . وسيأتى ذكرها في موضعه

(١) الخط الحديدي من مرسية يمر على قرية اسمها « غرنجة » ثم على « قلصة » ويقول لها الاسبانيول كاللوزه Callosa وهي بلدة صغيرة منظرها لا يزال عرياً مبنية بجذاه جندل كبير وفيها بيوت كثيرة منحوتة في الجندل وحولها برتقال ونخل . ولم يعرف دوزى قلصه هذه فوضع عليها علامة وقال إن أحرفها غير بينة وكتبها

هكذا : Calaca

يوماً هذا . ومن قلصة إلى شنت مارية ثلاث مراحل ، وكذلك من قلصة إلى « الفنت » أيضاً مثل ذلك ، ومن « قونكة » ^(١) إلى « وبذى » ^(٢) ثلاث مراحل و « وبذى » و « اقليش » ^(٣) مدينتان متوسطتان ، ولها أقاليم ومزارع عامرة ، وبين وبذى واقليش ١٨ ميلا ، ومن اقليش الى شقورة ٣ مراحل و شقورة حصن كالمدينة ، عامر بأهله ، وهو في رأس جبل عظيم متصل ، منبع الجهة ، حسن البنية ، ويخرج من أسفله نهران ، أحدهما نهر قرطبه ، المسمى بالنهر الكبير ، والثاني هو النهر الأبيض الذى يمر بمرسية ، وذلك أن النهر الذى يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ، ظاهر في نفس الجبل ، ثم يفوس تحت الجبل ، ويخرج من مكان في أسفل الجبل ، فيتصل جريه غربا إلى جبل « نجدة » ^(٤) ، إلى « غادرة » ^(٥) ، إلى قرب مدينة « أبدة » ^(٦) ، إلى أسفل مدينة « بياسة » ^(٧) ، إلى حصن « اندوجر » ^(٨) ، إلى « القصير » ^(٩) ، إلى « قنطرة اشتشان » ^(١٠) ،

(١) يأتي المسافر من مجريط قاصدا إلى ساحل البحر عن طريق جنجاله فيمر ببلدة يقال لها « غيتاف » Getafe على ١٤ كيلو متراً من مجريط وبعد ذلك يمر ببلدة يقال لها « بنتو » Pinto ثم ببلدة يقال لها بلدمورو Valdemoro - ومن المعلوم أن المورو عند الأسبان هو المسلم - ثم إن الخط الحديدى يمر ببقعة مربعة مسقية يقال لها بقعة جرامة Jarama ومن هذه البقعة يصل المسافر إلى نهر تاجه وهناك بلدة يقال لها « أرنجويس » Arenjuez على مسافة ٥٠ كيلو متراً من مجريط ومنها يصل إلى مدينة قونكة وهي بلدة قديمة جداً كانت من مراكز العرب استرجعها من أيديهم الأذفونش الثامن سنة ١١٧٧ بعد حصار طويل وهي الآن قسبان المدينة القديمة والمدينة الجديدة وعدد سكانها ١٢ ألفاً والقديمة مبنية على صخور شامخة

(٢) هي Huete (٣) اقليش هي Ucles

(٤) Nadjda (٥) Gadira (٦) Ubeda (٧) Baeza

(٨) Andojar (٩) Al - Kosair (١٠) Pont D'échtechàn

إلى قرطبة إلى حصن « المدور »^(١) إلى حصن « الجُرف »^(٢) إلى حصن « لورة »^(٣) إلى حصن « القليعة »^(٤) إلى حصن « قطنيانة »^(٥) إلى « الزرّادة »^(٦) إلى اشبيلية ، إلى « قبّطال »^(٧) إلى « قبّطور »^(٨) ، إلى « طبرشانة »^(٩) ، إلى « المساجد »^(١٠) ، إلى قادس ، ثم إلى بحر الظلمات .

وأما النهر الأبيض الذي هو نهر مرسية فانه يخرج من أصل الجبل ، ويحكى أن أصلهما واحد ، أعنى نهر قرطبة ونهر مرسية . ثم يمر نهر مرسية في عين الجنوب إلى حصن « افرد »^(١١) ، ثم إلى حصن « موله »^(١٢) ، ثم إلى مرسية ، ثم إلى أور يواله إلى المدور ، إلى البحر ، ومن شقورة إلى مدينة « سرتة »^(١٣) مرحلتان كبيرتان ، وهي مدينة متوسطة القدر ، حسنة البقعة ، كثيرة الخصب ، وبالتقربة منها حصن . . .^(١٤) ، ومن حصن . . . إلى طليطلة مرحلتان . ومن أراد من مرسية إلى المريّة سار من مرسية إلى قنطرة « اشكابة »^(١٥) إلى حصن « لبرالة »^(١٦) إلى حصن « الحمة »^(١٧) إلى مدينة « لورقة »^(١٨) ، وهي مدينة غراء حصينة ، على ظهر جبل

- (١) Almodovar (٢) Aljorf (٣) Lora (٤) Alcoléa
 (٥) Cantillana (٦) Az - Zarrada (٧) Cabtal
 (٨) Cabtor (٩) Trébugena (١٠) يقول الاسبانيول
 للمساجد سان لوكار San - Locar ويقال ان أصلها Solus Lucos (١١) Ferez
 (١٢) Mula (١٣) يقول لها الاسبانيول Almonacid De Zorita
 (١٤) موضوع في الأصل بعد لفظة حصن ثلاث نقط . ثم موضوع جملة « ومن
 حصن ، وبعدها أيضاً ثلاث نقط . وبعدها جملة « الى طليطلة ، وهذا في النسخة
 المطبوعة في ليدن المترجمة الى الافرنسية بقلم دوزي وفي الحاشية مذكور انه « حصن
 قنة ، أو دقنة ، أو دقيه ، اشارة الى ان اللفظة غير محققة . ثم ان دوزي يقول بعد
 هذا ان هذا البلد هو الذي يقال له Hita Calatrava
 (١٥) قنطرة اشكابة هي Cantarilla
 (١٦) Lebrilla
 (١٧) الحمة يقول لها الاسبانيول Alhama وفي الاندلس ححات متعددة
 (١٨) تقدم ذكرها وسيأتي مرة أخرى

ولها أسواق وربض في أسفل المدينة ، وعلى الربض سور ، وفي الربض السوق ،
والرهادرة ^(١) ، وسوق العطر ، وبها معادن تربة صفراء ، ومعادن مغرة ، تحمل
إلى كثير من الأقطار . ومن حصن لورقة إلى مرسية ٤٠ ميلا ، ثم من لورقة إلى
« آبار الرتبة » ^(٢) إلى « حصن يبرة » ^(٣) مرحلة ، وهذا الحصن حصن منيع ،
على حافة مطاة على البحر . ومن هذا الحصن إلى « عقبة شقر » ^(٤) ، وهي عقبة
صعبة المرقى ، لا يقدر أحد على جوازها راكباً ، وإنما يأخذها الركبان رجالة ، ومن
العقبة إلى « الرابطة » ^(٥) مرحلة ، وليس هناك حصن ولا قرية ، وإنما بها قصر
به قوم حراس للطريق ، ومن هذه الرابطة إلى المرية مرحلة خفيفة

ومدينة المرية كانت في أيام المسم ^(٦) مدينة الاسلام ، وكان بها من كل الصناعات
كل غريبة ، وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ٨٠٠ طراز ، يعمل بها الخلال
والديباج والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني ، والستور المكثلة والثياب المعينة ،
والخمر والعتابي ، والمعاجر ، وصنوف أنواع الحرير ، وكانت المرية قبل الآن يصنع بها
من صنوف الآلات النحاس والحديد ، إلى سائر الصناعات ، ما لا يحمد ولا يكثيف ،
وكان بها من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص ، وهذا الوادي المنسوب إلى
بجانة Bichena بينه وبين المرية ٤ أميال ، وحوله جنات وساتين وأرجاء ، وجميع
نعمها وفواكهها تجلب إلى المرية ، وكانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من

(١) لم يظهر لنا معنى هذه اللفظة واضنها من تحريف النساخ

(٢) Ar-Rataba . ومن يقرأ « الرتبة » ، يظنها لأول وهلة بالضم فالتسكون أى

المنزلة والحال انها محركة بفتح الأول والثاني والثالث فالرتبة هي الخلال الذي بين الأصابع

(٣) هي التي تقدم ذكرها وتلفظ بفتح أولها وهي غير البيرة المشهورة التي منها

مدينة غرناطة

(٤) Mujacar (٥) Arrabita

(٦) أى أيام دولة المرابطين يوسف بن تاشفين ورهطه

الاسكندرية والشام كله ، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا . ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً .
 والمرية في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبته المشهورة بالحصانة . والجبل الثاني منهما فيه رِبَضُها ويسمى جبل « لاهم » Lahem والسور يحيط بالمدينة وبالربض . ولها أبواب عدة ولها من الجانب الغربي ربض كبير عامر يسمى ربض الحوض ، وهو ربض له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات . والمدينة في ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات ، والمسافرون إليها كثيرون وكان أهلها مياسير ، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقداً ، ولا أوسع منهم أحوالاً . وعدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التعيين الف فندق ، إلا ثلاثين فندقاً ، وكان بها من الطرز أعداد كثيرة ، قدمنا ذكرها . وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة ، وأحجار صلبة مضرسة ، لا تراب بها ، كأنما غرّبت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر ، والمرية في هذا الوقت الذي ألفنا كتابنا فيه ، صارت ملكاً بأيدي الروم ، وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها . وخرّبوا ديارها ، وهدموا مشيد بانياتها ، ولم يبقوا على شيء ^(١) منها . والمرية منابر

(١) ان الشريف ابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الجودى الحسنى المعروف بالشريف الادريسي ولد سنة ٤٩٣ للهجرة وفق ١١٠٠ للميلاد وكانت ولادته في سبته وقد توفي سنة ٥٦٠ للهجرة وفق ١١٦٦ للميلاد وقد حصل العلم في قرطبة ولذلك قيل له القرطبي ولما اتصل بخدمة دجار الثاني ملك صقلية قيل له الصقيلي وقد صنع لذلك المذكور قبل وفاته بقليل صورة للارض كانت اكمل ما عرف لذلك العهد وكرة أرضية من فضة وألف كتابه هذا نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وقد اكمل تأليفه قبل سنة ٥٤٨ . وأما استيلاء العدو على مدينة المرية فقد كان يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ أى قبل تأليف كتاب الادريسي هذا بست سنوات واستشهد في وقعة الاستيلاء عليها الامام الرشاطى المحدث الكبير صاحب كتاب « اقتباس الأنوار والناس الأزهار في نسب الصحابة ورواة الآثار » وهو أبو محمد

منها مدينة برجة^(١) ودلاية^(٢) . وبين المرية وبرجة مرحلة كبيرة . وبين برجة ودلاية نحو من ٨ أميال . وبرجة أكبر من دلاية ، ولها أسواق وصناعات وحروث ومزارع . ومن المرية لمن أراد مائة طريقان ، طريق في البر وهو تحليق^(٣) وهو ٧ أيام والطريق الآخر في البحر وهو ١٨٠ ميلا . وذلك أنك تخرج من المرية إلى قرية البجانس^(٤) على البحر ستة أميال ، ومن قرية البجانس يمر الطريق في البر إلى برجة ودلاية . ومن قرية البجانس إلى آخر الجون ، وعليه برج مبنى بالحجارة ،

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن احمد بن عمر اللخمي الرشايطي المري جاء في نفع الطيب أنه بعد أخذ النصارى مدينة المرية هذه المرة رجعت إلى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت في أيدي الاسلام سنين . وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقلوه ودموا على أنفسهم الرميمي فأخذها النصارى منه عنوة وأحصى عدد من سبي من أبكارها فكان ١٤ ألفاً . قال في النفع : ولما أخذت المرية أقبل إليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصر النصارى بها وزحف إليها أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الأندلس محاربا لها فكانا يقانلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا . ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهما مع كونهما يقانلان النصارى فارتحل فقال النصارى ما ارتحل ابن مردنيش إلا وقد جاءهم مدد فاصطالحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت إلى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس احمد بن كمال واشتهر من ولاتها في مدة نبي عبد المؤمن في المائة السابعة الأمير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك إفريقية أبي زكريا ثم استبد بأمر المرية أحد نبي الرميمي الذين أخذ النصارى البلدة من جدهم ثم آلت إلى بني الأحمر أصحاب غرناطة . ثم ذهبت فيما ذهب من ملكهم عند ما انطوى بساط الأندلس والله غالب على أمره انتهى ملخصاً وسأني على هذه الوقائع بتفصيل عند ما نصل إلى التاريخ إن شاء الله .

(١) Berja (٢) Dalias عند الاسانيول . وسيأتي ذكر برجة ودلاية .

(٣) لعله يريد الارتفاع والدوران لأنه طريق في الجبال .

(٤) لم نهتد إلى معرفة هذه القرية ولا اهتدى دوزي

مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو في البحر^(١) ، ستة أميال ، ومن هذا الطرف إلى مرسى البيرة ٣٢ ميلا ، ومنه إلى قرية « عذرة »^(٢) على البحر ١٢ ميلا . وقرية عذرة مدينة صغيرة لا سوق لها ، وبها الحمام والفندق ، وبها بشر كثير ، وبغربها ينزل نهر كبير ، منبعه من جبل شاير ، ويجتمع بمياه برجه وغيرها فيصب عند عذرة في البحر ، ومن عذرة إلى قرية « بليسانة »^(٣) ٢٠ ميلا ، وهي قرية أهلة على شاطئ البحر ، ومنها إلى « مرسى الفروج »^(٤) ، ١٢ ميلا ، وهو مرسى كالحوط صغير . ومنه إلى قرية « بطرنة »^(٥) ٦ أميال ، وبها معدن التوتية

(١) عند ما ذهبنا من مالقة إلى الجزيرة الخضراء بالسيارة الكهربائية على شاطئ البحر لم نكن نجتاز أكثر من خمسمائة متر حتى نرى برجاً مخروطي الشكل على أكمة مشرفة على البحر أشبه بمنارة مسجد . فهذه الأبراج كانت في القديم توقد في رؤوسها النيران إذا طرق العدو البلاد وكانت تقابلها أبراج في الداخل فتى شاهد الناس النيران خفوا إلى محل الواقعة . وأما البرج الذي يذكره الإدريسي هنا فيقول له الإسبانيول

Puerta elema

(٢) هذه القرية هي المرسى الذي ركب منه أبو عبد الله محمد بن الأحمر آخر ملوك المسلمين في الأندلس قاصداً إلى المغرب فرسى به السفين بمرسى مليلة وهذا حسبما جاء في كتاب « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » الذي لم يذكر اسم مؤلفه وقد عثرنا على نسخة منه مطبوعة بمدينة مينيخ الألمانية سنة ١٨٦٣ مع ترجمة ألمانية وحواش للمستشرق الألماني « مارك يوس مولر » وطبعناه مضافاً إلى الطبعة الثانية من كتابنا مختصر تاريخ الأندلس تذييلاً على ترجمتنا « لآخر بني سراج » وقد طبع كتابنا هذا أول مرة سنة ١٣١٥ وثاني مرة سنة ١٣٤٣ وسنأثر عنه وعن « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » عند الوصول إلى القسم التاريخي من « الحلل السندسية » لا سيما أن مؤلف هذا الكتاب قد ألفه سنة ٩٤٧ أي قبل تأليف نفع الطيب بنحو من ٩٣ سنة وكان حياً في أثناء الكائنة الأندلسية على أثر سقوط غرناطة واحتضار حشاشة الإسلام في الأندلس كما يظهر من تاريخ كتابه . والإسبانيول يقولون لهذه

القرية Adra

(٣) هي عند الإسبانيول Torre De Mélicena

(٤) هو المسمى Castillo De Ferro (٥) هي Paterna عند الأسبان

التي فاقت جميع معادن التوتية طيباً ، ومنها إلى قرية « شلبونة » ^(١) ١٢ ميلا ، ومن شلبونة إلى مدينة المنكب في البحر ٨ أميال . « والمنكب » ^(٢) مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك ، وبها فواكه جمّة ، وفي وسطها بناء مربع قائم كالصنم أسفله واسع ، وأعلاه ضيق ، وبه حفيران من جانبيه متصلان من أسفله إلى أعلاه وبأزائه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نهر ميل ، على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد فيصب ماؤه في ذلك الحوض ، ويذكر أهل المعرفة من أهل المنكب أن ذلك الماء كان يصعد إلى أعلى المنار ، وينزل من الناحية الأخرى ، فيجرى هناك إلى رحي صغيرة . كانت ، وتبقى موضعه الآن على جبل مطل على البحر . ولا يعلم أحد ما المراد بذلك ؟

ومن مدينة المنكب في البر إلى مدينة أغرناطة ٤٠ ميلا ، ومن المنكب على البحر إلى قرية « شاط » ^(٣) ١٢ ميلا ، وقرية شاط زبيب حسن الصفة ، كبير المقدار أحمر اللون ، يصحب طعمه مرارة ، ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية . وهو منسوب إلى هذه القرية . ومن قرية شاط إلى قرية « طرش » ^(٤) على ضفة البحر

(١) هي عند الاسبان Salobrena والعرب تقول لها في الغالب « شلوبانية » ونظرا للامالة في لهجة الأندلس فقد يقولون « شلوبينية » وهكذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان . وأما لسان الدين بن الخطيب فكتبها بالألف لا بالياء وسنذكر وصفه لها وقال ياقوت : هي من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحر كثيرة الموز وقصب السكر والشاه بلوط . قال : ينسب إليها أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي النحوي إمام عظيم مقيم باشيلية وهو حي أو مات عن قريب أخبرني خبره أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المرسي يعرف بأبي المصل وكان من تلاميذه . اهـ . قلت هو أبو علي الشلوبيني النحوي المشهور وكان يقال له أبو علي الشلوبين وقد مات ياقوت الحموي وهو حي بل أبو علي الشلوبين عاش بعد ياقوت ١٩ سنة لأن ياقوت مات سنة ٦٢٦ والشلوبين مات سنة ٦٤٥ بين يدي حصار الاسبانيول لاشيلية قبل أخذهم أياها بقليل

(٢) يقول لها الاسبانيول Almunécar

(٣) شاط يقول لها الاسبانيول Jete (٤) يقول لها الاسبان Turrox

١٢ ميلا. ومنها إلى قصبة «مرية بلّيش»^(١) ١٢ ميلا، وهو حصن على ضفة البحر صغير المقدار ويصب بمقربة منه في جهة المغرب نهر الملاحه ، وهو نهر يأتي من ناحية الشمال ، فيمرّ بالحمة ، ويتصل بأحواز حصن صالحه^(٢) ، فيقع فيه هناك جميع مياه صالحه ، وتنزل إلى قرية «الفشاط»^(٣) وتصب هناك في غربي حصن مرية بلّش في البحر ، ومن مرية باش إلى قرية «الصيرة» ولها طرف يدخل في البحر ، ٧ أميال . ومن طرف قرية الصيرة إلى قرية «بزليانة»^(٤) ٧ أميال .

وهي قرية كالمدينة في مستو من الأرض ، وأرضها رمل ، وبها الحمام والفنادق وشباك يصاد بها الحوت الكثير ، ويحمل منها إلى تلك الجهات المجاورة لها ، ومن برليانه إلى مدينة مالقة^(٥) ٨ أميال ، ومدينة مالقة مدينة حسنة عامرة أهلة ، كثيرة الديار ، متسعة الأقطار ، بهيئة كاملة سنية ، أسواقها عامرة ، ومتاجرها دائرة ، ونعمها كثيرة ، ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق ، وربما وصل إلى الهند ، وهو من أحسن التين

(١) ان دوزى يرى في لفظة « مرية » عند عرب الأندلس معنى البرج الذي « يرى » منه أو الذي توقد فيه النار إذا طرقت العدو . فقول الادريسي « مرية بلش » معناه البرج الخاص بهذا الأمر من ابراج بلش البحرية ويستشهد على صحة رأيه بقول البكري « مرية بجانة » وأما بلش هذه فهي بلش مالقة ويقال لها عند الاسبان Velez ويقال لهذه المرية Torre Del Marre

(٢) الاسبان يسمونه Saliba أو Zalia وقد خرب من بعد جلاء العرب عن غرناطة .

(٣) Al - Fachat

(٤) بزليانة عند الاسبانول Las Ventas De Mesmiliana

(٥) قال عنها ابن الخطيب في « معيار الاخبار » ما أقول في الدرّة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة أشهد لو كانت يوماً لكانت عيداً في الأيام تبعث لها بالسلام مدينة السلام وتأتي لها يد الاستسلام محاسن بلاد الاسلام أي دار وقطب مدار وهالة أبادار وكنز تحت جدار الخ ، ويكتبها الاسبان Malaga وسيأتي وصفها مشبعاً

طيباً ، وعذوباً ، ولمدينة مالقة ريبضان كبيران . ريبض « فنتنالة »^(١) وريبض « التبانين »^(٢) وشرب أهلها من مياه الآبار ، وماؤها قريب الغور ، كثير عذب ، ولها واد يجرى في أيام الشتاء والربيع ، وليس بدائم الجرى . وسندكرها بعد هذا بحول الله تعالى وقوته .

ولنرجع الآن إلى ذكر مدينة المرية فنقول : ان الطريق من مدينة المرية الى اغرناطة البيرة ، فمن أراد ذلك خرج من المرية إلى « بجانة »^(٣) ستة أميال ، ومدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المرية ، فانتقل أهلها إلى المرية ، فعمرت وخربت بجانة ، فلم يبق منها الآن إلا آثار بنيانها ، ومسجد جامعها قائم بذاته ، وحول بجانة Pechina جنات و بساتين ، ومنتزهات وكروم ، وأموال كثيرة لأهل المرية وعلى يمين بجانة ، وعلى ستة أميال منها « حصن الحمة »^(٤) والحمة في رأس جبل ويذكر المتجولون في أقطار الأرض أن مامثل هذه الحمة في المعمور من الأرض وأتقن منها بناء ولا أسخن منها ماء ، والمرضى والمعلّون يقصدون إليها من كل الجهات فيلزمون المقام بها إلى أن تستقلّ عليهم ، ويشفوا من أمراضهم وكان أهل المدينة في أيام الربيع يدخلون إليها مع نساءهم وأولادهم باحتفال من المطاعم والمشارب والتوسع في الاتفاق وربما بلغ المسكن بها في الشهر ثلاثة دنانير مرابطية ، وأكثر وأقل . وجبال هذه الجهة كلها حصّ يحتفر ويحرق ، وينقل إلى المرية ، وبه جميع عقد بنيانهم وتخصيصهم ، وهو بها وعندهم كثير ، رخيص لكثرتهم . ومن مدينة بجانة إلى قرية « بني عبدوس »^(٥) ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « مندوجر »^(٦) ٦ أميال ، وبه المنزل

(١) ريبض فنتانة في مالقة يقول له الاسبانول Fontanella

(٢) ريبض التبانين أي أصحاب التبن

(٣) Bachana أو Bechina

(٤) الحمة التي هي هنا هي Al Hamma

(٥) بني عبدوس يكتبها الأسبانول Benabdoux (٦) Monto - jar

لمن خرج من المرية ، وهى مرحلة خفيفة . وحصن مندوجر على جبل تراب أحمر ، والجبل على ضفة نهر ، والمنزل فى القرية منها ، ويباع بها للمسافرين الخبز والسمك ، وجميع الفواكه ، كل شىء منها فى إبانها . ثم إلى حمة « غشّر » ^(١) ثم إلى الحمة المنسوبة إلى « وشتن » ^(٢) ، ومنها إلى « مرشانة » ^(٣) ، وهو على مجتمع النهرين ، وهو من أمنع الحصون مكاناً ، وأوثقها بنياناً ، وأكثرها عمارة ، ومنها إلى قرية « بلذوذ » ^(٤) ، ثم إلى « حصن القصير » ^(٥) ، وهو حصن منيع جداً ، على قم مضيق فى الوادى ، وليس لأحد جواز إلا بأسفل هذا الحصن ، ومنه إلى خندق « فير » ^(٦) ، ثم إلى « الرتبة » ^(٧) ، ثم إلى قرية « عبلة » ^(٨) ، وبها المنزل . ومن قرية عبلة إلى حصن « فنيانة » ^(٩) ، ثم إلى قرية « حنصل » ^(١٠) ، ثم إلى أول فحص عبلة ، وطول هذا الفحص ١٢ ميلاً ، وليس به عوج ولا أمت ، وعن شمال المارّ جبل شلير الثلج ، وفى حضيض هذا الجبل حصون كثيرة ، منها حصن « فريرة » ^(١١) ينسب إليها الجوز ، وذلك أن بها من الجوز شيئاً ينفرط فى غير رضى ولا يمدله فى طعمه شىء . من الجوز من غيرها من الأقطار

ومن حصن هذا الجبل حصن « دِلر » ^(١٢) ، وبه من الكثرى كل عجيبه ، وذلك أن الكثرى به يكون منها فى وزن الحبة الواحدة رطل أندلسى ، وأما الأعم

(١) هذه الحمة عرفها دوزى بأنها حمة أوجيجر Hamma Ujizar

(٢) أما حمة « وشتن » فلم يعرفها ورجح تصحيف الاسم

(٣) Merchena قال فى دليل بديكر : مرشانة مدينة قديمة جداً أهلها اليوم ١٢ ألف

نسمة مبنية فى مكان مرتفع حولها أسوار مشعثة فيها قصور أدواق أركوس «اركش» وهى ملقى خطى الحديد بين غرناطة واشيلية

(٤) هى بالأسباني Bolud (٥) Al - Kosaïr

(٦) خندق فير هو Fabair

(٧) Arrataba (٨) Abla (٩) Finana

(١٠) Conçol (١١) Ferreira (١٢) Dilar

منها فكثرتان في رطل واحد ، ولها مذاق عجيب . ومن آخر فخص عبلة إلى خندق آش ، ثم إلى مدينة وادي آش ^(١) وهي مدينة متوسطة المقدار ، ولها أسوار محدقة ، ومكاسب مؤنقة ، ومياه متدفقة ، ولها نهر صغير دائم الجرى ، ومنها إلى قرية « دشمة » ^(٢) وبها المنزل . ومنها إلى « الرتبة » ثم إلى قرية « أرافيدة » ^(٣) ثم إلى قرية « ود » ^(٤) وهي قرى متصلة . ومنها إلى مدينة أغرناطة ٨ أميال . ومدينة وادي آش رصيف يجتمع به طرق كثيرة ، فمن أراد منها مدينة بسطة خرج منها إلى جبل عاصم ^(٥) ثم إلى قرية . . . إلى مدينة بسطة ^(٦) وبينهما ٣٠ ميلا . ومدينة بسطة متوسطة المقدار ، حسنة الموضع ، عامرة آهالة . لها أسوار حصينة ، وسوق نظيفة وديار حسنة البناء ، رائقة المغنى . وبها تجارات وفعالة لضروب من الصناعات ، وعلى

(١) Guadix وهي من مشهورات مدن الاندلس قال عنها لسان الدين : هي مدينة الوطن ومناخ من عبر أو قطن للباس ماطهر والله ما بطن وضع شديد ونأس شديد ومعدن حديد ومحل عدة وعديد وبلد لا يعتل فيه إلا النسيم ومرأى ينجل منه الصباح الوسيم كثيرة الجداول والمذانب مخضرة الجوانب إلى الفواكه الكثيرة والكروم الأثيرة والسقى الذى يسد الخلة ويضاعف الغلة وسندها (مكان من جملها وسند الجبل هو مادنا منه) معدن الحديد والحريز ومعقلها أهل للناج والسرير وهي دار حساب وارث واكتساب وماؤها مجاج الجليد وهوؤها يذكي طبع البليد إلا أن ضعيفها يضيق عليه المعاش وناقها يتعذر عليه الاتعاش وشيخها يخطو على قصبة الارتعاش فهي ذات برد وعكس وطرده الح وسنى إن شاء الله بوصفها

(٢) هي دجمة أو دشمة لا فرق كما يقال أرجدونة وارشدونة والاسبان

يكتبونها Déchima (٣) Atraferida

(٤) هي بالاسبانيولى Wod

(٥) لم يعرفه دوزى ولا نحن عرفنا عنه إلا أنه جبل عاصم .

(٦) يورا : بروا : فروا : بروه غير محقق هذا الاسم

(٧) الاسبانيول يقولون بازه Baza وهي مدينة قديمة وقد ازدهرت كثيرا في

أيام العرب وسكانها الآن ١٤ ألف نسمة قال لسان الدين عن هذه البلدة : « بسطة بلد

مقربة منها حصن « طشكر »^(١) الذي فاق جميع حصون الأندلس منعة ، وعلواً ورفعة ، وطيب تربة وهواء . وليس لأحد موضع يصعد منه الى هذا الحصن إلا موضعان ، وبين الموضع والموضع ١٢ ميلاً ، على طرق مثل شرك النعل ، ومدارج النمل ، وبأعلاه الزرع والضرع والحصاد والمياه ، واليه الانتهاء في الخصب وجودة الحصانه . وكذلك من وادي آش إلى جيان ثلاث مراحل خفاف

ومدينه جيان^(٢) حسنة كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، كثيرة اللحوم والمسل ، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير ، وهى مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ، ولها قصبه من أمنع القصاب وأحصنها يرتقى إليها على طريق مثل مدرج النمل ، ويتصل بها جبل « كور »^(٣) . وبمدينة جيان

خصيب ومدينة لها من اسمها نصيب (أى بسطة) دوحها متدلدل وطيب هوائها غير متبدل وناهيك من بلد اختص أهله بالمران فى معالجة الزعفران وامتازوا به عن غيرهم من الخيران يتخلل مدينتها الجدول المتدافع الناقع للغال النافع ، ثياب أهلها بالعبر تتأرجح وحوورها تتجلى وتبرج وولدانها فى شط أنهارها المتعددة تتفرج ولها الفحص الذى يسافر فيه الطرف سعياً ولا تعدم السائمة به رياء ولا رعياً والله در القائل :

فى بلدة عودت نفسى بها إذ فى اسمها طه وياسين

الجأنى الدهر إلى عالم يؤخذ منه العلم والدين

إلا أن تربتها تفضح البناء ، وإن صحبه الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الإقامة ، وخذقها لا كسارها تلقامة ، ورياحها عاصفة ، ورعودها قاصفة ، والعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكاة ، وحدثها قليل ، وعزيزها لتوقع المكروه ذليل اه قال هذه الجمل الاخيرة لأنها يوم وصفها ابن الخطيب كانت ثغراً من ثغور غرناطة . وفتحها فرديناند وايزابلا سنة ١٤٨٩ قبل فتحهما غرناطة باربع سنوات ولا تزال المدافع التى فتحها بها معروضة وكنيستها صان مكسيمو هى فى مكان المسجد الجامع ولا تزال آثار القصر العربى دار الحكومة ماثلة والخط الحديدى يمر منها إلى وادي آش بين شارات بسطة وجبلكون ويدور حتى لا ينزل إلى الوادى العميق المسمى بالغور Gor

(١) يقول له الاسبانيول Tixcar (٢) سيرد ذكرها والاسبانيول يقولون

جيان خيان على عادتهم فى قلب الجيم خاء (٣) Cour

بساتين وجنات ، ومزارع وغللات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب ، وعلى ميل منها نهر « بلون » ^(١) وهو نهر كبير ، وعليه أرحاء كثيرة جداً ، وبها مسجد جامع وجِلَّة وعلماء . ومن مدينة جيان إلى مدينة « يياسة » ^(٢) ٢٠ ميلا ، ويياسة تظهر من جيان ، وجيان تظهر من يياسة ، ويياسة على كدية ^(٣) تراب مطلة على على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر ، وحولها زراعات ، ومستغلات الزعفران بها كثيرة . ومنها إلى « أبدة » ^(٤) في جهة الشرق ٧ أميال وهي مدينة صغيرة ، وعلى مقربة من النهر الكبير ، لها مزارع وغللات قمح وشعير كثيرة جداً ، وفيها بين جيان وبسطة ووادي آش حصون كثيرة ، عامرة بمدنة آهلة ، لها خصب وغللال نافعة كثيرة ، فمن ذلك أن بشرق جيان وقبالة يياسة حصناً عظيماً يسمى شوذر (Joder) وإليه ينسب الخلاط الشوذري ^(٥) ومنه في الشرق إلى حصن « طوية » ^(٦) ١٢ ميلا ، ومنه إلى حصن « قيشاطة » ^(٧) وهو حصن كالمدينة له أسواق وربض عامر ، وحمام وفنادق ، وعليه جبل يقطع به من الخشب التي تخرط منه القصاع والمخابي والأطباق وغير ذلك ، مما يعم بلاد الاندلس وأكثر بلاد المغرب أيضاً . وهذا الجبل يتصل ببسطة . وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان ، ومنه إلى وادي آش مرحلتان ، ومنه إلى أغرناطة . مرحلتان ومن وادي آش المتقدم ذكرها إلى أغرناطة ٤٠ ميلا

(١) Guadabellon

(٢) والاسبانيول يكتبونها Baeza وسيأتي ذكر هذه المدن كلها

(٣) العرب يقولون كدية للتراب الغليظ الصلب

(٤) Ubeda بلدة قديمة من زمن الايبيريين لكنها الآن ساقطة

(٥) لم يعرف دوزي ماهو الخلاط الشوذري ؟ ولا نحن عرفناه إلا أن يكون

محرفاً عن الخليط وهو شراب من تمر وزبيب ويكون أهل هذا البلد يتقنونه فاشتهر بهم

(٦) Toyo (٧) بالاسبانيولي « كيساده » Quesada والحظ الحديدي

يمتد من يياسة إلى ابدة إلى شوذر إلى قيشاطة

ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة (Vera) ، فخلت وانتقل أهلها إلى اغرناطة ، ومدتها وحصن أسوارها وبنى قصبها حيوس الصنهاجي^(١) ، ثم خلفه ابنه بادس بن حيوس ، فكلت في أيامه وعمرت إلى الآن . وهي مدينة يشقها نهر يسمى « حدرو »^(٢) وعلى جنوبها نهر الثلج المسمى « شنيل »^(٣) ومبدأه من جبل شلير ، وهو جبل الثلج ، وذلك أن هذا الجبل طوله يومان وعلوه في غاية الارتفاع ، والثلج به دائماً في الشتاء والصيف : ووادي آش واغرناطة في شمالي الجبل ، ووجه الجبل الجنوبي مطل على البحر ، يرى من البحر على مجرى (... بياض بالأصل) ونحوه وفي أسفله من ناحية البحر برجة ودلاية ، وقد ذكرناها في ما سبق . ومن أغرناطة إلى مدينة المنكب على البحر ٤٠ ميلا ، ومن أغرناطة إلى مدينة « لوشة »^(٤) مع جرية النهر ٢٥ ميلا . ومن المنكب إلى مدينة المرية ١٠٠ ميل في البحر ، ومن المنكب إلى مدينة مالقة ٨٠ ميلا .

ومدينة مالقة مدينة حسنة حصينة وبعلاها جبل يسمى جبل « فأره »^(٥) ، ولها قسبة منيعة ورضان ، لأسوارها ، وبها فنادق وحمامات ، وبها من شجر التين ما ليس بأرض^(٦) ، وهو التين المنسوب إلى رية . ومالقة قاعدة رية ، ومن مالقة

(١) سيأتي خبره في باب التاريخ .

(٢) الاسبانيول يقولون له « دررو » Darro ، (٣) Xenil

(٤) الاسبانيول يقولون : لوجه ويسمونها بسان فرنسيسكو وموقعها جميل في سفح جبل على الضفة الجنوبية من نهر شنيل وكانت أعمر مما هي الآن في أيام العرب وكان يقال أن لوشة والحمة هما مفتاحا غرناطة . وقد استولى فرديناند وايزابله على لوشة بمساعدة جيش من الانكاز وذلك سنة ١٤٨٨ ولا تزال في لوشة بقايا آثار العرب (٥) الاسبانيول يقولون للاكة التي عليها حصن مالقة Gibral - Faro وليس بينه وبين البحر إلا مسافة أمتار معدودة وقد صعدت إلى هذا الحصن ورأيته لا يزال على ما كان أيام العرب . (٦) قال الشاعر :

مالقة حيث يا تينها السفن من أجلك يا تينها

إلى قرطبة في جهة الشمال أربعة أيام ، ومن مالقة أيضاً إلى غرناطة ٨٠ ميلا . ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ، ومن مالقة إلى اشبيلية خمسة مراحل ، ومن مالقة إلى « مَرْبَلَّة » ^(١) في طريق الجزيرة الخضراء ٤٠ ميلا ، ومَرْبَلَّة مدينة صغيرة متحصرة ، ولها عمارات وأشجار تين كثيرة ، وفي الشمال منها قلعة « بُبْشْتَر » ^(٢) ، وهي قلعة في نهاية الامتناع والتحصين ، والصعود إليها على طريق صعب .

وأما ما بين مالقة وقرطبة من الحصون المانعة التي هي حواضر في تلك النواحي فمنها مدينة « ارشذونه » ^(٣) و « انتقيرة » ^(٤) ، وبينها وبين مالقة ٣٥ ميلا . وكانت ارشذونه هذه وانتقيرة مدينتين أخلتها الفتن في زمان الثوار بالأندلس . بعد دولة ابن أبي عامر القائم لدولة بني أمية . ومن ارشذونه إلى حصن « اثير » ^(٥) ٢٠ ميلا وهو حصن حسن حصين ، كثير العمارة أهل ، وله سوق مشهورة ، ومنه إلى باغُه ^(٦) ١٨ ميلا ، وباغُه مدينة صغيرة القدر ، لكنها في غاية الحسن . لكثرة مياهها ،

نهي طبيبي تنه في علتى ما لطبيبي عن حياتى نهي !

(١) هي Marbella على الطريق بين مالقة والجزيرة الخضراء وقد قطعنا هذه الطريق بالسيارة الكهربية والذي أتذكره أننا بقينا ساعت من مالقة إلى الجزيرة

(٢) يقول لها الاسبانيول Barbaxter أو Bobastro

(٣) وقد يكتبها العرب بالجيم أى أرجدونة وهكذا جاءت في معيار الاختبار ، لابن الخطيب الذي هجأها هجواً مرأ فقال : شر دار ، وطلل لم يبق منه الاجدار ، وقومها ذوو بطر وأشر ، وشيوخها تيوس في مسالغ البشر ... الخ

(٤) Ontequera بلدة في سفح شاربات توركالس بديعة الموقع وهي بلدة زراعية فيها من السكان ٢٣ ألفا وفي رأسها حصن عربي قديم وفيها برج يسمى اليوم بلوطة وبقرب هذه البلدة كانت الواقعة التي هزم فيها أبو عبد الله الزغل سلطان غرناطة جيشا اسبانيولياً بقيادة سيفوتنس وأغيلار وذلك سنة ١٤٨٣ .

(٥) الاسبانيول يكتبون هذا الاسم هكذا : Isnajar

(٦) اسم هذه البلدة في القديم ايباغوم Epagnum والعرب كانوا يقولون لها

باغه والاسبانيول اليوم يقولون لها Priego

والماء يشق بلدها ، وعليه الأرحاء داخل المدينة ، ولها من الكروم والأشجار ما لا مزيد عليه ، وهي في نهاية الخصب والرخاء . ويلبها في جهة المشرق الحصن المسمى « بالقبذاق »^(١) وبينهما مرحلة خفيفة ، وحصن القبذاق كبير عامر ، وهو في سفح جبل ينظر إلى جهة الغرب ، وبه سوق مشهورة ، ومنه إلى حصن « بيانة »^(٢) مرحلة صغيرة ، وبيانة حصن كبير في أعلى كدية تراب ، قد حُت بها أشجار الزيتون الكثيرة ، ولها مزارع الحنطة والشعير . ومن حصن بيانة إلى « قبرة »^(٣) مرحلة خفيفة . وحصن قبرة كبير كالمدينة حصين المكان ، وثيق البنيان ، وهو على متصل أرض وطيثة وعمارات ومزارع . ومنه إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، ويتصل به بين جنوب وغرب مدينة « اليسانة »^(٤) وهي مدينة اليهود ، ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود ، وبه المسجد الجامع ، وليس على الربض سور ، والمدينة مدينة منحصنة بسور حصين ، ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب ،

(١) بالاسبانيولى Alcabdzae ويقولون أيضا Alkaudette

(٢) إذا جاء المسافر من جيان إلى غرناطة بالسيارة مر بوادي « غواردية » الذي هو إلى الجنوب الشرقي ثم أنه يمر بشارت « اليسانة » ثم بشارت الأنوار حيث هناك منظر جميل من جهة جبل الثلج شليمر ثم يمر بشارت البيرة حتى ينتهي إلى مرج غرناطة وأما الخط الحديدي فيمر بغياض الزيتون الخاصة بجيان وينتهي إلى بلدة يقال لها الدون جيمينو ثم يصل إلى « مرتوس » ثم إلى بلدة يقال لها « الكوديت » (ويقال لها القبذاق) ثم يمر بالناحية التي يسقيها وادي الحوز Guadajoz ثم يصل إلى ذلك ، وه بيانة ، Luque - Baena فلك هي Luque قرية إلى الشمال وأما بيانة Baena فهي إلى الجنوب وهي بلدة سكانها ١٥ ألفاً . ومن هناك يمر الخط ببلدة « قبرة » ، Cabra وأصل اسمها في القديم « ايغابروم » Igabrum وسكانها ١١ ألف نسمة وموقعها جميل وهي على الصبب الشمالي من شارت قبرة . ثم يقطع الخط نهر قبرة وشارتها فيصل إلى اليسانة Lucena وهي اليوم بلدة سكانها ٢١ ألفاً

(٣) تقدم ذكر « قبرة » مع بيانه واليسانة .

(٤) تقدم ذكرها في هذه الصفحة نفسها

وقائض مياهها قد ملأ الحفير ، واليهود يسكنون بجوف المدينة ، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير ، أكثر غنى من اليهود الذين بسائر بلاد المسلمين ، ولليهود بها تحذّر وتحصن من مضدّهم . ومن اليسانة إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، وبلى هذه الحصون حصن « بُلَاي » ^(١) Aguilar De La Frontera وحصن « مُنْتُرُك » ^(٢) وهى فى ذاتها حصون يسكنها البربر من أيام الأمويين ، ومن حصن بُلَاي إلى مدينة قرطبة ٣٠ ميلا ، وبالترب من بُلَاي حصن « شنت » ^(٣) ياله « وهو حصن على مدّرة ، والماء منه بعيد . ومنه إلى استجة ^(٤) فى الغرب ١٥ ميلا . ومن حصن شنت ياله

(١) وهو Aguilar De La Frontera

(٢) يقول الأسبانيول لهذا الحصن Monturque

(٣) Santa Ella

(٤) الاسبانيول يقولون اسبجه Ecija والخط الحديدى يخرج من قرطبة إلى وادى الجوز Guadajoz ثم إلى « وادى القصر » ثم إلى « كرلوطه » ثم إلى استجة التى هى على ٥٦ كيلو متراً من قرطبة وكان الرومان يقولون لها استيجى Astigi وكان لها عظمة فى زمان الرومانيين وأما الآن فهى بلدة صناعية سكانها ٢٢ ألف نسمة وشوارعها لا تزال ضيقة كشوارع المدن العربية وحرها شديد فى الصيف وهذا هو السبب فى ضيق شوارعها . وأما ضواحيها فملى خصب عظيم وعلى مقربة منها بلدة يقال لها « لويزيانة » ثم إن الخط الحديدى على مائة كيلو متر من قرطبة يصل إلى مدينة « مرشانة » Marchena وهى بلدة قديمة جداً مبنية على محل عال وحوها أسوار وعلى ١٠٨ كيلومترات بلدة يقال لها « بردى » Paradas وبعدها بلدة يقال لها الرحل Arahah وعلى مسافة ١٢٨ كيلومتراً يصل الخط إلى « مورور » وهى على « وادى ياره » ويوجد بقرب شارات مورور حصن عربى ومقاطع للرمس . ثم يصل الخط إلى أتريرة Utrera ثم إنه من أشيلية إلى أتريرة يقطع وادى ياره Guadaira بازاء الوادى الكبير فيمر بمكان يقال له حصن الفرح Aznalfarache ثم بلدة « كورية » ، وأما أتريرة فبلدة فيها ١٥ ألف نسمة أهلها زراع ورعاة أغنام . ومن أتريرة يذهب الخط فى سهول الوادى الكبير فيمر ببلدة يقال لها « قنطرلة » ثم ببلدة يقال لها عند الاسبانيول « لبريجة » وكان العرب يقولون لها « نبريشة » وأهلها ١١ ألف

إلى قرطبة ٢٣ ميلا . ومدينة استجة على نهر أغرناطه المسمى شنيل وهي مدينة حسنة ولها قنطرة عجيبة البناء من الصخر المنجور ، وبها أسواق عامرة ، ومتاجر قائمة ، ولها بساتين وجنات ملتفة ، وحدائق زاهية . ومن استجة إلى قرطبة ٣٥ ميلا ومن استجة في جهة الجنوب إلى حصن اشوتة ^(١) نصف يوم . وحصن أشوتة حصن ممدّن كثير الساكن ومنه إلى « بلشانة » Belicena ومدينة بلشانه Belicena حصن كبير عامر ، له حصانة ووثاقة . يحيط به شجر الزيتون . ومن استجة إلى مدينة قرّمونه Carmona ٤٥ ميلا ، وهي مدينة كبيرة يضاهي سورها سور اشبيلية وكانت فيما سلف بأيدي البرابر ، ولم يزل أهلها أبدأ أهل نفاق ، وهي حصينة على رأس جبل حصين منيع ، وهي على فخص ممتد ، جيد الزراعات ، كثير الاصابة في الحنطة والشعير ومنه في الغرب إلى اشبيلية ١٨ ميلا ، وقد ذكرنا اشبيلية فيما سبق . ومن مدينة قرّمونه إلى شريش Jerez من كورة شذونه Sidonia ٣ مراحل . وكذلك من مدينة اشبيلية إلى شريش مرحلتان كبيرتان جداً

نسمة ولها كنيسة أصلها جامع . ومنها يمر المسافر بمكان يقال له الكرفو Elcurvo فيرى آثار حصن عربي قديم يقول له الاسبانيول « ملغاريجو » Melgarejo ومن هناك يصل إلى « شريش » والاسبانيول يسمونها خريس Jerez وذلك لأنهم يلقبون الجيم والشين خاءا وسيأتي الكلام على شريش في مكانه

(١) عند الاسبانيول أوسينا Ossuna يخرج المسافر من قرطبة بالقطار الحديدي القاصد إلى مالقة فيمر على جسر فوق الوادي الكبير طوله ٢٠٠ متر ويخترق ناحية « كامبينا » Campina التي يسقيها وادي الجوز وبعد مسافة ٥٠ كيلو مترا يمر ببلدة « ممتيلة » Momtilla ثم ببلدة « منت ميور » Montemayor ثم يتقدم إلى مدينة « اغيلار » Agiler وفيها حصن عربي هو حصن بلاي ثم يمر على بحيرتين اسم إحداهما « زونار » والأخرى « رينسكون » وبالقرب منهما حصن عربي قديم وعلى مسافة ٧٦ كيلو متراً بلدة « بنت شنيل » وعلى مسافة ١٠٠ كيلو متر بلدة الروضة Roda وفيها ملقى الخطين الحديديين خط غرناطة - مالقة وخط اشبيلية - قادس . وكل هذه النواحي ملاي بشجر الزيتون ومن الروضة يذهب الخط الحديدي إلى مرشانة ثم إلى أشوتة وهي بلدة رومانية قديمة أعطاها قيصر حقوق المدن الرومانية

ومدينة شريش متوسطة حصينة مسورة الجنات ، حسنة الجهات ، وقد أضافت بها الكروم الكثيرة ، وشجر الزيتون والتين ، والحنطة بها ممكنة ، وأسماها موافقة ومن شريش إلى جزيرة فادس Cadix ١٢ ميلا فن شريش إلى القناطر ٦ أميال ، ومن القناطر إلى جزيرة فادس ٦ أميال ، ومن اشبيلية المتقدم ذكرها إلى قرطبة ٣ مراحل ولها ٣ طرق طريق « الزنجيار » Az - Zambadjar . وطريق « لورة » Lora وطريق الوادي ، فأما طريق الزنجيار فقد ذكرناها ، وهي من اشبيلية إلى قرمونة مرحلة . ومن قرمونة إلى استجة مرحلة . ومن استجة إلى قرطبة مرحلة . وأما طريق لورة فن اشبيلية إلى منزل « أبان » Aban ثم إلى « ماراش » Marlich ثم إلى حصن « القليعة » Coléa وبه المنزل ، وعند مسيرك من مرلس إلى القليعة تبصر حصن قطنيانه Cantillanna على الشمال والمنزل القليعة وهي ضفة النهر الكبير ، يجاز إليها في المركب ، ومن حصن القليعة إلى الغيران^(١) إلى حصن لورة ، وهو يعد عن الطريق نحو رمية سهم ، وعلى يمين المار حصن كبير عامر ، على ضفة النهر الكبير ، ومن لورة إلى قرية « صدف »^(٢) ويقابلها على يسار السالك على جبل عال حصن منيع ، وقلعة متحصنة تسمى « شنت فيلة »^(٣) وهي معقل للبربر من قديم الزمان .

(١) هذه التي يقول لها ابن حوفل « غرغيرة » ،

(٢) الصدف ككتف بطن من كندة قال الزبيدي في تاج العروس في شرح

القاموس : ينسبون اليوم إلى حضرموت وإذا سبت اليهم قلت هو صدفى محركة كراهة الكسرة قبل ياء النسب قاله ابن دريد وأشد :

يوم لهدان ويوم للصدف ولتيم مثله أو تعترف

وقال غيره : هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن

وائل بن العوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حير ابن سبأ . وينسب إليه خاق من الصحابة وغيرهم وقد نزلوا بمصر واختطوا بها ومنهم

يونس بن عبد الأعلى الصدفى وغيره اه . وهذه القرية في الأندلس نزلها أناس من

الصدف وعمرت بهم فقيل لها الصدف

(٣) الاسبانول يقولون لها : Siete Filla

ومن صدف إلى قلعة « ملبال »^(١) وهي على نهر ملبال وهو نهر مدينة « فرنجلوش »^(٢) ومن هذه القنطرة إلى مدينة فرنجلوش ١٢ ميلا . ومن القنطرة إلى قرية « شوشبيل »^(٣) وهي قرية كبيرة على نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير ، ومنها إلى « حصن مُراد »^(٤) وبه المنزل ، ومن حصن مراد إلى الخنادق إلى حصن المدور ، ثم إلى السواني^(٥) ثم إلى قرطبة ، وهي المنزل . وبين أشبيلية وقرطبة ٨٠ ميلا على هذا الطريق ، ومن حصن المدور الذي ذكرناه إلى فرنجلوش ١٢ ميلا ، وهي مدينة حصينة منيعة ، كثيرة الكروم والأشجار ، ولها على مقربة منها معادن الفضة ، بموضع يعرف بالمرج ، ومنها إلى حصن « قسنطينة »^(٦) الحديد ١٦ ميلا ، وهذا الحصن حصن جليل ، عامر أهل ، وبجباله معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته ، ومنه يتجهز إلى جميع أقطار الأندلس ، وبقرب منه حصن « فرّيش »^(٧) وبه مقطع للرخام الرفيع الجليل الخطير ، المنسوب إليه ، والرخام الفرّيشي أجل الرخام بياضاً وأحسنه ديباجا ، وأشدّه صلابة ، ومن هذا الحصن إلى « جبل العيون »^(٨) ٣ مراحل خفاف ، ومن شاء المسير إلى قرطبة أيضاً من إشبيلية ركب المراكب ، وسار صاعداً في النهر إلى أرحاء « الدرّادة » ، إلى عطف منزل « ابان » ، إلى « قطنيانة » ، إلى « لورة » ، إلى حصن « الجرف » ، إلى « شوشبيل » ، إلى

(١) لم يعرفها دوزي ولا عرفناها نحن

(٢) الاسبانيول يقولون لفرنجلوش Hornachuelos

(٣) Chouchabil

(٤) هذا الحصن اسمه عند الاسبان Mratalla

(٥) الاسبانيول أخذوا لفظة السانية فيما أخذوه من لغة العرب وهي الآلة الرافعة

للإماء وأصلها العرب مع أدواته والسانية أيضاً الناقة يستقى عليها من البئر من فعل سنا

ارتفع ويقال أيضاً سنوت الباب فتحته . والاسبانيول يكتبون السانية : Acéna

(٦) قسنطينة الحديد Constantine De Fer

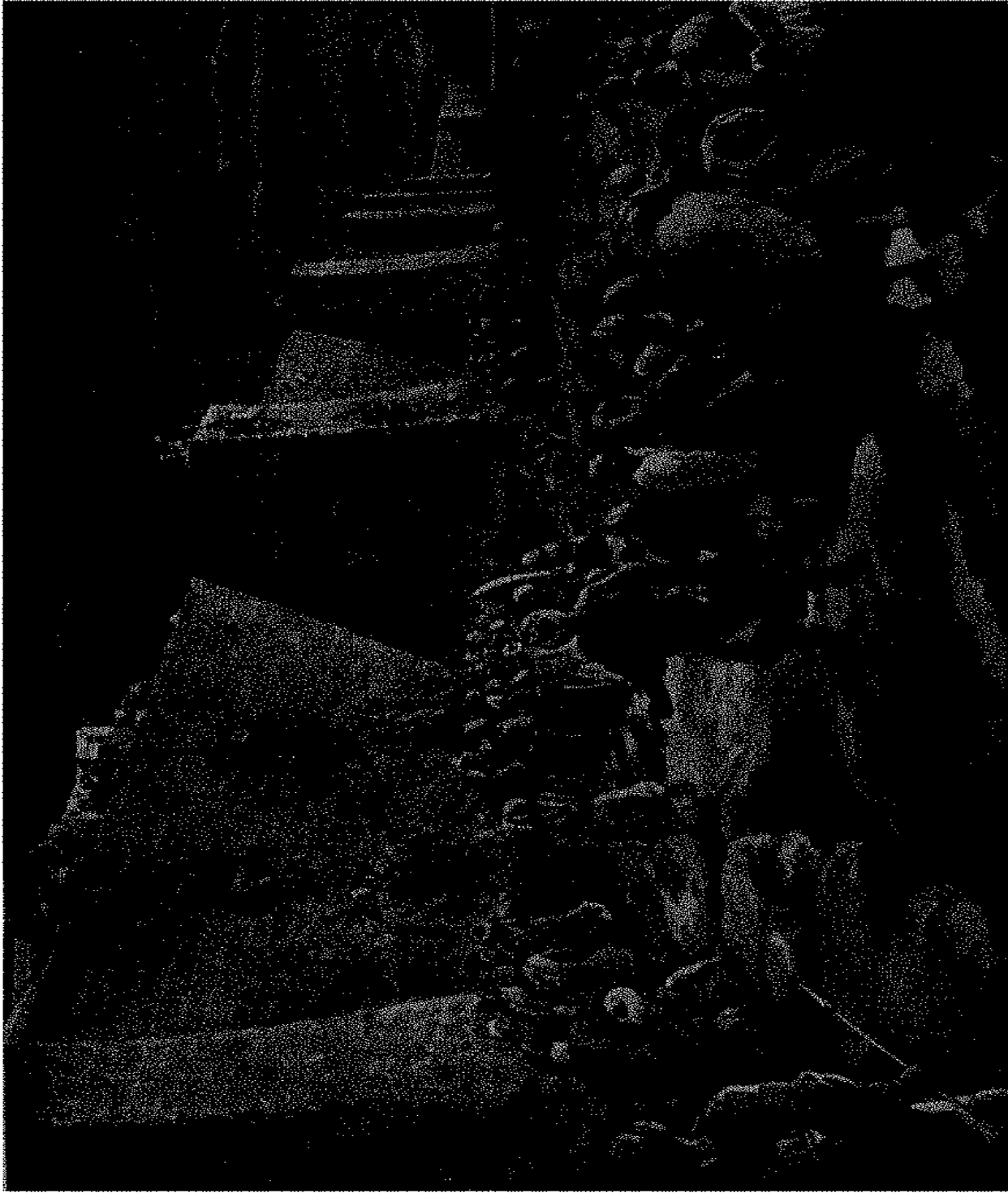
(٧) Firriche (٨) Gibraléone

موقع نهر « ملبال » ، إلى حصن « المدور » ، إلى « وادي الرمان » ، إلى أرحاء « ناصح »^(١) إلى قرطبة ، ومدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ، وأم مدنها ، ودار الخلافة الاسلامية .

وفضائل أهل قرطبة أكثر وأشهر من أن تذكر ، ومناقبيهم أظهر من أن تستر ، وإليهم الانتباه ، في السناء والبهاء ، بل هم أعلام البلاد ، وأعيان العباد ، ذُكروا بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزي في الملابس والمراكب ، وعلو الهمة في المجالس والمراتب ، وجميل التخصص في المطاعم والمشارب ، مع جميل الخلائق ، وحميد الطرائق ، ولم تخلُ قرطبة قط من أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، وتجارها مياسير ، لهم أموال كثيرة ، وأحوال واسعة ، ولهم مراكب سفينة ، وهم عليّة ، وهي في ذاتها مدن خمس ، يتلو بعضها بعضاً ، بين المدينة والمدينة ، سور حاجز ، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات ، وفي طولها من غربيها إلى شرقيها ٣ أميال ، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد . وهي في سفح جبل مطلق عليها يسمّى جبل العروس ، ومدنيتها الوسطى هي التي فيها باب القنطرة .

وفيها المسجد الجامع ، الذي ليس بمسجد المسلمين مثله ، بنية وتنميكا ، وطولا وعرضا ، وطول هذا الجامع مائة باع مرسله ، وعرضه ٨٠ باعا^(٢) ، ونصفه مسقف

(١) Nacih (٢) يقول دوزي نقلا عن لابورد Laborde في كتابه « وصف أسبانية ، Description De L'Espagne : إن طول مسجد قرطبة في حاله الحاضرة هو ٦٢٠ قدماً وعرضه ٤٤٠ قدماً وهكذا قرر ماندوس Mandoz في كلامه عن هذا المسجد . وكان فيه أيام العرب ١٤٠٠ سارية أما الآن فهي ٨٥٠ سارية لا غير كما قال البارون شك Schack قلت : أخبرني المهندس هرناندز الذي كان دليلي في قرطبة وهو من الموكلين بالجامع الأعظم أن طول المسجد هو ١٧٥ متراً وأن عرضه ١٢٥ متراً وأخذ القلم وحسب ذلك بالتربيع فوجد أن المسقف والصحن يتسعان لثمانين ألف مصل أما لافي بروفنسال المستشرق الافرنسي صاحب « أسبانية المسئلة



عساكر العرب في حصار فرجانية وهم يتسلفون حبوباً، سنة ١٩١٢ ب . هـ .

ونصفه صحن للهواء ، وعدد قسيّ مُسَقَّفِهِ ١٩ قوساً ، وفيه من السواري ، أعنى سواري مُسَقَّفِهِ ، بين أعمدته ، وسواري قِبَلَتِهِ ، صفاراً وكباراً ، مع سواري القبة الكبرى وما فيها : ألف سارية . وفيه ١١٣ ثُرِيّاً للوقيد ، أكبرها واحدة منها تحمل ألف مصباح ، وأقلها تحمل ١٢ مصباحاً . وسقفه كله سماوات خشب مسمّرة في جوائزسقفه ، وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي^(١)

في القرن العاشر ، فقال إن : طول المسجد هو ١٨٠ متراً وعرضه ١٣٠ وسندكر فيما سيأتي أثناء الكلام على قرطبة كل ما يتعاقب بهذا المسجد

(١) الصنوبر الطرطوشي مضرب الأمثال في الصلابة والثبات هذا وقد نقل المقرئ في النسخ كلام الادريسي هنا ملخصاً فقال : وقال بعض المؤرخين حين ذكر قرطبة ما ملخصه : هي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية ، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة البلاد في حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، واجلاد الغزاة وأنجاد الحروب ، وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً . وبين المدينة والمدينة سور عظيم حاجز ، وكل مدينة مستقلة بنفسها ، وفيها ما يكفي لأهلها من الحمامات والأسواق والصناعات . وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد . وهي سفح جبل مطل عليها ، وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله ، وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين . وفيه من الدواري الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود ، أكبرها تحمل ألف مصباح . وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه . وتقبلته صناعات تدهش العقول . وعلى فرجة المحراب سبع قسيّ قائمة على عمد ، طول كل قوس فوق القامة . قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها . وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران ، واثنان لازورديان . ليس لهما قيمة . لفاستهما ، وبه منبر ليس على معمور الأرض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته ، وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قافلي ، ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية صناع ، لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي ، فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالاً . وفي الجامع حاصل كبير ملان

ارتفاع حد الجائزة منه شبر وافر ، في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع ، في طول كل

من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده ، وبهذا الجامع مصحف يقال إنه عثمانى ، وللجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي ، مخزومة تخريماً عجيباً بديعاً ، يعجز البشر ويهرم ، وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة ، وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي ، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته . وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح ، والجميع خلقة ربانية .

وأما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة ، عجيبة المرأى ، فاقت قناطر الدنيا حسناً . وعدة قسيها سبعة عشر قوساً سعة كل قوس منها خمسون شبراً ، وبين كل قوسين خمسون شبراً . وبالجملة فمحاسن قرطبة أفضل المحاسن ، وأعظم من أن نحيط بها وصفاً انتهى ما يخصاً وهو وإرتكركر بعضه مع ما قدمته فلا يتخلو من فائدة زائدة والله الموفق وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ، ويمكن الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك ، كما أشار إليه هو في أمر الصومعة ، وكذلك ذكره في عدد السواري ، إلا أن يقال : ما تقدم باعتبار الصغار والكبار ، وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار فقط كما صرح به والله تعالى أعلم . وأما الثريات فقد خالف في عددها ما تقدم ، مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الأندلس ، ونحن جلبنا النقل من مواضعه وإن اختلفت طرقه ومضموناته انتهى . قلت : أي من قرأ هذا التلخيص ، وكان طالع جغرافية الشريف الإدريسي ، يعلم أن هذا النقل الذي نقله المقرئ ، إنما نقله عنه ولكن ملخصاً كما صرح هو بذلك . ولم نعلم سبب تحامى المقرئ نسبة هذا النقل والتصريح باسم الكتاب الذي نقل عنه . وعلى كل حال فظاهر للعيان أن الكلام ملخص عن نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، غير أنه لا بد هنا من بعض ملاحظات : الأولى أن هناك غلطا في النسخ ، إما في كتاب الإدريسي أو في كتاب نفح الطيب نفسه ، مثل أن الجامع الأعظم طوله مائة ذراع في عرض ثمانين . والحال أن الإدريسي كما في نسخة باريز ونسخة أو كسفورد لم يقل مائة ذراع ، وإنما قال مائة باع مرسل في ثمانين باعاً . والفرق بين الباع والذراع غير خاف على أحد . وأنه يستحيل قول الإدريسي إن الجامع هو مائة ذراع في ثمانين ، لأن الإدريسي عرف قرطبة بنفسه ، ووصف المسجد

جائزة منها ٣٧ شبراً ، وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة . والساوات التي ذكرناها

الأعظم وصف من رأى لامن سمع ، فلا يمكن أن يقع في خطأ فظيع كهذا . ولقد أشار المقرئ بأنه يمكن أن يكون هذا الذراع الذي ذكره الادريسي أكبر من الذراع الذي حسب بموجبه غيره من المؤرخين ، بمن ذكروا أن طول الجامع من القبلة إلى الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه من الغرب إلى الشرق مائتان وخمسون ذراعاً ، فمهما كان هذا الذراع يزيد على ذلك الذراع فيقي البون شاسعاً ، والصحيح أن الادريسي إنما قال مائة باع في ثمانين ، لا مائة ذراع في ثمانين . والملاحظة الثانية هي في اختلاف عدد الثريات ، فالادريسي يقول مائة وثلاث عشرة ثريا ، وهو مخالف لما قاله غيره ، مثل ابن الفرضي مثلا الذي قال أنها مائتان وثمانون ثريا ، ومثل ابن سعيد الذي نقل عن ابن بشكوال فقال أنها مائتان وأربع وعشرون ثريا . وليس الاختلاف هنا بشيء فان الثريات هي مما يزيد وينقص بحسب الوقت ، لأنها آنية منقولة وليست من قبيل المساحة التي هي شيء ثابت محسوس . وتأويل هذا الفرق هو أنه يوم عرف الادريسي مدينة قرطبة لم يكن في الجامع الأعظم أكثر من ١١٣ ثريا ، فان الادريسي نفسه ذكر كون قرطبة لعهد قدا تنقصت منها الحوادث بتوالي الفتن ، ونزع أهلها إلا اليسير ، فلا جرم أن النقص الذي لحق بأهلها وبكل شيء يخصها قد وصل إلى ثريات جامعها ، فسقط عددها إلى النصف عما كانت كما سقط عدد الخدمة في الجامع فقد ورد في كلام ابن الفرضي أنه كان يتصرف في المسجد بين أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين مائة وتسعة وخمسون شخصاً . وروى غيره أنهم كانوا ثلاثمائة ، والحال أن الادريسي لا يذكر غير ستين شخصاً فيظهر أن هذا العدد هو الذي كان في زمانه ، أي بعد تقلص العمران في قرطبة .

والملاحظة الثالثة هي من جهة سقوط كلمات في النسخ أو اختلافها ، ففي نسخة نفح الطيب يقول نقلا عن الادريسي إنه كان يعمل في المنبر ثمانية صناع ، وفي نسختي باريز واكسفورد يقول ستة ، وفي نسخة نفح الطيب يقول : وفي الجامع حاصل كبير ملان من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده . وفي نسختي باريز واكسفورد يزيد على الذهب والفضة لفظة المسك . وفي نسخة نفح الطيب يذكر أن الصومعة ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي . والحال أنه في النسختين المذكورتين يذكر الرشاشي بدون المكي . والملاحظة الرابعة هي أنه في نسخة نفح الطيب يقول

هي كلها مسطحة ، فيها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المسدّمة والمورّبي !
وهي صنع الفصّ وصنع الدوائر والمداهن ، لا يشبه بعضها بعضاً ، بل كل سماء منها
مُكتَفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها بأنواع الحجرة الزنجفريّة ،
والبياض الاسفيداجي ، والزرقة اللازوردية ، والزرقون الباروق ، والخضرة الزنجارية ،
والتكحيل النقي ، تروق العيون ، وتستميل النفوس ، باتقان ترسيمها ، ومختلفات
ألوانها وتقسيمها . وسعة كل بلاطة منها ، اعنى من بلاطات مسقفه ٣٣ شبرا ، وبين
العمود والعمود ١٥ شبراً ، ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة رخام . وقد عقد
بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسيّ غريبة ، فوقها قسيّ آخر ، على عمد من
الحجر المنجور متقنة . وقد جصّص الكل منها بالحصّ والجيار ، وركبت عليها محور
مستديرة ناتئة ، بينها ضروب صناعات الفسفس بالمغرة . وتحت كل سماء منها إزار
خشب فيه مكتوب آيات القرآن .

ولهذا المسجد الجامع قبلة يُعجز الواصفين وصفها ، وفيها إتقان يبهر العقول تنميقها
وكل ذلك من الفسيفساء المذهب والملون ، مما يمث صاحب القسطنطينية العظمى
إلى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الأموي . وعلى هذا الوجه ، أعنى وجه
المحراب ، سبع قسي قائمة على عمد ، وطول كل قوس منها أشف من قامة ، وكل هذه
القسيّ مزجّجة صنعة القرط وقد أعيت المسلمين والروم بفريب أعمالها ، ودقيق
تكوينها ووضعها . وعلى أعلى الكل كتابان مسجونان بين بحرين من الفسيفساء

إن في الجامع ثلاثة أعمدة حمر ، على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى
وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح . وهذا لا يوجد في النسخة التي نقلنا
عنها المطبوعة في ليدن وفقاً لنسختي باريز وأوكسفورد ، والخبر كله غريب ، لأن
التصوير مكروه ، ولا سيما في المساجد . وقد أوردنا هذه الملاحظات لأجل الاستدلال
على ما بين النسخ من الاختلافات فايكن الراوى من النسخ على حذر ، ولا يجوز له أن
يحزم بخبر إلا بعد أن ينخل رواياته نخلاً دقيقاً ، ويقابل بينها بأجمعها فيعتمد على المتواتر
الذي أجمع عليه الرواة أو الذي ترجح بالاقول لدى الجمهور وبالخاص على ما طبق المحسوس

المذهب ، في أرض الزجاج اللازوردى وتحت هذه القسي التي ذكرناها كتابان مثل الأولين مسجونان بالفسيفساء المذهب في أرض اللازورد ، وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقش ، وفي عنادتي المحراب ٤ أعمدة اثنان أخضران ، واثنان لازورديان لاتقوم بمال . وعلى رأس المحراب خصّة رخام قطعة واحدة مشبوكة محفورة منمقة بأبداع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الألوان وعلى وجه المحراب مما استدار به حظيرة خشب بها من أنواع النقش كل غريبة .

ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بعمور الأرض مثله صنعة خشب آبنوس وبقس وعود المحمر ، ويحكى في كنب توار يخ بي أمية أنه صنع في نجارته ونقشه ٧ سنين ، وكان عدد صناعه ستة رجال . غير من يخدمهم نصرها ، والكل صانع مهم في اليوم نصف مثقال محمدي . وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وضوت ذهب وفضة ومسك لوقيد الشمع في ليلة ٢٧ من شهر رمضان المعظم . ومع ذلك ففي هذا المخزن مصحف يرفقه رجالان اتقاه ، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، وهو المصحف الذي خطه يمينه رضى الله عنه ، وفيه نقط من دمه ، وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم جمعة ، ويتولى اخراجه رجالان من قوامة لمسجد . وأماهم رجل ثلث بشمعة ، وللمصحف عشاء بديع الصنعة . دنقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه ، وله بتوضع المصلى كرسي يوسع عليه ويتولى الامام قراءة نصف حزب منه ثم يرد إلى موضعه .

وعن يمين المحراب والمنبر باب يفضى إلى القصر بين حائطي الجامع في ساباط متصل ، وفي هذا الساباط ٨ أبواب منها ٤ تنفاق من جهة القصر ، و ٤ تنفاق من جهة الجامع . ولهذا الجامع عشرون باباً مدهفة بصفايح النحاس وكواكب النحاس ، وفي كل باب منها حائقتان في نهاية من الأتقان ، وعلى وجه كل باب منها في الحائط ضروب من الفص المتخذ من الحجر الأحمر المحكوك ، أنواعاً شتى ، وأجناساً مختلفة من الصناعات والتريش وصدور البراة . وفيما استدار بالجامع في أعلاه لتمدد الضوء

ودخوله إلى المسقف متكآت رخام ، طول كل متكأ منها قدر قامة ، في سعة ٤ أشبار في غلظ ٤ أصابع . وكلها صنُع مسدّسة ومثمّنة ، مخرّمة منفوذة لا يشبه بعضها بعضاً

وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصنعة الجليلة الأعمال الرائقة الأشكال التي ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي^(١) منها ٨٠ ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك إلى أعلاها ٢٠ ذراعاً ويصعد إلى أعلى هذه المنارة بدرجين أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي إذا اقترق الصاعدان أسفل الصومعة لا يجتمعان إلا إذا وصلا أعلاها . ووجه هذه الصومعة كله مبطن بالكذّان اللّكي ، منقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة صنع مثمّنة تحتوي على أنواع من الصنع والتزييق والكتابة والملون ، وبالأوجه الأربعة الدائرة من الصومعة صفان من قسي دائرة على عمد الرخام الحسن . والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ٣٠٠ عمود بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة بيت له أربعة أبواب مغلقة ، يبيت فيه كل ليلة مؤذنان . وللصومعة ١٦ مؤذناً ، ويؤذنون فيها بالدولة لكل يوم مؤذنان على توال . وفي أعلى الصومعة على القبة التي على البيت ثلاث تفاحات ذهب ، وتفاحتان من فضة ، وأوراق سوسنية ، تسع الكبيرة من التفاحات ٦٠ رطلا من الزيت . ويخدم الجامع كله ٦٠ رجلاً وعليهم قائم ينظر في أمورهم ، وهذا الجامع متى سها أمامه لا يسجد لسهوه قبل السلام ، بل يسجد بعد السلام .

ومدينة قرطبة في حين تأليفنا هذا الكتاب طحنتها رحي الفتنة ، وغيرها حلول المصائب والأحداث ، مع اتصال الشدائد على أهلها ، فلم يبق بها منهم الآن إلا الخلق اليسير ، ولا بلد أكبر اسماً منها في بلاد الأندلس .

(١) الذراع الرشاشي يقال أنه الذراع المسكي وهو ثلاثة أشبار

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها واتقانها ، وعدد قسيها ١٧ قوساً بين القوس والقوس ٥٠ شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك ٥٠ شبراً ، وسعة ظهرها المعبور عليه ٣٠ شبراً . ولها ستائر من كل جهة تستر القامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشى إلى وجه الماء في أيام جفوف الماء ٣٠ ذراعاً ، وإذا كان السيل يصل الماء منها إلى نحو حلوقها . وتحت القنطرة يمترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الجاشية^(١) من الرخام . وعلى هذا السد ثلاثة بيوت أرحاء ، في كل بيت منها أربع مطاحن^(٢) .

ومحاسن هذه المدينة وشماختها أكثر من أن يحاط بها خُبراً

ومن مدينة قرطبة إلى مدينة الزهراء ٥ أميال ، وهي قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهليهم وذرائعهم ، وهم قليلون ، وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة ، سطح الثالث الأعلى يوازي على الجزء الأوسط ، وسطح الثالث الأوسط يوازي على الجزء الأسفل ، وكل ثلث منها له سور . فكان الجزء الأعلى منها قصوراً يقصر الوصف عن صفاتها . والجزء الأوسط

(١) قد ترجم دوزي ، الاحجار القبطية ، بالاحجار المصرية وقال عن « العمدة الجاشية » ، لعلها مصحفة وأصلها « الخاشنة » ، ونحن نقول : لم يرد استعمال « الخاشنة » وإنما يقولون « الخشنة » ، ونرى الأقرب أن تكون هذه اللفظة بالسین المهملة لا بالشین المعجمة وأنها « الجاسية » أي الصلبة

(٢) لا تزال جدران المطاحن قائمة إلى الآن وإليها أشرت بقولي في القصيدة التي نظمتها يوم زرت قرطبة

وتلك الطواحين الشهيرة لم تزل كأن تركوها أمس لم تتغير
ومنها :

ولما رأيت المسجد الجامع الذي بقرطبة من فوق فوق التصور
عضضت على كني بكل نواجذى وقلت لعيني اليوم دورك فاهمري

وسندكرها كلها في محلها

بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجامع . وهي الآن خراب في حال الذهاب .

ومن مدينة قرطبة إلى المريّة ٨ أيام . ومن قرطبة إلى اشبيلية ٨٠ ميلا . ومن قرطبة إلى مالقة ١٠٠ ميل . ومن قرطبة إلى طليطلة ٩ مراحل ، فن أرادها سار من قرطبة في جهة الشمال إلى عقبة « أرلش »^(١) ١١ ميلا . ومنها إلى دار البقر^(٢) ٦ أميال « ثم إلى بطروش »^(٣) ٤٠ ميلا . وحصن « بطروش » حسن كثير العارة ، شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ، ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض ، وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم غلة وغيث في سنى الشدة والمجاعة . ومن حصن

(١) Arlech

(٢) يقول الاسبان لدار البقر Castillo Del Bacar

(٣) Bedroches جاء في دليل بديكر أن الخط الحديدي من مجريط إلى بطليوس يمر بقرية « غيتاف » Getafe وتكون وراه جبال وادى الرمل Guadarrama ثم يصل الخط إلى بلدة « القدور » Algodor ومنها ينشعب خط كستيلياجو - طليطلة . ثم يجاز الخط شعاب جبال طليطلة الفاصلة بين وادى تاجة ووادى ياة ثم يمر ببلدة « الموناسيد » Almonacid وفيها حصن عربي ثم ببلدة « ماسكاراك » Mascaraque ثم ببلدة « مورة » Mara وفيها بقايا حصن وهي على ٩١ كيلو متراً من مجريط ثم ببلدة « أورغاز » Orgaz وفيها أيضاً حصن كبير ثم ببلدة « منسنيق » Manzanéque ثم « ايبانش » Ybenes وعن يمينه « وادى الأرزة » Guadalerza ثم ببلدة « أورده » Urda ثم يصل إلى بلدة ريال Ciudad Real التي بقربها بلدة « الأراك » Alarcos وهذه الشهيرة بالوقعة التي انتصر فيها الموحدون على الأذفنش الثامن صاحب قشتالة سنة ١١٩٥ ثم يمر بارض قلعة رباح ثم ببلدة « برتلانو » Puertellano ثم ببلدة اسمها « المدور » (غير حصن المدور الذي هو من عمل قرطبة) ثم ببلدة « صان كنتين » San Quintin ثم « بيلد نياش » Valdepénas بقرب مشتى يقال له وادى الكدية ثم يصل بعد ٢٧١ كيلو متراً من مجريط إلى « المعدن » Almaden وفيها حصن عربي (١٠ - ج أول)

بطروش إلى حصن « غافق » ^(١) ٧ أميال ، وحصن غافق حصن حصين ، ومقل جليل ، وفي أهله نجدة وحزم ، وجلادة وعزم ، وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم ، واثقاد غنائمهم منهم ، والروم يعلمون بأسهم وبسالتهم فيناحرون ^(٢) أرضهم ويتحامون عنهم . ومن قلعة غافق إلى جبل « عافور » ^(٣) مرحلة ، ثم إلى دار البقر مرحلة ، ثم إلى قلعة « رباح » ^(٤) ، وهي قاعة حسنة ، وقد سبق ذكرها . وكذلك الطريق من قرطبة إلى بطليوس . . من قرطبة إلى دار البقر المتقدم ذكرها مرحلة ، ومنها إلى حصن « بندر » ^(٥) مرحلة ، ثم إلى « زواغة » مرحلة ، وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كدية تراب ، ومنه إلى نهر « اثنه » ^(٦) مرحلة . ومنه إلى حصن « الحدش » ^(٧) مرحلة ، وحصن

وفيه معدن من أغنى معادن الزئبق في العالم ومن هناك يمر الخط بين « شيليون » Chillon و « بطروس » Pedroches بواد اسمه « وادي الميس » Guadalmez ويدخل في عمل قرطبة فيمر ببلدة « بلال قصر » Belalcazar ثم بلدة « المورشون » Almorchon حيث ينشعب من الخط شعبة إلى قرطبة . وعلى مسافة ٤٠٨ كيلو مترت يصل إلى « مدلين » Medellin وعلى ٤٥١ كيلو مترا يصل إلى ماردة اه محصلا . ثم قال دوزى : إن البلوط الذي نسه الادريسي إلى بطروس يرجع أنه الكستنا لا البلوط المعهود واستدل على ذلك بأن بطره القلعي يسمى الكستنا بطروش

(١) يقول الأسبان لغافق Gbatic

(٢) في النسخة التي ترجم عنها دوزى يقول : « ينافرون أرضهم ويتحامون عنهم ، ولا معنى هنا لجملة « ينافرون أرضهم » ، والأقرب أن تكون « يناحرون أرضهم » أي هم ساكنون في نحر أرضهم ولكنهم لشدة بأسهم تراهم يتجنبون التعرض لهم
(٣) جبل عافور لم يعرفه دوزى ولا نحن اهتدينا له وإنما نعلم أن العرب تقول :
وقع في عافور أي في شر وعفار ومثله وقع في عاور

(٤) Calatrava

(٥) يظن دوزى أن « بندر » مصحف عن « بندر » ، إذ هناك نهر بهذا الاسم Benbezar

(٦) لم نعلمه ولا عرفنا حقيقة الاسم

(٧) هو الذي يقول له الأسبان Alenje

الحنش منيع شامخ الندوة ، مطلق الغلوة شاهق البنية ، حامى الأفنية . ومنه إلى مدينة ماردة مرحلة لطيفة ، ثم إلى بطليوس مرحلة خفيفة . فذلك من قرطبة إلى بطليوس ، ٧ مراحل . وبشمال قرطبة إلى حصن « ابال » مرحلة ، وهو الحصن الذي به معدن الزبيق ، ومنه يتجهز بالزبيق والزنجفر إلى جميع أقطار الأرض ، وذلك أن هذا المعدن يخدمه أزيد من ألف رجل ، فقوم للنزول فيه وقطع الحجر ، وقوم لقطع الحطب لحرق المعدن ، وقوم لعمل أواني لسبك الزبيق وتصعيده ، وقوم لشأن الأفران والحرق . قال المؤلف : وقد رأيت هذا المعدن فأخبرت أن من وجه الأرض إلى أسفله نحو من مائتي قامة وخمسين قامة ^(١) . ومن قرطبة إلى اغرناطة ٤ مراحل وهي مائة ميل . وبين اغرناطة وجيان ٥٠ ميلا وهي مرحلتان .

وأما بحر الشام الذي عليه جنوب بلاد الأندلس ، فبدأه من الغرب ، وآخره حيث انطاكية ، ومسافة ما بينهما ٣٦ مجرى . فأما عروضه فمختلفة ، وذلك أن مدينة مالقة يقابلها من الضفة الأخرى « المزمة » و « قادس » و بينهما عرض البحر مجرى يوم واحد بالرياح الطيبة المعتدلة . وكذلك « المرية » يوازيها في الضفة الأخرى « هُنين » وعرض البحر بينهما مجريان . وكذلك أيضاً مدينة « دانية » يقابلها من الضفة الأخرى « تَنَس » و بينهما ٣ مجاري . وكذلك مدينة برشلونة تقابلها من عدوة الغرب الأوسط « بجانة » و بينهما ٤ مجاري في عرض البحر ، والمجرى مائة ميل وأما جزيرة « يابسة » فإنها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعشاب ، وبها مدينة حسنة صغيرة متحضرة ، وأقرب بر إليها مدينة دانية ، و بينهما مجرى . وفي شرقي جزيرة يابسة جزيرة ميورقة ^(٢) ، و بينهما مجرى ، وبها مدينة كبيرة ، لها

(١) نقل لافي بروفسال كلام الادريسي هذا إلى كتابه عن أسبانية

(٢) أقتت بجزيرة ميورقة عشرين يوماً وجولت فيها ، ولشدة ما استلظفتها أخذت عنها معلومات كثيرة ، واقتنيت كتباً من تاريخها بالأسبانيولي ، وجمعت أسماء العلماء والادباء الذين نبغوا من أهلها من عرب وأسبانيول ، وعزمت أن أفردهما بتاريخ هي

مالك وحارس ذورجال وعدد وأسلحة وأموال ، وبالشرقيّ منها أيضاً جزيرة مينورقة
تقابل مدينة برشلونة ، وبينهما مجرى ، ومن مينورقة إلى جزيرة سردانية ٤ مجار . فهذا
ما أردنا ذكره .

مقاله عن إقليم الأندلس

أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني

في كتابه « صفة جزيرة العرب »

ذكر الأقاليم السبعة التي كان الجغرافيون الأولون يقولون بها ، فذكر الأندلس
في الاقليم الثالث فقال : الاقليم الثالث حده منتهى أرض الحبشة ، مما يلي أرض
الحجاز ، إلى نصيبين ، إلى أقصى الشام ، إلى البحر الذي بين أرض مصر وبين الشام
إلى وسط البحر الذي يلي الأندلس مما يلي المغرب .

ثم ذكر معرفة قسمة الأقاليم لبطليموس فقال : فأما بطليموس وقدماء اليونانيين
فإنهم رأوا أن طباع الأقاليم وجبلتها لا تكون إلا طرائق من المشرق إلى المغرب ،
متجاورة بعضها إلى بعض ، من خط الاستواء إلى حيث يقع القطب الشمالي ، خمسين
درجة ، وهو ضعف الميل وزيادة جزءين وكسر ، وقد حد في فانونه عرض كل إقليم
منها وساعات نهاره الأطول ، على وسطه دون طرفيه ، بقول من نقل عنه ، فجعل
وسط الاقليم الأول مدينة سبا بمأرب من أرض اليمن ، وجعل العرض ستة عشر
جزءاً ورباعاً وخمساً ، وساعات نهاره الأطول ثلاثة عشر سواء ، وعرض الاقليم
الثاني منتهى الميل ، وهو ثلاثة وعشرون جزءاً وخمسة أسداس ، وساعات
نهاره الأطول ثلاث عشرة ونصف ، والثالث إقليم اسكندرية ، ورضه ثلاثون

وشقيقتها مينورقة ويابسة واسميه « الاصول المعركة » والغصون المورقة في محاسن جزيرة
ميورقة ، ولعله يكون جزءاً من هذه الموسوعة إن شاء الله

جزءاً وسدس وخمس جزء ، وساعاته أربع عشرة ، والرابع إقليم بابل ، وعرضه ستة وثلاثون جزءاً وعشر ، وساعات نهاره الأطول أربع عشرة ونصف . والإقليم الخامس عرضه أربعون جزءاً ، وتسعة أعشار ، وثلاث عشر ساعة ، وساعاته خمس عشرة ساعة والإقليم السادس عرضه خمسة وأربعون جزءاً ونصف وسدس عشر ، وساعات نهاره الأطول خمس عشرة ساعة ونصف ، والإقليم السابع عرضه ثمانية وأربعون جزءاً ونصف وثلاث عشر ، ونهاره الأطول ست عشرة ساعة . وقد حدّ أقاليمها وأدانيها وبعض ما تشتمل عليه من البلاد المشهورة فقال : إن الإقليم الأول يمر على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما ذكرناه وابتدأؤه حيث يكون نهاره الأطول اثنتي عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه اثنا عشر جزءاً ونصف . وانتهأؤه حيث يكون نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة وربعاً وعرضه عشرين جزءاً وربعاً ، ووسط هذا الإقليم مدينة سبأ ، وما كان في مثل عرضها من مواضع الأرض ، وابتدأؤه من المشرق من أقاصي بلاد الصين الخ .

ولما وصل إلى الإقليم الرابع قال : ويمر الإقليم الرابع على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قد ذكرناه ، وابتدأؤه من الموضع الذي انتهت إليه ساعات الإقليم الثالث ، وعرضه إلى حين يكون نهاره الأطول أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه ثمانيةً وثلاثين درجة . ووسط هذا الإقليم بالتقريب مدينة أصبهان من مواضع ، وابتدأؤه من المشرق آخر أرض الصين وتبتّ وبلخ وخراسان والجبّال وأرض الموصل وشمال الشام ، وبعض الثغور ، وبحر الشام وجزيرة قبرص ، وبلاد طنججة ، إلى أن ينتهي إلى حد المغرب من دون البحر المظلم . ويمر الإقليم الخامس على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قد ذكرناه . وابتدأؤه من الموضع الذي انتهى إليه عرض الإقليم الرابع ، ساعاته إلى حيث يكون نهاره الأطول خمس عشرة ساعة وربعاً وعرضه ثلاث وأربعون درجة ، ووسط هذا الإقليم بالتقريب مدينة مرو ، وما

كان في مثل عرضها من مواضع الأرض . فابتدأوه من المشرق داخل بلاد الترك وشمال خراسان وأذربيجان وكورأرمنية وبلاد الروم وسواحل بحر الشام الشمالية والأندلس إلى أن ينتهى إلى حد المغرب من دون البحر المظلم .

ثم نقل عن بطليموس قوله : لما انقسمت دائرة البروج بأربعة أقسام ، وهى الثلثات ، لأن كل قسم منها ثلاثة أبراج ، على طبيعة من الطبائع الأربع ، التى هى النار والأرض والهواء والماء ، انقسم عامر الأرض بأربعة أقسام ، كل قسم منها منسوب إلى قسم من الثلثات فى الطبايع ، لأن كل محيط بطبع ما أحاط به على قدر طبيعته (إلى أن يقول) فلما كانت هذه الأشياء كذلك ، كان موضع سكنها ينقسم إلى أربعة أرباع متساوية فى العدد للثلثات ، ثم آتى على ذكر الربع المنسوب إلى « أوروبا » - يريد بها أوربة - فقال : ان الأمم الكلية التى تسكن فى هذه الأجزاء هى أهل بلاد الصقابة وبلاد برطانية وعلاطية وجرمانية وباسترائية وإيطالية وغالية وأبولية وطورينية وقلطيقية وسبانية (إلى أن قال) عن طبائع أهل هذه البلدان : يجب أن يكون أهل هذه البلدان ، فى أكثر الأمر ، بسبب رئاسة هذا المثلث ، وبسبب الكواكب التى تشترك فى تديره ، غير خاضعين ، محبين للحرية والسلاح والتعب ، محاربين ، أصحاب سياسة ونظافة ، كبار الهمم ، ولما كان المشتري والمريخ مشتركين فيهم ، إذا كانا فى الحال المنسوبة إلى العشيتات ، وكانت الأجزاء المتقدمة من هذا المثلث مذكرة ، والمتأخرة مؤنثة ، عرض لهذه الأمم ألا يكون لهم غيره فى أمر النساء (إلى أن يقول) : وأما بلاد إيطالية منها وبلاد أبولية - يريد نابولى - وبلاد غالية - جنوبى فرنسا ووسطها - وبلاد صقيلية ، فإنها تشا كل الأسد والشمس ولذلك صار سكانها أصحاب سياسة ، وأصحاب اصطناع المعروف ، وأصحاب مؤساسة . وأما بلاد طورينية منها وبلاد فالتي - يريد بها بلاد السلتيين Celles وهم أمة كانت تجاور الغالين والايبيريين - وبلاد سبانية ، فإنها تشا كل الرامى والمشتري ولذلك صار سكانها سلمي القلوب محبى النظافة . انتهى .

هذا ما جاء في كتاب الهمداني من جغرافي العرب وحكائهم عن اسبانية ، وأما قضية تأثير الكواكب في طباع سكان الأرض ، وما نقله الهمداني عن بطليموس القلودي من هذا الباب فهو معدود اليوم من النظريات البالية ، التي عدل الناس عنها ، لا سيما أننا لا نراها مطردة ولا غالبية حتى نحكم بصحتها .

ما ذكره أبو العباس أحمد المقرئ صاحب كتاب نفع الطيب عن بلاد الأندلس من الجهة الجغرافية

اعلم أعزك الله أنه لا يزال نفع الطيب من أعظم المراجع التي يعول عليها المحققون في أخبار الأندلس ، برغم كل ما عليه من مأخذ ومغامز ، وما فاتته من مباحث ومسائل ، وذلك لأن صاحبه اتصل بكتب كثيرة لم يتيسر لغيره الاطلاع عليها ، وشافه في الشرق والغرب عدداً كبيراً من الجلة وحاضراً ، وكان المقرئ نفسه مولماً بأخبار الأندلس ، متخصصاً فيها حافظاً من أنبائها ، وكلام علمائها ، ونظم شعرائها ، ولا سيما من أقوال لسان الدين بن الخطيب ، وزير بني الأحمر الشهير بما يكاد يكون من المعجزات ، ولما كان قد رحل إلى المشرق ، كأكثر علماء المغرب ، وحج البيت الحرام خمس مرات ، وزار المدينة المنورة ، والبيت المقدس ، انتهى في طوافه إلى دمشق الشام التي أخذت بمجامع فؤاده ، فالتقى بها عصا التسيار ، وتعرف بكثير من علماء الشام وأدبائها وسراتها ، فكان ذكر الأندلس أمامهم ملهيج لسانه الدائم ، وغرام قلبه الملازم ، فأرادوه أولاً على تأليف كتاب يتضمن مروياته عن لسان الدين بن الخطيب ، فصحت عزمته على ذلك ، وبدأ بكتابة هذا الكتاب سنة تسع وثلاثين وألف للهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . إلا أنه بعد ما بدأ به بدا له أن يتوسع في الموضوع ، ولا يقتصر على أخبار لسان الدين وحده فكان عند ما شرع بهذا التأليف سماه « عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن

الخطيب « ثم لما أجمع التوسع في الموضوع عاد فسمى كتابه « بتفتح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب « وهو امرى اسم لائق بمسماه ، ولفظ موافق لمعناه ، ولا أظنه يوجد اسم ألدّ للقارىء من اسم « نفتح الطيب » كما أن الملابس ظاهرة بين قوله « غصن الأندلس الرطيب » ومزايا الأندلس الطبيعية في كثرة جناتها وبساتينها ووفرة قواكها ورياحينها ، وما انصفت به من الخصب والثمار ، وجمعه من زكاء الأرض إلى خير السماء ، ولما كان لسان الدين بن الخطيب في هذا الكتاب الحصة الكبرى في الآثار المروية ، والأصوات المحكية ، لم يكن من العجب أن يجعل اسمه فيه وقد كان في الأصل هو المقصود بالتأليف . هذا وقد كان تأليف المقرئ للفتح حينما كان مقياً بالشام ، ولذلك قال عنه في المقدمة ما يلي :

« وله بالشام تعاق من وجوه عديدة ، هدية لتأمله إلى الطريق السديدة ، أولها أن الداعي لتأليفه أهل الشام ، أتى الله ما أترجم ، وجعلها على مرّ الزمان مديدة ، ثانيها أن المتأخرين للأندلس هم أهل الشام ، ذوو الشوكة والتجدة الحديدية ، ثالثها أن غاب أهل الأندلس من عرب الشام الذين أخذوا بالأندلس وطناً مستأنفاً وحضرة جديدة . واربعها أن غرناطة برل بها أهل دمشق ، وسموها باسمها ، لشبهها بها في القصر والنهر ، والدوح والزهر ، والغوطة الفيحاء ، وهذه مناسبة قوية العرى شديدة »

قد يكون كلام المقرئ هذا مما لا يعجب بعض التأثيرين على السجع في أخريات هذه الأيام ولكنه ذو معنى كبير ، وفيه تصريح خطير ، ولذلك فإن ثورة هذه الفئة على السجع ، والعاصلة ، ليس من شأنها أن تغل من حد رغبتنا في نقل كلام يعود على وطننا الشامي بشقص كذا من الفخر لم يوفره لغيره ثقة كبير ، كأبي العباس أحمد المقرئ المغربي ، إن لم يكن هو حجة في أخبار الأندلس فيا ليت شعري من يكون هو الحجة ؟! فنحن رواة عنه ، ونقله من نصوصه بأسجاعها وفواصلها وحروفها وحركاتها

نعم إن « نفتح الطيب » هو كتاب أدب ، أكثر منه كتاب تاريخ ، وقد قيل فيه ، وكاد يباحق بالأمثال السائرة : إنه « نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الذي من لم يقرأه فليس بأديب » ولكنه إلى هذا الوقت لا يزال عمدة المنقبين عن آثار الأندلس سواء في التاريخ أو في الجغرافية أو في الأدب أو في المحاضرة برغم كل ما فاتته منها ، ولا أزال أنا أستقي من منابعه برغم ما نعمت عليه في كتابي « مختصر تاريخ الأندلس » الذي حررته ذيلاً على « آخر نبى سراج » Dernier Des Abencerrage الرواية التي من قلم شاتوبريان الكاتب الأفرنسي الشهير ، وقد ترجمتها إلى العربية واردتها بتاريخ الأندلس ونشرتهما سنة ١٣١٥ .

فيناسب أن أعيد هنا ما كنت قلته من ٤٠ سنة ، وهو منقول بالحرف عن صفحة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ من ذلك الكتاب ، طبعته الثانية بمطبعة المنار وهو هذا (تحت عنوان) « تمهيد »

إنما حداني إلى تذييل هذه الرواية أمران : الأول إغاثة القارئ على فهم الحوادث ومعرفة المواقع ، بما تُفقد بدونه لذة المطالعة . والثاني ما رأيته من اختصار جرم الرواية ، فأثرت اردافها بذيل يطيل من قدها ، ويزيد في حجمها ، ويكون فيه من حقائق الوقائع التاريخية ما لا يقصر فكاهة عن موهوم الرواية الغرامية ، فجاءت روايتنا ذيلًا ، وإن لم نرج أن تكون طاووساً ، وليست هذه أول مرة جرّت فيها الروايات أذيالًا ، واتخذت القصص أذنانا طولًا .

وما أقصد بهذا الذيل استقصاء تاريخ الأندلس الاجمالي إلا ما اضطر اليه مساق الكلام . فقد كنت منذ نشأتى ممن لا يحبون التأليف فيما كثر فيه التأليف ، وطال فيه المقال كأنما أعده تكرارا لسابق ، أو إعادة لصدى ، وأراه خلوا من كل براعة . وأخبار الأندلس مستفيضة في التواريخ شرقا وغربا ، ومعروفة عند الأدباء بما لا يكون التأليف فيه سوى زيادة في عدد الكتب . وإنما يستحب الانشاء في ماندر

فيه الكلام وعز البحث ، وطمست الأعلام ، فاذا قرأته العامة ، بل الخاصة ، سقطت منه على جديد ذى طلاوة ، ولم تسأمة النفوس ، لعدم تداولها مطالته المرة بعد الأخرى مدارس كتب القواعد التي لا تتغير .

فأشد الأقسام عوزاً إلى البحث من تاريخ هذه البلاد - التي لا تزال نحسبها عربية لكون أحسن أيامها ما كان من أيام العرب فيها - إنما هو القسم الأخير ، وأحوج طائفة من أخبارها إلى التدوين ما تعلق بدور الجلاء ، وعصر الخروج من بلاد كانت مدة الضيافة فيها ثمانمائة سنة ، وذلك لأن هذا الحادث الكبير الذي هو من أضخم الحوادث في الإسلام وقع على حين خمول من القرائح العربية ، وبعد مرور زمن العلم والفلسفة عند معشر الناطقين بالضاد ، ولدى إقحاط البلاد بالأدمغة المتوقدة ، وعقم الأمة عن الرؤوس المولدة ، بحيث فاتته من التأليف والكتابة فيه ما لم يكن ليفوته لو وقع قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة ، فانه لا عطر بعد عروس .

نعم لا أنكر أن (كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للعلامة المقرئ هو من أوفى الكتب بأخبار الأندلس وآدابها : حقيية أنباء ، وقمطر حوادث وخزانه آداب ، وكشكول لطائف ، وديوان أشعار ، وقد كان عهد تصنيفه على أثر النازلة الكبرى بينى الأندلس . وامتصاص سور الكاس ، وعفاء الأثر الأخير من سلطان المسلمين فيها ، بحيث أمكن صاحبه ذكر سقوط مملكة غرناطة ، واستيلاء الاسبانيول على الجميع ، وختم الدولة الإسلامية في تلك الديار ، ولكنه كثير من مؤرخينا أو مؤلفينا الذين لا يرعون النسبة بين الأشياء ولا ينتبهون إلى قاعدة أن الحسن إنما هو تناسب الأعضاء ، فقد بحث في هذا الخطب الجلال ، والحادث العمم ، بحثاً هو دون حقه بدركات ، وأتى عليه كما يأتى على واقعة متوسطة البال ، من الوقائع التي أشار إليها في بطن كتابه واستوعبه في أوراق يسيرة ، كانت لطافتها تكون في كثافتها ، فان التناسب يقضى باعطاء كل مقام من المقال ما يكافيه ، ويقوم بحقه ويحىء على قدره . ولو فسح الفاضل المقرئ رحمه الله لواقعة سقوط مملكة غرناطة ،

وحدث اقراض أمر الاسلام بالأندلس ، ما فسحه في تاريخه للنثر الكثير ، الذى يعنى عن كله بعضه من الخطابات التى صدرت عن لسان الدين بن الخطيب ، أو وجهت إليه ، أو إلى غيره ، أو الشعر الغزير الذى كثير منه حقيق بالاسقاط من ذلك المجموع ، والقصاص التى يروىها عن بعض المشايخ مع طول أناة غريب فى الاستقصاء ، مع أنه ليس فيها ما يرفع أقدارهم إلى السماء ، لكان ذلك أجزل فائدة وأسنى موقفاً ، وكانت الناس قد شفت غليلها من خبر هذه الطامة التى لكل الحوادث سلوان يستلها ، وليس لها سلوان ، كما قال أبو البقاء الرندى ، ولكفينا مؤونة النقل عن كتب الافرنج فيما يختص بالعرب ، وحسبك أنه ذكر جميع وقائع السلطان أبى عبد الله بن الأحمر ، وعمه الزغل ، وذهب تلك المملكة ، وما جرى فى ضمنه من الحروب وما حصر من المدن ، فى مسافة من التاريخ ، استوعبت أطول منها رسالة ، واحدة صادرة عن ذلك السلطان إلى الشيخ الوطاسى صاحب فاس فى موضوع أبرد ما فيه ، مع طوله ، أنه اعتذار عن سقوط آخر ممالك المسلمين بالأندلس على يده ، بأن الخطب غير نادر المثال ، وأن بغداد ، دار خلافة بنى العباس ، قد أصابها ما أصاب غرناطة ! فانظروا هل هذا مما يؤثر على طوله ، أو مما ترتاح الأنفس إلى قبوله ، على فرض صحة تمثيله ؟ وإن كان العذر فى ذلك ما يقال من أن صاحب النسخ قد ألفه وهو نضو أسفار ، خال من الأسفار ، ليس لديه من العدة ما يستعين به على الاطالة ، والأخذ بالأطراف ، فسبحان الله ! كم يتلهى بعض علمائنا بحفظ ما لا ينفع عن تعليق ما ينفع ؟ ! وهذا الفاضل المقرئ قد أملى عن ظهر قلبه أربعة مجلدات كبار ، أودعها من التاريخ والجغرافية والقصاص والنسكات ، وحشاها من الشعر والنثر والتراجم والتصوف . غثاً وسميناً ، ما لا أظن حافظة تتمكن من اختزانه بين صدغين ، وتركنا فى التاريخ المهم من تفصيل الوقائع الشداد ، والمعارك التى سالت فيها أنهر الدماء ، فى دور النزاع الأخير ، عيالا على الافرنج ، مضطرين إلى الأخذ من مصنفاتهم ،

فكنا وإياهم في أخذ تاريخنا عنهم كما كنا في أخذ لفتنا عن صحاح الجوهري (١) ولا لشك أن في ديار المغرب من التواريخ عن كارثة الأندلس الأخيرة ما يستوفى شرحها (٢) ولكنه لم يشتهر عندنا في المشرق غير نفح الطيب من متأخر التأليف ، وهذه هي الحال معه ، فلا عجب أن ساقنا حب الاستقصاء ، واقتفاء أثر أبناء الجلدة ، إلى أخذ أخبارنا عن الأجانب وتلونا : (هذه بضاعتنا ردت إلينا) اه هذا ما كتبه عن نفح الطيب يوم كنت في السابعة والعشرين من العمر ، ولست من بعد مضي تسع وثلاثين سنة على ذلك القول براجع عنه اليوم من حيث الجوهري ، وإن كنت أراي الآن أقل قسوة ، وأكثر عطفاً على المقرئ وأعظم تقديراً لما أملاه في كتابه ، ولا عجب فالذي عند الشيخ من سعة الطبع ، وقبول العذر ، ليس عند الشاب .

(١) إن الجوهري كان فارسياً فلما ألف كتابه الصحاح في لغة العرب قيل إنه قال لهم : خذوا لغتكم عن هذا الرجل الأعجمي . فجعلت أنا هذه الجملة من قبيل المثال . ولما طبعت كتابي هذا طبعته الثانية بمطبعة المنار وكان الأستاذ الأكبر فقيده الاسلام في هذا العام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله هو المتولى تصحيح الطبع أخذته الغيرة من جملة هذه فعلق عليها في الحاشية ما يلي : يعني أخذ العرب لغتهم عن الجوهري وهو أعجمي النسب . ولكنه صار من العرب لغة وأدباً ودينياً وكتابه الصحاح أحد معاجم اللغة وقد ألف العرب قبله وبعده معاجم تغني عنه وليس فيه شيء لا يوجد في غيره اه . قلت وهذا لا يمنع من أن تكون تلك الجملة قد قيلت وأن يكون المثال مطابقاً للحال .

(٢) كنت يومئذ أظن ذلك ولكني لم أجد هذه الضالة بعد البحث والاستقراء إلا ما كان من وجداني ، أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر ، وكتاب محمد بن عبد الرفيق الأندلسي التوفي عام اثنين وخمسين وألف أي بعد الجلاء الأخير بخمس وثلاثين سنة اطلعت منه على فصل نقله عنه الشيخ أبو عبد الله محمد أبو جندار في كتابه تاريخ رباط الفتح ، وشياً من أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، وعلى كل حال فقول المستشرق دلافى روفسال ، Lévi - Provençal في الانسيكلوبيديّة الاسلامية L' Encyclopédie De Lislam إن نفح الطيب هو الوثيقة الوحيدة التي في أيدينا عن حادثة خروج العرب الهائي من أسبانية ليس بصحيح

ولنبداً الآن وقد أردنا أن ننقل ما جاء في النسخ من المعلومات الجغرافية عن الأندلس لتقارن بينها وبين معلومات سائر مؤلفي العرب كابن حوقل والادريسي وياقوت وغيرهم . قال في الجزء الأول في صفحة ٦٣ من الطبعة الأولى المنسوبة إلى المطبعة الأزهرية المصرية ما يلي :

الباب الأول

في وصف جزيرة الأندلس ، وحسن هوائها ، واعتدال مزاجها ، ووفور خيراتها واستوائها ، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها ، وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بأنوائها ، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور ، وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور ، المستمدة من أضوائها ، فأقول :

محاسن الأندلس لاتستوفي بعبارة ، ومجاري فضلها لا يشق غباره ، وأنى تجارى وهي حائزة قصب السبق ، في أقطار الغرب والشرق ؟ ! قال ابن سعيد : إنما سميت بالأندلس ابن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدو المقابلة لها واليه تنسب سبته ^(١) . قال : وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لأنهم إما عرب أو متعربون ^(٢) انتهى . وقال الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية ، أعادها الله تعالى للإسلام ، ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ما نصه : خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ، ولذاذة الأوقات وفراهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبجر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وبيضاض ^(٣) ألوان الانسان ، ونبل

(١) هذه من الروايات التي هي أشبه بالأساطير

(٢) هذا القول ليس كالذي قبله بل هو في غاية الصحة

(٣) عند ما كنت في غرناطة نازلاً في فندق الحمراء أحسن فنادقها كنت أسأل

عن الاماكن والبقاع دليل ذلك الفندق وكان من الأدباء فقلت له ذات يوم : جئت

الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفوذ الادراك ، واحكام المدن ، والاعتماد بما حرمه الكثير من الأقطار ، مما سواها . انتهى .

وقال أبو عامر السلي في كتابه المسمى « در القلائد و غرر الفوائد » : الاندلس من الأقليم الشامي ^(١) وهو خير الأقليم وأعدلها هواء و تراباً ، وأعذبها ماء ، وأحسنها حيواناً ونباتاً ، وهو أوسط الأقليم ، وخير الأمور أوسطها

قال أبو عبيد البكري : الأندلس تنامي في طبيها وهوائها ، يمنية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكاها ، أهوازية في عظم جباياتها ، صينية في معادن جواهرها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة اليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة ، ^(٢) ، وكان من ملوكهم الذين أنثروا الآثار بالاندلس هرقلس ، وله

إلى أسبانية من جهة فرنسة فكنت أضن أن سكان الصقع الشمالى منها أوضاً وجوهاً وأشرق جمالا من سكان الجنوب فرأيت الأمر بالعكس إذ أنى كمت كلما تقدمت إلى الجنوب أرى الوجوه أحسن والقود أرشق والنعمة أظهر . فأجابه فوراً : هذا صحيح يعده كل احد وذلك لأننا نحن فى الجنوب عرب

(١) يريد أنها موازية للشام وأنها على خط واحد ومن المعلوم أن القطر الشامى هو فى الجغرافية مثال الاعتدال

(٢) لليونانيين فى أسبانية آثار لا تسكر ، لكنها لا تذكر بالقياس إلى آثار الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان والذى يلوح لنا أن أبا عبيد البكري حمل أكثر ما فى أسبانية القديمة من الآثار على تأثير اليونانيين . وهذا خطأ . أو أنه خلط بينهم وبين الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان . والحقيقة أن اليونانيين جاءوا إلى السواحل الأسبانية من جهة البحر المتوسط ، ويظن أن اتجاعهم لهذه السواحل وقع بين سنة ٦٣٠ وسنة ٥٧٠ قبل ميلاد المسيح ، ولم ينحصر تبسطهم فى سواحل البحر المتوسط ، بل اخترقوا بحر الزقاق ، وامتدوا على سواحل غاليسية وقتبرية ، ومع هذا فأكثر ما كانت لهم مستعمرات مو فى السواحل الشرقية التى هى اليوم سواحل كتلونية إلى بلنسية ودانية . وكانوا يسمون مستعمراتهم هذه أمبورياس Ampurias وتوابعها ، ومنها كانوا يتقدمون إلى الداخل لاجل التجارة مع الايبيريين ، وأكثر ما بقى عنهم من الآثار إنما

الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جيليقية ، والأثر في مدينة طر^١ كونة^(١) الذي لا نظيره .

قال المسعودي : بلاد الأندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . انتهى باختصار . ونحوه لابن اليسع إذ قال : طولها من أربونة إلى أشبونة ، وهو قطع ستين يوماً للفراس المجد . وانتقد بأميرين : أحدهما أنه يقتضى أن أربونة داخلية في جزيرة الأندلس ، والصحيح أنها خارجة عنها ، والثاني أن قوله ستين يوماً للفراس المجد اعياض وافراط ، وقد قال جماعة أنها شهر ونصف . قال ابن سعيد : وهذا يقرب إذا لم يكن للفراس المجد . والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر . وكذا قال الحجارى . وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حساباً بالمراحل الجيدة أفضى إلى نحو شهر بنيف قليل . قال الحجارى في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجز إلى أشبونة الف ميل ونيف أ هـ . وبالجملة فالمراد القريب من غير مشاححة ، كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ، ثم قال بعد كلام : ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط بأر بعون

وجد في خرابات أمبورياس وروزاس ، وهى من آنية الزجاج ، ومن الفخار الملون ، ومن الحلى ، ومن بعض التماثيل ، مثل تمثال اسكولاب المحفوظ في متحف برشلونة ، ووجدت أيضاً بعض قطع من الفسيفساء ، ووجدت مسكوكات مضروبة في أمبورياس وروزاس اللتين يظهر أنهما أول المدن الأسبانية التى وقع فيها ضرب السكة ، وكان لليونانيين في أمبورياس وروزاس ودانية معابد للالهة ديانة Diane التى هى من معبودات آسية فى الأصل

(١) إن الذى أثر الآثار العظيمة فى طر كونة الباقية إلى يومنا هذا تدهش الناظر وتذهل الخاطر ، إنما هو أغسطس الرومانى الذى أقام بها سنة ٢٦ قبل المسيح ، فبنى فيها الهيكل العظيم لعبادة الآلهة رومة ، وكانت فيها هياكل أخرى وأبنية يقصر عنها الوصف . وأما قادس فقد كان استولى عليها الفيثيقيون ، ثم آلت إلى الرومانيين ، وسكن بها أناس من اليونانيين ، وترك الجميع فيها آثاراً مذكورة . وهيكل قادس المشهور عند العرب بصنم قادس هو من آثار الفيثيقين

ميلا ، وهذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق ، ولقلته ، سميت جزيرة ، وإلا فليست بجزيرة على الحقيقة ، لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة ، وعرض جزيرة الأندلس في وسطها عند طليطلة ستة عشر يوماً .

وانفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في حير أربونة ، فمن قال إنه في أربونة . وإن هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التي في الركن الشرقي الشملى أحمد بن محمد الرازي ، وابن حيان . وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة ، وحق الأمر الشريف ، وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار براً وبحراً إليها ، وتفردغه هذا الفن . فان ابن سعيد : وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح ، ذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة ^(١) غير داخنتين في أرض الأندلس . وأن الركن الموفى على بحر الرقاق بالشرق بين برشلونة وطركونة ^(٢) في موضع يعرف بوادي « زنةطو » ، وهناك الحاجز الذي يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ذات الألسن الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت ، الفاصل في الحاجز المذكور ، وفيه الأبواب التي فتحها ملك اليونان بالحديد والنار واخزل ، ولم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة قبل ذلك في البر . وذكر الشريف أن هذه الأبواب في مقابقتها في بحر الرقاق البحر الذي بين جزيرتي ميورقة ومنورقة ، وقد أخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية . ومسافة هذا الجبل الحجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلا قال : وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل ، وهي من مدن الأفرنجية ، مطلة على البحر المحيط ، في شمال الأندلس . قال ويتقهقر البر بعد تميز هذا الركن إلى

- (١) أما أربونة Narbonne فغير داخلة في الجزيرة الايبيرية وأما برشلونة فهي داخلة فيها لأن كل ما هو جنوبي جبال البرانس هو داخل في الجزيرة
- (٢) كلا جبال البرتات ليست بين طركونه وبرشلونة بل هي إلى الشمال منهما وهي الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة

الشمال في بلاد الفرنجة ، ولهم به جزائر كثيرة ، وذكروا من الركن الشمالى عند « شنت ^(١) ياقوه » من ساحل الجلالة في شمال الأندلس ، حيث تبتدىء جزيرة « برطانية ^(٢) الكبيرة » فيتصوّر هنالك بحر داخل بين ارضين ، من الناس من يجعله بحراً منفرداً خارجاً من البحر المحيط ، لطوله الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل ^(٣) . وذكر الشريف : ان عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور ، على جبل بمجمع البحرين ، صنما مطلاً مشبهاً بصنم قانس .

(١) Santiago (٢) Grande - Bretagne

(٣) إن سكان أسبانيا الاصليين لم يتركوا كتابات تاريخية ولا جغرافية عن بلادهم ، كما يصرح به الاستاذ رافائيل بالستر Ballester أحد علماء التاريخ في اسبانية الذى ألف أحسن تاريخ لتلك المملكة ، ونشر كتابه سنة ١٩١٧ ، ثم أعيد طبعه مراراً ، لاقبال الناس عليه ، بما فيه من تحقيق وتمحيص ، واختصار لا يفوت معه معنى مهم ، واجتناب للخوض في مالم يثبت بطريقة علمية . فهو الذى يقول : إن جميع ماورد من المعلومات القديمة عن أسبانية إنما جاء في كتب الرومان واليونان ، وهى أيضاً معلومات ناقصة ، ومنها ما ليس مستنداً إلى وثائق يركن إليها . ثم قال إن أقدم كتاب ورد فيه ذكر أسبانية هو كتاب الاوديسه Odyssee المنسوب إلى هوميروس ، وهو ديوان شعر شهير ، وقد جاء فيه ذكر أسبانية تحت اسم « سيكانيه » Sicania وأنها بقعة خصيبة في أقصى المغرب . وفي المائة الخامسة قبل المسيح كان اليونان يعرفون جنوبي أسبانية ، ويسمون ذلك القطر ببلاد تارتسيد Tarteside ويعرفون أيضاً القسم الشرقى من أسبانية ، ويقولون له « ايبيرية » نسبة إلى نهر ايره ، وقد شمل هذا الاسم فيما بعد سائر شبه الجزيرة الايبيرية . أما اسم « اسيرية » Hesperia فيظهر أنه كان اسماً شعرياً أطلقه اليونان على جميع الاقاليم الغربية . ولم يكن جغرافيو اليونان يادىء ذى بدىء يعرفون خليج عشقونية Gascogne ، وكانوا يظنون أن أسبانية إنما هى على مساواة غالية ، أى جنوبي فرنسا . وبقي الامر كذلك إلى القرن الرابع قبل المسيح ، فجاء سائح اسمه بيتياس Pythéas فاطلع على أن في شمالي اسبانية إلى الغرب بحراً يجعل أسبانية عبارة عن شبه جزيرة

ومن ذلك الوقت صار يقال لأسبانية شبه الجزيرة الايبيرية . وأول ما عرف الأقدمون من أسبانية هو السواحل الجنوبية والشرقية ، أى من جبال البيرانس إلى

والركن الثالث بمقربة من جبل الأغن ؟ حيث صنم فادس . والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط ، ماراً مع ساحل البحر الجنوبي الى جبل البرت المذكور . انتهى .

والكلام في مثل هذا طويل الذيل . قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي : بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب ، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة ، طيب التربة ، خصب الجناب ، منبجس الانهار العزار ، والعيون العذاب ، قليل الهوام ذوات السموم ، معتدل الهواء والجو والنسيم ، ربيع وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال ، وسيطة من الحال . لا يتولد في احدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص ، تتصل فواكه اكثر الأزمنة ، وتدوم متلاحقة غير مفقودة . أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره . واما الثغر وجهاته ، والجبال المخصوصة يبرد الهواء ، فيتأخر بالكثير من ثمره ، فمادة الخيرات بالبلد متبادية في كل الاحيان ، وفواكه على الجملة غير معدومة في كل اوان . وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره ، منها ان المحلب وهو المقدم في الافاوية ، والمفضل في أنواع الأتشان^(١) لا ينبت بشيء من الأرض الا بالهند والاندلس ، والاندلس المدن الحصينة ، والمعقل المنيع ، والقلاع الحريزة ، والمصانع

أعمدة هرقل التي هي بوغاز جبل طارق ، وأما السواحل الجنوبية فكانت عندهم تنتهي برأس سانفنسان Saint - Vincent كما أن الساحل الشمالي كان ينتهي برأس اورتغال Ortegal فكان الاولون يتصورون سواحل أسبانية من جهة الجنوب تصوراً صحيحاً ، أما من جهة الغرب فكانت في تخيلهم أقصر مما هي في الواقع . فاما أواسط أسبانية فلم تعرف إلا في المائة الثانية قبل المسيح . قال المؤرخ رافائيل بالستر : إن بين أسبانية وأفريقية تشابهاً عظيماً من الجهة الجغرافية ، وقال أيضاً إن أحسن وصف لاسبانية مما تركه الاقدمون هو ما جاء في كتاب سترابون الجغرافي اليوناني الذي وجد قبل المسيح بقرن واحد .

(١) بضم أوله هو الحمض الذي يغسل به الأيدي وقد يكسر أوله

الجليلة ، ولها البرّ والبحر ، والسهل والوعر ، وشكلها مثلث ، وهي معتمدة على ثلاثة أركان ، الأول هو الموضع الذي فيه صنم قانس المشهور بالأندلس ، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامى ، الآخذ بقبلى الأندلس . والركن الثانى هو بشرقى الأندلس ، بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل ، مما بايدى الفرنجة اليوم ، بازاء جزيرتى ميورقه ومنورقة ، بمجاورة من البحرين ، البحر المحيط والبحر المتوسط ، وبينهما البر الذى يعرف بالابواب ، مسيرة يومين . ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط . ^(١) والركن الثالث منها هو ما بين الجوف ^(٢) والغرب من حيز جليقية ، حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيها الصنم العالى المشبه بصنم قانس ، وهو الطالع على بلد برطانية . قال : والأندلس اندلسان فى اختلاف هبوب رياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان انهارها : اندلس غربى ، واندلس شرقى . فالغربى منها ما جرت اوديته الى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف ، الى بلد شنتمرية ، طالماً الى حوز « اغريطة » ^(٣) المجاورة لطليطلة ، مائلاً الى الغرب ، ومجاورا للبحر المتوسط ، الموازى لقرطاجنة الخلفاء ، التى من بلد لورقة ، وللحوز الشرقى المعروف بالأندلس الأقصى . وتجرى اوديته الى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حدّ جبل البشكنس ، هابطاً مع وادى « ابره » ^(٤) الى بلد « شنت » ^(٥) مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفى القبلة منه البحر الغربى ، الذى منه يجرى البحر المتوسط ، الخارج الى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر « تيران » ^(٦) ومعناه الذى يشق دائرة الارض ، ويسمى البحر الكبير . انتهى .

(١) سهو من الناسخ فان نربونة تقابل البحر المتوسط

(٢) المغاربة والاندلسيون يقولون للشمال الجوف كما تقدم الكلام عليه وسنعود اليه

(٣) أظن أنه المكان الذى يقول له الاسبانيول Agredas

(٤) Ebro (٥) Santa Maria

(٦) يكتب بالافرنسية هكذا Tyrrhenienne وهو البحر الذى يفصل بين

إيطالية وقورسقة وسردانية وصقلية

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظم : بلد الاندلس عند علماء
 أهل اندلسان : فالاندلس الشرقى منه ما صبّت أوديته الى البحر الرومى المتوسط ،
 المتصاعد من أسفل أرض الأندلس الى المشرق ، وذلك ما بين مدينة تدمير الى
 سرقسطة . والاندلس الغربى ما صبّت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط ،
 أسفل من ذلك الحد ، الى ساحل المغرب . فالشرقى منهما يطر بالريح الشرقية ،
 ويصلح عليها ؛ والغربى يطر بالريح الغربية ، وبها صلاحه ، وجباله هابطة الى الغرب ،
 جبلا بعد جبل . وإنما قسمته الاوائل جزئين لاختلافهما فى حال امطارهما ، وذلك انه
 مهما استحكمت الريح الغربية ، كثر مطر الاندلس الغربى ، وقحط الأندلس الشرقى ،
 ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الأندلس الشرقى ، وقحط الغربى .
 وأودية هذا القسم تحرى من الشرق الى الغرب ، بين هذه الجبال . وجبال الاندلس
 الغربى تمتد الى الشرق ، جبلا بعد جبل . تقطع من الجوف الى القبله ، والودية
 التى تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبله ، وبعضها الى الشرق ، وتنصب
 كلها الى البحر المحيط ، بلاندلس القاطع الى الشام ، وهو البحر الرومى . وما كان
 من بلاد جوف الأندلس من بلاد جايقية وما يليها ، فإن أوديتها تنصب الى البحر
 الكبير المحيط بناحية الجوف^(١) (وصية الأندلس) تتكل مرن على مثل الشكل

(١) تقدم لنا أن اخواننا المغاربة اصطالحوا على تسمية الشمال بالجوف ، وأنا
 بحثنا كثيرا حتى نعلم وجه هذه التسمية ، لانه ليس فى كتب اللغة ما يدل على أن الجوف
 يعنى به الشمال ، بل الجوف فى اللغة هو المظمتن من الارض ، وهو داخل الشئ .
 فن الانسان بطه ، ومن البيت داخله . ولا مناسبة بين الشمال والجوف فى شئ .
 ومع هذا فلا تكاد فى جميع كتب الأندلس تجد معنى الشمال معبرا عنه بغير الجوف ،
 بما حدانا أن نسأل اخواننا المعروفين بسعة الاطلاع فى اللغة ، واصالة الرأى . فى توجيه
 معانى الالفاظ ، عما يرونه من وجه هذا الاصطلاح ، فالسيد علال القاسى من رؤوس
 أدباء المغرب ، رأى كما تقدم الكلام عليه ، أن الجوف بلاد واقعة فى شمال مكة فكما
 أن الجنوب يسمى بالقبله فى بلاد الشام ، أصبح الجوف علما على الشمال بالنسبة الى
 أهل الحجاز ، ومن هنا غلب هذا الاستعمال فى المغرب والاندلس . وقد استحسن

المثلث ، ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب ، حيث اجتمع البحرين عند صنم

هذا الرأي الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق .
وأما الأستاذ الأب انسطاس الكرملي فقال إلى القول بأن الذين أطلقوا الجوف على
على الشمال لا بد أن يكونوا أهالي شمالي أفريقية لأن الريح الشمالية تهب عليهم من
جوف البحر المتوسط فصار كل شمالي عندهم جوفاً . ثم أنه جاءني جواب في هذا
الموضوع من الأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي يقول فيه : إن أهل تونس كما
يسمون الجنوب بالقبلة ، يسمون الشمال بالجوف . وتجدهم هذا الاستعمال فاشياً في
تحديد الأرضين ، ويظهر أنه جاء إلى تونس من الأندلس ، وكنت أخبرت الأستاذ
الحضر عما ظهر للأستاذ علال الفاسي من جهة هذا الاستعمال ففي جوابه قال لي أنه قد
خطر ذلك على باله ، ولكن لم يطعن إليه لأن هذه الكلمة بهذا المعنى لم تستعمل
إلا بالمغرب والأندلس . ويظهر أن أصل استعمالها هو في الأندلس ، فربما كان السبب
فيه أن العرب دخلوا الأندلس من جهة الجنوب ، فكان الجوف عندهم هو داخل البلاد ،
وهو في الشمال كما لا يخفى ، فصار الشمال عندهم مرادفاً للجوف

وأما كاتب هذه السطور فقد كنت من أول الأمر أظن أن العرب لما كانوا قد
دخلوا الأندلس من الجنوب ، وتوغلوا فيها إلى الشمال ، وصلوا إلى ما يسمونه بالأرض
الكبيرة ، شمالي البرانس ، وهي وسط القارة الأوروبية ، لا طرفها كما هي أسبانية فصاروا
يقولون للأرض الكبيرة جوفاً ، ولما كانت الأرض الكبيرة هي في الشمال نجراً ،
صار الشمال والجوف عندهم مترادفين . وقد جاءني من السيد علال الفاسي مؤخراً
كتاب يقول فيه : « وأما رأيكم فقد وجدت ما يستأنس له به في كلام ابن خلدون
فقد جاء عنده في صفحة ٣٠٣ مالمظة : « وقال هوروشوش أن نبرون قصر انتقض
عليه أهل مملكته ، فخرج عن طاعته أهل بريطانيا من أهل الجوف ، ورجع أهل
أرمينية والشام إلى طاعة الفرس اه .

وخلاصة القول أن الاستاذين عبد القادر المغربي وعلال الفاسي يميلان إلى القول
بأن الجوف استعمل للشمال لوقوع بلاد الجوف في شمالي مكة ، كما استعملت القبلة
لمعنى الجنوب لوقوعها في شمالي الشام ، وأن العلامة الكرملي يرى التسمية المذكورة
بدأت عند أهل شمالي أفريقية ، لكون الرياح الشمالية تهب على بلادهم من جوف ،
البحر المتوسط ، وأن العلامة خضر حسين التونسي يذهب إلى رأي قريب من رأي

قادس . وركنها الثاني في بلد جليقية ، حيث الصنم المشبه صنم قادس ، مقابل جزيرة بريطانية . وركنها الثالث بين مدينة نربونة ، ومدينة بريدل من بلد الفرنجة ، بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة ، لولا أنه يبقى بينهما برزخ برية صحراء وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل إلى الأرض الكبيرة ، التي يقال لها الأبواب ، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ، ذات الألسن المختلفة .

قال : وأول من سكن بالأندلس على قديم الأيام ، فيما نقلته الاخبار يون ، من بعد عهد الطوفان ، على ما يذكره علماء عجمها ، قوم يعرفون بالانداس ، معجمة الشين بهم سمى المكان ، فمرّب فيما بعد بالسين غير المعجمة ، كانوا الذين عمروها ، وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرًا ، على دين التمجس والإهمال والإفساد في الأرض ، ثم أخذهم الله بذنوبهم ، فحبس الطر عنهم ، ووالى القحط عليهم ، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها ، وغارت عيونها ، ويبست أنهارها ، وبادت أشجارها ، فهلك كثيرهم ، وفرّ من قدر على الفرار منهم ، فافقرت الأندلس منهم وبقيت خالية ، فيما يزعمون ، مائة سنة و بضع عشر سنة ، وذلك من حد بلاد الفرنجة إلى حد بحر الغرب الأخضر

هذا العاجز ، وهو أن العرب جاؤا الأندلس من الجنوب ، فكان داخلها أو جوفها هو الشمال في نظرهم ، وفي الواقع ، فأطلقوا كلمة الجوف على كل ما هو شمالي . وإنما الفرق هو في أني أنا أظن أن الجوف عند العرب لم يكن جوف الأندلس نفسها ، ولكن جوف القارة الاوربية كلها ، لأن الأندلس في ذاتها هي طرف بالنسبة إلى القارة المذكورة ، فالأندلس وجزر البحر المتوسط وإيطالية هي بالنسبة إلى أوربة معدودة من الاطراف ، والجوف هو وسط القارة . ولما كان هذا الوسط هو في الشمال بالنسبة إلى أهل المغرب وعرب الأندلس ، فقد أطلق هؤلاء اسم الجوف على الشمال وكلام ابن خلدون فيه ما يدل على هذا ، لأنه يذكر اتقاض أهل بريطانيا ، وهم أهل شمالي فرنسا وجزيرة انكلترة ، ويعدم أهل وسط أوربة فهذه هي الآراء المختلفة في هذا التوجيه والقارىء أن يختار منها ما يشاء

وكان عدّة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام و بضع عشرة سنة . ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة ^(١) ، فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة ، قوم منهم ، أعلام

(١) أى أهل أفريقية . وهذا الرأى الذى قاله ابن النظام معروف فى أوربة . قال رافائيل بلاستر فى تاريخ أسبانية ما خلاصته : إن الذين عمروا أسبانية قبل الجميع هم الليقوريون Ligures والايبيرون Ibères والسلتيون Celtes فأما أصل الليقوريين فجهول ، ولا يعرف وجودهم إلا من بعض أسماء البقاع ، وكل ما يقال عن أصلهم فهو رجم بالغيب : وأما الايبيرون فقد ذهب قوم إلى أن أصلهم هو من آسية ، وقيل إنهم من أصل سامى أفريقى ، وذلك لشدة التشابه بين الايبيين وبين قبائل الاطلس ، والبرابر والطوارق ، سواء فى الملامح ، أو فى المنازع والأخلاق ومن المؤرخين من يرى أن الايبيين هم أجداد الباشكنس الحاليين ، ويستدلون على هذا ببعض أدلة لغوية . أما السلتيون فهم شعب طراً من آسية على غربى أوربة والوسط منها وقد اتجموا أسبانية فى القرن السادس قبل المسيح ، وأقاموا بغربها وموسطها ، وتلاقوا مع الايبيين ، ولم يطرد أحد الفريقين الآخر . وكانت نتيجة تساكن هذين العنصرين تولد اسم « السلتيبير » ، Celtibères أى السلتى الايبرى وهو اسم أطلق على الايبيين الذين فى أواسط أسبانية وقد عرف هذا الاسم منذ سنة ٢١٨ قبل المسيح وبالاختصار كانت اسبانية لذلك العهد منقسمة إلى ما يلى :

القسم الشمالى الشرقى الذى يقطنه الباشكنس ، مثل يسقاية ونبارة ، ووشقة ، والفاردول Vardules فى « قيبوسقوا » ، Guipuzcoa . والايبرجيت Illergetes فى لاردة . والكوزيتان Cosétanes فى طركونة ، واللاسيان Lacétanes فى برشلونة والاوزيتان Ausétanes ، والانديجيت Indigètes فى جرنده Géronne ، والايديتان Edetans فى بلنسية ، والباستيتان Bastitans فى لقنت ومرسية ، والترديتان Turdetans والتردول Turdules والتارتيز Tarteses فى الجنوب من بوغاز جبل طارق إلى وادى يانه Guadiana . ثم القسم المتوسط ، وسكانه الاوريقان Orétans فى جهات المانش . والكاريتان Carpétans فى طليطلة . والاريتاك Arévaques فى شوريه Soria ونومانسيه Numancia مع المقاطعات السلتيبيرية الممتدة من الوادى الجوفى Dourv إلى أرض بالنسية Palencia (هى غير بلنسية Valencia) حيث يسكن القاسيون Vaceens

ملك أفريقية تخفيفاً منهم ، لإبحال توالى على أهل مملكته ، وتردد عليهم ، حتى كاد يفنيهم ، فحمل منهم خلقاً فى السفن مع قائد من قبليدعى أبطريقس ، فأرسوا بريف الأندلس القرى ، واحتلوا بجزيرة فادس ، فاصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت فحرت أسهارها ، وانفجرت عيونها ، وحييت أشجارها ، فنزلوا الأندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها ، فكثروا ، واستوسعوا فى عمارة الأرض ، ما بين الساحل الذى أرسوا فيه غربها ، إلى بلد الأفرجة من شرقها ، ونصبوا من أنفسهم ملوكاً عليهم ، ضبطوا أمرهم ، وتولوا على إفنة دولتهم ، وهم مع ذلك على ديانة من قباهم من الجاهلية ، وكانت دار مملكتهم « طاققة » ؟ الخراب اليوم ، من أرض أشبيلية ، اخترعها ملوكهم وسكنوها ، فانسق مملكتهم بالأندلس مائة وسبعة وخمسين عاماً ، إلى أن أهلكهم الله تعالى ونسخهم بعجم رومة ، بعد أن ملك من هؤلاء الأفرجة فى دولتهم تلك أحد عشر ملكاً .

ثم صار ملك الأندلس إلى عجم رومة . ومملكتهم أشبان بن طيطش ؟ وباسمه سميت الأندلس اشبانية . وذكر بعضهم أن اسمه أصهبان . وحيل لسان العجم ، وقيل بل كان مؤند باصهبان ، فغلب اسمها عليه ^(١) ؟ وهو الذى نبى إشبيلية . وكان اشبانية اسماً خالصاً لبلد اشبيلية . الذى كان ينزله اشبان هذا ثم غاب الاسم بعده على الأندلس كله . فالعجم الآن يسمونه اشبانية ، لأنار اشبان هذا فيه ، وكان أحد الملوك الذين

ثم القسم الثالث الذى يقطنه القمبيريون Cantabres أهل سنت اندر (أوشنت ادرم) والاستوريون Astures . (أو الاشنوريون) والغاليسيون Gallaïques أهل غاليسيا Galicia وقبائل سلتيه ساكنة بين البحر المحيط والوادي الجوفى والأمة التى يقال لها اللوزيتانيون Lusitains وهم أقوى أمة ايبيرية بين الوادي الجوفى ووادي يانه أى البرتغال وشمالى الاسترامادور . وإلى الشرق من لوزيتانية كان يسكن الفتونيون Vettons وكان فى جزيرتى ميورقة ومينورقة قوم يقال لهم « الجيمناز » Ginnèses وفى جزيرة يابسة قوم يقال لهم « البيتيوز » Pyticuses

(١) لم نعثر على شىء من هذا فى كلام المحققين

ملكوا أقطار الدنيا ، فبازعموا ، وكان غزا الافارقة ، عند ما ساطه الله عليهم في جموعه ففض عسا كرم ، وأنخن فيهم ، ونزل عليهم بقاعدتهم « طالقة »^(١) وقد تحصنوا فيها منه ، فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم . واتصل حصره وقتاله لهم ، حتى فتحها الله عليه وغلبهم ، واستوت له مملكة الأندلس بأسرها ، ودان له من فيها ، فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها إلى مدينة أشبيلية ، فاستتم بناءها . واتخذها دار مملكته واستغلاظ سلطانه في الارض ، وكثرت جموعه ، فعلا ، وعظم عتوه . ثم غزا إيليا ، وهي القدس الشريف ، من أشبيلية ، بعد سنتين من ملكه ، خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة الف واسترق مائة الف ، ونقل رخام إيليا وآلاتها إلى الأندلس وقهر الاعداء ، واشتد سلطانه . إنتهى .

ودكر بعض المؤرخين : أن الغرائب التي أصيبت في مغام الأندلس أيام فتحها كائنة سايمان عايه الصلاة والسلام ، التي ألغاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة . وقليلة^(٢) الدر التي ألغاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة ، وغيرها من ظرائف الذخائر ، إنما كانت مما صار لصاحب الأندلس من غنيمه بيت المقدس . إذ حضر فتحها مع بختنصر^(٣) ، وكان اسم ذلك الملك بريان ؟ وفي سهمه وقع ذلك ومثله ، مما كانت الجن تأتي به نبي الله سايمان^(٤) ، على نبينا وعايه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام . انتهى .

(١) جاء ذكر طالقة هذه في معجم البلدان لياقوت قال : طالقة ناحية من أعمال اشبيلية بالأندلس . وقرأت أسماء علماء من العرب منسوبين إلى طالقة

(٢) تصغير قلة بمعنى جرة

(٣) المعروف أن الذي فتح بيت المقدس من ملوك بابل هو نوكدنصر الثاني ابن نابوبولصر وكان قد خلف أباه سنة ٦٠٤ قبل المسيح وهو الذي حصر بيت المقدس مرتين سنة ٥٩٧ ثم سنة ٥٨٦ وسبى بني اسرائيل السبى الشهير المعروف بسبى بابل .

(٤) هذه كلها من أساطير الأولين

وقال غير واحد من المؤرخين ، كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الأندلس لاتصال الأرض ، ويتقون منهم الجهد الجهد في كل وقت ، إلى أن اجتاز بهم الاسكندر^(١) ، فشكوا حالهم اليه . فأحضر المهندسين ، وحضر إلى الزقاق ، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي ، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ، ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الأندلس من الأرض ، حفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجيار بناء محكماً ، وجعل طوله اثني عشر ميلاً ، وهي المسافة التي كانت بين البحرين ، وبنى رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة ، وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال ، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ، فدخل في البحر الشامي ، ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة ، وأهلك أمماً عظيمة . كانت على الشطين^(٢) ، وطفا الماء على الرصيفين إحدى عشر قامة . فأما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فانه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماء ، طهوراً يبتدأ مستقيماً ، على خط واحد ، وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة المدوة ، فإن الماء حمله في صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلاً . وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز ، وسبته ، وطنجة . وعلى طرفه من الناحية الأخرى جبل طارق بن زياد ، وجزيرة طريف ، وغيرها والجزيرة الخضراء ، وبين سبته والجزيرة الخضراء ، عرض البحر انتهى ماخصاً . وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه ، والمذربين ، لارتباط الكلام بعضه ببعض .

وقال ابن سعيد . ذكر الشريف^(٣) أن لاحظ لأرض الأندلس في الاقليم

- (١) ومتى اجتاز بهم الاسكندر ؟
- (٢) بمقتضى هذه الأساطير يكون الاسكندر اتقى الضرر الأخف بالضرر الأشد
- (٣) يعنون بالشريف الشريف الادريسي

الثالث قال : ويمر بجزيرة الأندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي ، وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية ، ثم يمر على جزيرة صقلية ، وعلى ما في سمتها من الجزائر ، والشمس مدبرة له . والاقليم الخامس يمر على طليطلة ، وسرقسطة ، وما في سمتها إلى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلونة ، ثم يمر على رومية وبلادها ، ويشق بحر البنادقة ، ثم يمر على القسطنطينية ، ومدبرته الزهرة . والسادس على ساحل الأندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه ، وبعض البلاد الداخلة في قشتالة وبرتقال وما في سمتها . وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ، ومدبره عطار ، ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط ، الذي في شمال الأندلس ، إلى جزيرة انقلطرة ، وغيرها من الجزائر ، وما في سمتها من بلاد الصقالبة وبران^(١) . قال البيهقي : وفيه تقع جزيرة تولى ، وجزيرتا أجبال والنساء ، وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر . اهـ

وقال بعض العلماء ما معناه إن النصراني أعطوا عن الآخرة بستاناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية وعندهم عموم الشاه بلوط ، والبندق ، والجوز ، والفسق ، وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الاقليم الباردة ، والتمر عندهم معدوم ، وكذا الموز وقصب السكر ، وربما يكون شيء من ذلك في الساحل . لان هواء البحر يدفي . اهـ

قال ابن حيان في المقتبس : ذكر رواية المعجم أن الخضر عليه السلام وقف على أشبان المذكور وهو يحرق الأرض بفدن له أيام حرائته : فقال له : يا أشبان إنك

(١) برجان بالجيم بلد من نواحي الخزر ، قاله ياقوت في معجم البلدان ، قال المنجمون هو في الاقليم السادس ، وطوله أربعون درجة ، وعرضه خمس وأربعون درجة ، وكان المسلمون غزوه في أيام عثمان رضى الله عنه ، فقال أبو نعيم التيمي :

بدأنا بجيلان فزلزل عرشهم كتاب تزجي في الملاحم فرسانا
وعدنا لأشبان بمثل عداتهم فعادوا جوالى بين روم وبرجانا

لذو شأن ، وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان . فاذا أنت غلبت على ايليا ،
فأرفق بذرية الانبياء . فقال له اشبان : أساخر بي رحمتك الله ؟ أنى يكون هذا منى
وأنا ضعيف متهين حقير فقير ؟ ليس مثلى ينال السلطان ! فقال له : قد قدر ذلك
فيك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان إلى عصاه فاذا بها قد أورقت
فريع لما رأى من الآية ، وذهب الحضر عنه ، وقد وقع الكلام بخلده ، ووفرت في
نفسه الثقة بكونه ، فترك الامتهان من وقته ، وداخل الناس ، وصحب أهل البأس
منهم ، وسما به جرّه ، فارتقى في طاب السلطان حتى أدرك منه عظيما ، وكان
منه ما كان ، ثم أتى عليه ما أتى على القرون قبله . وكان ملكه كله عشرين سنة
وتمادى ملك الاشبانيين بعده إلى أن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا
ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومة أمة يدعون البشتواقات وملكهم
طلوئش بن بيطه ، وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، أتوا
الاندلس من قبل رومة ، وكانوا يملكون أفرنجية معها ، وبيعثون عمالهم اليها ، فاتخذوا
دار ملكتهم بالاندلس مدينة ماردة ^(١) ، واستولوا على مملكة الاندلس ، واتصل

(١) المعروف أن الذين نوا ماردة هم الرومانيون ، وذلك قبل المسيح بخمسة وعشرين
سنة لاغير ، وسموها « أوغستا أميريتا » Augusta Emerita وكانت قاعدة ولاية
« لوزيتانيا » ثم عظمت وتمت حتى صار يقال لها « رومة الاسبانيولية » ودخل عليها
القوط وهي بهذه الحالة ، وأما « الشتولقات » فلم نعرف من يعنى بهم مؤرخونا ؟ وهم
معدورون في عدم تمحيص التاريخ في القرون الوسطى التي كان التاريخ القديم فيها
لا يزال في مهد الطفولية سواء في الشرق أو في الغرب والمظنون أنهم يريدون بهم
الفيزيقوط Visigots أما « أشبان » هذا فلم نعرفه ، ولا عرفنا عنه شيئا ، ولا سمعنا
بغزوه بيت المقدس ولا باخضرار العصا في يده . وجل ما عرفنا عن الذين كانوا يلون
اسبانية قبل القوط أنهم من أمة « السوييف » Suèves وهي أمة جرمانية زحفت من
الشمال إلى الجنوب نظير القوط . ويقال أنها من نفس الجنس الجرمانى الذى يقال له
اليوم « سقاب » Swab وأن القوط نزعوا من أيديهم القسم الشمالى الغربى من اسبانية

ملكهم بها مدة ، إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ، ثم دخل على هؤلاء

سنة ٥٨٥ قبل المسيح ومن ذلك الوقت كانت الدولة للقوط الملقيين ، بالفيزيقوط ، وربما كان العرب رأوا فيهم جنساً آخر غير الجنس القوطي ، على حين أنهم هم قوط الغرب ، كما أن ، الأوستروقوط ، هم قوط الشرق . وكلا الفريقين استولى على ايطاليا وتقدم إلى جنوبي فرنسا ، ثم فتح القوط الغربيون اسبانية ، كما ذكرنا ، وتولى أول ملك منهم عليها سنة ٥٣١ ب م واسمه « طوديش » Theudis ثم « طيوديجيزل » Théodigisèle سنة ٥٤٨ ثم « اجيلا » Agila سنة ٥٤٩ ثم « أتاجيلد » Atanagild سنة ٥٥٤ ثم « ليوبا » الأول Libua سنة ٥٦٧ ثم « ليوفيجيلد » Léowigild سنة ٥٧٢ ثم « هرمينيجلد » Herménigild سنة ٥٨٥ ثم « ريكاريد » Récarède سنة ٥٨٦ ثم « ليوبا » الثاني سنة ٦٠١ ثم « فيترك » Vitceic سنة ٦٠٣ ثم « غندمار » Gondemar سنة ٦١٠ ثم « سيزبوط » Sisebut سنة ٦١٢ ثم « ريكاريد » الثاني سنة ٦٢١ ثم « سونتيلا » Suintila سنة ٦٢١ ثم « ريسيمر » Ricimer سنة ٦٢٥ ثم « سيزيتاند » Sisenand سنة ٦٣١ ثم « شنتيلا » Chintila سنة ٦٣٦ ثم « طولغا » Tulga سنة ٦٤٠ ثم « شنداسنت » Chindasuinte سنة ٦٤٢ ثم « ريسيزوينت » سنة ٦٥٢ ثم « قامبا » Vamba سنة ٦٧٢ ثم « أرفيج » Ervige سنة ٦٨٠ ثم « أحيزا » Egiza سنة ٦٨٧ ثم « فييزا » Witiza سنة ٧٠٠ ثم « رودريك » أو « لدريق » Rodrique سنة ٧١٠

والذي يلوح لنا من المقابلة بين هذه الروايات التي في بعض كتب العرب وبين تواريخ الافرنج المعول عليها أن الذين يعينهم ابن حيان بقولهم « البشتولقات » هم « الفيزيقت » أو « الفيزيقوط » أنفسهم والمشابهة بين اللفظتين ظاهرة فالفاء هي الباء والزاي هي الشين لأن من عادة العرب قلب السين والزاي شيئاً بل يقال أن أوائل الاسبان أيضاً كانوا يقلبونها شيئاً فتصير اللفظة هي « البيشيقيوت » واما اللام فطالما ادخلوها على الاعلام التي فيها « واو » مثل « بودوين » Baudwin جعلوها « بلدوين » ومثل « بيوغراد » Beugrade التي صارت « بلغراد » وعليه فتصير اللفظة « البشيقولت » ثم جمعوها على « بيشقولات » ثم تعاورها التصحيف الذي لا يوجد أكثر منه في نسخ العرب للألفاظ الافرنجية فان الاسم الافرنجي يحتاز عند العرب عقبتين الأولى هي اللفظ لأن العرب لا تقدر ان تتلفظ ببعض الحروف الافرنجية ولو قطعت رؤوسها

البشتولقات أمة القوط ، مع ملك لهم ، فجابوا على الاندلس ، واقتطعوها من يومئذ

والثانية هي التحريف والتصحيف في النسخ فبعد ان يمر الاسم الافرنجى بهاتين العقبين
يعد جداً عن أصله حتى يصعب رده الى الأصل . وانا أرى ان « طوليش بن يبطه »
الذى ذكره ابن حيان انه أول من ملك من « البشقوليات » انما هو « طوديش » Theudis
الذى ذكر مؤرخو الافرنجة انه أول من ملك من « الفيزيقوط » ، أو « البيزيقوط »
في أسبانية . وكذلك « خشندش » الذى قال ابن حيان انه هو أول من تنصر من ملوك
القوط انما هو « شنداسنت » الذى ملك عام ٦٤٢م وان الاسم تحرف أولاً الى « خنداشنت »
ثم تصحف وتحرف فصار « خشندش » على ان مؤرخى الافرنج يذكرون ان أول
ملك تنصر من ملوك القوط هو ريكاريد الأول اى قبل عهد الذى سموه « خشندش »
أو تصحف اسمه الى خشندش ، بخمسين سنة وشىء . واما « فيتيزا » الذى يسميه العرب
في كتبهم « غيطشه » فاني معتقد ان الغين ها هي تصحيف الفاء وان العرب من البداية
قالوا « فيطشه » لا « غيطشه » ، وذلك لأنهم لفظوا الزاى شيئاً على عادتهم فصار « فيتيزه »
هو « فيتيشه » ثم فخموا التاء فصار « فيطشه » . واما عدد ملوك « الفيزيقوط » فهو
بحسب ما ذكر الافرنج ٢٥ ملكاً كما ترى ورواية ابن حيان عن عدد ملوك « البشقوليات »
الذين اعتقد انهم هم هم هي ٢٧ ملكاً فالروايتان متقاربتان . وهناك ملاحظة .
وهي ان المقري يروى فيما بعد قائلا : وقال جماعة : ان القوط غير البشقوليات الخ
وهذا دليل على وجود روايات أخرى بان البشقوليات هم من القوط انفسهم لا سيما
انه يروى عن هؤلاء ان عددهم ٢٧ ملكاً

وفي كتابنا « غروات العرب في اوربة » نذكر مدينة طلويزة Toulouse ونقول
انها كانت قاعدة ملكة التكتوزاجيين Valces Tectosages وقلت في الحاشية ان
هؤلاء هم جيل من الغولوا ولا تعلم هل هم الذين أرادهم صاحب نفح الطيب عند
ذكر الأمم التي عمرت الاندلس وسماهم البشتلقات أم لا ؟ وقد تكون اللفظة مصحفة
عن تشتلقات وفي صبح الاعشى يذكر الشبقات ويقول انهم ملكوا الاندلس وبلاد
الاندلس معاً وان القوط خرجوا عليهم . انتهى . الا ان العلامات كثيرة على كون المراد
بالبشتلقات أو البشتقات هم امة الفيزيقوط . هذا ويظهر ان المؤرخين من أسبانيين
وغيرهم مختلفون في عدد ملوك القوط وفي اسمائهم وفي سنى ملكهم وذلك كما ترى من
سلسلة ملوك القوط التي نشرها هنا مع صورة كل واحد منهم فانك تراها مختلفة عن

من صاحب رومة، وتفردوا بسلاطنتهم، واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم، فبقى باشبيلية علم الاشبانيين، ورياسة أوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين في الارض يدعون الخلق إلى ديانته، فاختلف الناس عليهم، وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم. وكان من أسرهم إجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشن دس. لك القوط، فتنصر، ودعا قومه إلى النصرانية وكان من صميم أعاضهم، وخير من تنصر من ملوكهم، وأجمعوا على أنه لم يكن فيهم أعدل منه حكماً، ولا أرشد رأياً، ولا أحسن سيرة، ولا أجود تديراً، فكان الذي أصل النصرانية في مملكته، ومضى أهلها على سنته إلى اليوم، وحكموا بها، والانجيليات في المصاحف الأربعة التي يختلفون فيها من انتساخه، وجمعه، وتنقيفه. فتناست ملوك القوط بالأندلس بعده، إلى أن غلبتهم العرب عليها، وأظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الأديان.

فوقع في تواريخ المعجم القديمة ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس، من عهد « انا و ينوس »^(١) الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة « فلبش »^(٢)

السلسلة الأولى التي نقلناها عن تواريخ محصنة افرنجية الا ان السلسلة المصوّرة مبدوء فيها بملوك القوط وهم لا يزالون في غاية وهي منقولة عن مجموعة عظيمة مطبوعة في برشلونة بمطبعة « بونا فيستا » Buenavista كانت قد أهديت الى الوطنى الكبير فقيده المغرب الحاج عبد السلام بنونه من عيون أعيان تطاون رحمه الله وقد أهدانا اياها أخوه الفاضل الحاج محمد العربى بنونه حفظه الله وما نشرناه في هذا الكتاب من التصاوير والرسوم منه ما أخذناه عن هذه المجموعة ومنه ما اقتديناه في أثناء سياحتنا الى الاندلس ومنه ما أرسلنا واستجلبناه منها فيما بعد

(١) أظن هذا الاسم محرفاً وأصله « أتانا جيلدوس » وهو من ملوك القوط، وقد مر بك

(٢) فيلبس القيصر الرومانى ملك من سنة ٢٤٤ للمسيح إلى سنة ٢٤٩ وكان عربى الأصل.

القيصري « لمضى اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر^(١) المشهور عند المعجم ، إلى عهد

(١) كان أشهر تاريخ هو التاريخ المسمى باليالياني Julien وذلك أنهم قسموا السنة إلى ١٢ شهراً تبلغ عدة أيامها جميعاً ٣٥٥ يوماً فلزم حينئذ إضافة شهر جديد تكون أيامه ٢٢ أو ٢٣ يوماً ، حتى تم المطابقة مع السنة الشمسية ، فكان هذا الشهر المضاف يأتي كل سنتين ، ويكون دوره في آخر السنة بين ٢٣ و ٢٤ فبراير وكانوا يسمونه « مرسدونيوس » Mercedonius فكان دور أربع سنوات يزيد باثني عشر يوماً على عدد الأيام التي في السنوات الأربع الشمسية وأخيراً صار يأتي ١ يناير في ١٥ أكتوبر ، فاضطر يوليوس قيصر إلى اصلاح الحساب ، وأضاف إلى السنة شهرين ، أحدهما ٣٣ يوماً ، والآخر ٣٤ يوماً . ثم جاء الفلكي الاسكندري سوزستان Sosisthène فقرر للسنة ٣٦٥ يوماً ، وبقيت ست ساعات لأجل تمتع الوقت الذي يقتضيه دوران الشمس حول الأرض ، فألف من هذه الساعات يوم واحد كل أربع سنوات ، فوضعوا هذا اليوم بعد ٢٣ فبراير

وهكذا جرى اصلاح الحساب الأول ، إلا أن سنة سوزستان نفسها بقيت ناقصة باحدى عشرة دقيقة واثني عشرة ثانية عن السنة الشمسية ، وبقيت الحال هكذا من سنة ٤٧ للمسيح إلى سنة ١٥٨٢ فذنه لاصلاح هذا الخلل البابا غريغوريوس الثالث عشر . فأصلح الحساب اليولياني . وسمى الحساب الجديد بالحساب الغريغوري ، ولكنه لم يسلم من الخلل أيضاً ، بحيث لا يزال علماء النلك والتقويم يفكرون في حساب آخر ينتهي إليه الضبط ، ولكن صعوبة ترك التقليد تحول دون هذا المشروع في اوروبا ، وسنة ١٩١٧ إذ كنت من أعضاء مجلس النواب العثماني في استانبول ، تقرر عندها في المجلس العمل بالتاريخ الغريغوري كونه أصبح من التاريخ العربي ، فتم هذا القرار في مجلس النواب أو المبعوثين ، وتقدم إلى مجلس الأعيان ، فجاء الفلكي الشهير أحمد مختار باشا الغازي . واعترض على هذا التغيير ، وقال : إن الحساب الغريغوري هو أيضاً غير سالم من الخطأ ، فما الفائدة في العدول عن خطأ إلى خطأ آخر؟ وبين براهين علمية صحة نظره . وبذلك عدلت الدولة العثمانية يومئذ عن اتخاذ الحساب الغريغوري ، وبقيت على الحساب الذي يقال له المارتي ، وهو حساب عربي قد رفع منه الفرق بين الشمسي والقمرى ، ولكن تركيا بعد الحرب العامة عادت فاتخذت الحساب الغريغوري . أما في زمن أغسطس قيصر فقد وضع الرومان حسابين لمواسم الزراعة أحدهما يسمى

سلسلة نوكات القوط في اسبانية

							
القطري ٤١٦ - ٤١٧	سحر بكي ٤١٦	فانيسه ٤١٦ - ٤١٧	شيمون ريدو ٤١٩ - ٤٢٠	توريس مورا ٤٢٠ - ٤٢١	شيمون ريدو ٤١٩ - ٤٢٠	اورينكو ٤١٧ - ٤١٨	الارينو ٤١٧ - ٤١٨
							
فرياليسكو ٥١٧ - ٥١٨	لورا ريبينو ٥١٧ - ٥١٨	توريسيس ٥١٨ - ٥١٩	توريسيس ٥١٨ - ٥١٩	البيلا ٥١٩ - ٥٢٠	آنا مينا ٥١٧ - ٥١٨	شيمون ريدو ٥١٧ - ٥١٨	لورا مينا ٥١٧ - ٥١٨
							
ريكاردو ٦١١ - ٦١٢	يونيسكو ٦١٢ - ٦١٣	فيديريكو ٦١٢ - ٦١٣	توريس مورا ٦١٢ - ٦١٣	سيميون ٦١٢ - ٦١٣	ريكاردو ٦١٢	سيميون ٦١٢ - ٦١٣	سيميون ٦١٢ - ٦١٣
							
سيميون ٦١٢ - ٦١٣	توريس ٦١٣ - ٦١٤	سيميون ٦١٣ - ٦١٤	رايسيسكو ٦١٣ - ٦١٤	فانيسه ٦١٣ - ٦١٤	البيلا ٦١٣ - ٦١٤	فيديريكو ٦١٣ - ٦١٤	لورا مينا ٦١٣ - ٦١٤

لذريق آخرهم ، الذى ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعائة من تاريخ الصفر ، وهو الذى دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط ، ستة وثلاثون ملكا ، وأن مدة أيام ملكهم بالاندلس ثلثائة واثنتان وأربعون سنة اه .

وفال جماعة : إن القوط غير البشتولقات ، وإن البشتولقات من عجم رومة ، وإنهم جعلوا دار ملكهم ماردة ، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ثم دخل عليهم القوط ، واتخذوا طليطلة دار مملكة ، ثم ذكر تنصر ملكهم خشنش مثل ما تقدم ، ثم ذكر أن عدّة ملوك القوط ستة وثلاثون ملكا

وذكر الرازي أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح ، وقيل غير ذلك اه
وذكر الرازي في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة واه :

إن الانداس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التى تقدم ذكرها التى هى ربع معمور الدنيا ، فهى موسطة من البلدان ، كريمة البقعة ، بطبع الحلقة ، طيبة التربة ، مخصبة القاع ، منبعسة العيون الثرارة ، منفجرة الانهار الغزار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة اخواء أكثر الازمان ، لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان ، وكذا فصولها فى أعم سنيها تأتى على قدر من الاعتدال ، وتوسط من الحال ، وفواكهها تتصل طول الزمان ، فلا تكاد تعدم ، لان الساحل ونواحيه ، يبادر بباكوره ، كما أن التفر وجهاته ، والجبال التى يخصصها برد الهواء ، وكثافة الجو ، تستأخر بما فيها من ذلك ، حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان ، فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان .

كولوتيانوم Colotianum ، والآخر فالنس Vallense ووجدا مكتوبين على الحجارة
وأما تاريخ الصفر فيقال إنه اصطلاح أسباني كان مبدأه أول يناير سنة ٣٨ قبل الميلاد ، أى فى زمن فتح أغسطس الرومانى لاسبانية ، وبقي مستعملا فيها إلى أواخر القرن الخامس عشر

ومن بحرهما بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد ، المقدم على أجناسه في الطيب ، والصبر على النار ، وبها شجر المحاب ، المعدود في الأفوية ، المقدم في أنواع الأشنان كثير واسع . وقد زعموا أنه لا يكون إلا بالهند ، وبها فقط . وبها خواص نباتية يكثر تعدادها . انتهى ^(١) .

وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال : يوجد في ناحية « دلالية » ^(٢) من إقليم « البشرية » ^(٣) عود الانجوج ، لا يفوقه العود الهندي ذكاء . وعطر رائحة وقد سبق منه إلى خيران ^(٤) الصقلي صاحب المرية ، وأن أصل منبته كان بين أحجار هناك « وبأكشونية » ^(٥) جبل كثيرا ما يتضوع ريحه ريح العود الذكي ، إذا أرسلت فيه النار ، ويبحر « شدونة » ^(٦) وجد العنبر الطيب الغربي ، وفي جبل « منت ليون » المحاب ^(٧) ، ويوجد بالأندلس القُسط ^(٨) الطيب ، والسنبيل ^(٩) الطيب ، والجنطيانة ^(١٠) تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق وهو عقار ^(١١) رفيع

- (١) هذه الجملة من كلام الرازي قد تقدمت ، لكن باختلاف قليل عما هي في هذا الموضع ، ونحن أحببنا أن نحافظ بقدر الامكان على نصوص المؤلفين الذين نقلنا عنهم
- (٢) برجة ودلالية هما من عمل المرية
- (٣) الأسبان يقولون للبشرة أو البشرات Albuxara وهي جبال عالية مشرفة على البحر المتوسط (٤) سياقي خبره
- (٥) قال ياقوت : أكشونية بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وياه خفيفة مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل أشبونة . وهي غربي قرطبة ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، بربة بحرية ، قد يلقى بحرهما على ساحلها العنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي (٦) Sidonia
- (٧) ضبطه بفتح أوله وهو شجر له حب يجعل في الطيب
- (٨) بضم أوله فسكون وهو عود يتداوى به
- (٩) السنبيل هنا هو نبات طيب الرائحة يتداوى به ويسمى سنبيل العصافير
- (١٠) الجنطيانة هو من العقاقير المعروفة في المغرب واطباء المغرب يطلقونه على جذر النبات المعروف عند الصيادلة بأوضنى ، هكذا كتب الينا من فاس
- (١١) بفتح أوله وتشديد ثانيه والجمع عقاقير

والمرّ الطيب بقلعة أيوب ، وأطيب كهرباء الأرض بشدونة ، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة . وأطيب القرمز قرمز الاندلس ، وأكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ، ولبلبة ^(١) ، وشدونة ، وبلنسية ، ومن الاندلس يحمل إلى الآفاق .

و بناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد ، وقد يوجد في غيرها وعلى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور ، وقد يوجد بجبل « شحيران » وهو شرقي « بيرة » وحجر النجادي ؟ يوجد بناحية مدينة الاشبلونة ، في جبل هنالك يتلألاً فيه ليلاً كاسراج ، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن « منت ميور » ^(٢) من كورة . القلة ، إلا أنه دقيق جداً لا يصلح الاستعمال لصغره ، و يوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية « بجانة » ^(٣) في خندق يعرف بقرية « ناشرة » أشكالاً مختلفة كأنه مصبوغ ، حسن اللون ، صبور على النار ، وحجر المغناطيس الجادب للحديد يوجد في كورة تدمير . وحجر الشدنة « يوجد بجبل قرطبة ، كثير ، ويستعمل ذلك في التذهيب . وحجر اليهودي في ناحية حصن « البونت » ^(٤) أنفع شيء للحصاة وحجر المرقشينا الذهبية في جبال « ابده » ^(٥) لا نظير لها في الدنيا ، ومن الأندلس

(١) Niebla قد كررنا تعريف هذه الأسماء بالعربي وبالاسبانيولي لأن القارىء لا يقدر ان يحفظها الا بالتكرار . وان لم ترسخ في ذهنه فلا يستطيع ان يفهم تاريخ الاندلس وجغرافيتها على وجهها . فالتكرار لازم الا في التعريف بالأسماء المشهورة

(٢) Montmayor (٣) Bechina

(٤) قال ياقوت : حصن « البونت » بالضم والواو والون سا كنان والتاء فوقها نقطتان حصن بالاندلس ، وربما قالوا البنت . وقد ذكر . ينسب اليه ابو طاهر اسماعيل ابن عمران بن اسماعيل الفهرى البنتى ، قدم الاسكندرية حاجاً ، ذكره السلفى ، وكان اديباً أريباً قارئاً ، وعبد الله بن فتوح بن موسى بن ابي الفتح بن عبد الله الفهرى البنتى أبو محمد ، كان من أهل العلم والمعرفة ، وله كتاب في الوثائق والاحكام . وله أيضاً رواية توفى في جمادى الآخرة سنة ٤٦٢

(٥) U'beda من أعمال جيان

تحمل إلى جميع الآفاق بفضلها . والمغنيسيا بالأندلس كثير . وكذلك حجر « الطلق »^(١) ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، إلا أنه جامد اللون . ويوجد المرجان بساحل يبرة ، من عمل المرية ، ما لقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربماً . ومعدن الذهب بنهر لاردة ، يجمع منه كثير ، ويجمع أيضاً في ساحل الاشبونة ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة ، في كورة تدمير ، وجبال جمة^(٢) « بيجانة » ، و« إقليم » كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل . و« باشكونية »^(٣) معدن القصدير لا نظير له ، يشبه الفضة ، وله معادن بناحية أفرنجية وليون . ومعدن الزئبق في جبل البرانس ، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق . ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة . ومعادن التوتية الطيبة بساحل « البيرة »^(٤) بقرية تسمى « بطرنة »^(٥) وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس . و« بجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية . ومعادن الكحل أشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طرطوشة ، يحمل منها إلى جميع البلاد . ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى .

وما ذكرت هنا ، وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي ، فهو لجمع النظائر . وما لم تذكره أكثر ، والله تعالى أعلم .

ومن خواص طليطلة أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها

(١) بكسر فسكون وزان مثل هو حجر براق ينشظى اذا دق صحائف وشظايا يتخذ

منه مضامير للحمامات بدلا عن الزجاج واجوده اليماني ثم الهندي ثم الاندلسي

(٢) لا أعلم هل هذه اللفظة هي دجمة ام جمة فان كانت دجمة وقد سقطت الدال

منها في النسخ فهي عند الاسبانيول هكذا Diegma وان كانت جمة كما هي مكتوبة في

النسخ فلا يبعد أن تكون اسما عربياً من أصله لا سيما انه يوجد جبال كثيرة عندالعرب

باسم جمآء بالمد والهمز مؤنث اجم الذي لا قرن له ويقال بيت أجم أى لا شرفة له

(٣) في غربي الأندلس كانت مقاطعة يقال لها اشكونية قاعدتها مدينة شلب

(٤) Baterna (٥) Vera

الخلف عن السلف . وزعفران طايطة هو الذي يعم البلاد ، ويتجهز به الرقاق إلى الآفاق . وكذلك الصبغ السماوي . اهـ

وقال المسعودي في مروج الذهب بعد كلام ما نصه : والعنبر كثير ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له « شنترين »^(١) و « شدونة »^(٢) تباع الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيل ذهباً ، والأوقية بالبغدادي ، وتباع بمصر أوقيته بعشرين ديناراً ، وهو عنبر جيد ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ، ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء . وبالأندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق^(٣) ليس

(١) Santarem في البرتغال (٢) Sidonia

(٣) جاء في كتاب « اسبابية المسئلة في القرن العاشر للأوى . بروفسال ما محصله : كانت المعادن من قديم الزمان معروفة في أسانية ، وكان الرومان يستخرجون منها جانباً كبيراً ، وذلك كالحديد والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، وكان الحديد منذولا . ولما دخل المسلمون إلى الأندلس لم يهتموا بالمعادن ، بل وفروا لها أعظم جانب من العناية وكانوا يستخرجون الذهب من رمال نهر لاردة ونهر شقر ونهر التاجه . وكانت الفضة في نواحي مرسية والحمة وقرطبة بمكان يقال له المرج حسبما روى الادريسي وفي « اطلقة » من عمل باجة كما قال ياقوت في المعجم ويوجد الحديد في تجمالى الوادى الكبير بين قرطبة واشبيلية . وروى الادريسي انه كان منه في قسططانية . وروى ياقوت انه كان منه في وارش وكان على مسافة ١٣٥ كيلو متراً إلى الشمال من قرطبة معدن زئبق مشهور . وكان هذا المعدن معروفا عند الرومانيين ، ونذنه له المسلمون واستغلوه . وجغرافيو العرب يقولون انه في جبل البرانس ومنه في المحل الذي يقال له اليوم سيودادريال Ciudadreal فقد كان يوجد زئبق أيضاً هناك ، وأيضا في أبال بقرب قرطبة . وقال الادريسي انه رأى في هذا المعدن الأخير ألف عامل ، منهم من كان مشغولا باستخراج المادة من آبارها ، ومنهم من كان ينقل الحطب لأجل التحمية ، ومنهم من كان يصنع الآنية التي يستودع فيها المعدن بعد ذوبه ، ومنهم من كانوا يبنون المواقد

وكان عمق الآبار نحواً من مائة ذراع

بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الاسلام والكفر، وكذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل . وأصول الطيب خمسة أصناف المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران ، وكلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والعنبر ا هـ .

وهو وإن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى أعلم . وذكر البعض أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن الثيرات السبعة الرصاص من زحل ، والقصدير الأبيض من المشتري ، والحديد من قسم المريخ ، والذهب من قسم الشمس ، والنحاس من الزهرة ، والزئبق من عطارد ، والفضة من القمر .

وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروي المعروف بالريقيق بلد الأندلس فقال : أهله أصحاب جهاد متصل ، يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يدعون

وكان يوجد زئبق وتوتية بقرب شكوبين على ساحل البحر المتوسط ، وكذلك ذكر المقرئ وجودهما في بطرته . ويظهر ان المسلمين لم يعتنوا بمعادن التنك التي في ريو تننو ، الى الشمال الشرقي من أدنبة ، ولكن كانوا يأخذون النحاس من أشكونية ، في الغرب وهي تابعة البرتغال اليوم . وكان عندهم الرصاص في دقبره ، وعندهم الملح في سرقسطة ، وكان عندهم الطفال بقرب طليطلة والكحل في نواحي طرطوشة وبسطة وكانت الأندلس موصوفة بالحجارة الثمينة ، فكان الياسنت من مالقه وحجر الكهرباء في مرسية . وأما المرمر فلم يكن يكفي البلاد بل كانوا يستوردون من الخارج وكان معدن المرمر في جبال مورينا وفي مكابيل ومن هذه قطعت أعمدة المرمر التي كانت في المرية وقد نقلت الآن إلى مجريط . وكان يوجد من الحديد في جزيرة شلطش بازام أدنبة وهناك دار صناعة حسمال قال الادريسي . وفي شلطش أيضا مصايد للأسماك كان يحمل منها إلى أشيلية ، ويقول الادريسي إنه كان من هذه المصايد في بزليانه بقرب مالقه وكان صيادو السمك في سواحل الاتلاتيك كما روى ياقوت في المعجم يبحثون عن العنبر الرمادي ولا سيما في سيتوبال وكان يقال لها الجون العنبري عند العرب وكان أيضاً يوجد في شدونة وكانوا يجدون المرجان بقرب المرية

الجلالقة ، يتاخون حوزهم ، ما بين غرب إلى شرق ، قوم لهم شدة ، ولهم جمال وحسن وجوه ، فأكثر رقيقتهم الموصوفين بالجمال منهم ، ليس بينهم وبينهم درب^(١) فالحرب متصلة بينهم ما لم تقع هدنة . ويحاربون بالأفق الشرقي أمة يقال لهم الفرنجة ، هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوتهم ، إذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كثيرة واسعة جليلة ، متصله العمارة ، آهله ، تدعى الأرض الكبيرة ، هم أكثر عدداً من الجليقيين ، وأشد بأساً ، وأحد شوكة ، وأعظم امدادا . وهذه الأمة يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم ، لمخالفتهم إياهم في الديانة ، فيسبونهم ويبيعون رقيقتهم بأرض الأنداس ، فلهم هنالك كثرة ، وتخصيهم للفرنجة يهود^(٢) ذمتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خصيائهم من هنالك إلى سائر البلاد ، وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة .

قال ابن سعيد : ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام ، هو بساحل الأنداس الغربي يقال له الخفراء ، ما بين طنجة من أرض المغرب ، وبين الأنداس فيكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ، ثمانية عشر ميلاً . وهذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبتة . وهناك كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليبر عليها من بر الأنداس إلى مر المدوة ، ويعرف هذا الموضع بالزقاق ، وهو صعب المجاز ، لأنه مجمع البحرين . لا تزال الامواج تتطاول فيه ، والماء يدور ، وطول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلاً ، مضاعف ذلك إلى مينا.

(١) الدرب كل مدخل إلى بلاد الروم قال امرؤ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٢) تقدم الكلام في إحدى الحواشي أن تجار اليهود كانوا يخصون سبي الصقالبة .

وأنه كان بحسب تعبير دوزي معمل للخصاء في فردون Verdun وقد نقل ذلك عنه لافي بروفنسال في كتابه «أسبانية المسلمة في القرن العاشر» L'Espagne Musulmane

سبته ، ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد ، ومنتهاه مدينة صور من الشام ، وفيه عدد عظيم من الجزائر ، قال بعضهم : إنها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرها اه . وبعضه بالمعنى . وقال بعضهم عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبته ما صورته : ثم يتسع كما امتدّ حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية .

وقال بعضهم : وكان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدي إلى ملوك بني أمية ، قديماً ثلاثمائة ألف دينار ، دراهم أندلسية كل سنة قوانين . وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار ، وينفقون في أمورهم ونوائبهم ومؤون أهلها مائة ألف دينار ويدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار اه .

وذكر غيره : أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، ألف ألف دينار في السنة ، وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف^(١) . حكاه ابن سعيد وقال : أن الأندلس مسيرة شهر مدن وعمائر^(٢)

(١) سيأتي ذكر دخول الدولة الأندلسية في أيام الناصر والمستنصر ، وذلك تفصيلاً عند ما نصل إن شاء الله إلى قرطبة

(٢) قال المؤرخ الأسبانيولى رافائيل بالستر في تاريخه المترجم إلى الافرنسية المطبوع سنة ١٩٢٨ ، وذلك في الصفحة ٥٢ مايلي : « كانت أسبانية الاسلامية من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكانا في عصر الخلفاء ، وكان فيها ست حواضر كبرى ، وثمانون مدينة معمورة جد العمران ، وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية ، هذا عدا القرى التي لا تحصى والمزارع . وكان الذهب والمرمر مبدولين في القصور والجوامع ، وكذلك العاج والحجارة الكريمة . وكانت مراسم الاحتفالات في قصور الخلفاء على غاية من الأبهة الشرقية ، وقد كانت هذه الثروة ، وهذه الأبهة هما ثمرة النمو الاقتصادي وتلك السعة التي كانت أسبانية تتمتع بها أو انبثت في بفضل رقي الزراعة والصناعة والتجارة اه .

وقال قاضى القضاة ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه الكبير ما صورته : كان هذا القطر الأندلسى من العدو الشمالية من عدوتى البحر الرومى ، وبالجانب الغربى منها ، يسمى عند العجم الأندلوش ، وتسكنه أمم من افرنجية المغرب ، أشدهم وأكثرم الجلالة. وكان القوط قد تملكوه ، وغلبوا على أهله لمثين من السنين قبل الاسلام ، بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين ، حاصروا فيها رومة ، ثم عقدوا معهم السلم ، على أن ينصرف القوط إلى الأندلس ، فصاروا فيها ، وملكوها (١) ، ولما أخذ الروم والاطينيون بملة

قلنا أن الحواصر الست الكبرى لا بد من أن يعنى بها قرطبة ، واشيلية ، وغرناطة ، وبلنسية ، وطليلة . وسرقسطة . وأما الثمانون مدينة المعمورة جداً فيعنى بها المدن التى من درجة مالقة ، والمرية ، ومرسية ، وجيان ، وشاطبة ، ودانية ، وميورقة ، وطرطوشة ، وماردة ، وبطليوس ، وشتيرين ، وبرشلونة ، واشبونة وما فى ضربها . وأما الثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية فهى من قبيل قبرة ، وبيانة ، وبياسة ، والمدور ، وقرمونة ، وشلب ، وللة ، وشريش ، ورنده ، والجزيرة الخضراء ، وبسطة ، وبرجة ، ودلاية . والش ، وأوريوالة ، والقنت ، وقرطاجنة ، وشفورة ، وشنشالة ، واقليش . وطليرة ، وقلعة رباح ، ومجريط ، ووادى الحجاره ، ومدينة سالم ، وشتيمرية ابن رزين . وقلعة أيوب . ودرقة ، واطيلة . ولاردة . وطركونة ، ووشقة . وبرشتر ، وخص البلوط ، ويابره ، وشنتره . وقنطرة السيف . وجزيرة شقر ، وقوسكة ، ومريطر ولوشة . ووادى آش . وقرية سلامة . وقادس . ويلش . واندة . وبجانة ، وطشانة ، وشتيمرية الغرب ، واشونة . وقلعة يحصب . وأسبيجة . واسترقة . وبلش ، وقلعة حماد . ومورور ، واندوجر . والمنكب . والدرش . واندة . ولورقة ، واونة ، ومرتلة ، ومدينة الزهراء ، وما فى ضربها . وكيفما اقصد المخمن فى تخمين عدد سكان الأندلس الاسلامية لعهد بنى أمية ، فلا يقدر أن ينزل ذلك عن ١٥ مليون نسمة ، وقد يكون مناهزاً العشرين

(١) ماقاله ابن خلدون هنا هو الصحيح فان أمة اسمها « الفيزيقوط » هى أحد أقسام القوط ، ويقال إنها من أصل جرمانى ، هاجمت الرومان واقتلت معهم فى القرن الثالث للمسيح ، فقهرهم الروم أولاً ، ثم أذنوا لهم فى الاقامة على ضفاف الدانوب ومن ذلك الوقت صاروا أشبه بجيش رومانى ، وفى أوائل القرن الخامس ثار زعيم الفيزيقوط

النصرانية ، حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الفرنجة والقوط عليها ، فدانوا بها . وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة ، وكانت دار ملكهم ، وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة ، واشبيلية ، وماردة ، وأقاموا كذلك نحواً من أربعين سنة إلى أن جاء الله

« الأريك ، Alaric ، طالبا من رومة أن توليه القيادة العليا لجيوشها ، فلما أبوا إجابة طلبه هذا نهب رومة وعاث ، ومات سنة ٤١٠ م خلفه « آتولف ، Ataulf ودخل إلى بلاد الغال ، وانتصر فيها لهونوريوس الروماني على نظرائه ، فكافأه باقطاعه البلاد التي تغلب عليها ، وكان السويفيون والفاندالس والألانيون خارجين في أسبانية عن طاعة رومة ، فزحف إليهم « فاليا ، زعيم القوط ، وأدخلهم في الطاعة ، ولكن بعد أن استتب الأمر للقوط في أسبانية خرجوا هم أنفسهم عن طاعة رومة في أيام زعيمهم المسحى أوريك سنة ٤٦٧ ، ولم يكن القوط في أسبانية أمة ذات عرق واحد ، وإنما كانوا جيشا من أصول شتى يخضعون لرئيس ، وفي سنة ٤٧٦ انحلت السلطنة الرومانية فبسط القوط سلطانهم على أكثر أسبانية ، ولكنهم فقدوا مقاطعاتهم في غالية ، لأن الفرنج Les Francs غادهم عليها ، وكان الفرنج كاثوليكين ، وكان القوط قد تنصروا لكن على مذهب آريوس ، أي كانوا لا يقولون بألوهية عيسى عليه السلام ، فوقعت العداوة بين الفريقين من أجل اختلاف الدين ، واهزم القوط في واقعة عند بواتية ، Poitiers وقل فيها أميرهم الأريك الثاني ، ولم يبق لهم في بلاد الغال سوى مقاطعة سبتيمانيا Septimanie التي قاعدتها أربونة . وفي القرن السادس للمسيح اشتدت الفتنة في أسبانية بين القوط بعضهم مع بعض ، وقتل كثير من ملوكهم غيلة ، فجاء تيودوريك ملك الأوستروقوط . أي القوط الشرقيين ، من إيطاليا ، ووضع على عرش أسبانية أحد أولاده ، ثم في سنة ٥٥٤ ثار رجل اسمه أتاناجيلد ، وتغلب على المملكة ، وجاءت عساكر إمبراطور الروم من القسطنطينية فأجحدته ، ولما كانت سنة ٥٦٨ ثار الملك ليوفيجيلد ، وتغلب على السويفيين ، وجعل أسبانية كلها في حكم القوط ، إلا أنه كان آريوسى المذهب ، وكان أكثر أهل أسبانية كاثوليكين ، فثارت الاكثرية عليه ؛ وأثاروا عليه ابنه هرميذجيلد ، فساق عسكراً وتغلب على ابنه وقتله ، ولكن بعد موت ليوفيجيلد خلفه ابنه ريكارد فترك هذا الآريوسية ، مذهب أبيه ، وتحول كاثوليكيا في سنة ٥٨٧ وصارت في ذلك الوقت الكنيسة هي دين الدولة الأسبانية

بالاسلام والفتح ، وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لتريق ، وهو سمة لملوكهم ، كما أن جرجير سمة لملوك صقلية اه .

ومن أشهر بلاد الأندلس غرناطة ^(١) وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز ، ومعناه بلغتهم الرمانه ، وكفاها شرقاً ولادة لسان الدين بها وقال « الشقندي » : أما غرناطة فانها دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأَبصار ، ومطبخ الأَنفس ، ولم تخل من أشرف أمائل ، وعلماء أكار ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن لها إلا ما خصه الله تعالى به من المرج الطويل العريض ، ونهر سنيل ، لكفاها .

وفي بعض كلام لسان الدين ما صورته : وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه في سنيلها ؟ ! يعني أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف ، فقولنا سنيل إذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل ^(٢) . وفيها قيل :

غرناطة ما لها نظير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق
ما هي إلا العروس تُجلى وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة « البيرة » التي منها غرناطة دمشق ، لأن جند دمشق نزلوها عند الفتح ، وقيل إنها سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار ، وكثرة الأتجار ، حكاه صاحب « منهاج الفكر » قال : ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت مصر المقصود ، والمقل الذي تنضوي إليه العساكر والجنود ^(٣) ، ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها . وفي قبليها جبل شاير ،

(١) سند كرها في مكانها إن شاء الله مطولا

(٢) إن المبالغة ولو جازت في الشعر فلا يجوز أن تصل إلى هذا الحد ولا سيما

أن لسان الدين قال ذلك في النثر لا في النظم

(٣) كنت ذكرت في كتابي تاريخ الأندلس الذي جعلته ذبلا على رواية « آخر بني

سراج ، في صفحة ٢٣٧ من الطبعة الثانية مايلي :

د قال بعض المؤرخين إن مملكة غرناطة لعهد السلطان أبي الحسن علي (والد أبي

وهو جبل لا يفارقه الثلج ، صيفاً ولا شتاء ، وفيه سائر النبات الهندي ، لكن ليس فيه خصائصه اه .

ومن أعمال غرناطة قطر « لوشة » ^(١) وبها معدن للفضة جيد ، ومنها ، أعنى لوشة ، أصل لسان الدين بن الخطيب . وهذا القطر ضخيم ، ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير ، وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة ، وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة الشهير بشنيل .

ومن أعمال غرناطة الكبار عمل « باغة » ^(٢) والعامّة يقولون « بيغة » وإذا نسبوا اليه قالوا بيغي ، وقاعدته باغة ، طيبة الزرع ، كثيرة الثمار ، عزيزة المياه ، ويجود فيها الزعفران .

ومن أعمال غرناطة « وادي آش » ^(٣) ويقال وادي الأشات ، وهي مدينة جليظة ، قد أهدقت بها البساتين والأنهار ، وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر وفيها يقول أبو الحسن بن نزار :

وادي الأشات يهيجُ وَجْدِي كُلَّمَا أذكرت ما أفضت بك النعماء
لله ظلك والمهجيرُ مسلطٌ قد برّدت لَفَجَاتِهِ الاندَاء
والشمس ترغب أن تفوزَ باحظة منه فَتَطْرَفُ طَرْفَهَا الأفياء
والنهر يبسم بالحباب كأنه سلخ نَضَّتَهُ حِيَةً رِقْشَاء

عبد الله آخر السلاطين المسلمين في الأندلس (كانت مشتملة على أربع عشرة مدينة عظيمة وسبع وتسعين قلعة عدا الأبراج والحصون والقرى العامرة . وورد في التاريخ العام للعلامة كنتو الشهير أن سلطنة غرناطة في تلك الأيام كانت تحتوى ثلاثين مصرا ، وثمانين مدينة صغيرة ، وعددًا لا يحصى من الأبراج والحصون والدساكر . وقد قدر بعض المؤرخين عدد بقية المسلمين في الأندلس بأربعة ملايين نسمة .

(١) Loja وسماها الأسبانيول سان فرانسيكو لوشة

(٢) أصلها « باغو » ثم سماها الأسبانيول « بريغو » Priego

(٣) تقدم عنها كلام والأسبانيول يقولون Guadis وسيرد ذكرها أيضا

فلذلك تحذره الفصوت فيها أبداً على جنباة إساء
(ومن أعمال وادي آش) حصن « جليانة »^(١) وهو كبير يضاهاى المدن ، وبه
التفاح الجليانى الذى خص الله به ذلك الموضع ، يجمع عظم الحجم ، وكرم الجوهر ،
وحلاوة الطعم . وذكا ، الرائحة ، والنقاء ، وبين الحصن المذكور ووادي آش
اثنا عشر ميلا .

ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيमतان جداً ،
إحدهما بسند^(٢) وادي آش ، والأخرى بشرة^(٣) غرناطة ، فى جوف كل واحدة
منهما حائك ينسج الثياب ، وهذا أمر مشهور . قال أبو عبد الله بن جزى وغيره .
وكانت البيرة^(٤) هى المدينة قبل غرناطة ، فلما نبى اصنهاجى مدينة غرناطة
وقصبتها وأسوارها ، انتقل الناس إليها . ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده .

(١) قال ياقوت الخوى فى معجم البلدان : جليانة بالكسر ثم السكون وياى وألف
ونون حصن بالأندلس من أعمال وادي ياش حصين كثير الفواكه ويقال لها جليانة
التفاح لجلالة تفاحها وطيبه وريحه ، قيل إذا أكل واحد فيه طعم السكر والمسك ، مها
عبد المنعم بن عمر بن حسان الشاعر الأديب الطيب . كان عجباً فى عمل الأشعار التى
تقرأ القطعة الواحدة بعدة قواف ، ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكيم مكتوباً
فى خلال الشعر . وكان يعمل من ذلك دوائر وأشجاراً ، وصوراً ، سكن دمشق ،
وكانت معيشته الضب . يجلس بالبادين ، على دكان بعض العطارين ، كذلك لقيته ،
ووقفنى على أشياء مما ذكرته ، وأنشدنى لنفسه ما لم أضبطه عنه . ومات بدمشق سنة ٦٠٣
(٢) السند محرقة : ما قابلك من الجبل ، وعلا عن السفح ، وفى وطنى من جبل
لبنان مكان بين عين عنوب وعيناب يقال له السند ، يعلو عن الأولى وينخفض
عن الثانية .

(٣) تقدم لنا أن الجمال التى فى مملكة غرناطة كانوا يقولون لها البشرات

(٤) قال ياقوت فى المعجم : الألف فيه ألف قطع ، وليس بألف وصل ، فهو
بوزن إخریطة ، وإن شئت بوزن كبريته ، وبعضهم يقول ايلبيرة ، وربما قالوا البيرة ،
وهى كورة كبيرة من الأندلس ، ومدينة متصلة بأراضى كورة قبرة ، بين القبلة

وذكر غير واحد أن في كورة سرقسطة الملح الاندراى الأبيض الصافي الأملس الخالص ، وليس في الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح . قال : وسرقسطة^(١) بناها قيصر ملك رومة التي تؤرخ في مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ، وتفسير اسمها : قصر السيد . لأنه اختار ذلك المكان بالأندلس وقيل إن موسى بن نصير شرب من ماء نهر « جلق »^(٢) بسرقسطة فاستعذبه ، وحكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه ، وسأل عن اسمه فقيل جلق وانظر إلى ما عليه من البساتين فشبها بغوطة جلق الشام ، وقيل إنها من من بناء الاسكندر والله أعلم . وبمدينة برجة ، وهي من أعمال المرية ، معدن الرصاص وهي على واد مبهج ، يعرف بوادى « عذراء »^(٣) وهو محقق بالأزهار والأشجار ، وتسمى برجة^(٤) بهجة ، لهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى :

والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار ، وفيها عدة مدن منها : قسطيلية ، وغرناطة ، وغيرهما تذكر في مواضعها . وفي أرضها معادن ذهب وفضة وحديد ونحاس ، ومعادن حجر التوتيا في حصن منها يقال له شلوبينية ، وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحزير الفائق . انتهى . ثم ذكر ياقوت بعض العلماء الذين نبغوا من أهل البيرة ، وسندكر أسماءهم في متن هذا الكتاب ، عند ما نصل نحن إلى ذكر البيرة وسنقل هناك ما ذكره لسان الدين بن الخطيب عن البيرة نقلا عن الاحاطة في أخبار غرناطة ، وكذلك سندكر ما قاله غيره

(١) ناهها أوغسطس قيصر ، ومنها اشتق اسمه ، وكان يقال لها قبل أن مصرها أوغسطس قيصر سلدوبة Salduba ويظهر أن العرب قالوا « السيدلابة » ،

(٢) سرقسطة واقعة على نهر « ابره » ، يشتق منه نهر جلق Gallégo جاريا إلى الشمال ، بينما نهرا شالون Jalon وهرفا Huerva يسيلان إلى الجنوب

(٣) سبق ذكرها . وفي مرج دمشق قرية يقال لها عذرا

(٤) وفي جبل لنان قرية يقال لها برجة من اقليم الخروب . وفي اقليم سرقسطة

قصة اسمها برجة بضم أولها ، وينسب إليها أناس من أهل العلم

رياض تَعَشَّهَا سُنْدُسٌ تَوَشَّتْ مَعَاظِفُهَا بِالزَّهَرِ
مدامعها فوق خدي رُبَاً لها نظرةٌ فَتَدَّتْ مَنْ نَظَرَ
وكلُّ مكانٍ بها جنةٌ وكلُّ طريقٍ اليها سَقَرٌ
وفيها أيضاً قوله :

حُطَّ الرِّحَالُ بِرُجَاهُ وارتد لنفسك بِهَجَّةٍ
في قلعة كسلاح ودَوْحَةٌ مِثْلُ لُجَّةٍ
فحصنُها لك أمنٌ وَرَوْضُهَا لَكَ فَرْجَةٌ
كل البلاد سواها ككفِّرةٍ وهي حَجَّةٌ

و بمالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ، و يجباب حتى للهند والصين ، وقيل إنه ليس في الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي الماقي حسبا أنشده غير واحد ، منهم ابن سعيد :

مالقة حَيْتَ يَأْتِيهَا الفلكُ مِنْ أَجْلِكَ يَا تَيْنَا (١)
نَهَى طَيْبِي عَنْهُ فِي عِلِّي ما أَطْيَبِي عَنْ حَيَاتِي نَهَى
وذيل عايه الامام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله :

وَحِمَصٌ لَا تَنْسُ لَهَا تَيْنَا وَاذْكَرُ مَعَ التَّيْنِ زِيَاتَيْنَا
وفي بعض النسخ :

لا تنس لاشبيلية تينها واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الأول لأن حمص هي اشبيلية لزول أهل حمص من المشرق بها حسبا

(١) الفلك : السفينة ، تذكر وتؤنث وتقال للمفرد وللجمع ، فمن المفرد المذكور قوله تعالى (في الفلك المشحون) ومن المفرد المؤنث قوله تعالى (والملك التي تجري في البحر) ومن الجمع قوله تعالى (وترى الملك فيه مواخر) وقوله تعالى (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) وكان سيديوه يقول : الفلك هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد

سند كره . ونسب ابن جزى في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الأولى للخطيب أبي محمد عبد الوهاب المالقي ، والتذييل لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم وقال ابن بطوطة : وبالقارة يصنع الفخار المذهب العجيب ، ويجلب منها إلى أفاصي البلاد ، ومسجدها ^(١) كبير الساحة ، كثير البركة ، شهيرها ، وصحنه لا نظير له في الحسن ، وفيه أشجار النارج البديعة . انتهى . وقال قبله : إن مالقة إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ، ورمائها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا . وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب اه .

وبكورة اسمونة المتصلة بشنترين معدن التبر ، وفيها عسل يجعل في كيس كتان . فلا يكون له رطوبة كأنه سكر . ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبه إلا الشحري .

ومن أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة ، أعادها الله تعالى للإسلام ، وبها الجامع المشهور ، والقنطرة المعروفة بالجسر ، وقد ذكر ابن حيان أنه بنى على أمر عمر بن عبد العزيز ^(٢) رضى الله عنه ، ونصه : وفام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتهما

(١) وهو الكنيسة الكاتدرائية الآن

(٢) جاء في كتاب أخبار مجموعة ، في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم . وهو أقدم تاريخ لعرب الأندلس — ولم يعرف اسم مؤلفه — أن عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة ولى الأندلس السمح بن مالك ، فكتب إلى عمر يعلمه أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها ، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ووصفه بحمله وامتناعه من الخوض فيه الشتاء عامة (قال) فان أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت فان قبلى قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ، ونفقات الجهاد وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم . فيقال والله أعلم أن عمر (١٣ - ج أول)

قرطبة الجسر الأكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله . انتهى . وفيها يقول بعض علماء الأندلس .

بَارِعَ فَاقَتِ الْأَمْصَارَ قُرْطُبَةُ مِنْ قَنْطَرَةَ الْوَادِي وَجَامِعُهَا
هَاتَانِ ثِنْتَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَلَاثَةٌ وَالْعِلْمُ أَكْبَرُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وقال الحجاري في السهب : كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام ، ومجتمع أعلام الأنام ، بها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المدية واليانية ، وإليها كانت الرحلة في الرواية ، إذ كانت مركز الكرماء ، ومعدن العلماء وهي من الأندلس منزلة الرأس من الجسد ، ونهرها من أحسن الأنهار ، مكتنف بديباج المروج ، مطرز بالأزهار ، تصدح في جنباته الأطيوار ، وتنعم النواعير ، ويسم النوار ، وقرطابها الزاهرة والزهراء ، حضرتها الملك ، وأفقاء النعاء والسراء ، وإن كان قد أخنى عنها الزمان ، وغير هجة أوجهها الحسان ، فلك عذته ! وسل الخورنق والسدير وعمدان ، وقد أعذر بانذاره ، إذ لم يزل ينادى بصروفه : لا أمان ! لا أمان ! وقد قال الشاعر :

وما زلتُ أسمعُ أنَّ الملو ك تبنى على قدرِ أخطارِها

انتهى .

وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المؤمن بن علي لأحد رؤساء أجنادها : ما تقول في قرطبة ؟ فخاطبه علي ما يقتضيه كلام عامة الأندلس بقوله : جوفها ^(١) شام ^(٢) ، وغربها قيام ^(٣) ، وقبلتها مدام ، والجنة هي رحمة الله أمر ببناء القنطرة بصخر السور ، وأن يبني السور باللبن ، إذ لا يجد له صخراً فوضع يداً فبنى القنطرة في سنة إحدى ومائة

(١) أي شمالها

(٢) لم يرد شام مصدراً لفعل شم ، وإنما هو الشميم والشم والشميمي وعليه لا يصح شام إلا إن كان مصدراً لفعل شام ، من باب المفاعلة . أو كان بالتشديد وأما كلام العامة فلا حاجة لتطبيقه على قواعد العربية

(٣) قم الرجل : أكل ما على الخوان ، ومثله اقم ، والمصدر هو القم والاقتمام ،

السلام . يعنى بالشام جبال الورد ، ويعنى بالقمام ما يؤكل ، إشارة إلى محرث « الكنبانية »^(١) . ويعنى بالمدام النهر .

ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لأبي عمران موسى بن سعيد العنسى : ما عندك في قرطبة ؟ قال له : ما كان لى أن أنكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها . فقال السلطان : إن ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعل بصيرة : الديار المنفسحة الكبيرة ، والشوارع المتسعة ، والمباني الضخمة المشيدة ، والنهر الجارى ، والهواء المعتدل ، والخارج الناضر ، والمحرث العظيم ، والشعراء الكفايه والتوسط بين شرق الأندلس وغربها . قال فقلت : ما أنتى لى أمير المؤمنين ما أقول ! قال ابن سعيد : ولأهلها رياسة ووقار ، لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم ، إلا أن عامتها أكثر الناس فضولا ، وأشدهم تشغيباً ، ويضرب بهم المثل ، ما بين أهل الأندلس ، في القيام على الملوك ، والتشجيع على الولاية ، وقلة الرضا بأمرهم ، حتى أن السيدأبا يحيى أخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال مثل الجمل ، إن خفت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح ، ماندرى أين رضاهم فقصده ، ولا أين سخطهم فنجتبه ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة ، حتى كان عامتها شرراً من عامة العراق^(٢) وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندى ولاية ، وإنى ، إن كلفت العود إليها ، لقائل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! انتهى .

فأما القمام فلم يرد بمعنى الأكل بل بمعنى الكناسة . فلهذا أصاب صاحب النصح بقوله إن هذا من كلام عامة الأندلس

(١) Campaina قال ياقوت : ناحية بالأندلس قرب قرطبة ينسب إليها محمد ابن قاسم بن محمد الأموى الجالطى الكنبانى ، ذكر في جالطة بأتم من هذا
(٢) وهم كانوا السبب في سقوط الأندلس لأن الفتنة التى أثاروها هى التى آلت إلى سقوط هبة الخلافة وسقوط هبة الخلافة آل إلى ظهور ملوك الطوائف وهؤلاء هم كانوا مبدأ اضمحلال الاسلام فى الأندلس

وقال أبو الفضل التيفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد بن رشد ، والرئيس أبي بكر بن زهر . فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ؟ غير أنه إذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مُطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية . قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً (١) انتهى .

وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ أبي بكر بن سماعة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبي بكر الخزمي . قال : فسألنا : من أين ؟ قلنا : من قرطبة . قال : متى عهدكما بها ؟ قلنا : الآن وصلنا منها . فقال : أقربا إلى أشم نسيم قرطبة مقر بنا منه فشم رأسي وقمته وقل لي أكتب :

أقرطبة الغراء هل لي أونة إليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة وقمقمع في ساحات ذوحاتك الرعد
إيايك أسحاراً وأرضك روضة وتربك في استنشاقها عنبر ورْد
وكتب الرئيس السكاتب أبو بكر بن القبطرنة للعالم أبي الحسين بن سراج

بقوله :

ياسيدي وأبي ، هوّمي وجلالة
عرج بقرطبة إذا بلقتها
وإذا سعدت بنظرة من وجهه
واذكر له شوقي وشكري مُجمِلاً
بتحية تُهدى إليه كأما
ورسول وُدّي إن طلبتُ رسولا
بأبي الحسين وناديه تأميلاً
اهد السلام لكفّه تقبيلاً
ولو استطعت شرحته تفصيلاً
جرت على زهر الرياض ذيولا

(١) نقل صاحب نفع الطيب عن أبي محمد بن حزم مايلي : أخبرني تليد الخصى وكان على خزائن العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير اه قلنا وكان عدا خزائن كتب دار الخلافة خزائن لا تحصى في قرطبة

وفي باب اليهود بقرطبة يقول أبو عامر بن شهيد :

لقد أطلعوا عند باب اليهود دَبْرًا أَبِي الْحُسْنِ أَنْ يُكْشَفَا
تراه اليهودُ على بابها أميراً فتحسبهُ يوسفًا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا : باب الهدى . وسند ذكر قرطبة والزهراء
والزاهرة ومسجدها في الباب المنفرد بها ، إن شاء الله تعالى ، وكذلك القنطرة (١)
ومن أعظم مدن الأندلس اشبيلية ، قال الشقندي : من محاسنها اعتدال الهواء ،
وحسن المباني ، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر ،
وفيه يقول ابن سفر :

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَيْبَ قَيْصِهِ فَانْسَابَ مِنْ شَطَائِهِ يَطْلُبُ ثَارَهُ
فتضاحكت ورُقُّ الحمام بدوحها هُرْءًا فُضْمًا من الحياء إزارَهُ

وقيل لأحد من رأى مصر والشام : أيهما رأيت أحسن ، أهدان أم اشبيلية ؟
فقال بعد تفضيل اشبيلية : شرفها (٢) غابة بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح اه
ويقال إن الذي بنى اشبيلية اسمه « يوليس » (٣) وأنه أول من سُمِّيَ « قيصر »

(١) وسند كرها نحن أيضاً عند الوصول إلى مبحث قرطبة

(٢) يعنى غابة الزيتون العظيمة المسماة بالشرف

(٣) هو يوليوس قيصر وكان قد فتح اشبيلية سنة ٤٥ ق م واتخذها حاضرة لاسبانية
كما كان « بومي » اتخذ قرطبة . وليس يوليوس قيصر هو الذي بناها ، بل هي بلدة
عظيمة من قبل ، واقعة على طريق التجارة الأعظم ، من قادس إلى ماردة إلى طليطلة ،
ولإنما ازداد قيصر اعتناءً بها ، ثم صارت سنة ٤١١ ب م عاصمة لوندال ، وفي سنة
٤٤١ عاصمة للقوط ، وفي سنة ٥٥٧ انتقل اتانا جيلد ملك القوط ، منها إلى طليطلة ،
نظراً لتوسطها في المملكة ، ولكن بقي يقيم بها في الأحايين نائب الملك . واستولى
العرب على اشبيلية تحت قيادة موسى بن نصير سنة ٧١٢ ب م وسلوا قيادها في بداية
الامر إلى غيطشة أو فيطشة Viliza وأعقابها لأنهم ذكروا لغيطشة ولاه لهم عند الفتح

وأنه لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها ، وطيب أرضها ، وجبلها المعروف بالشرف ، فقدم على النهر الأعظم مكاناً ، وأقام فيه المدينة ، وأحرق عليها بأسوار من صخر صلد وبنى في وسط المدينة قسبتين بديعتي الشأن ، تعرفان بأخوين ، وجعلها أم قواعد الأندلس ، واشتق لها اسمها من « رومية يوليس »^(١) انتهى . وقد تقدم شيء من هذا .

وكان الأولون من ملوك الأناحم يتداولون بسكناهم أربعة بلاد من بلاد الأندلس : اشبيلية ، وقرطبة ، وقرمونة ، وطليطلة ، ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها . وأما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الحضرة فرسخ في فرسخ ، طولا وعرضاً ، لا تكاد تشمس فيه بقعة ، لالتفاف زيتونه .

واعلم أن اشبيلية لها كور جليلية ، ومدن كثيرة ، وحصون شريفة ، وهى من الكور المجندة ، نزلها جند حمص ، ولواؤهم في الميمنة ، بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية أيام الحكم من هشام إلى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار . وفي إقليم « طالقة »^(٢) من اقليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر ، معها صبي ، وكأن حية تريده ، لم يسمع في الأخبار ، ولا رؤى في الآثار ، صورة ألدع منها ، جعلت في بعض الحمامات ، وتمشقها جماعة من العوام . وفي كورة ماردة حصن « شنت أفرج »^(٣) في غاية الارتفاع ، لا يعلوه طائر البتة ، لا نسر ولا غيره

ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع « اقايش »^(٤) فإن

(١) سماها قصر Colonia Julia Romula

(٢) قال ياقوت : طالقة من أعمال اشبيلية بالأندلس

(٣) الأسبانيول يقولون لشنت أفرج Santa Cruz أى الصليب المقدس

(٤) عند الأسبانيول Uelès وأكثر سينات الأسبانيول يقلبها العرب شيئا مثل

برسلونة التي هي عندهم برشلونة ، وسيقيله التي يقولون لها اشبيلية . وسنتره التي يقولون لها شنترة ، وواديس التي هي عندهم وادى آس . إلى ما لا يحصى من الأعلام إلا أن ذلك غير مطرد ، فبعض الأعلام لا تزال سينها عندهم سيناً ، وذلك مثل بلنسية

طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبراً ، وهي مربعة منحوتة ، مستوية الأطراف
وقال بعض من وصف اشبيلية إنها مدينة عامرة ، على ضفة النهر الكبير
المعروف بنهر قرطبة ، وعليه جسر مربوط بالسفن ، وبها أسواق قائمة ، وتجار
رابحة ، وأهلها ذوو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو يشتمل على
كثير من اقليم الشرف . واقليم الشرف على تل عال ، من تراب أحمر ، مسافته
أربعون ميلاً في مثلها ، يمشى به السائر في ظل الزيتون والتين . ولها فيما ذكر بعض
الناس قرى كثيرة ، وكل قرية عامرة بالأسواق ، والديار الحسنة والحمامات وغيرها
من المرافق .

وقال صاحب « منهاج الفكر » عند ذكر اشبيلية : وهذه المدينة من أحسن
مدن الدنيا ، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد
الساعة . ويعينهم على ذلك واديها العرج ، وناديتها البهج ، وهذا الوادي يأتيها من
قرطبة ، ويمجزر في كل يوم . ولها جبل الشرف^(١) ، وهو تراب أحمر ، طوله من الشمال
إلى الجنوب أربعون ميلاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل
على مائتين وعشرين قرية ، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت . انتهى .

ومرسية وسرقسطة وقادس وغيرها . ولقد أخرجني والدنا الفاضل البحاثة المدقق السيد
محمد الفاسي من آل الجدة الفهريين أن الأسباب القادمة كانوا أيضاً ينطقون بالسين شينا
في ألفاظ كثيرة مثل Burgos برغش Vargas برقاش اسم آل برقاش الوجهاء
في رباط الفتح ، ولذلك كان الأسبان في الماضي يكتبون السين المنطوق بها شينا
بحرف X فكانوا يكتبون مثلاً اشبيلية هكذا Xévilla وارشيدونة Arxidona
وشلير Xolair وهلم جرا . قلت : وربما كان القوط أتوا بهذا النطق من الشمال لانهم
هم جرمانيون في الاصل ، وكل حرف S في اللغة الجرمانية ينطق به شينا ، وهو
عندهم اصطلاح قديم إلا في مقاطعة هنوفر ، فهناك حرف S ينطق به سينا

(١) لا يصح أن يسمى الشرف جبلاً ، ولقد مررت به في ذهابي من أشبيلية إلى

رندة ، فهو نشز ناهض قليلاً عن الأرض

ولكورة « باجة » (١) من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام
بني عباد خاصية في دباغة الأديم وصناعة الكتان . وفيها معدن فضة . وبها ولد
المعتمد بن عباد ، وهي متصلة بكورة ماردة .

ولجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته إلى طارق مولى موسى بن نصير إذ
كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح ، ولذا شهر بجبل
الفتح ، وهو مقابل الجزيرة الخضراء ، وقد تجون البحر هنالك مستديراً ، حتى صار
مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء . وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة :

وَأَقْوَدَ قَدِ أَتَى عَلَى الْبَحْرِ مَتْنَهُ فَاصْبَحَ عَنْ قُودِ الْجِبَالِ بِمَعَزِلِ
يُعْرِضُ نَحْوَ الْأَفْقِ وَجْهًا كَأَنَّمَا تَرَأَى عَيْنَاهُ كَوَاكِبَ مَنْزِلِ

وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر ، بان كأنه سرج . قال
أبو الحسن على بن موسى بن سعيد : أقبات عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك
الصفة فقال والدي : أجز :

أنظر إلى جبل الفتح راكباً متناً لُج

وقد تفتح مثل الاف . نان في شكل سرج

فقات :

وأما جزيرة طريف فايست جزيرة ، وإنما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها
في البحر مثل الجزيرة الخضراء . وطريف المنسوبة اليه بربرى من موالى موسى بن
نصير . ويقال إن موسى بعثه قبل طارق في أربعائة رجل ، فنزل بهذه الجزيرة في
رمضان سنة إحدى وتسعين ، وبعده دخل طارق . والله أعلم .

ومن أعظم كور الأندلس كورة طليطلة ، وهي من متوسط الأندلس ، وكانت
دار مملكة نى ذى النون ، من ملوك الطوائف ، وكان ابتداء ملكهم صدر المائة
الخامسة . وسمها قيصر بلسانه « بزليطلة » وتأويل ذلك : انت فارح . فعربتبا

العرب ، وقالت « طليطلة »^(١) . وكانوا يسمونها و جهاتها في دولة بني أمية بالثغر الأذني ، ويسمون سرقسطة و جهاتها بالثغر الأعلى . وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لأنه فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ، ودخاها سليمان بن داود عليهما السلام ، وعيسى بن مريم ، وذو القرنين^(٢) ، وفيها وجد طارق مائدة سليمان ، وكانت من ذخائر أشبان ملك الروم الذي بنى أشبيلية ، أخذها من بيت المقدس ، كما مر^(٣) . وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار . وقيل إنها كانت من زمرد أخضر ، ويقال إنها الآن برومة . والله أعلم بذلك . ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة^(٤) منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتليء من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه . وقد قيل أن أواني المائدة من الذهب ، وصحافها من اليشم والجوزع . وذكروا فيها غير هذا ، مما لا يكاد يصدق الناظر فيه . و بطليطلة بساتين محدقة ، وأنهار مخترقة ، ورياض وجنان ، وفواكه حسان ، مختلفة الطعوم والألوان ولها من جميع جهاتها أفاليم رفيعة ، ورساتيق مريمة ، وضياع بديعة ، وقلاع منيعة ، وبالجملة فمحاسنها كثيرة ، ولعلنا نلم ببعض متنزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، وهي مطلة على نهر تاجة ، وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها ، وكانت على قوس واحد ، تكنفه فرجتان من كل جانب ، وطول القنطرة ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعاً ، وخربت أيام الأمير محمد ،

(١) قال المؤرخ الروماني « تيت ليف » : طوليتوم Toletum مدينة صغيرة لكنها

ذات موقع حصين

(٢) هذا من أساطير الأولين

(٣) لم نقرأ هذا في تاريخ يوثق به

(٤) أما هذا فصحيح وإن تطرقت إليه المبالغة ؛ كما هو المعتاد في مثل هذه الحوادث

لما عصى عليه أهلها ، فزاهم واحتال في هدمها . وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس :

أضحت طليطلةً معطلةً من أهلها في قبضة الصقر
تُرِكَت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالقبر
ما كان يُبقي الله قنطرةً نُصِبَت لحمل كتاب الكفر

وسياتي بعض أخبار طليطلة (١) .

ومن مشهور مدن الأندلس المرية ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة المنصور ابن أبي عامر ، وولى عليها خيران ، فنسبت القلعة إليه . وبها من صنعة الديباج ما تفوق به سائر البلاد . وفيها دار الصناعة (٢) . وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام . ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر ، قديم عجيب المنظر

وقال بعضهم : كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول ، وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول ، وللإسقاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، وللإصصهانية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة ، والستور المكحلة . ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف (٣) . وفا كهة المرية

(١) سيأتيك خبر طليطلة في الجزء الأول هذا

(٢) المرية كانت مرسى الأسطول الإسلامي الأندلسي الذي بلغ أوج عظيمته في أيام عبد الرحمن الناصر ، وبعيت كذلك مدة من الزمن بعد ذهاب الناصر رحمه الله ، وفي أيام مجاهد العامري وولده على كانت دانية مرفأً عظيماً للأسطول الإسلامي وكانت فيها دار صناعة وكانت دور صناعة في مدن بحرية أخرى مثل الجزيرة الخضراء وشلب والقنت وقستلون في كتلونية والمنكب ومالقه وقصر أبي دانيس في الجهة الغربية وجزيرة يابسة ، وفي زمن الناصر أشتمت دار صناعة عظيمة في طرطوشة ، وذلك لأن الصنوبر الطرطوشي مشهور بالصلاية

(٣) نقل لاوي بروفنسال عن مؤلفي العرب ما ذكره عن عظيمة تجارة المرية ، وأنها كانت أعظم ميناء في الأندلس ، كما قال الشنقيدي ، وذكر أنه كان فيها ألف إلا

يقصر عنها الوصف حسناً ، وساحلها أفضل السواحل ^(١) ، وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة . وقد ألف فيها أبو جعفر بن خاتمة تاريخاً حافلاً ، سماه « بمزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية » في مجلد ضخيم ، تركته من جملة كتبي بالمغرب . والله سبحانه المسئول في جمع الشمل ، فله الأمر من بعد ومن قبل .

ووادى المرية طوله أربعون ميلاً في مثلها ، كلها بساتين بهجة ، وجنات نصرية وأنهار مطردة ، وطيور مفردة . قال بعضهم : ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية ، ولا أعظم متاجر وذخائر ، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف ، وهي بين الجبلين ، بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد ، قصبته المشهورة بالحصانة ، وعلى الآخر ربضها . والسور محيط بالمدينة والربض . وغربها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ، ذو فنادق وحمامات ، وخنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أولية . وكأما غربت أرضها من التراب . ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار . انتهى .

وقال ابن اليسع عند ذكر مدينة « شنترة » ^(٢) : إن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوماً من زراعته ، وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر . قال لي أبو عبد الله الباكوري ، وكان ثقة : أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلاً من أهل شنترة ، أهدى إليه أربعة من التفاح ، ما يُقْلُ الحامل على رأسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة أشبار . وذكر الرجل بحضرة ابن عباد أن المعتاد عندهم أقل من هذا ، فإذا أرادوا أن يجيئ بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرًا أو أقل ، وجعلوا تحتها دعائم من الخشب . انتهى .

ثلاثين فندقاً مقيدة في ديوان الخراج ، وأنها كانت مدينة صناعية من الدرجة الأولى ، وفيها المناسج الحريرية وغيرها ، ومعامل الحديد والنحاس والزجاج

(١) إلى يومنا هذا فواكه المرية مشهورة ، ومنها يجلب إلى أوربة أفضل العنب

(٢) Cintra من مدن البرتغال

وبحصن « شنش »^(١) على مرحلة من المربة التوت الكثير ، وفيها الحرير والقرمز ، ويعرف واديهها بوادي « طبرنش »^(٢) و بفرني مالقة عمل « سهيل »^(٣) وهو عمل عظيم كثير الضياع ، وفيه جبل سهيل ، لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه ومن كور الأندلس الشرقية تدمير^(٤) وتسمى مصر أيضاً ، لكثرة شبهها بها ، لأن لها أرضاً يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ، ثم ينضب عنها ، فتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبه بعد تدمير مرسية ، وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، ولها نهر يصب في قباها .

واعلم أن جزيرة الأندلس ، أعادها الله للإسلام ، مشتملة على موسطة وشرق وغرب . فالموسطة فيها من القواعد المصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة ،

(١) لانعلم أهي في الأصل شنشين Chinehin وقد حرقها النساخ إلى شنش ، أم هي من الأصل شنش

(٢) يقول لها الاسبانيول Tabarnax قال عنها لسان الدين بن الخطيب في معيار الاختيار ، حاضرة البلاد المشرقية ، وثنية البارقة الأفقية ، ماشئت من تنجيد بيت ، وعصر زيت ، واحياء أسس ميت . وحام طيب ، وشعر تثر فيه دنانير أبي الطيب ، إلا أنها محيلة الغيوث . عادية الليوث ، ولوشكر الغيث شعيرها ، أخصبت البلاد وغيرها (٣) هو اسم عرى من أصله والاسبانيول يقولون لهذا المكان فوانجيرولا .

Fuengirola قال لسان الدين في معيار الاختيار ، : حصن حصين . يضيق عن مثله هد وصير ، ويقضى فضله كل ذى عقل رصين . سبب عزه متين . ومادة قوته شعير وتين ، قد علم أهله مشربهم ، وأمنوا مهربهم ، وأسهمت بين يديه قراه ، مائلة بحيث تراه ، وجاد بالسلك واديه ، وبالجب ثراه . وعرف شأنه بأرض الوب ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . إلا أن سواحله بلء الغارة البحرية . ومهبط السرية غير السرية . ومسرح السائمة الأميرية ، وخدامها كما علت أولئك هم شر البرية اه . قلت : قوله البيل بكسر أوله معناه مباح يقال هو حل وبل ، أى سواحل سهيل مباحة للغارات البحرية لكثرتها عليها

(٤) هي البلدة التي يقال لها أوربولة وهي من عمل مرسية

لها أعمال ضخام ، وأقطار متسمة : قرطبة ، وطليطلة ، وجيان ، وغرناطة ، والمرية ، ومالقة : فن أعمال قرطبة « استجة » و « بلكونة » و « قبرة » و « رندة » و « غافق » و « المدور » و « اسطبة » و « بيانة » و « اليسانة » و « القصير »^(١) وغيرها . ومن أعمال طليطلة « وادي الحجارة » ، و « قلعة رباح » ، و « طلمنكة »^(٢) وغيرها . ومن أعمال جيان ، « ابذة » ، و « يياسة » ، و « قسطلة »^(٣) وغيرها ، ومن أعمال غرناطة « وادي آش » ، و « المنكب » و « لوشة »^(٤) وغيرها . ومن أعمال المرية « اندرش »^(٥) وغيرها . ومن أعمال

(١) الأسبانيول يقولون لاستجة Eciga وللكونه Balcona ولقبره Cabra ولرندة Ronda ولغافق Gafic وللدرر Almodovar ولأسطبة Estepa وليانته Baessa ولاليسانة Lucana وللقصير Alkosair

(٢) الأسبانيول يقولون لوادي الحجارة Guadalajara ولقلعة رباح Calatrava ولطلمنكة Salamanca

(٣) الأسبانيول يقولون لجيان خيان بالخاء وبدون تشديد ، ويقول دوزى إن القشتاليين كانوا يقولون في القرون الوسطى جيان مخففة ، وأن أصل هذا الاسم روماني ، وهو أوسيانس Uciense فالعرب حذفوا آخر الاسم ، فبقى أوسيان ، فقلبوا السين شينا ، ثم غلبت الجيم الشين ، وحذفوا الأول ، فاتمى الأمر بأن صارت جيان ، والله أعلم . ويقول الأسبانيول لأبذة Ubeda وليياسة Baeza ولقسطلة Castella وكل هذه الأسماء قد تقدم ذكرنا لها بالعربي وبالاسبانيولي وإنما نكررها لترسخ في ذهن القارئ

(٤) لا يخفى أن غرناطة هي عند الأسبانيول Granada ووادي آش Geiadix والمنكب Almunécar ، ولا نعلم لماذا الأسبانيول قلبوا الباء راء ، ولوشة هي عندهم Loja

(٥) لا يخفى أن المرية هي من فعل رأى بحسب رأى دوزى ، فقد قال إن هذا الاسم في أصله لم يكن علماً وأنه صفة لبرج يكون مشرفاً على البحر ، ترى منه مراكب البحر ، وتراه المراكب من البحر . وهذا الرأي ليس بعيد عن الصواب ، لأنه في

مالقة « بلش و « الحامه »^(١) ، وغيرهما . وبلش من الفواكه ما بمالقة ، وبالحمارة العين الحارة على ضفة واديها .

وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد « مرسية » و « بلنسية » و « دانية » و « السهلة » و « الثغر الأعلى »^(٢) . فمن أعمال مرسية « أوريولة » و « القنت » و « لورقة »^(٣) وغير ذلك ومن أعمال بلنسية « شاطبة » التي يضرب بحسنها المثل ، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له ، و « جزيرة شقر » وغير ذلك وأما « دانية » فهي شهيرة ، ولها أعمال ، وأما « السهلة » فإنها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ، ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الأعلى ، ولها مدن وحصون . ومن أعمال الثغر الأعلى سرقسطة . وهي أم ذلك الثغر . وكورة « لاردة » والقلمة ، وتسمى بالبيضاء^(٤)

العربي يوجد فعل أراه إياه يريه إراءة وإيراء ، أى جعله ينظر فيه فهو مر وهى مرية . فهذا فى الارجح أصل هذه اللفظة ، وفيما بعد أدخلوا عليها التشديد بتحريف العوام . ومع هذا فالأسبانيول لا يلفظونها بالتشديد بل يلفظونها بفتح الاول وكسر الثانى فسكون فياء فألف هكذا Almeria . وأما اندرش فيكتيونها Andarax وهى البلدة التى عينها فردياندا لآنى عبد الله بن الاحمر . بعد أن أخرجه من غرناطة ، حتى يقيم بها قبل أن تحيل عليه وأخرجه إلى المغرب ، وقد ذكرها لسان الدين فى معيار الاخبار ، فقال عنها : عنصر جاية ، وكن به أولو إباية ، حريها ذهب ، وتربها تبر ملتهب ، وماؤها سلسل ، وهواؤها لايلنى معه كسل إلا أنها ضيقة الأحواز والجهات ، كثيرة المقابر والقهوات ، عديمة الفرج والمنتزهات . ثقيلة المغارم . مستباحة المحارم ، أعرابها أولو استطالة ، فلا يعدم الزرع عدوانا ، ولا يفقد غير الشر بزوانا ، وطريقها غير سوى وسا كنها ضعيف يشكو من قوى اه .

(١) الاسبانيول يقولون لبلش مالقة Velez Malaga ويقولون للحمارة Alahama

(٢) مرسية هى Murcia وبلنسية Valencia ودانية Denia والسهلة Azaila

والثغر الاعلى هى سرقسطة Zaragoza

(٣) كلها قد تقدم ذكرها وبعض وصفها

(٤) أى سرقسطة

وكورة « تطيلة » ومدينتها « طرسونة »^(١) وكورة « وشقة » ومدينتها
تمريط^(٢) ، وكورة مدينة سالم ، وكورة قلعة أيوب ، ومدينتها بليانة ، وكورة
« برطانية »^(٣) وكورة « باروشة »^(٤)

وأما غرب الأندلس ففيه « اشبيلية » و « ماردة » و « اشبونة » و « شلب »^(٥)
فمن أعمال اشبيلية « شريش » و « الخضراء » و « لبله »^(٦) وغيرها . ومن أعمال
ماردة « بطليوس » و « يابرة »^(٧) وغيرها . ومن أعمال اشبونة « شترين »^(٨)
وغیرها . ومن أعمال شلب « شنت ريه »^(٩) وغيرها .

وأما الجزر البحرية بالأندلس فمنها جزيرة « قادس »^(١٠) وهي من أعمال
اشبيلية . وقال ابن سعيد : إنها من كورة شريش ولا منافاة ، لأن شريش من
أعمال اشبيلية كما مر . قال : ويبد صنم قادس مفتاح . ولما تار بقادس ابن أخت
القائد أبي عبد الله بن ميمون ، وهو على بن عيسى قائد البحر بها ، ظن أن تحت
الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئاً اه .

وهي أعنى جزيرة قادس في البحر المحيط . وفي المحيط الجزائر الخالدات^(١١)

(١) قد تقدم ذكر هذه المدن وسيأتي الخبر عنها كلها

(٢) Tamarite - Altorricion

(٣) إن هذه الكورة هي المسماة بلطانية عند الأسيان وهي شمالي وشقة

(٤) قال ياقوت : باروشة مدينة من غربي سرقسطة بقرب من أرض الفرنج

(٥) هذه الأسماء هي Sévillā و Merida و Lisboa و Silves

(٦) Xeres و Algezira و Niebla

(٧) Evora و Badajoz

(٨) Santarem (٩) Santamaria

(١٠) Cadix وليست بجزيرة تامة ، وذلك لأنها ترتبط بالبر بخيط دقيق من التراب

قليل العرض لا يزيد على أمتار معدودات ، وهو أيضاً غير مستطيل

(١١) Canaries

السبع ، وهي غربي مدينة سلا ، تلوح للناظر في اليوم الصاحي الصافي الجو من الأبنجرة الفليظة ، وفيها سبعة أصنام على أمثال الآدميين ، تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها . وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات ^(١) ، وفيها من المدن والقرى مالا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس ، على دين النصارى ، أولها جزيرة برطانية ^(٢) وهي بوسط البحر المحيط ، بأقصى شمال الاندلس ، ولا جبال فيها ولا عيون ، وإنما يشربون من ماء المطر ، ويزرعون عليه ، وقال ابن سعيد : وفيه جزيرة « شاطيش » ^(٣) وهي آهلة ، وفيها مدينة ، وبجربها كثير السمك ، ومنها يحمل مملحا إلى اشبيلية ، وهي من كورة « لبله » مضافة إلى عمل « أوننة » ^(٤) اه .

وقال بعضهم لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس : إن الزرع في بعض أقطارها يكتفى بمطرة واحدة ، وبها أقواس من الحجارة المقر بصة ، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الماس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة . ومن أعجب بنائها « الدواميس » ^(٥) وهي أربعة وعشرون ، على صف واحد ، من حجارة مقر بصة ، طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة ، في عرض ستين خطوة ، وارتفاع كل واحد أكثر من مائتي ذراع ، بين كل داموسين انقاب محكمة ، تنصل فيها المياه من بعضها إلى بعض ، في العلو الشاهق ، بهندسة عجيبة ، وإحكام بديع . انتهى « قلت » : أظن هذا عاظا فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة أفريقية لا قرطاجنة الأندلس . والله أعلم .

(١) Açores

(٢) برطانية العظمى

(٣) Saltes وهي جزيرة في غربي الاندلس بنسب إليها أبو محمد الشلطيشي وغيره

من أهل العلم وسياق ذكرها

(٤) Huelva

(٥) الداموس هو القتره أو ما يستتر به

وقال صاحب « مناهج الفكر » عند ما ذكر قرطاجنة : وهى على البحر الرومى ، مدينة قديمة بقى منها آثار ، ولها فحوص طولها ستة أيام ، وعرضه يومان ، معمور بالقرى انتهى . وذكر قبل ذلك فى « لورقة »^(١) أنه بناحيتهما يوجد حجر اللازورد ، وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتا ميورقة ومنورقة ، وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة^(٢) وتدخلها ساقية جارية على الدوام ، وفيها يقول ابن اللبانة :

بلدٌ أعارته الحامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووسُ
فكانما الأنهار فيه مُدامةٌ وكان ساحات الديار كؤوسُ

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت :

وغمرت بالاحسان أرض ميورقة وبنيت ما لم يبنيه الاسكندرُ

وجزيرة يابسة^(٣) . واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ، ولو تتبع لكان

تأليفاً مستقلاً ، وما أحسن قول ابن خفاجة :

إن للجنة بالأندلس مُجتلى حُسنٍ ورِيَا نفس
فسا صبحتها من شنب ودحى ليلتها من لَعَس
وإذا ما هبت الريح صباً صحتُ : واشوقى إلى الأندلس!

وقال بعضهم فى طليطلة :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نصره ونعيمُ

(١) - Lorca

(٢) الاسبانيول يقولون لهذه المدينة « بالما ، Palma » وأما العرب فكانوا يقولون للجزيرة ميورقة وللدينة أيضا ميورقة . وقد أقمت بهذه البلدة عشرين يوماً فى أثناء سياحتى إلى الأندلس سنة ١٩٣٠ فرأيتها من أجل بلاد الله وأخصبها

(٣) Ibiza

الله زينهُ فوشح خضرهُ نهر الحجرهُ والغصونُ نجومُ
ولا حرج إن أوردنا هنا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن
إدريس الأمير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فانه مناسب
ونصه :

« مولاي أمتع الله ببقائك الزمان وأبناءه ، كما ضمّ على حبك أحناءهم وأحناءه ،
وأوصل لك ماشئت من المن والأمان ، كأنظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان ،
فانك الملك الهام ، والقمر التمام ، أيامك غرر وحجول ، وفرند بهائها في صفحات الدهر
يجول ، ألبست الرعية برود التامين ، فتناست فيك من نفيس تمين ، وتلفت دعوات
خلك لها باليمين ، فكم للناس من أمن بك وإيناس ، وللأيام من لوعة فيك وهيام
والأقطار من لباتات لديك وأوطار ، وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد !!
يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ، ويغتنقون في رياض ذكرك
العاطر بمدام حبك ويصطبحون ، كل حزب بما لديهم فرحون ، محبة من الله ألقاها
لك ، حتى على الجاد ، ونصراً مؤزرأ تنطق به ألسنة السيوف على افواه الاغماد ،
ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها ، ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجيل إعادتها
وإبداءها ، ومن قدم صالحا فلا بد من أن يوازيه ، ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه
ولما تخصصت فيك من الأندلس الأمصار ، وطال بها الوقوف على حبك والاققتصار ،
كلها يفصح قولاً ، ويقول أنا أحق وأولى ، ويصيخ إلى إجابة دعوته ويصغى ،
ويتلو إذا بشر بك : ذلك ما كنا نبغى . تنمّرت حمص غيظاً ، وكادت تفيض فيظاً
وقالت : ما لهم يزيدون وينقصون ، ويطعمون ويحرسون ؟ إن يتبعون إلا الظن
وإن هم إلا يخرصون ! ألهم السهم الأسد ، والساعد الأشد ، والنهر الذي يتعاقب عليه
الجزر والمد ؟ أنا مصر الأندلس والنيل نهري ، وسماي التانس والنجوم زهري ، إن
تجار يتم في ذلك الشرف^(١) ، فحسبي أن أفيض في ذلك الشرف ، وإن تبجحتم بأشرف

(١) هو غابة الزيتون التي تقدم ذكرها

اللبوس ، فأى إزار اشتمتموه « كشتتموس »^(١) ؟ إلى ما شئت من أبنية رحاب ،
وروضى يستفنى بنضرته عن السحاب ، وقد ملأت زهراتي وهادا ونجادا ، وتوشح
سيف نهري بحدائتي نجادا ، فأنا أولا كم بسيدنا المهام وأحق ، الآن حصحص الحق !
فنظرتها قرطبة شذراً ، وقالت : لقد كثرت نذراً ، وبذرت في الصخر الأصم بذراً ،
كلام العدي ضرب من الهديان ، وأنى للايضاح والبيان متى استحال المستقبح
مستحسناً ، ومن أودع أجفان المهجور وسنا ، أفس زين له سوء عمله فرآه حسناً ؟ !
يا عجباً للمرا كز تقدم على الأسنه ، واللائغار^(٢) تفضل على الأعنة ! إن ادعيتم سبقاً
فما عند الله خير وأبقى ، لى البيت المطهر الشريف ، والاسم الذى ضرب عليه رواقه
التعريف ، فى بقيعى محل الرجال الأفاضل ، فليرغم أنف المناضل ، وفى جامعى
مشاهد ليلة القدر ، فحسبى من نباهة القدر ، فما لأحد أن يستأثر على بهذا السيد
الأعلى ، ولا أرضى له أن يوطىء غير ترانى نعلا ، فأقرّوا لى بالابوة ، وانقادوا لى
على حكم النموّة ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوّة ، وكفوا عن تباريكم
داكم خير لكم عند بار يكم .

فقات غرناطة : لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ، ولا تجرى إلا تحته
جياذ الغيث السجوم ، فلا يلحقى من معاند ضرر ولا حيف ، ولا يهتدى إلى خيال
طارق ولا طيف ، فاستسلموا قولاً وفعلًا ، فقد أملح اليوم من استعلى ، لى بطاح
تقلدت من حداولها أسلاكاً ، وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكاً ، ومياه تسيل
على أعطافى كأدمع العشاق ، وبرد نسيم يردد ماء المستجير بالانتشاق ، فحسنى لا يطمع
فيه ولا يَحْتال ، فدعونى فكل ذات ذيل تختال ، فأنا أولى بهذا السيد الأعدل ،
وما لى به من عوض ولا بدل ، ولم لا يعطف على عنان مجده ويثى ، وإن أشديوماً
فأياى يعنى :

(١) Santiponce من قرى اشبيلية

(٢) الثغر محرّكة وقد تسكن السير : الذى فى مؤخر السرج

بلاد بها عَقَّ الشباب تمانى وأول أرض مَسَّ جلدى تُرابها
فما لكم تعزّون لفخرى وتنتمون ، وتتأخرون فى ميدانى وتتقدمون ؟ تبرأوا
إلىّ مما تزعمون ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .

قالت مالقة : أنتركونى بيئكم هملاً ، ولم تعطونى فى سيدنا أملاً ؟ ولمّ ولى البحر
العجاج ، والسبل الفجاج ، والجنات الأثيرة ، والفواكه الكثيرة ؟ ! لدى من البهجة
ما تستغنى به الحمام عن الهديل ، ولا تجنح الأنفس الرفاق الحواشى الى تعويض عنه
ولا تبديل ، فما لى لا أعطى فى ناديك كلاماً ، ولا أنشر فى جيش فخارك أعلاماً ؟ !
فكانّ الأمصار نضرتها ازدراء ، فلم تر لحديثها فى ميدان الذكر اجراء ، لأنها
موطن لا يحظى منه بطائل ، ووطن البلاد تأوت فيها قول القائل :

إذا نَطَقَ السفيهُ فلا تُجِبْهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ

قالت مرسية : أماى تتعاطون الفخر ، وبحفرة الدر تنفقون الصخر ، إن عدت
المفاخر ، فلى منها الأول والآخر ، أين أوشاكم من بحرى ، وخرزكم من لؤلؤ بحرى ؟
وجمجمتكم من نفثات سحرى : فلى الروض للنضير ، والمرأى الذى ماله نظير ،
ورتقانى التى سار مثلها فى الآفاق ، وتبرقع وجه جمالها بغرة الاصفاق ، فن دوحات ، كم
لها من بكور وروحات ، ومن أرجاء ، اليها تمد أيدى الرجاء . فابنائى فى الجنة الدنيوية
مودعون ، يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ، ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم فيها
ما يدعون ، فانقادوا لأمرى ، وحاذروا اصطلاء جمرى ، وخنأوا بينى وبين سيدنا
أبى زيد ، وإلا ضربتكم ضرب زيد ، فأنا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم ،
وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

قالت بلنسية : فيم الجدال والتمراع ، وعلام الاستهام والاقتراع ، وإلام
التعريض والتعريض ، وتحت الرغوة اللبن الصريح ؟ ! أنا أحوزه من دونكم ،
فأخذوا نار تحرككم وهدونكم ، فلى المحاسن الشائخة الأعلام . والجنات التى
تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام ، وبرصافى وجمرى أعارض مدينة السلام ، فأحموا

على الاتقياد لى والسلام ، وإلا فعضوا بناً ، واقرعوا أسناناً . فإنا حيث لا تدركون
وأنى؟ ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا !

فعمد ذلك ارتمت جرة تدمير بالشرار ، واستدّت اسهمها لنحور الشرار ،
وقالت : عش رجياً ، ترعجبا ! أبعدَ العصيان والعقوق ، تهيأن لرتب ذوى الحقوق ؟ !
هذه سماء الفخر ، فمن ضمنك أن تعرجى ؟ ليس بمشك فادرجى ، لك الوصف
والخليل . آلآن ؟ وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة ، من أدراك أن تضربى
وما أنت فاعلة ، ما الذى يجديك الروض والزهر ؟ أم يفيدك الجدول والنهر ؟ وهل
يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ هل أنت إلا محط رحل النفاق ، ومنزل ما لسوق
الخصب فيه من نفاق ، ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع ، وقراك لا يسمن ولا
يفنى من جوع ، فالأم تبرز الاماء فى منصة العقائل ؟ ولكن اذكرى قول القائل :

بلنسية ، بينى عن القلب سلوةً فانك روض لا أحن لزهرك

وكيف يُحب المرء داراً تقسمت على صارتى جوع وفتنة مشرك ؟

بيد أنى أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما خمد ، ويسيل من تسديدك
ما جمد ، ولا يطيل عليك فى الجهالة الأمد ، وإياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا
ومولانا إلى أفضل عوائده ، ويجعل مصائب أعدائه من فوائده ، ويمكن حسامه
من رقاب المشغبين ، ويبقيه وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويصل له
تأييداً وتأييداً ، ويمهد له الأيام حتى تسكون الأحرار لعبيده عبيداً ، ويمد على
الدنيا بساط سعده ، ويهبه ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده .

آمين ! آمين ! لا أرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتعانق عباقاً ونشراً ، ويتألق روتقاً وبشراً ، على حضرتهم

العلية ، ومطالع أنوارهم السنوية الجليلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته (١) (انتهى)

(١) يرى القارىء أن صاحب النفع يأتى بالجغرافية والتاريخ والمحاضرات والمسامرات

والنظم والنثر ، كل ذلك فى نسق ، وأن الترتيب ليس هو الصفة الغالبة على تأليفه ، بل هو فى

ولما ألمَّ الرَّحالة ابن بطوطة في رحلته بدخوله بلاد الأندلس ، أعادها الله تعالى للإسلام قال : فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للساكن ، والثواب مذكور للمقيم والظاعن . . . إلى أن قال عند ذكره غرناطة مانصه : قاعدة بلاد الأندلس ، وعروس مدنها ، وخارجها لا نظير له في الدنيا ، وهو مسيرة أربعين ميلا ، يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة ، والبساتين الجليلة ، والجنات ، والرياضات ، والقصور ، والكروم ، محذقة بها من كل جهة ، ومن عجيب مواضعها « عين الدمع »^(١) وهو جبل فيه الرياضات والبساتين ، لامثل له بسواها . انتهى

وقال الشنقدي : غرناطة : دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأَبصار ، ومطمح الأَنفس . ولم تخل من اشرف أمائل ، وعلماء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن بها إلا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر ، كنهون القلبيّة ، والركونية ، وغيرها . وناهيك بهما في الظرف والأدب . انتهى

ولبعضهم ، يتشوق إلى غرناطة ، فيما ذكره بعض المؤرخين ، والصواب أن الأبيات قيلت في قرطبة كما مر والله أعلم .

أغرناطة الغراء ، هل لي أوبة
سقى الجائب الغي منك غامة
لياليك أسحار ، وأرضك جنة
وقال ابن مالك الرعي :
اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
وقومع في ساحات روضتك الرعد
وتربك في استنشاقها عنبر ورّد

رعى الله بالحراء عيشاً قطعته
ذهبت به للأنس والليل قد ذهب

هذا سائر على قاعدة : إن الحديث شجون ، ولقد رأينا الأولى أن تبقى نسقه على غلاته ، وأن لا تتصرف إلا ماندر في ترتيبه وتبويه

(١) الاسبانول يقولون لهذه العين Fuente del Avellano

ترى الأرضَ منها فِضةً فاذا اُكْتَسَتْ^١ بشمسِ الضُّحَى عادت سيكتتها ذَهَبٌ
وهو القائل :

لا تظنوا أن شوقى خدنا بعدكم ، أو أن دمعى جدا
كيف أسلو عن أناس مثلهم قَلَّ أن تُبْصِرَ عيني أحداً

وغرناطة من أحسن بلاد الأندلس ، وتسمى بدمشق الأندلس ، لأنها أشبه
شئ بها ، ويشقها نهر « حدره »^(١) ويطل عليها الجبل المسمى بشاير ، الذى
لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفاً^(٢) ويجمد عليه ، حتى يصير كالحجر الصلد ،
وفى أعلاه الأزاهر الكثيرة ، وأجناس الأفاوية الرفيعة ، ونزل بها أهل دمشق ،
لما جاءوا إلى الأندلس ، لأجل الشبه المذكور . وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخرين
مائتان وسبعون قرية^(٣) وقال ابن جزى مرتب رحلة ابن بطوطة ، بعد ذكر كلامه
ما نصه : قال ابن جزى : لولا خشيت أن أنسب إلى العصبية ، لأطلت القول فى
وصف غرناطة ، فقد وجدت مكانه ، ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لإطالة
القول فيه . والله در شيخنا أبى بكر ابن محمد بن شيرين السبتي ، نزيل غرناطة
حيث يقول :

رعى الله من غرناطة مُتَبَوِّأً يَسُرُّ حزيناً أو يُجِيرُ طَرِيداً
تبرّم منها صاحبي عند ما رأى مسارحها بالثلجِ عُدُنَ جَلِيداً
هو الثغرُ ، صان الله من أهلت به وما خيرُ ثغرٍ لا يكون بروداً؟

وقال ابن سعيد ، عند ما أجرى ذكر قرية نارجة ، وهى قرية كبيرة تضاهى

(١) الاسبانول يقرلون Darro

(٢) سيأتى ذكر غرناطة وقراها فى محله

(٣) هذا هو الجبل الذى قال فيه القائل وقد حل باحدى قراه :

يجل لنا ترك الصلاة بأرضهم وشرب الحيا وهو شئ محرم
فراراً إلى نار الجحيم فانها أخف علينا من شاير وأرحم

المدن قد أحدثت بها البساتين ، ولها نهر يقطن الناظرين ، وهى من أعمال مالقة :
انه اجتاز مرة عليها مع والده أبى عمران موسى ، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم
وقد ضربوا فى بطن الوادى بين مقطعاته خيما ، وبعضهم يشرب ، وبعضهم يغنى
ويطرب ، وسألوا : بيمَ يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا الطراز ، فقال والدى اسم طابق
مسيما ، ولفظ وافق معناه .

وقد وجدت مكان القولِ ذا سَعَةٍ فات وَجَدْتَ لساناً فائلا قُل
ثم قال أجز :

بنارجةٍ حيثُ الطراز المنمَّمُ
قلت :
أقيمُ فوقَ نهرٍ نَعْرُهُ يتبسمُ
فقال :
وسمعتُ نحوَ الهانقاتِ فأنها
قلت :
لِما أبصرتُ منْ بهجةٍ تترنمُ
فقال :
أيا جنةَ الفردوسِ لستُ بأديمِ
فقلت :
فلا يكُ حظي من جنائك التندمُ
فقال :
يعز عاينا أن نزوركِ مثلَ ما
قلت :
يزورُ خيالُ من سَلِمَى مسامُ
فقال :
فلو أنى أعطى الخيارَ لَمَّا عدتُ
قلت :
محالكِ لى عينُ بمرآكِ تنعمُ
فقال :
بحيثُ الصبا والطلُّ من نفاثها
قلت :
وقتُ لسعِ روضٍ فيه للنهرِ أرقمُ
فقال :
فوا أسفى ! إن لم تكن لى عودةُ
قلت :
فكنْ مالِكاً إني عايك مَتَمُّ (١)

(١) متمم كعظم هو متمم بن نويرة بن حمزة التميمي اليربوعي الشاعر الصحابي
أخو مالك بن نويرة الصحابي أيضا رضى الله عنهما

فأحسب هذا آخر العهد بيننا : فقال :
 وقد يَلْحَظُّ الرِّحْمَنُ شَوْقِي فِيرْحَمُ : فقلت :
 سلام ! سلام ! لا يزال مُرَدِّدَاً : فقال :
 عليك ! ولا زالت بك السُّحُوبُ تَسْجُمُ ! : فقلت : انتهى .

وقال ابن سعيد : إن كورة بلنسية ، من شرق الأندلس ، ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب ، وبها كُمَثْرَى تسمى الأرزة ، في قدر حبة العنب ، قد جمع مع حلاوة الطعم ، ذكاه الرائحة ، إذا دخل دارا عرف بريجه ، ويقال إن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وبها منارة ومسارح ، ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ، ومُنِيَّة ابن أبي عامر .

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها :

هي الفردوس في الدنيا جَمالاً لسا كِنِها وكارها البعوض
 وقال بعضهم فيها :

ضاقَتْ بَلَنْسِيَّةٌ بِي وَذادَ عَنِّي غُمُوضِي
 رَقَصُ الْبِراغِيثِ فِيها عَلَي غِناءِ الْبَعُوضِ

وفيهما لابن الزقاق البلنسي :

بلنسيةٌ إذا فَكَّرْتَ فِيها وفي آياتها أَسنى الْبِلادِ
 وأَعْظَمُ شَهِدِي مِنْها عَلَيْها وَأَنْ جَماها لِلعِينِ بَادي
 كَسَّاهَا رَبُّها دِيباجَ حُسنِ لها عَلمانِ مِنْ بَحْرِ وِوادي

وقال ابن سعيد أيضاً : أنشدني والدي قال : أنشدني مروان بن عبد الله بن

عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بما كش قوله :

كَأَنَّ بَلَنْسِيَّةً كاعِبٌ وَمَلَبَسَها سُنْدُسٌ أخْضَرُ
 إذا جِثَّتْها سَتَرَتْ نَفْسَها بِأَكامِها فهِىَ لا تَظْهَرُ

وأما قول أبي عبد الله بن عياش : « بلنسية بيني » البيتين وقد سبقا ، فقال ابن سعيد : إن ذلك حيث صارت ثغرا يصاحبها العدو ويماسيها ^(١) اه .

وقال أبو الحسن بن حريق يجاوب ابن عياش :

بَلَنْسِيَّةٌ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحٌّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
فَانْ قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سَعْرٍ وَمَسْقَطُ دَيْمَتِي طَمَنٌ وَضَرْبٌ
فَقَلْ هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهِينَ مِنْ جُوعٍ وَحَرْبٍ

وقال الرصافي في رصافتها :

وَلَا كَالرُّصَافَةِ مِنْ مَنْزِلِ سَقَّتَهُ السَّحَابُ صَوَّبَ الْوَالِي
أَحِنَّ إِلَيْهَا وَمَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّرَى مِنَ الْمَوْصِلِي

وقال ابن سعيد : وبرصافة ^(٢) بلنسية مناظر و بساتين ومياه ولا نعلم في

الاندلس مايسمى بهذا الاسم إلا هذه ، و رصافة قرطبة . انتهى . ومن أعمال بلنسية قرية « المنصف » التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسبته بزار رحمه الله . ومن نظمه :

قَالَتْ لِي النَّفْسُ : أَتَاكَ الرَّدَى وَانْتَ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا مُقِمٌ
فَمَا أَدَّخَرْتَ الزَّادَ ، قَلْتَ أَقْصَرَى ! هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمِ ؟

ومن عمل بلنسية قرية « بطرنة » ^(٣) وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للصارى

على المسلمين . وفيها يقول أبو اسحق بن يعلى الطرسوني : ^(٤)

(١) هذا كان بعد انصداع الوحدة الأندلسية وانقسام البلاد بين ملوك الطوائف

واستئساد طواغيت الاسبانول .

(٢) الاسبان يقولون Ruzafa وهي إلى الجنوب الشرقى من البلدة .

(٣) هي مقلوبة عن طبرنة Tabernes

(٤) نسبة إلى طرسونة من عمل سرقسطة .

لبسوا الحديدَ الى الوغى وليستمُّ حُللَ الحريرِ عليكمُ ألوانا
ما كانَ اقبحهمُ وأحسنكمُ بها ! لو لم يكنْ بيطرنةٍ ما كانا

ومن عمل بلنسية « مينطة »^(١) التي نسب اليها جماعة من العلماء والأدباء .
ومن عمل بلنسية مدينة « أندة »^(٢) التي في جبلها معدن الحديد . واما « رندة »^(٣)
بالراء فهي في متوسط الأندلس ، ولها حصن يعرف باندة أيضاً . وفي اشبيلية ، اعادها
الله ، من المتفرجات والمتزهات كثير ، ومن ذلك مدينة « طريانة »^(٤) فانها من
مدن أشبيلية ومتزهاتها ، وكذلك « تيطل » فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل
في المتفرجات . وقال ابو عمران موسى بن سعيد في جوابه لأبي يحيى صاحب سبته ،
لما استوزره مستنصر بنى عبد المؤمن ، وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الأندلس

(١) Mogente وهي بلدة صغيرة قديمة واقعة في بقعة طيبة . جاء في دليل بديكر
انها من بناء العرب .

(٢) Onda قال ياقوت : بالضم فسكون ، مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس ،
كثيرة المياه والرساتيق والشجر ، وعلى الخصوص التين ، فانه يكثر بها . وقد نسب
إليها كثير من أهل العلم اه وذر ياقوت بعضهم وسنذكرهم ونذكر كل من انتسب
إلى أندة ، وكانت أندة دار القضاة .

(٣) إن كانت رندة هي الشهيرة التي نعرفها فليست من متوسط الأندلس ، بل
هي من الجبال الجنوبية فيها ، تارة كانت تعد من عمل قرطبة ، وطورا من عمل اشبيلية .
وأخيرا آلت إلى مملكة عرناطة . وهي التي مها أبو البقاء صالح بن شريف الرندي
الشاعر الشهير صاحب مرثية الأندلس : لكل شيء إذا ماتم نقصان .

(٤) قال ياقوت : طريانة حاضر من حواضر اشبيلية ، ينسب إليها الفقيه عبد العزيز
الطرياني ، كان نحوياً بارعاً ، قرأ على أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود ، قرأ عليه
صديقنا الفتح بن عيسى القصرى مدرس رأس عين اه قلت : وهي تكتب بالأسبانولية
هكذا : Triana جاء في دليل بديكر أنها مسكن الطبقة الدنيا من الشعب ، وإليها ينسب
الفخار الطرياني المشهور ، وكان يصنع بها أحسن الزليج الاشيلي وقد أحييت هذه
الصناعة من جديد .

إلى مراکش ، ما نص محل الحاجة منه : وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك
الانداس ، وبين الوصول الى حضرة مراکش ، فكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل :

والعِزُّ محمودٌ ومُلْتَمَسٌ وَالذُّهُ ما كان في الوطن

فاذا نلت بك السماء في تلك الحضرة ، فعلى من أسود فيها ؟ ومن ذا أضاهى بها ؟

لا رَقَّتْ بي همةٌ إن لم أكن فيك قد أملت كل الأمل

وبعدها فكيف أفارق الأندلس ، وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا ، بما حباها

الله به من اعتدال الهواء ، وعدوية الماء ، وكثافة الأفياء ، وأن الانسان لا يبرح

فيها بين قرة عين وقرار نفس ؟

هي الأرضُ لا وِرْدٌ لَدَيْهَا مُكْدَرٌ ولا طَلٌّ مقصورٌ ولا رَوْضٌ مُجْدَبٌ

أفُق صقيل ، وبساط مديح ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل ، وكيف يعدل

الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فياسموهـل الوفاء ، وياحاتم السباح ، وياجذيمة

الصفاء ، كَلُّ لمن أمَّلك النعمة ، بتركه في موطنه ، غير مكدر لخاطره بالتحرك من

معدنه ، متلفتاً إلى قول القائل :

وسوّلت لي نفسي أن أفارقها والماء في المزن أصفى منه في القدر

فان أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد ، وبأغفه دون أن يشدّ قنّاً ولا أن ينضى

عيساً عاية المراد ، أنشد ناجح المرغوب ، بالغ المطلوب :

وايس الذي يَسْتَتْبِعُ الوَبْلَ رائداً كمن جاءه في داره رائدُ الوَبْلِ

ورب فائل إذا سمع هذا التبسط على الأمانى : ماله تشطّط ، وعدل عن

سبيل التأدب وتبسط ؟ ! ولا جواب عندي إلا قول القائل :

فهذه خِطَّةٌ ما زلت أرقمها فاليوم أبسطُ آمالي وأحتكمُ

ومالي لا أنشد ما قاله المتنبي في سيف الدولة :

ومن كنتَ بحراً له يا على لم يقبل الدرّ إلا كمارا

انتهى المقصود منه .

وقال الجباري : إن مدينة « شريش »^(١) بنت اشبيلية ، وواديها ابن واديها ، ما أشبه سُمْدَى بسعيد ! ! وهى مدينة جليلة ، ضخمة الأسواق ، لأهلها هم وظرف فى اللباس وإظهار الرفاهية ، وتخلق بالآداب . ولا تكاد ترى بها إلا عاشقاً أو معشوقاً . ولها من الفواكه ما يعم ويفضل ، وبما اقتصت به احسان الصنعة فى المجبّنات ، وطيب جنبها يعين على ذلك . ويقول أهل الأندلس : من دخل شريش ولم يأكل بها المجبّنات فهو محروم اه .

والمجبّنات نوع من القطائف يضاف إليها الجبن فى عجّينها وتقلّى بالزيت الطيب . وفى شلب يقول الفاضل الكاتب أبو عمرو بن مالك بن سيدمير

أشجّاك النسيمُ حيث يهبُ؟ أم سنى البرق إذ يخبُ ويخبو؟
 أم هتوفُ على الأراكّة تشدو أم هتونُ من الغمامة سكبُ؟
 كلُّ هذاك للصّبابة داعٍ أى صبّ دموعه لا تصبُ؟
 أنا لولا النسيمُ والبرق والورُ قُ وصوبُ الغمام ما كُنْتُ أصبو
 ذكرتني شلبياً ، وهيهات مني بعد ما استحكمت التباعُدُ شلبُ !

(١) Xeres أو Jerez وقد كانوا يقولون لها Xeres de la Frontera ومعناه شريش الثغر ، لأنها بقيت مده طويلة فى أواخر مقام العرب بالأندلس هى الثغر بين المسلمين الذين كانوا فى مملكة غرناطة والاسبانيول الذين كانوا غلبوا على اشبيلية وهى اليوم ثالث بلدة فى اسبانية من جهة الثروة ، ومن أشهر مدن أوربة فى صنعة الخمر . وخمرها هو الذى يقال له « شرى » Sherry عند الانكليز والبلدة نظيفة خفيفة على الروح ، والبيوت فيها لاتزال على طراز البناء العربى . ذهبت إليها صباحا بسكة الحديد من اشبيلية ، ورجعت منها بعد الغداء إلى اشبيلية . وكان استرداد الاسبان لشريش سنة ١٢٥١ على يد الملك فرديناند الا أن العرب استرجعوها أول مرة . ثم عاد الاسبان فغلبوا عليها . ثم عاد العرب فأخذوها ثانية مرة بعد وقائع شداد . ثم عاد الأذققش الملقب بالحكيم فاستولى عليها سنة ١٢٦٤ وبقيت فى أيدي الاسبانيول من ذلك الحين . وسيأتى ذكرها مفصلاً متى وصلنا إلى كورة اشبيلية

وتسمى أعمال شلب كورة « اشكونية » وهي متصلة بكورة أشبونة ، وهي ،
أعنى أشكونية ، قاعدة جليلة ، لها مدن ومعامل ، ودار ملكها قاعدة « شلب » (١)
وبينها وبين قرطبة سبعة أيام . ولما صارت لبني عبد المؤمن ملوك مراکش أضافوها
إلى كورة أشبيلية . وتفتخر شلب بكون ذى الوزارتين ابن عمار منها ، سامحه الله .
ومنها القائد أبو مروان عبد الملك بن بدران ، وربما قيل ابن بدرون ، الأديب
المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التي أولها :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ !؟

(١) Silves قال ياقوت الحموي في معجمه : شلب بكسر أوله وسكون ثانيه . وآخره
باء موحدة ، هكذا سمعت جماعة من أهل الأندلس يتلفظون بها . وقد وجدت بخط بعض
أدبائها : شلب يفتح الشين . وهي مدينة بغيري الأندلس ، بينها وبين باجة ثلاثة أيام ،
وهي غربي قرطبة ، وهي قاعدة ولاية اشكونية ، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للقارس
المجد . بلغنى انه ليس بالأندلس بعد اشبيلية مثلها ، وبينها وبين شنترين خمسة أيام .
وسمعت ممن لا احصى انه قل ان ترى من أهلها من لا يقول شعراً ، ولا يعانى الأدب ،
ولو مررت بالفلاح خلف فدائه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه .
وأى معنى طلبت منه . وينسب اليها جماعة منهم محمد بن ابراهيم بن غالب بن عبد الغافر
ابن سعيد العامري من عامر بن لوى الشلبي ، وأصله من باجة يكنى أبا بكر روى عن
علي بن الحجاج الاعلم كثيراً . وسمع من عبد الله بن منظور صحيح البخارى ، وكان
واسع الأدب ، تولى الخطابة ببلده مدة طويلة ، ومات لخمس خلون من جمادى الاولى
سنة ٥٣٢ ومولده سنة ٤٤٦ وامر أن يكتب على قبره :

لئن نفذ القدر السابق بموتى كما حكم الخالق
فقد مات والدنا آدم ومات محمد الصادق
ومات الملوك وأشياهم ولم يبق من جمعهم ناطق
فقل للذى سره مصرعى تاهب فانك بي لاحق

انتهى . قلنا وينسب الى شلب من العلماء جم غفير سنأتى بتراجهم عند الوصول الى

ذكر هذه المدينة

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد الشرقية . ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله
 المشقُّ لَدَتْهُ التَّعْنِيقُ وَالقُبْلُ كَمَا مُنْعَصُهُ التَّثْرِيبُ وَالْمَدَلُّ
 يَالَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ يَقْضَى وَصَالِكُمْ لَوْلَا الْمُنَى لَمْ يَكُنْ ذَا الْعُمُرُ يَتَّصِلُ
 ومنها نحوى زَمَانِهِ وَعَلَامَتُهُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ السَّيِّدِ الْبَطْلِيِّوسَى ، فَاَنْ

شَلْبَا بَيْضَتُهُ ، وَمِنْهَا كَانَتْ حَرَكَتُهُ وَنَهَضَتُهُ ، كَمَا فِي الذَّخِيرَةِ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

إِذَا سَأَلُونِي عَن حَالِي وَحَاوَلْتُمْ عُدْرًا فَلَمْ يُمَكِّنِ

أَقُولُ : بِخَيْرٍ ، وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ يَدُورُ عَلَى الْأَلْسِنِ

وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

وَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْفَلَّاسِ يَمْدَحُ بَطْلِيُوسَ بِقَوْلِهِ :

بَطْلِيُوسُ ^(١) لَا أَنْسَاكَ مَا اتَّصَلَ الْبُعْدُ فَلَهُ غَوْرٌ فِي جَنَابِكَ أَوْ نَجْدُ

وَاللَّهُ دَوَّحَاتٌ تَحْفَكَ يَنْعَمًا تَفَجَّرُ وَاذِيهَا كَمَا شَقَّقَ الْبَرْدُ

وَبَنُو الْفَلَّاسِ مِنْ أَعْيَانِ حَضْرَةِ بَطْلِيُوسَ ، وَأَبُو عَمْرٍو الْمَذْكُورُ أَشْهَرُهُمْ ، وَهُوَ

مِنْ رِجَالِ الذَّخِيرَةِ وَالْمَسْهَبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَفِي شَاطِبَةِ ^(٢) يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

نَعِمَ مَلَقَى الرَّحْلِ شَاطِبَةَ لِفَتَى طَالَتْ بِهِ الرَّحْلُ

بَلَدَةٌ أَوْقَاتُهَا سَحَرٌ وَصَبًا فِي ذَيْلِهِ بَلَلٌ

وَنَسِيمٌ عَرَفَهُ أَرْجٌ وَرِيَاضٌ غُصْنُهَا تَمَلُّ

وَوُجُوهٌ كُلُّهَا غُرُرٌ وَكَلَامٌ كُلُّهُ مُثَلُّ

وَفِي بَرَجَةِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

إِذَا جِئْتَ بَرَجَةَ مُسْتَوْفِرًا فَخُذْ فِي الْمَقَامِ وَخَلِّ السَّفَرَ

فَكُلُّ مَكَانٍ بِهَا جَنَّةٌ وَكُلُّ طَرِيقٍ إِلَيْهَا سَقَرٌ

(١) سِيَاتِي ذَكَرَهَا مَفْصَلًا عِنْدَ ذِكْرِ مَدَائِنِ الْغَرْبِ مِنَ الْإِنْدَلُسِ

(٢) سِيَاتِي ذَكَرَهَا مَفْصَلًا عِنْدَ ذِكْرِ مَدَائِنِ الشَّرْقِ مِنَ الْإِنْدَلُسِ

واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد ، لكان كافياً ، ويرحم الله لسان الدين بن الخطيب ، حيث كتب على لسان سلطانه إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك ما نصه : من أمير المسلمين فلان إلى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادة تجذبه ، وعناية اليه تقربه وقبولاً منه يدعوه إلى خير ما عند الله ويندبه ، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله المرشد المثيب ، السميع المجيب ، معوّد اللطف الخفي ، والصنع العجيب المتكفل بإنجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب ، الذى به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب ، ونستظهر منه على العدو بالحبيب ، ونعدّه عدتنا لليوم العصيب . والرضا عن آله وصحبه الذين فازوا بمشاهدته بأوفى النصيب . ورموا إلى هدف مرضاته بالسهم المصيب ، فانا كتبناه اليكم ، كتب الله تعالى لكم عملاً صالحاً يختم الجهاد صحائف برة ، وتمحض لأن تكون كلمة الله هى العليا جوامع أمره ، وجعلكم ممن تهنى فى الأرض التى فتح فيها أبواب الجنة مدة عمره ، من حراء غرناطة ، حرسها الله تعالى ، واطف الله هامى السحاب ، وصنعه رائق الجناب ، والله يصل لنا وإيكم ما عودته من صالة لطفه . عند انبئات الأسباب ، وإلى هذا أيها المولى الذى هو بركة المغرب المشار اليه بالبيان . وواحدته فى رفعة الشأن المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتان ، المتقلل من المتاع الفن ، المستشرف إلى مقام العرفان ، من درج الإسلام والايمان والاحسان ، فإنا لما نؤنزه من بركم الذى نعدّه من الأمر الأكيد ونضمه من ودمكم الذى نحله محل الكثر العتيد ، ونلتمسه من دعائكم التماس العدة والعديد ، لا نزال نسأل عن أحوالكم التى ترقّت فى أطوار السعادة ، ووصلت جناب الحق بهجر العادة ، وألقت إلى يد التسليم لله والتموكل عليه بالمقادة ، ففسر بما هيا الله تعالى لكم من القبول و بانكم من المأمول ، وألهمكم من الكلف بالقرب اليه والوصول ، والفوز بما لديه والحصول ، وعند ما ردّ الله تعالى علينا الرد الجليل ، وأنالنا فضله

الجزيل ، وكان لعثارنا المقييل ، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا ، ومحلكم من حسن اعتقادنا ، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا ، والله ينفعنا بحمائل الظن في دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، ويجمع الشمل بكم في الجهاد عن الدين ، وتعرفنا الآن بمن له بانباثكم اعتناء ، وعلى جلالكم حمد وثناء ، ولجناب ودمك اعتزاء وانتهاء ، بتجاوز عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره في ازدياد ، وتجدون العهد منه بأليف اعتياد وبين رباط في سبيل الله وجهاد ، وتؤثرون مهاده ، بين ربا أثيرة عند الله ووهاده ، يحشر يوم القيامة شهادتها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، والله أصدق القائلين الصادقين ، حيث لا غارة لغير عدو الاسلام تُتَقَى ، الا لا ابتغاء مالمدى الله يرتقى ، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها ، وهور الجنان قد زينت أترابها ، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح ، وفازوا بجزيل المنح ، وخلدوا الآثار ، وأرغموا الكفار ، وأقلوا العثار ، وأخذوا الثار ، وأمنوا من لفتح جهنم ، بما علا على وجوههم من ذلك الغبار ، فكتبنا اليكم هذا تقوى بصيرتكم ، على جهة الجهاد من العزمين ، ونهب بكم إلى إحدى الحسينين ، والصباح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين ، فانكم إن حججتم أعدتم فرضاً أديتموه ، وفضلا ارتديتموه ، فأثرتة عليكم مقصورة ، وقضيته فيكم محصورة . وإذا أقمتم الجهاد ، جلبتم إلى حسناتكم عملا غريباً ، واستأنتم سعياً من الله قريباً ، وتعدت المنفعة إلى ألوف من النفوس ، المستشعرة لبأس البوس ، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطبننا ، وأعنة الاستدلال أرسلنا . هذا لو قدمتم على هذا الوطن ، وفضلكم غفل من الاشتهار ، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار ، فكيف وفضلكم أشهر من نحيي النهار ، ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الأوطار ؟ ! فان قوى عزمكم ، والله يقويه ، ويعيننا من بركم على ما تنويه ، فالبلاد بلادكم ، وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها إخوانكم ، وأحداثها أولادكم ، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في رباها حلاوة

زائدة ، ولا تعدموا من روح الله فائدة ، وتكيف نفسكم فيها بكيفيات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك ، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم ، وتروا أثر رحمته فيكم ، وتخلّفوا فخر هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبنيتكم ، وتختتموا العمل الطيب بالجهاد الذي يملككم ، ومن الله تعالى يدنيكم ، فنيتكم العربي ، صلوات الله عليه وسلامه ، نبي الرحمة والملاحم ، ومُعَوِّل الصوارم ، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده ، والأعمال بالحواتم ، هذا على بعد بلادهم من بلاده ، وأنتم أحق الناس باقتناء جهاده ، والاستباق إلى آماده .

هذا ما عندنا حثناكم عليه ، وندبناكم اليه ، وأنتم في إيثار هذا الجوار ، ومقارضة ما عندنا بقدمكم على بلادنا من الاستبشار ، بحسب ما يخلق عنكم من يده مقادة الاختيار ، وتصريف الليل والنهار ، وتقاييم القلوب وإجالة الأفكار ، وإذ تعارضت الحظوظ فاعند الله خير للأبرار ، والدار الآخرة دار القرار ، وخير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة وباعد من النار ، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والاطلاع ، بهذه الأرجاء والاصقاع ، قد اتفقت أخبارها ، واتحدت أسرارها ، على البشارة بفتح قرُب أوانه ، وأظلم زمانه ، فارجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه ، ويكرم فيه مسعاه ، ويسام في العمل الذي يشكره الله ويرعاه ، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته . انتهى

ولما دخل الأندلس أمير المسلمين عليّ ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الغتوني ، ملك المغرب والأندلس ، وامن النظر فيها ، وتأمل وصفها وحالها ، قال : إنها تشبه عقاباً مخالبه طابطة ، وصدرة قلعة رباح ، ورأسه جيان ، ومنقاره غرناطة وجناحه الأيمن باسط إلى المغرب ، وجناحه الأيسر باسط إلى المشرق . . . في خبر طويل لم يحضرنى الآن ، إذ تركته مع كتبي بالمغرب ، جمعني الله بها على أحسن الأحوال .

ومع كون أهل الأندلس سُبَّاق حلبة الجهاد ، مهطعين إلى داعيه من الجبال

والوهاد ، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ، ومداراة الشعراء ، خوف الهجاء ، محل وثير المهاد . وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي ، ولكن سنح لي أن أذكر هنا حكاية أبي بكر الخزومي الهجاء المشهور ، الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة : إنه كان أعشى شديد الشر ، معروفاً بالهجاء ، مسلطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكي الذهن ، فطنا للمعاريض سابقاً في ميدان الهجاء ، فاذا مدح ضعف شعره .

والحكاية هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد إذ قال ، حكاية عن أبيه فيما أظن : قدم المذكور ، يعني الخزومي ، على غرناطة أيام ولاية أبي بكر ابن سعيد ، ونزل قريباً مني ، وكنت أسمع به : نار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ، ثم رأيت أن أبدأه بالتأنيس والاحسان ، فاستدعيت به هذه الأبيات :

ياثانياً للمعري في حُسنِ نظمٍ ونثرٍ
وفرط ظرفٍ ونبلٍ وغوصٍ فهمٍ وفكرٍ
صِلْ ثم واصل حفيّاً بكل برٍّ وشكرٍ
وليسَ إلاّ حديثٌ كما زها عِقدُ دُرٍّ^١
وشادِنٍ يتغنى على ربابٍ وزمرٍ
وما يسامحُ فيه الغفورُ من كأسِ خمرٍ
وبيننا عهدُ حلفٍ ليأمر حلفِ كفرٍ
نعم فجدّده عهدا بطيبِ نسكرٍ ويسرٍ
والكأسُ مثلُ رضاعٍ ومن كمثلك يدري ؟

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده . فلما استقرّ به المجلس ، وأقمته روائح الدُّد والعود والأزهار ، وهزت عطفه الأوتار ، قال :
دارُ السَّعِيدِ ذِي ؟ أم دار رضوان ؟ ما تشتهي النفسُ فيها حاضرُ دان !

سَقَتْ أباريقها للندِّ سَحْبَ نَدَى تحدى برَعْدٍ لأوتار وعِيدانِ
والبَرَقُ من كل دَنِّ ساكب مَطَرًا يُعْجِي به مَيْتَ أَفكارٍ وأشجانِ
هذا النعيمُ الذي كُنَّا نَحْدِثُهُ ولا سبيلَ له إلاَّ بِأَذانِ
فقال أبو بكر بن سعيد : وإلى الآن لا سبيلَ له إلاَّ بِأَذانِ ؟ فقال : حتى يبعث
الله ولد زنا كلما أنشدت هذه الأبيات قال إنها لأعمى . فقال : أما أنا فلا أنطق
بمحرّف . فقال : من صمت نجما .

وكانت زهون بنت القلاعى حاضرة فقالت : وتراك يا أستاذ ، قديم النعمة
بمجرد ندِّ وغناء وشراب ، فتمعّجَب من تأتّيه ، وتشبهه بنعيم الجنة ، ويقول ما كان
يعلم إلا بالسماع ، ولا يبلغ إليه بالعيان ! ولكن من يحىء من حصن المدور ، وينشأ
بين تيموس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ ! فلما استوفت كلامها تمنحنح
الأعمى ، فقالت له : ذبحة ! فقال : من هذه الفاضلة ؟ فقالت عجوز مقام أمك !
فقال : كذبت ! ما هذا صوت عجوز . . . الخ . ثم قال :

على وجه زهون من الحسن مسحةٌ وإن كان قد أسمى من الضوء عارياً
قواصِدُ زهونٍ تواركُ غيرها ومن قصَدَ البحرَ استقلَّ السواقيا
(وطوبينا هنا بعض محاضرات لاصلة لها بموضوعنا من جغرافية البلاد إلى أن
يقول) :

والذى رأيتُه لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنّها لا تدخلها عقرب ولا حية إلا
ماتت من ساعتها ، ويؤتى بالحيات والمقارب إليها حية ، فبنفس ما تدخل إلى جوف
البلد تموت . قال ولا يتسوس فيها شيء من الطعام ، ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح
من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك^(١)
والتفاح والأجاص اليابسة من أربعة أعوام ، والفول والحمص من عشرين سنة ،

(١) هذا الذى يقال له الكرز فى الشرق وبالفرنسية Cerise

ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب ، كان صوقاً أو حريراً أو كتّاناً . وليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها ، ولا أطيب طعاماً ، ولا أكبر جرماً . والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال ، ولها أعمال كثيرة ، مدن وحصون وقرى ، مسافة أربعين ميلاً ، وهي تضاهى مدن العراق في كثرة الأشجار والأنهار ، وبالجملة فأمرها عظيم . وقد أسلفنا ذكرها .

واعلم أن بأرض الأندلس من الخصب والنفرة ومعجائب الصنائع وغرائب الدنيا مالا يوجد مجموعته غالباً في غيرها . فمن ذلك ما ذكره الحجارى في المسهب أن السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة ، يوجد في البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة برطانية ، ويجلب إلى سرقسطة ويصنع بها . ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال : هذا السمور المذكور هنا لم أتحقق ماهو ، ولا ماغنى به ، إن كان هو نباتاً عندهم ، أو وبر الدابة المعروفة ، فان كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون في البحر وتخرج إلى البر ، وعندها قوة ميز . وقال حامد بن سمحون الطيب ، صاحب كتاب الأدوية المفردة : هو حيوان يكون في بحر الروم ، ولا يحتاج منه إلا خصاه ، فيخرج الحيوان من البحر في البر ، فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق ، فر بما عرض للقناصين مرة أخرى ، فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم ، استلقى على ظهره وقرج بين فخذه ، ليرى موضع خصيه خالياً ، فاذا رآه القناصون كذلك تركوه . قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضاً « الجند بادستر » والدواء الذى يصنع من خصيه من الأدوية الرفيعة ، ومنافعه كثيرة ، وخاصيته في العال الباردة ، وهو حار يابس في الدرجة الرابعة

« والقنلية » ؟ حيوان أدق من الأرنب ، وأطيب في الطعم ، وأحسن وبراً ، وكثيراً ما يلبس فراؤها ، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، ولا يوجد في بر البربر ، إلا ما جلب منها إلى سبتة ، فنشأ في جوانبها . قال ابن سعيد : وقد جلبت في هذه المدة إلى تونس حضرة أفريقية .

ويكون بالأندلس من الغرال والأيل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد في غيرها كثيرا . وأما الأسد فلا يوجد فيها البتة ، ولا الفيل ، ولا الزرافة وغير ذلك ، مما يكون في أقاليم الحرارة . ولها سبع يعرف « باللب »^(١) أكبر بقليل من الذئب ، في نهاية من القحة ، وقد يفترس الرجل ، إذا كان جائعاً . وبغال الأندلس فارهة ، وخيلها ضخمة الأجسام ، حصون للاقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو في خيل البرّ الجنوبي . ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول ، وكذلك حيوان البحر . ودوابّ بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد : عاينت من ذلك العجب ، والمسافرون في البحر يخافون منها ، لثلاث تقلب المراكب ، فيقطعون الكلام ، ولها نفخ بالماء من فيها يقوم في الجو ، ذا ارتفاع مفرط .

وقال ابن سعيد : قال المسعودي في مروج الذهب : في الأندلس من أنواع الأفاوية خمسة وعشرون صنفاً : منها السنبل ، والقرنفل ، والصندل والقرفة ، وقصب الذريرة ، وغير ذلك . وذكر ابن غالب أن المسعودي قال : أصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران . وكلها من أرض الهند إلا الزعفران والعنبر ، فأنهما موجودان في أرض الأندلس ، ويوجد العنبر في أرض الشّحر : قال ابن سعيد : وقد تسكّموا في أصل العنبر : فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر ، يصير منها ما تبلعه الدواب وتقفه . قال الحجارى : ومنهم من قال إنه نبات في قعر البحر ، وقد تقدم قول الرازى : إن الحباب ، وهو المقدم في الأفاوية ، والمفضل في أنواع الأثنان ، لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس . قال ابن سعيد : وفي الأندلس مواضع ذكروا أن النار إذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود ، وما أشبهه . وفي جبل شاير أفاوية هندية . قال : وأما النار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد في سواحلها قصب السكر ،

والموز ، ويوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يهدم منها إلا التمر . ولها من أنواع الفواكه ما يهدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفريّ باشبيلية . قال ابن سعيد : وهذان صنغان لم تر عيني ، ولم أذق لهما ، منذ خرجت من الأندلس ، ما يفضاهما . وكذلك التين المالح والزبيب المنكبي^(١) والزبيب العسلي والرمان السفري^(٢) والحوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره .
وقد ذكر ابن سعيد أيضاً : أن الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة ،

(١) قال لسان الدين بن الخطيب في « معيار الاختبار » عن المنكب : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومخبطها بلدة معقلها منيع ويردها صقيع ، القصر مفتوح الطيقان ، والمسجد المشرف المكان ، والائر المنبئ عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود في يد مثاقف ، قد أخذ من الدهر الأمان ، وتشبه بصرح هامان ، وأرهقت جوانبه بالصخر المنحوت ، وكاد أن يصل ما بين الحوت والحوت ، (يريد باحد الحوتين يرج الحوت الذي بالسما وبالثاني سمك البحر ، كناية عن الارتفاع ، أو كما يقولون : من السماك إلى السمك) غصت بقصب السكر أرضها واستوعب به طولها وعرضها ، زيبها فاتق ، وجنابها راتق ، وقد مت إليها جبل الشوار بنسب الجوار منشأ الاسطول ، فوعده غير مطول ، وأمده لا يحتاج إلى الطول (إلى أن يقول) هوؤها فاسد ، ووباؤها مستاسد ، التهب فيها السماء وتغيرت بالسماسم المسميات والاسماء فأهلها من أجدات بيوتهم يخرجون ، إلى جبالها يعرجون ، والودك إليها مجلوب ، والقمع بين أهلها مقلوب ، والحرباء بعرائها مصلوب

(٢) قالوا انه لما اتسق الأمر لعبد الرحمن الداخل في الأندلس أرسل القاضي معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه باخته أم الاصبغ فأبت عن الانتقال وقالت : كبرت سني وأشرفت على انقضاء أجلي ولا طاقة بي على شق القفار والبحار وحسبي أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله . ولما صار معاوية بن صالح إلى عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفري فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان فيهم رجل يسمى سفر فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به وغرسه حتى علق وتم وأثمر ، فهو اليوم الرمان السفري . نسب إليه

وأنها في الاندلس التي هي بعض تلك الأرض . وأعظم معدن للذهب بالاندلس ، في جهة « شنت ياقور »^(١) قاعدة الجلالة على البحر المحيط . وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس في شمال الاندلس كثير ، والصفّر الذي يكاد يشبه الذهب ، وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أما كنها ، والعين التي يخرج منها الزجاج في لبله مشهورة ، وهو كثير مفضل في البلاد ، منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل^(٢) الذي يجهز إلى البلاد ، ويفضل على كل طفل بالشرق والمغرب .

وبلأندلس عدة مقاطع للرخام . ودكر الرازي : أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والحجري وفي « ناشرة » مقطع عجيب للعمد و « بياغة » من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة ، موشاة في حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع . وحدثى المرية يحمل إلى البلاد فانه كالدر في رونقه ، وله ألوان عجيبة . ومن عادتهم أن يضعوه في كيران الماء وفي الأندلس من الأمنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس من الشعراء . ويصبغون به فيخرج منه اللون الأحمر ، الذي لا تفوقه حمرة .

قال ابن سعيد : وإلى مصنوعات الأندلس ينتهي التفضيل ، وللمتمصبين لها في ذلك كلام كثير . فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالموشّى المذهب الذي يتعجب من صنفته أهل المشرق اذا رأوا منه شيئاً وفي « نيشتالة »^(٣) من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق ، ويصنع في غرناطة و بسطة من ثياب اللباس المحرّرة ، الصنف الذي يعرف بالمليد الختم ، ذو الالوان العجيبة . ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة ، وآلات الصفّر والحديد من

(١) Santiago وهي شنت ياقب أقدس مكان عند نصارى الاندلس

(٢) الفصيح هو الطفل بالضم وبالكسر وهو الطين اليابس

(٣) Jenechtéla

السكاكين ، والمقاصّ المذهبة ، وغير ذلك من آلات العروس والجنديّ ما يهر العقل ، ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ، ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب ، وفخار مزجج مذهب ، ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف بالمشرق بالفسيفساء ، ونوع يبسط به في قاعات ديارهم ، يعرف بالزليجي ، يشبه المفضّض . وهو ذو ألوان عجيبة ، يقيمونه مقام الرخام الملون ، الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم ، كالشاذروان وما يجرى مجراه .

وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر ، فأكثرهم أهل الاندلس ، فيما حكى ابن سعيد ، كانت مصروفة الى هذا الشأن ، ويصنع فيها في بلاد الكفر ما يهر العقول . قال : والسيوف البردليات مشهورة بالجودة ، وبرديل ^(١) آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق . والفولاذ الذي بأشبيلية اليه النهاية . وفي اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره . وقد أفرد ابن غالب في « فرحة الانس » للآثار الاولية التي بالاندلس من كتابه مكانا فقال : منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الأرحى ^(٢) التي « بطركونة » على وزن لطيف ، وتديبر محكم ، حتى طعنت به ، وذلك من أعجب ما صنع . ومن ذلك ما صنعه الاولون أيضا من جاب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس ، من العين

(١) برديل هي التي يقال لها اليوم بوردو Bordeaux التابعة لفرنسة كان اسمها الأصلي ايام الرومان بوردیغاله Burdigala وكان لها شأن عظيم في أيام الرومانيين وصارت الحاضرة العلية لبلاد الغال . ثم عند ما زحف البرابرة من الشمال مثل الألينيين Alains والسوفييين Suèves والقنذال أخذ عمرانها يرجع الى الوراة سنة ٤١٣ للمسيح استولى عليها القوط ثم أخذها منهم الفرنج لعهد كلوفيس سنة ٧٢٩ شن العرب عليها الغارة وذهب دوق اكيثانية التي كانت برديل تابعة له مستصرخاً شارل مارتل الى ان جرت واقعة بلاط الشهداء التي محص فيها العرب وانقطع املهم من التوغل في أوربة

(٢) تجمع الرحي على أرح ورُحى وارحاء ونادراً على ارحية

التي في اقليم الاصنام ، جلبوه في جوف البحر في الصخر الجوّف ، ذكرأ في اثني ، وشقّوا به الجبال ، فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور ، فاذا صادف مسبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى أن انتهى به الى البحر ، ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس ، والبنيان الذي دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين . قال ابن سعيد : الى وقتنا هذا .

ومنها الرصيف المشهور بالاندلس ، قل في بعض أخبار رومية : انه لما ولى يوليش المعروف بجاشر ، وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها ، كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية ، الى المشرق منها والى المغرب ، والى الشمال والى الجنوب ، ثم بدأ بفرش المبطة ، وأقبل بها على وسط دائرة ، الى أن بلغ بها أرض الاندلس ، وركزها شرقي قرطبة ، بابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة ، الى شقندة ، الى استجة ، الى قرمونة ، الى البحر ، وأقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه ، من مدينة رومية ، وذكر انه أراد تسقيفها في بعض الاماكن ، راحة للخاطرين ^(١) من وهج الصيف ، وهول الشتاء ، ثم توقع أن يكون ذلك فساداً في الارض ، وتغيراً للطرق ، عند انتشار اللصوص ، وأهل الشر فيها في المواضع المنقطعة النائية عن العمران ، فتركها على ما هي عليه .

وذكر في هذه الآثار صنم فادس الذي ليس له نظير إلا الصنم الذي بطرف جايقية . وذكر قنطره طابطة ، وقنطرة السيف ، وقنطرة ماردة ، وماعب مريبطر ^(٢) .

(١) لم يرد في فصيح اللغة « الخاطر » بمعنى المسافر وإنما هو من استعمال العوام وقد تابعهم فيه بعض المؤلفين

(٢) كان يقال لبلدة مريبطر في الماضي ساغنتو Saginto وهي مدينة ايبيرية استولى عليها القرطاجنيون في زمن انيبال الذي جاء بعد سدروبال ونازعهم عليها الرومانيون فحرت وقائع هائلة فاستولى القرطاجنيون على ساغنتو في أول الأمر الا أنها سنة ٢١٤ قبل المسيح آلت الى الرومانيين . والملعب العظيم الذي فيها هو من آثار هؤلاء .

قال ابن سعيد : وفي الأندلس عجائب . منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر
العامّة لها بالأندلس ما ذكرتّها ، فإن خبرها عندهم شائع متواتر ، وقد رأيت من
يشهد بخبرها ورؤيتها ، وهم جمّ غفير ، وهي شجرة زيتون ، تصنع الورق والنور والتمر
من يوم واحد معلوم عندهم ، من أيام السنة الشمسية ^(١) .

ومن العجائب : السارية التي بغرب الأندلس ، يزعم الجمهور أن أهل ذلك
المكان إذا أحبوا المطر أقاموها ، فطر الله جهتهم ؟ ومنها صنم فادس ، طول ما كان
قائماً ، كان يمنع الرياح أن تهب في البحر المحيط ، فلا تستطيع المراكب الكبار على
الجرى فيه ، فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن ، صارت السفن تجرى فيه ؟
وبكورة « قبرة » مغارة ذكرها الرازي ، وحكي أنه يقال إنها باب من أبواب
الرياح ، لا يدرك لها قعر ؟ وذكر الرازي أن في جهة قلعة « ورد » جبلا فيه شق في
صخرة ، داخل كهف ، فيه فأس حديد متعاق من الشق الذي في الصخرة ، تراه
العيون وتلمسه اليد ، ومن رام اخراجه لم يطق ذلك ، وإذا رفعت اليد ارتفع وغاب
في شق الصخرة ، ثم يعود إلى حالته ^(٢) . وأما ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث
والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب ، فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب ،
ولم أذكرها أنا . والله أعلم بحقيقة أمرها .

وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل
الأندلس قال : وذكره سيف عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، والله أعلم
بصحة ذلك . ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم . قال سيف : وذلك أن
عثمان ندب جيشا من القيروان إلى لأندلس ، وكتب لهم : أما بعد ، فإن فتح
القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس ، فانكم إن فتحتموها ، كنتم الشركاء
في الأجر والسلام اه . قلت عهدة هذه الأمور على ناقلها ، وأنا برى ، من

(١) لم نسمع بذكر شجرة كهذه في عصرنا الحاضر

(٢) وهذا العأس أيضاً لم نسمع بخبره في هذا الزمن

عهدتها^(١)، وإن ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد، فإنها عندي

(١) قلت : ان هذا الخبر أقرب جدا إلى العقل من خبر الزيتونة التي تورق وتثمر في يوم واحد، وكذلك من خبر الفأس الذي لا يقدر أحد أن يرفعه من المغارة . . . بل الخبر المروى عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه عدا قربه للعقل له آثار ترجع إليه . وفي آخر كتابي د غزوات العرب في أوربة ، الذي طبع سنة ١٣٥٢ فصل بقلم الأستاذ السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي يتعلق بهذا الموضوع قال في أوله ان أول واضع لخطة الفتوحات الاسلامية في أوربة هو الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فإنه حين نذب أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح بلاد شمالى افريقية ووافته البشائر بفوز جيوشه على جيوش جيجير والى جيطلة من قبل البيزنطيين نذب القائدين البحرين الجليابين عبد الله بن عبد القيس وعبد الله ابن نافع بن الحصين الفهريين وكانا على الأسطول فأمرهما بالمسير إلى الأندلس وكتب لهما وصية سياسية في ذلك تلك الوصية الخالدة التي يقول فيها : إن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن فتحتم ما أتم بسبيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر . وقد اتخذ ولاية شمالى افريقية وقواد أجنادها هذه الوصية نبراساً لسياستهم الاسلامية التي يسرون عليها . وأول أمير شرع في إعداد الوسائل والمعدات لتنفيذ تلك الوصية الامير حسان بن النعمان شيخ وزراء الدولة الاموية بعد أن دان له شمالى افريقية بالطاعة فقد أنشأ بفناء قرطاجنة دار الضاعة لبناء السفن والأساطيل وصنع الأسلحة وجلب لها الصناع من قبط مصر وسار على منهاجه في ذلك مولاه طارق بن زياد بعد أن ولى المغرب لحاز بجيوشه أرض العدو وناجز الأندلسيين سنة ٩٢ ثم تلاهما في ذلك اسماعيل بن أبي المهاجر الذي تقلد إمارة شمالى افريقية في عهد عمر بن عبد العزيز فأغزى أساطيله جنوبي أوربة سنة ١٠٥ وكانت قيادتها لعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ولم يعد الا بعد أن أثنخ في ايطالية . وهذه الغزوة تعتبر كبشير لانقاذ الايطاليين من حكم البيزنطيين الطغاة . وفي ولاية عبيد الله بن الجحباب لافريقية جهز أسطولا كبيرا جعل إمارته لقائد جيوشه الموفق حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهرى ففزاها سنة ١٢٣ ونسكل فيها بالبيزنطيين أشد تنكيل . ولولم تحصل ثورة البربر ضد الحكم العربى بسبب تخميس أعشارهم لتلك شطوط ايطالية وطهرها من حكم البيزنطيين كما فعل ذلك من قبل حسان بن النعمان في شمالى افريقية . وفي سنة ٢٠٧

لا أصل لها ، وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس ؟ مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد ! وإنما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير . والله أعلم

قال ابن سعيد : وميزان وصف الأندلس ؛ أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار ،

بعد استقرار الدولة الأغلبية جهز زيادة الله الأكبر أسطولا بامارة قائده محمد بن عبد الله التيمي لمنازلة سردينية ثم أعاد عليها الكرة سنة ٢١٢ وكانت إمارة الجيوش في هذه المرة لقاضي القضاة الامام أسد بن الفرات فلك «مازرة» وحاصر «سركوسة» وحول أسوارها وأدركت الامام الشهادة رضى الله عنه سنة ٢١٣ فتولى القيادة العامة صاحب اسطول الأندلس القائد أصبغ المعروف بفرغلوسن . وبعد أن استقرت الامور في البلاد المفتوحة قلد زيادة الله إمارة إيطالية لابن أخيه ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب وما زال متوالياً للجهاد حتى فتح بليرم ونابولي . إه ومن شاء الاطلاع على تمة البحث فليراجعه في كتابنا « غزوات العرب في أوربة » ، ولقد قابلت روايات الشيخ الثعالبي بالكتب المعتمدة في التاريخ فلم أجد إلا ما يؤيدها قال أبو الفداء : في أيام عثمان فتحت أفريقية وكان المتولى لذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولما فتحت أفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع إلى افريقية ، وسنة ثمان وعشرين استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فسير معاوية إلى قبرص جيشا وسار إليها أيضا عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها وقتلوا أهلها ثم صولحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة . وجاء في تاريخ « البيان المغرب في أخبار المغرب » لابن عذارى المراكشى خبر غزو معاوية ابن حديج لجزيرة صقلية في مائتي مركب . ولم أجد شيئا فيه نظر من كلام الاستاذ الثعالبي إلا إهماله ذكر موسى بن نصير في فتح الأندلس ، وجعله طارق بن زياد مولى لحسان بن النعمان ، والحال أن طارق كان مولى موسى بن نصير وهو الذى أغزاه الأندلس وأما قول المقرئ في النسخ : وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد . فليس بشيء لأن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمرهم بأن يغزوا الأندلس وكانوا في ذلك الوقت يحسبون جزائر غربي البحر المتوسط كلها من الأندلس فغزوها وأرادوا أن يعملوا بفكرة عثمان بغزو نفس الأندلس الكبيرة عند أول فرصة تلوح لهم فبقيت هذه الفكرة تتخمر في رؤوس عمال الخلافة على أفريقية إلى زمن موسى بن نصير عامل الوليد الاموى فخرجت من القوة إلى الفعل

فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، فتى سافرت من مدينة إلى مدينة لانكاد تنقطع من العمارة ، ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحارى فيها معدومة (١) .
ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال ، لتصنع أهلها في أصناعها وتبييضها ،
لثلاثا تنبو العيون عنها ، فهمى كما قال الوزير بن الحارة فيها :

لَا حَتَّ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةٍ أَيْكِيهَا كَالدَّرِّ بَيْنَ زَبْرَجَدٍ مَكْنُونِ

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين بسوادها ، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها . وفي الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة الممصرة من مثلها . والمثال في ذلك أنك إذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر ، مدينة شريش ، وهى في نهاية من الحضارة والنضارة ، ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ، ثم مالقة . وهذا كثير في الاندلس . ولهذا كثرت مدنها ، وأكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو ، فحصل لها بذلك التشديد والتزيين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما يندف على عشرين سنة ، لامتناع معاقها ، ودرية أهلها على الحرب ، واعتمادهم لمجاورة العدو ناطمن والضرب ، وكثرة ما تتخزن الغلة في مطاميرها ، فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة .

قال ابن سعيد : ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن ، وان كان العدو قد نقصها من أطرافها ، وشارك في أوساطها ، ففي البقية منعة عظيمة ، فأرض بقى فيها مثل اشبيلية ، وغرناطة ، ومالقة ، والمرية ، وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة الممصرة ، الرجاء قوى فيها بحول الله وقوته . انتهى . قلت قد خاب ذلك الرجاء (٢) ، وصارت تلك الارحاء للكفر معرجا ، ونسأ الله تعالى ، الذى جعل

(١) يريد بقوله إن الصحارى فيها معدومة . الاندلس القديمة ، أى الولايات الجنوبية من أسبانية . فاما شمال أسبانية فميه صحراء شاسعة واسعة جاء في دليل بديكر أن هذا البسيط المتوسط كان من جملة الصحارى لو لم يكن العرب أنشأوا له نظام رى جرّوا به المياه إليه لحياته ولا تزال بقايا آثارهم في ذلك مدهشة للناظرين
(٢) نعم خاب ذلك الرجاء كما قال المقرئ وبعد ان كان في الاندلس خمسة عشر

لهم فرجا ، وللضيق مخرجا ، أن يعيد اليها كلمة الاسلام ، حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا . آمين !

(ومن غرائب الأندلس) البيلتان ^(١) اللتان بطليطلة ، صنعهما عبد الرحمن ، لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند . وقد ذكره المسعودي ، وأنه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة ، في بيت مجوف ، في جوف النهر الأعظم ، في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما انهما يمثلتان وينحسران مع زيادة القمر وتقصانه ، وذلك ان أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء ، فاذا أصبح ، كان فيهما سبعهما من الماء ، فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل في الشهر سبعة أيام وسبع ليال ، فيكون فيهما نصفهما ، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة ، حتى يكمل امتلاؤهما بكامل القمر ، فاذا كان في ليلة خمسة عشر ، وأخذ القمر في النقصان ، نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع . فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء . واذا تكلف أحد حين ينقصان أن يملأهما ، وجلب لها الماء ، ابتلعنا ذلك من حينها حتى لا يبقى فيها إلا ما كان فيهما في تلك الساعة . وكذا لو تكلف عند امتلاؤهما افراغهما ، ولم يبق منهما شيئاً ، ثم رفع يده عنهما ، خرج فيهما من الماء ما يملأهما في الحين . وهما أعجب من طلسم الهند ، لأن ذلك في نقطة الاعتدال ، حيث لا يزيد الليل على

مليون مسلم لم يبق منهم فيها الا خمسة عشر مغربياً في جبل طارق يتعاطون البيع والشراء وبعد ان كان فيها خمسة عشر الف مسجد احدها مسجد قرطبة الذي يسع ثمانين الف مصل لم يبق فيها الا مسجد يسع ثلاثين مصلياً داخل دار بجبل طارق تخص حكومة المغرب صليت فيه يوم زرت الجبل المذكور (وتلك الأيام نداؤها بين الناس)

(١) البيلة هي صهريج منحوت من رخام او حجر وكثيراً ما يذكر في تواريخ المغرب ان فلانا صنع في المسجد أو القصر بيلة أو بيلتين . وفي فاس بالمدرسة العنانية بدار الوضوء بيلة جلبها ابو عنان المريني

النهار . وأما هاتان فليستا في مكان الاعتدال ، ولم تزالا في بيت واحد ، حتى ملك النصارى ، دهرهم الله ! طليطلة ، فأراد الفنش ^(١) أن يعلم حركاتهما ، فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليهما الماء ، وكيف الحركة فيهما ، فقلعت ، فبطلت حركتهما ، وذلك سنة ٥٢٨ .

وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودى الذى جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد ، وذلك سنة ٥٢٧ ، وهو الذى أعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها ، فأراد أن يكشف حركة البيلتين ، فقال له : أيها الملك ، أنا أقلمتهما وأردهما أحسن مما كانتا ، وذلك انى اجعلهما تمتلئان بالهار وتحسران في الليل . فلما قلعت لم يقدر على ردها ، وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ، ولم تزل الاخرى تعطي حركتها . والله أعلم بحقيقة الحال .

وقال بعضهم في أشبيلية : إنها قاعدة بلاد الاندلس ، وحاضرتها ، ومدينة الادب والاهو والطرب ، وعلى ضفة النهر الكبير ، عظيمة الشأن ، طيبة المكان ، لها البر المديد والبحر الساكن ، والوادي العظيم ، وهي قريبة من البحر المحيط ، إلى أن قول : ولو لم يكن لها من الشرف الاموضع الشرف المقابل لها ، المطل عليها ، المشهور بالزيتون الكثير ، الممتد فراسخ في فراسخ . اسكفي ، وبها منارة ^(٢) في جامعها ، بناها يعقوب

(١) Alphonse وقد يقره العرب الاذفنش

(٢) يقال لهذه المنارة عند الاسبانول الخيرالده La Giralda وهي أعجوبة أشبيلية جاء في دليل بديكر أن هذه المنارة كانت منارة الجامع الأعظم بناها المهندس العربى جابر يعقوب بن يوسف سلطان الموحدين بين سنة ١١٨٤ للمسيح وسنة ١١٩٦ وقد وضع فيها بقايا ابنية قديمة لوجود كتابات رومانية لا تزال في حيطانها وهي مبنية من الطوب كلما ازداد ارتفاعها تزداد ضيقا وهي في الغاية والنهاية من تناسب الخطوط وقاعدتها مربع يبلغ ١٣ متراً و ٥٥ من جهة إلى جهة وسلك الحائط من مترين وثمانية إلى مترين وثلاثين ومن جهتها الشمالية يوجد تجويفان فيهما تصاوير محوطة من رسم لويس بركاش Vargas . وعند ما يبلغ العلو ٢٥ متراً يصير السطح الاعلى

المنصور ، ليس في بلاد الاسلام اعظم بناء منها . وعسل الشرف يتقى حيناً لا يتحمل ولا يتبدل ، وكذلك الزيت والتين . وقال ابن مفلح : ان أشبيلية عروس بلاد الأندلس لان تاجها الشرف ، وفي عنقها سمط النهر الاعظم ، وليس في الارض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهي دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الاطيار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ ، في عمارة متصلة ، ومنازل مرتفعة ، وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى ، وبالجملة فهي قد حازت البر والبحر ، والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس ، وقصب السكر . ويجمع منها القرمز الذي هو أجل من اللك الهندي وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يستصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى . انتهى ملخصاً .

للجدران بجانب النوافذ مغطى بشبكات من الطوب ومزيناً بمحاريب . وقد أفسد المنظر البديع الذي كان لهذه المنارة ما توجوها به في أيام العهد المسيحي فان قسيس الكنيسة العظمى قد أزال القمه المخزومة التي كانت تنتهي بها المنارة وجعل مكانها أبنية مربعة تنتهي بقبة عليها كتابة وصورة امرأة تمثل « الايمان » وكان هذا البناء الذي شوها به هذه المنارة سنة ١٥٦٨ وعلو « الخيرالده » عن الارض ٩٣ متراً .

هذا وقد صعدت إليها يوم زرت اشبيلية وهي من أبداع آثار العرب في أسبانية وإلها يقصد السياح من أقطار الأرض ويسرح النظر من أعلاها فيما لا نهاية له . ولكنني لم أعلم من أين جاء اسمها هذا « الخيرالده » إلا إن كان محرفاً عن « الخالده » ويعقوب المنصور سلطان الموحدين كان من أعظم ملوك الاسلام وأفخمهم آثاراً وله في الرباط من العدة جامع حسان الشهير كان قائماً على ٤٠٠ سارية محيط كل منها ١٤ شبراً وطولها أزيد من ٢٠ شبراً ومساحة الجامع ٢٦٥٩ متراً مربعاً وكانت له منارة علوها يزيد على ٦٠ متراً ومحيطها ٢٤٠ شبراً وكانت هذه المنارة أعجوبة من الأعاجيب وكانت أشبه شيء بمنار الاسكندرية ولا تزال ماثلة تشهد بعلو همة المنصور فليست منارة اشبيلية هي الفذة من آثاره الخالدة

ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال : لا يتزود فيها أحد ما حيث سلك ، لكثرة أنهارها وعيونها ، وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن المعامل والقري ما لا يحصى ، وهى بطاح خضر ، وقصور بيض . قال ابن سعيد : وانا أقول كلاماً فيه كفاية : منذ خرجت من جزيرة الاندلس ، وطففت في بر العدو ، ورأيت مدنها العظيمة كراكش وفاس وسلا وسبتة ، ثم طفت في أفريقية ، وما جاورها من المغرب الاوسط ، فرأيت بجاية وتونس ، ثم دخلت الديار المصرية ، فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط . ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس في مياهها وأشجارها ، إلا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام . وفي حماة مسحة اندلسية . ولم أر ما يشبهها من حسن المباني والتشييد والتصنيع إلا ما شيد بمراكش في دولة بنى عبد المؤمن^(١) ، وبعض أماكن في تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كلاسكندرية ، ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأندع ، ومباني حلب داخلية فيما يستحسن لأنها من حجارة صلبة ، وفي وضعها وترتيبها اتقان ، انتهى . ومن أحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سفر المريني والاحسان له عادة :

في أرض اندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراء

(١) من أحسن ما كتب عن مآثر البناء الباهرة في المغرب كتاب اسمه «مراكش ومدن الصناعة القوية» التي منها طجة وفاس ومكناس والرباط ومراكش فيه ٢٢٧ صورة لتلك الآثار الباهرة والمعالم الزاهرة مؤلفه - بيارشامبيون Peirre Champion Le Maroc et ses villes d' Art

والقارىء يجد في هذا الكتاب من المماير التي أنشأها يعقوب المنصور في المغرب ما لا يقل حسنا ونداعة وفخامة عن منارة اشيلية وبرى من مآثر المرينيين والسعديين والعائلة المالكة اليوم ما لا تنى العبارات بأوصافه مهما ملك الكاتب من ناصية البيان . وقد قال الاخوان الكاتبان جيروم وجان تارو من مشاهير كتاب فرنسة : إن من لم يشاهد في حياته مقبرة الملوك السعديين في مراكش لم يدرك إلى أية درجة من الارتقاء بلغت المدينة الاسلامية ،

وليس في غيرها بالعيش مُنتَفِعٌ
 وأين يُعدَلُ عن أرضٍ تحضُّ بها
 وكيف لا يُبهِجُ الابصارَ رؤيتها
 أنهارها فِخَّةٌ ، والمِسْكُ تُرْبَتُها
 وللهواء بها لطفٌ يَرِقُّ به
 ليس النسيم الذي يهفو بها سَحَرًا
 وإنما أَرَجُ النَّدِّ استثارَ بها
 وأين يبلغُ منها ما أصفههُ ؟
 قد ميّزت من جهات الأرض حين بدت
 دارت عليها نطافا أبحرُ حَفَقَتْ
 لذلك يَدِسُّ فيها الزهرُ من طَرَبِ
 فيها خَلَمَتْ عِذَارِي ما بها عِوَضُ
 والله در ابن خفاجة حيث يقول :

مُجْتَلِي مَرَأَى وريا نَفْسِ
 وَدَجَى ظُلْمَتِهَا مِن لَعَسِ
 صِحَّتْ : وَأَشَوْقِي إِلَى الأندلسِ !
 إن للجنة بالأندلس
 فسَى صُبْحَتِهَا مِن شَدَبِ
 فاذا ماهبت الرياحُ صَبَاً

وقد تقدمت هذه الأبيات . قال ابن سعيد . قال ابن خفاجة هذه الأبيات وهو بالمغرب الأقصى ، في بر العدو ، ومنزله في شرق الأندلس بجزيرة شقر . وقال ابن سعيد في المغرب مانصه : قواعد من كتاب الشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشاركة والمغاربة ، أول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالأندلس فنقول : إنها مع ما بأيدي عباد الصليب منها ، أعظم سلطنة ، كثرت ممالكها ، وتشعبت في

وجوه الاستظهار للسلطان إغاثها ، وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه ، لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها ، في المائة الرابعة ، وذلك أنه لما وصفها قال : وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة ، طولها دون الشهر ، في عرض نيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية ، والشجر والثر ، والرخص والسعة في الأحوال ، من الرقيق الفاخر ، والحصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية فيها ، ولما هي به من أسباب رغد العيش ، وسعته وكثرته ، يملك ذلك منهم متهائم ، وأرباب صنائعهم ، لقلة مؤنتهم ، وصلاح معاشهم وبلادهم . ثم أخذ في عظم سلطانها ، ووصف وفور جباياتها ، وعظم مراقبه ، وقال في أثناء ذلك : وما يدل بالقليل منه على كثيره ، أن سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير ، دخلها في كل سنة ، مائتا ألف دينار ، وصرف الدينار سبعة عشر درهماً ، هذا إلى صدقات البلد وجباياتها ، وخراجاته وأعشاره ، وضرائته ، والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة ، وغير ذلك ^(١) .

وذكر ابن بشكوال أن جباية الأندلس باغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفاً من السوق ، والمستخلص ^(٢) سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ^(٣) ثم قال ابن حوقل : ومن أعجب ما في هذه

(١) نقلنا فيما تقدم جميع ما ذكره ابن حوقل عن الاندلس

(٢) هو ما يقال له اليوم « الحزينة الخاصة » وكان لسان الدين بن الخطيب يقول « مستخلص السلطان »

(٣) قال لاوى بروفنسال في كتابه « اسبانية المسلمة في القرن العاشر » ما يلي : « أما من جهة مجموع دخل الخزانة في أيام خلافة بني أمية بالاندلس لعهد الناصر فقد وردت بشأنه شهادة يزيد قيمتها صدورها عن رجل هو اميل إلى التنزيل من قدر الامويين منه إلى التعظيم من امرهم وهو ابن حوقل الذي أقام مدة بقرطبة وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر فهو يقول إن دخل خزانة الخلافة من أول تولي الناصر إلى سنة ٣٤٠ (٩٥١) بلغ عشرين مليون دينار ذهب وثلثمائة وأربعين مليون درهم

الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، وتقص عقولهم ، و بدمهم من البأس والشجاعة ، والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الانجاد والأبطال ، مع علم أمير المؤمنين بمحاربا في نفسها ، ومقدار جباياتها ، ومواقع نعمها ولذاتها . قال علي بن سعيد مكل هذا الكتاب : لم أر بدءاً من إثبات هذا الفصل ، وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعرى إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء ، والهمم والشجاعة ، فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم ، مع مراصدة أعدائها لمجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حووا ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم ، في داخلها وخارجها ، نحو ثلاثة أشهر ، على كلمة واحدة ، في نصرة الصليب وإني لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلفت فيه عبّاد الصليب إلى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبّة المعظمى ، حتى إنهم دخلوا مدينة حلب ، وما أدراك ! وفعلوا فيها ما فعلوا ، و بلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ

ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بساطة بلادهم ، فيسبون ويأسرون ، فلا تجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض ، فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب .

وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره ، وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره . وإنما كانت الفتنة بعد ذلك .

من الفضة وهو مبلغ عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر . ولقد كان هذا الدخل مضاعفاً في أيام الحكم المستنصر فبلغ إذ ذاك أربعين مليون دينار . اهـ وسنعود إلى هذا البحث عند الكلام على التاريخ

الاعلام بينة ، والطريق واضح (١) . فلنرجع إلى ما نحن بسبيله .

كانت سلطنة الأندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية ، واختلاف الولاة داع إلى الاضطراب ، وعدم تأثر الأحوال وتربية الضخامة في الدولة (٢) : ولما صارت الأندلس لبي أمية ، وتوارثوا ممالكها ، وانقاد اليهم كل أبي فيها ، وأطاعهم كل عصى ، عظمت الدولة بالأندلس ، وكبرت المهم ، واستتمت الأحوال ، وترتبت القواعد . وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لأنفسهم بأبناء اخلائهم . ثم خطبوا لأنفسهم بالخلافة ، ومالكوا من بر العدو

(١) هذا البحث قد تقدم عند نقلنا عن ان حوقل وهو عبارة عن مناقشة بين مسلمي الشرق والغرب كل فريق منهما يعير الآخر ويتهمة بخذلان قومه وقد أوردنا حكمتنا في ذلك ونقلنا إن الجميع في هذا المرض سواء وانهم بعضهم ببعض أشبه من الماء بالماء ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) أصاب الكاتب هنا الخبز . وما لا جدال فيه ان تعاقب الولاة المسنمر على القيروان وبالتالي تعاقب امراء الاندلس الذين كانوا يبولونها من فليهم لا يكاد الواحد منهم يصل إلى قرطبة حتى يأتي الخبر به . له قد كان الاصل الاصيل في اضطراب حبل الادارة وفي وقوف الفصوحات العربية في أوربة لأن اثبات والاطراد هما من اهم شروط النجاح . فلما صار الحكم إلى بني أمية في قرطبة واستقر بها ملكهم وتوطد سلطانهم عظمت الدولة في الاندلس ورسخت العزائم وسمت المهم واستتبت القواعد كما قال . غير أن هالك ملاحظة لا بد منها وهي أن الجهاد العربي في أوربة أيام وحدة الخلافة كان وراه الجيوش الجرارة تزحف من أقاصى خراسان إلى فارس إلى العراق إلى الشام إلى مصر إلى المغرب فلا ينقطع مددها ولا يكاد يحصى عددها . فلما انفصلت الأندلس عن الخلافة العباسية انفردت الأندلس بنفسها ولم يبق لها معول في الجهاد الا على مسلمي الأندلس وحدهم وهؤلاء دائرتهم محدودة ومادتهم منحصرة وليسوا أكفاء بأنفسهم لاهم النصرانية التي هي أمامهم كلجج البحر الاخضر . فمن بعد افتراق الأندلس عن الخلافة العباسية انقطع ما بينها . بين سائر بلاد الاسلام وأصبحت يتيمة غريبة مقطوعة الظهر الا ما كان يرد عليها في الاحايين من مجاهدين ومهاجرين من المغرب الاقصى دون سواء وشتان بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذي كان ينظم ما بين الشرق والغرب

ما ضخمت به دولتهم ، وكانت قواعدهم إظهار الهيبة ، وتمكن الناموس من قلوب العالم ، ومراعاة أحوال الشرع في كل الأمور ، وتعظيم العلماء ، والعمل بأقوالهم ، وإحضارهم في مجالسهم ، واستشارتهم ، ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان ، منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم ، أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وأنهم كانوا في نهاية من الانتقال إلى الحق ، لهم أو عليهم ، بذلك أنضبط لهم أمر الجزيرة .

ولما خر قوا هذا الناموس ، كان أول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل^(١) وكانت ألقاب الأول منهم الأمراء أبناء الخلائف ، ثم الخلفاء أمراء المؤمنين .

(١) أمراء بني أمية في قرطبة كانوا على وجه الاجمال على استقامة في أمورهم ولم يخرج منهم من يجاهر بالفسق كما خرج من أمراء بني أمية في دمشق . وكانوا في الاندلس مدعنين للحق مقيمين لشعائر الاسلام متحلين بحلى القوى ومجاهدين في سبيل الله ولم يتهتك أمرهم بسبب فسق أو ظلم أو أهمال للحكم ، ولكن اراد الله أن يكون هشام بن الحكم المستنصر فسلاً ضعيفاً لا يقدر على ادارة أمور المملكة بنفسه فاستبد بالامر الحاجب المنصور بن أبي عامر وحجر على الخليفة ولم يبق له شيئاً فاحفظ ذلك بني أمية وأعاونهم وكثيراً من أبناء البيوتات العربية الذين غصوا بمكان العامريين ولم تتحمل نفوسهم هذا الاستتار من هؤلاء بالدولة فصاروا قاعدين لهم كل مرصد حتى يثبوا عليهم ويعيدوا الأمر كما بدأ . وكان المنصور وابنه المظفر يعلمان ما يجيش في صدور الاموية وبيوتات العرب من الحقد عليهم فأخذوا باستعمال البربر وعولوا عليهم ووقعوا العداوة والبغضاء بين العرب والبربر وكان كل منهما من الحزم والتدبير بحيث استوسق له الامر فلما جاءت دولة شنجول ابن المنصور وكان فسلاً فاسد التدبير تمكن الامويون من اسقاطه واشتعلت الفتنة التي أسالت الدماء جداول في قرطبة ووقع بين العرب والبربر ما كان السبب في صدع وحدة الدولة وظهور ملوك الطوائف واستئساد طواغيت لاسانيول واسترجاعهم كثيراً من الحصون والمدن وباختصار رجع النصارى في الاندلس فكروا على المسلمين وكانوا أوشكوا أن يقلعوه من الاندلس تماماً لولا نصره الدول المغربية كالمرابطين ثم الموحيدين ثم بنى مرين الذين نسأوا في اجل اسلام الاندلس نحواً من ثلاثمائة سنة بالاقبل

إلى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض ، وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتب عليه ^(١) . فاستبدت ملوك الممالك الأندلسية ببلادها ، وسُمّوا بملوك الطوائف . وكان فيهم من خطب للخلفاء الروانيين ، وإن لم يبق لهم خلافة . ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على إمامتهم ^(٢) ، وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك حتى في الألقاب ، قال أمرهم إلى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء ، وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى ، وذلك بما في جزيرتهم من أسباب الترفه والضحامة ، التي تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم ، ونهض بهم للمباهاة

ولأجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيقي القيرواني :

مما يُزهدني في أرضِ أندلسٍ تلقبُ مُعتضدٌ فيها ومُعتمد
ألقابُ مملكةٍ في غيرِ موضعِها كألهرٍ يحكي انتفاعاً صولةً الأسد

وكان عباد بن محمد بن محمد بن عباد قد تلقب بالعتضد ، واقتنى سيرة المعتضد العباسي أمير المؤمنين . وتلقب ابنه محمد بن عباد بالعتمد . وكانت لبني عباد مملكة اشبيلية ، ثم انضاف إليها غيرها . وكان خلعاء بي أمية يظهرون للباس في الأحيان على أبهة الخلافة ، ولهم قانون في ذلك معروف إلى أن كانت القتمة ، فاذرت العيون ذلك التاموس ، واستخفت به . وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوي ، الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالأندلس ، يتعاضدون ، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس ، وكانوا إذا حضرهم منشد لمده ، أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم ، يتكلم من وراء حجاب ، والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة . ولما حضر ابن مقانا الاشبوني أمام حاجب إدريس بن يحيى

(١) يشير إلى استئثار العامريين بالأمر وغلبيتهم على الخلافة وما آل إليه ذلك من الفتنة التي بددت شمل الأمة وأظهرت ملوك الطوائف

(٢) مثل ابن مردنيش وغيره

الحمودي ، الذي خطب له بالخلافة في مالقة ، وأنشده قصيدته المشهورة التونية التي منها قوله :

وَكأنَّ الشَّمسَ لَمَّا أُشْرِقَتْ فأنذَنْتَ عنها عيونَ الناظرينَ
وَجَهْ إدريسَ بنِ يحيى بنِ عليٍّ بنِ حمودَ أميرِ المؤمنينِ
وبلغ فيها إلى قوله :

انظُرُونَا تَقْتَبِسُ مِنِ نورِكُمْ إِنَّهُ مِنِ نورِ رَبِّ العالمينِ

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال : انظر كيف شئت . وانبسط مع الشاعر وأحسن إليه . ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة ، وكثير من العامة ، ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد ، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ، ويجب أن يشهر عنه ذلك عند مباديه في الرياسة . ومذ وقعت الفتنة بالأندلس ، اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد على إمام الجماعة ، وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة ، كما يتوارث ملوكها الملك ، ومرنوا على ذلك ، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد ، وتمكن العدو منهم بالتفرق ، وعداوة بعضهم لبعض ، بقبيح المناقسة والطمع إلى أن انقادوا إلى عبد المؤمن وبنيه ، وتلك القواعد في رؤوسهم كامنة ، والثوار في المعامل تثور ، وتروم السكرة ، إلى أن نار ابن هود ، وتلقب بالمتوكل ، ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدو^(١) ، مهيأة للاستبداد . فلكها بأيسر محاولة ، مع الجهل المفرط ، وضعف الرأي . وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشى في الأسواق ، ويضحك في وجوههم ، ويبادرهم بالسؤال ، وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان ،

(١) عند ما ظهرت ملوك الطوائف وأخذ بعضهم يغزو بعضاً والعدو يستفيد من الغازي والمغزو ويهتبل كل غرة ، خاف المرابطون ومن بعدهم الموحدون أن يسقط الاسلام كله في الأندلس ، نجفوا لنجدته وأجازوا إلى الجزيرة بالجيوش الجرارة واستولوا على أكثر ما كان بأيدي ملوك الطوائف . ولكن بعض هؤلاء كانوا يجاذبونهم الحبل مثل ابن هود مثلاً وطالما استظهروا بالأسبانيول على دول بر العدو .

فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء ، وكان كما قيل :

أمرٌ يضحك السفهاء منها ويبيكى من عواقبها الخليمُ

فآل ذلك إلى تلف القواعد العظيمة ، وتملك الأمصار الجليلة ، وخروجها من يد الاسلام ، والضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في الساطان ، أنهم إذا وجدوا فارساً يبرع الفرسان ، أو جواداً يبرع الأجواد ، تهافتوا في نصرته ، ونصبوه ملكاً من غير تدبير في عاقبة الأمر ، الام يؤل ؟ وبعد أن يكون الملك في مملكة قد توورثت وتدووات ، ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها ، قد شهرت عنه وفائع في العدو ، وظهر منه كرم نفس للأجناد ، ومراعاة ، قدموه ملكاً في حصن من الحصون ، ورفضوا عيالهم وأولادهم إن كان لهم ذلك بكرسي الملك ، ولم يزالوا في جهاد وتلاف أنفس ، حتى يظفر صاحبهم بطلبته . وأهل المشرق أصوب رأياً منهم في مراعاة نظام الملك ، والمحافظة على نصابه . لئلا يدخل الخلل الذي يقضى باختلال القواعد ، وفساد التربية ، وحل الأوضاع ، ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه .

لما كانت هذه الفتنة الأخيرة بالأندلس ، تمخضت عن رحل من حصن يقال له أرجونة ، ويعرف الرجل بابن الأحمر ، كان يكثر مغاورة العدو من حصنه ، وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة ، إلى أن طار اسمه في الأندلس ، وآل ذلك إلى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ، ثم نهض فملك قرطبة العظمى ، وملك استبيلية ، وقتل ملكها الباجي ، وملك جيان ، أحصن بلد بالأندلس ، وأجله قدرأ في لامتناع ، وملك غرناطة ومالقة ، وسموه بأمير المسلمين . فهو الآن المشار إليه بالأندلس والمعتمد عليه

وأما قاعدة الوزارة بالأندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير ، فيسميه بالحاجب ، وكانت هذه المراتب لضبطها

عندهم كالتوارثة في البيوت المألومة^(١) لذلك ، إلى أن كانت ملوك الطوائف ، فكان الملك منهم ، لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية ، وأنه كان نائباً عن خليفتهم يسعى بالحاجب^(٢) . ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به ، وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتواريخهم ، وصار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ، ويختص بهم ، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك ، يعرف بذي الوزارتين^(٣) ، وأكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك ، بل عالماً بأمر الملك خاصة .

وأما الكتابة فهي على ضربين ، أعلاهما كاتب الرسائل ، وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسماؤه الكاتب . وبهذه السمة ينحصر من يعظمه في رسالة . وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال ، لم ينفعه جاهه ، ولا مكانه من سلطانه ، من تساط الألسن ، والظعن عليه وعلى صاحبه .

والكاتب الآخر كاتب الزمام^(٤) ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ، ولا يكون

(١) مثل نبي أبي عبده ونبي حدير ونبي شهيد ونبي جهور وغيرهم مما سيأتي ذكره في محله .

(٢) الحاجب في زمن الحكم المستنصر كان في يده جميع أمور المملكة ، ولذلك عند ما مات ووراءه ولد صغير هشام الثاني غلب الحاجب على الأمر ، وحجب الخليفة وأدى ذلك فيما بعد إلى الفتنة وسقوط الخلافة ، ولقد كان الناصر أبصر بالعواقب فأبقى المملكة بدون حجابة مدة ثلاثين سنة ووزع الأعمال بين وزرائه فراراً من حصر السلطة في الحاجب

(٣) كان هذا اللقب من أوضاع بني العباس ومعناه وزارة القلم ووزارة السيف وأول من لقب به في الأندلس عبد الملك بن شهيد سنة ٣٢٧ في دولة عبد الرحمن الناصر (٤) ويقال له : صاحب الأشغال الخراجية ، وكانوا يقولون أحياناً لديوان المالية « ديوان الأزيمة »

بالأندلس وبرّ العدو ، لانصرانياً ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل نبيه ، يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم . وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير ، وأكثر اتباعاً وأصحاباً ، وأجدى منفعة ، فاليه تميل الأعناق ، ونحوه عمداً الأ كف ، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار .

ومع هذا إن تأملت حالته ، واغترت بكثرة البناء والا كتساب ، نكب وصور . وهذا راجع إلى تقلب الأحوال ، وكيفية السلطان

وأما خطة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامّة ، لتعلقها بأمور الدين ، وكوت السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي ، هذا وصفها في زمان بنى أمية ومن سلك مسلكهم ، ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة إلا من هو وال للحكم الشرعى في مدينة جليلة ، وإن كانت صغيرة ، فلا يطلق على حاكمها إلا مسدّد خاصة ، وقاضى القضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة .

وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن ، معروفة بهذه السمة ، ويعرف صاحبها في السُن العامّة بصاحب المدينة ، وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند الساطان ، كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان الساطان ، وذلك قليل ، ولا يكون إلا في حضرة الساطان الأعظم . وهو الذى يحدّ على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه ، قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي ، وكانت خطة القاضي أوقر وأتقى عندهم من ذلك .

وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن ، وكان صاحبها فاض ، والمادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذى يزن به الخبز في يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان ، للربح من الدرهم رقيق ، على وزن معلوم . وكذلك للثمن ، وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المتاع الصمى الصغير ، أو الجارية الرعاء ، فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق ، في معرفة الأوزان .

وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب في الورقة ، ولا يكاد تخفى خيائته ، فإن المحتسب يدس عليه صبيّاً أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الوزن المحتسب ، فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس ، فلا تسأل عما يلقي ! وإن أكثر ذلك منه ، ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الأسواق نفي من البلد . ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه ، لأنها عندهم تدخل في جميع المتاع ، وتتفرع إلى ما يطول ذكره . وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب أرباع في المشرق ، فانهم يعرفون في الأندلس بالدرابين ، لأن بلاد الأندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق باث فيه له سراج معلق ، و كلب يسهر ، وسلاح معدّ وذلك لشطارة عامتها ، وكثرة شرهم ، واعيانهم في أمور التلصص ، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة ، ويفتحوا الاغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار ، خوف ان يقرّ عليهم ، أو يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع : دار فلان دُخِلت البارحة ، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه . وهذا يرجع التكثير منه والتقليل إلى شدة الوالى ولينه ، ومع افراطه في الشدة ، وكون سيفه يقطر دما ، فإن ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقة شخص من كرم ، وما أشبه ذلك ولم ينته اللصوص .

وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر إلى السلاطين ، ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها ، وقيام العامة في ذلك وإنكاره ، ان تهاون فيه أصحاب السلطان ، وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره ، فيدخلون عليه قصره المشيد ، ولا يعبتون بخيله ورجله ، حتى يخرجوه من بلدهم . وهذا كثير في أخبارهم .

وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال ، إذا لم يعدلوا ، فكل يوم . وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تكسل عن السكدة ، وتخرج الوجوه

للطلب في الاسواق فستقبحة عندهم الى النهاية . واذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلا عن أن يتصدقوا عليه ، فلا تجدد بالاندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر .

وأما حال أهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب انهم احرص الناس على التمييز ، فالجاهل الذي لم يوقه الله للعالم بجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يُرى فارغاً ، عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح . والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار اليه ، ويمجال عليه ، ويُنْبِئُه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو اتباع حاجة وما أشبه ذلك . ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعيينهم على طلب العلم ، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يقرأون لأن يعلموا . لا لأن يخذوا جاريا . فالعالم مهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم يباعث من نفسه ، بحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده ، حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم ، فان لها حظاً عظيماً عند خواصهم . ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة ، أو يشتغل بالتنجيم ، اطامت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فان زل في شبهة رحموه بالحجارة ، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة . وكثيراً ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت ، وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه ، وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن ، على ما ذكره الحجارى ، والله أعلم .

وقراءة القرآن^(١) بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة . وللفقه رونق ووجاهة

(١) ما رأيت في التاريخ بلداً من بلدان الاسلام يعنى أهله بقراءة القرآن بوجوهها أكثر من الأندلس

ولامذهب لهم إلا مذهب مالك^(١)، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم فى العلوم . وسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يستون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويبه بالفقيه ، وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه ، لأنها عندهم أرفع السمات^(٢) . وعلم الاصول عندهم متوسط الحال . والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة ، حتى انهم فى هذا العصر فيه منهم كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جودة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه ، كمذاهب الفقه . وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو ، بحيث لا تخفى عليه

(١) كان أمل الأندلس لأول الفتح على مذهب الامام الأوزاعى إمام أهل الشام الذين كانت لهم اليد الطولى فى فتح الأندلس ، وكانت الدولة الأموية تعول عليهم قبل الجميع ، وبقى الأندلسيون على مذهب الأوزاعى إلى زمن هشام بن عبد الرحمن الداخل فى ذلك الوقت رحل زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون إلى الشرق ، وسمع من مالك كتابه الموطأ ورحل جماعة غير شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار ، وسعيد بن أبى هند ، وغيرهم بمن رحل إلى الحج ، فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا من فضل مالك ، وسعة علمه وجلالة قدره ، ما عظم به صيته بالأندلس وكان رائدهم فى ذلك شبطون ، وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكلا متقنا . وقيل إن الامام مالك رضى الله عنه سأل بعض الحجاج الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس فوصفوا له سيرة الأمير هشام بن عبد الرحمن وأثنوا له عليه وكان مالك غير راض عن سيرة بنى العباس ولا سيما بعد أن فعل أبو جعفر المنصور بعلوية المدينة الافاعيل من الحبس والامانة فقال الامام مالك للأندلسيين : نسأل الله أن يزين حرمنا بمثل ملككم . فوصل الخبر إلى الأمير هشام مع ما علم من جلالة مالك وورعه فحمل الناس على مذهبه ، وقد ذكرنا هذه القصة برواياتها فى حواشينا على كتاب محاسن المساعى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى ، الذى طبعناه من ثلاث سنوات فن شاء فليراجعها فى ذلك الكتاب .

(٢) لم يبرح هذا الاصطلاح فى المغرب إلى اليوم .

الدقائق ، فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء ، مع ان كلام أهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت ، وهو يقرىء درسه ، لضحك بملء فيه ، من شدة التحريف الذي في لسانه . والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استنقلوه واستبردوه^(١) ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمحادثات في الرسائل . وعلم الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ، ومستظرفات الحكايات ، أنبل علم عندهم ، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو عقل مستثقل . والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ، ولهم عليهم حظ ووظائف ، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ، ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم ، إلا أن يخلت الوقت ، ويفاب الجبل في حين ما ، ولكن هذا الغالب . وإذا كان الشخص بالاندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يهضم في نفسه لاجمالة ، ويستخف ويظهر العجب ، عادة قد جبلوا عليها .

وأما زى أهل الأندلس فأغالب عليهم ترك العارم ، لاسيما في شرق الأندلس ، فان أهل غربها لا تسكد ترى فيهم فاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو بهامة . وقد تسامحوا بشرقها في ذلك . ولقد رأيت عزيزين خطاب . أكبر عالم بمصرية حضرة السلطان في ذلك الأوان ، وإليه الاشارة ، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة ؛ وهو حاسر الرأس ، وشيبه قد غلب على سواد شعره .

وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمه ، في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا ، رأيت في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده ، وكثيراً

(١) ولا أظن هذا الاستنقال خاصاً بأهل الأندلس

ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزى النصرارى المجاورين لهم^(١)، فسلاحهم كسلاحهم،

(١) قال ابن خلدون رحمه الله في مقدمته تحت عنوان « إن المغلوب مولع أبداً بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلاته وسائر أحواله وعوائده » : ان النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي ، إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل لها ، حصل اعتقاداً ، فاتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء . أو لما تراه ، والله اعلم ، من أن غلب الغالب لها ليس بعصية ولا قوة بأس ، وإنما هو بما اتحلته من العوائد والمذاهب ، تغالط أيضاً بذلك عن الغلب ، وهذا راجع للاول . ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله ، وأظهر ذلك في الأبناء مع آبائهم ، وكيف تجدهم متشبهين بهم دائماً ؟

وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم . وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الاكثر ، لأنهم الغالبون لهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ، ولها الغلب عليها ، فيسرى إليهم من هذا التشبه والاقْتداء . حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله اه .

قلت وقد نظرنا هذا بأعيننا في الأعصر الأخيرة عند ما ظهر غلب الغرب على الشرق بأسباب كثيرة ليس هنا موضع ذكرها فتهافت ولالة الآمور في الشرق على تقايد الأوربيين لافي اتقان العلوم والصناعات وتنظيم أحوال الاجتماع وتسديد أمور الملك فقط ، بما هو واجب حتماً ، بل تهاقوا على تقليدهم في أزيائهم وملابسهم وما كلهم ومشاربهم

وبدا ذلك في أيام السلطان محمود العثماني . ولكن لم يبلغ في وقت من الأوقات حب هذا الاقتداء ما بلغه في هذا العصر ، لا سيما بعد الحروب العامة ، فما كادت تركة وإيران تسترجعان استقلالهما ، حتى بدأنا بالتشبه بالأوربيين في الدقيق والجليل

وأقيمتهم في الأشكر لاط وغيره كأقيمتهم ، وكذلك أعلامهم وسر وجههم . ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطنن ، ولا يعرفون الدبايس ، ولا قسى العرب ، بل يعدون قسى الافرنج المحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند المصاففة للحرب ، وكثير ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يؤثرها

ولا تجدى في خواص الأنداس وأكثروا منهم من يمشى دون طيلسان ، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون . وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصفرة مخصوصة باليهود ، ولا سبيل ليهودى أن يتعمم البتة . والذؤابة لا يرخيها إلا العالم ، ولا يصرفونها بين الأكتاف ، وإنما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى ، وهذه الأوضاع التى بالشرق فى العالم لا يعرفها أهل الأنداس ، وإن رأوا فى رأس مشرقى داخل إلى بلادهم تكلامها أظهروا التعجب والاستطراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعاليمها ، لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا إلا أوضاعهم . وكذلك فى تفصيل الثياب .

وأهل الأنداس أشد خنق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعاقبهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطويه صائماً ، والكلى والجزئى وأصدرت الحكومة التركية أوامرها بلبس القبعة حتما . ودقت مئان من الأعناق على مجرد الاعتراض عليها . وحملت الأحرف اللاتينية مكان الأحرف العربية برغم ان كتابة التركية بالأحرف اللاتينية قد انحرفت هذه اللغة عن لهجتها الأصلية ، واستبدلت بها لغة غير لاولى ، ولم يكتفوا بهذا حتى أرادوا حمل الأتراك على طمس معالم كل قديم ، وتحديثها بالغة . التاريخ التركي من أصله ، وصعدوا الألحان الشرقية وآلات الطرب الشرقى ، وتبدلوا بها الموسيقى الاوربية ، وكادوا ينقلون الى منع المآكل الشرقية لو لم تكن الاذواق أصعب مراسا من غيرها ، وكل هذا من باب إفساد المغلوب بالغالب ، مما أشار اليه امام علم الاجتماع ابن خلدون رحمه الله ، وليس فى الحقيقة بضرورة من الضرورات ، ولقد ترقى اليابانيون ، وبلغوا مبالغ الاوربيين فى كل شىء ، وربما بذوهم ، ولم يزالوا يابانيين فى اذواقهم وعاداتهم ، وما أخذهم ومثاركهم ، وكل شىء توارثوه عن آبائهم

و يبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها . وهم أهل احتياط وتديير في المعاش ، وحفظ لما في أيديهم ، خوف ذل السؤال ، فذلك قد ينسبون للبخل . ولهم مروآت على عادة بلادهم ، لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظامه . واقدم اجتزت مع والدي على قرية من قراها ، وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل ، فأوينا إليها وكنا على حال ترقب من السلطان ، وخلق من الرفاهية ، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا : إن كان عندكم ما اشترى لكم فخاً تسخنون به ، فاني أمضي في حوائجكم ، وأجعل عيالي يقومون بشأنكم ، فأعطيناها ما اشترى به فخا . فأضرم ناراً ، فجاء ابن له صغير ليصطلي ، فضربه ، فقال له والدي : لم ضربته ؟ فقال : يتعلم استغنام أموال الناس ، والضجر للبرد من الصغر . ثم لما جاء النوم قال لابنه : اعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدا على ثيابه . فدفع كساءه إلى . ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهاً ، ويده في الكساء ، فقلت ذلك لوالدي فقال : هذه مروآت أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وفضلك على نفسه ، ثم أفكر في أنك غريب ، لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه ، خوفاً من انفصالك بها وهو نائم . وعلى هذا الشيء الحقيق قفس الشيء الجليل .

انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير . والله درّه ، فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء ، وقسمه إلى أقسام ، منها كتاب وثنى الطرس ، في حلى جزيرة الأندلس . وهو ينقسم إلى أربعة كتب : الكتاب الأول : كتاب حلى العرس ، في حلى غرب الأندلس . الكتاب الثاني كتاب الشفاء للعس ، في حلى موسطة الأندلس . الكتاب الثالث : كتاب الأوس ، في حلى شرق الأندلس . الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب ، في ذكر ما حماه من الأندلس عبّاد الصليب . والقسم الثاني كتاب الألمان المسلمية في حلى جزيرة صقلية . وهو أيضاً ذو أنواع . والقسم الثالث : كتاب الغاية الاخيرة في حلى الارض الكبيرة . وهو

أيضاً ذوا أقسام . وصور رحمه الله تعالى أجزاء الأندلس في كتاب وشى الطرس .
وقال أيضاً : إن كلا من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة
بعضه من بعض ، وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة ،
وهذا دون ما تبقى بأيدي النصارى . وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس ، في حلى
غرب الأندلس ، لكون قرطبة قطب الخلافة الروانية ، واشبيلية التي ما في الأندلس
أجل منها فيه . وقسمه إلى سبعة كتب ، كل كتاب منها يحتوي على مملكة
منحازة عن الأخرى . الكتاب الأول : كتاب الحلة الذهبية ، في حلى مملكة
قرطبة . الكتاب الثاني : كتاب الذهبية الأصبالية ، في حلى المملكة الاشبيلية .
الكتاب الثالث : كتاب خدع المراتة ، في حلى مملكة مانتقة . الكتاب الرابع :
كتاب الفردوس . في حلى مملكة بطيبوس . الكتاب الخامس : كتاب الحلب ،
في حلى مملكة حلب . الكتاب السادس : كتاب المدياجة ، في حلى مملكة باجة .
الكتاب السابع : كتاب الرياض المنصونة ، في حلى مملكة اشبونة . وقد ذكر
رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به . وصور أحراره على ما ينبغي . فانه يحازيه
خيراً . والكلام في الأندلس طويل عريض .

وفل بعض المؤرخين : طول الأندلس ثلاثون يوماً ، وعرضها تسعة أيام ،
ويشقها أربعون نهراً كبيراً ، وسها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى ، وبها
ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، وأريد من ثمانئة من المتوسطة ، وفيها من
الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثيرة ، حتى قيل إن عدد القرى التي على
نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية . وليس في معمور الأرض صقع يجد المسافر فيه
ثلاث مدن وأربعاً من يومه إلا بالأندلس .

ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلاً . وحيثما سار في
الاقطار يجد الحوانيت في الغلوات والصحارى والأودية ورؤس الجبال لبيع الخبز
والفواكه والخبز واللحم والحوت وغير ذلك من ضرور الأطعمة .

وذكر صاحب الجغرافيا أن جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوماً طويلاً ، في ثمانية عشر يوماً عرضاً ، وهو مخالف لما سبق . وقال ابن سيده : أخذت الأندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب ، إلى البحر المحيط في الشمال ، وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلاً هـ . ولبعضهم :

لله أندلسٌ وما جمعت بها من كلِّ ما ضمت لها الاهواء
فكانت تلك الديار كواكبٌ وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطرٍ جدولٌ في جنَّةٍ ولعت به الأفياء والأنداء
وقال آخر :

حبذا أندلسٌ من بلدٍ طائرٌ شادٍ ، وظلٌّ وارِفٌ
لم تنزل تُنتج لي كلَّ سرور ومياهٌ سابحاتٌ في قُصور
وقال آخر :

يا حُسنَ أندلسٍ وما جمعت لنا فيها من الاوطارِ والاطوانِ
تلك الجزيرة لست أنسى حُسنها بتعاقب الأحيانِ والازمانِ
نَسجَ الربيعُ نَبأَها من سُندسٍ موشيةٍ ببيدائعِ الالوانِ
وغدا النسيمُ بها عليلاً هانماً يربوعها ، وتلاطمُ البحرانِ
ياحُسنها والطلُّ ينثر فوقها دُرراً خلالَ الوردِ والريحانِ
وسواعدُ الانهار قد مُدت الى نُدمانها بشقائقِ النعمانِ
وتجاوبت فيها شواذى طيرها والتفتُ الاغصانُ بالاغصانِ
ما زُرُّها إلا وحياني بها حدقُ البهارِ وأنملُ السوسانِ
من بعدها ما أعجبتني بلدةٌ مع ما حلتُ به من البُلدانِ
وحكي بعضهم ان بالجامع في مدينة اقلش بلاطاً فيه جوائز منشورة

مستوية الاطراف ، طول الجائزة منها مائة شبر وأحد عشر شبراً . وفي الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ازادة ولا تفكر ، وفيها غير ذلك مما يطول ذكره . والله أعلم . انتهى .

ما قاله المسعودى فى مروج الذهب عن الاندلس

وصاحب الاندلس كان يدعى لذريق ، هذا كان اسم ملوك الاندلس ، وقد قيل انهم كانوا من الاسبان ، وعمامة من ولد يفت ابن نوح ، واتصلت هنالك ، والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين ان لذريق كان من ملوك الاندلس الجلائمة ، وعم نوح من الافريجة . وأخو لذريق الذى كان الاندلس قتله (١) طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ، ودخل الى مدينة طلمطلة ، وكانت قصبة الاندلس ودار ممسكتهم . ويشقها شهر عظيم يدعى تاجه ، يخرج من بلاد الجلائمة « والوسقيد (٢) » وهى أمة عظيمة . فبها ملوك ، وعم حرب لاهل الاندلس

(١) لا نعلم لماذا قال المسعودى ان أخا لذريق هو الذى قتله طارق بن زياد ، على حين أن الرواية المشهورة هى أن لذريق نفسه هو الذى قتل فى المعركة التى وقعت بين المسلمين والاسبان ، وبها انهار ملك الغوط الاندلس . وقد جاء فى كتاب أخبار مجموعة ، الذى هو أول تاريخ الاندلس بعد أن انهزم لذريق - وفى أخبار مجموعة يقول رذريق ، وهى أقرب إلى الأصل - لم يدرك فى وقوعه ، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأبيض ، وكان عليه سرج له من ذهب مكال بالناقوت والزرجد ، ووجدوا حلة من ذهب مكال بالدر والياقوت . وقد ساق الفرس فى الطين . وفى السواح وقع فيه وغرق العليج . فلما أخرج رجله نبت الحف فى الطين ، والله أعلم . كان من أمره ، لم يسمع له خبر ، ولا واحد حياً ولا ميتاً . انتهى

وقد جاء فى بعض تواريخ الاسبان أن لذريق لم يقتل فى المعركة ، وأنه فر إلى شمالى اسبانية ، وبقى يقاتل المسلمين إلى أن مات . ولكن الرواية الغالبة هى أن لذريق قتل فى المعركة .

(٢) هذه اللفظة محرفة بالنسخ ولا شك بأن مراد المسعودى ، بها أمة الباسك أو

الباشكونس وكان يقال لهم قديماً Vascongados

كالجلائقة والافرنجة . ويصب هذا النهر في البحر الرومي ^(١) وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة ، وهي من البنيان المذكور والموصوف ، أعجب من قنطرة سنجة ^(٢) من الثغر الجزرى ، مما يلي سميساط من بلاد سرحة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتنعة ، لا سبيل للامويين إليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة ، فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت . ^(٣) وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثير من بنيان هذه

(١) أخطأ المسعودى في قوله أن نهر تاجه ينصب في البحر الرومي ، والحقيقة أن مصبه في المحيط الاطلانطيكي ، ولعله وقع منه سهو فحسب نهر تاجه هو نهر إبره الذى يمر بسرقسطة ، فان هذا ينصب في البحر الرومي .

(٢) لعله أراد سنجار ، لأننا لا نعلم بلداً اسمه سنجة في بلاد الجزيرة : وأما سنجار فهى منها وهى على نهر . ويوجد بلدة يقال لها سنجة ، والعجم تقول لها سنكة ولكنها لست في الثغر الجزرى ، بل في خراسان ، ويقال لبلادها الغور . وقد كنا نقول لعل في جملة الثغر الجزرى ، تصحيفا ، وحقها أن تكون الثغر الجزرى ، نسبة إلى بحر الخزر ولكن ينبى ذلك قوله ، مما يلي سميساط ، والحال أن سميساط هى مدينة من الثغر الجزرى بالعجم . فأما بلاد سرحة ، فلم نجد لها ذكرا في بلاد الجزيرة . وإنما يوجد سرحة في اليمن : فالصحيح أنها سرجة بنقطة وهى بقرب سميساط ، على شاطئ الفرات كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

(٣) أهم شئ في التاريخ ، وهو الذى يقرب الوقائع الى الذهن ، ويجعل القارىء كأنه يراها بعينه ، هو أن يكون المؤرخ معاصراً للأشخاص الذين يصفهم ، وللوقائع التى يرويها ، لا سيما إذا كانوا من الرجال المشهورين في التاريخ ، أو كانت الوقائع

المدينة حين افتتاحها . وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت .

ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ، ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام . ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية . وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير أنه يخاطب بأمر المؤمنين^(١)

التي يتحدثون عنها من الحوادث التي اشتهر خبرها : فالمسعودي ، كابن حوقل ، كان معاصرا للخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر وهو يكتب تاريخه هذا سنة ٣٣٢ ، إلى بعد أن خرج ابن حوقل في سياحته ، وبدأ بكتابه ، بسنة واحدة : والواقعة التي محص فيها المسلمون في زمان عبد الرحمن في بلاد الجلالقة عند مدينة سمورة ، وذكر المسعودي وقوعها سنة سبع وعشرين وثمانمائة . وقتل فيها من المسلمين أربعون ألفاً ، وقيل خمسون ألفاً هذه نفسها جاء خبرها في كتاب ، أخبار مجموعة ، ولكنه جعلها في عام ستة وعشرين وثمانمائة . ولم يذكر عدد شهداء المسلمين فيها . وإنما قال أنهم هزموا أجمع هزيمة واتبعهم العدو أياماً يأبى ونهب وبقتلونهم في كل محلة فلم يكذب ينجو منهم إلا قوم جمعوا أصحابهم على الويتهم . وتخلصوا إلى بلدانهم . ثم إن المسعودي يذكر أن الثغر بين المسلمين والأفراج سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، كان طرطوشة ، على ساحل البحر الرومي ، ثم يذكر غارات الجوس على الاندلس .

ثم هناك نقطة ذات الال وهي أن من ملك الحرمين الشريفين يحق له أن يدعى الخلافة . وهي من النظريات التي كانت تدور في ذلك العصر ، ولا تزال إلى يوم الناس هذا .

(١) ستعلم أن عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر عاد فإدى بنعمه خليفة ، وأطلق عليه مسلو الاندلس هذا اللقب ، وذلك بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية واستبد بهم الأعاجم ، وتصدعت وحدة المملكة العربية . فرأى عبد الرحمن نفسه جديراً بالخلافة ، ولم يكن ذلك أحد . لأنه كان أعظم ملوك عصره في عالمي الاسلام والنصرانية وسار على خطه ابيه الحكم الملقب بالمستنصر ، ولكن خاف من بعدهما خاف أضعافا الخلافة . وكان ذلك مبدأ ضياع الاندلس .

وقد كان عبد الرحمن بن معاوية ، أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة ، فملكها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر . ثم هلك فملكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين . ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة ، وولده ولانها إلى اليوم ، على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن ابن محمد . وولى عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم ، وكان أحسن الناس سيرة وأجلهم عدلاً . وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة في أزيد من مائة الف فارس من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلالة ، وهي مدينة يقال لها سمورة ، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان ، قد أحكمتها الملوك السالفة ، بين الأسوار فصلان وخنادق ، ومياه واسعة ، فافتتح منها سورين ، ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين ، فقتلوا منهم ، ممن أدرك الاحصاء ، ومن عرف ، أربعين ألفاً ، وقيل خمسين ألفاً . وكانت للجلالة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي الأفرنجية مدينة أربونة ، خرجت عن أيدي المسلمين من مدائن الألس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة ، مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون . وتبقى ثغر المسلمين في هذا الوقت ، وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقي الأندلس ، طرطوشة ، وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذاً في الشمال « افراغة^(١) » على نهر عظيم ، ثم لاردة . ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقى الأفرنجية وهي أضيق مواضع الأندلس . وقد كان قبل الثلثمائة ورد إلى الأندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، زعم أهل الأندلس أنهم ناس من الجوس^(٢) ، تطراً إليهم في هذا البحر في كل مائتين

(١) Fraguas ومن عادة العرب أن يجعلوا ألفاً قبل الاسم حتى لا يبدأوا بالساكن وقد قيل في طرابلس اطرابلس وفي غرناطة اغرناطة وفي فراغة افراغة ولها نظائر .

(٢) هؤلاء هم النورمنديون وكانوا وقتئذ مجوساً

من السنين ، وأن وصولهم إلى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس . وأرى ، والله أعلم ، أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش^(١) ونيطش ، وأن هذه الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم في ماسلف من هذا الكتاب ، إذ كان لايقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم

قول القلقشندی فی صبح الأعیشى عن الأندلس

قال في الجزء الخامس تحت عنوان « المملكة السادسة من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس » قال في تقويم البلدان : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركن جنوبي غربي . وهناك جزيرة فادس ، وفم بحر الزقاق . وركن شرقي ، بين طرف كونة ، وبين برشلونة ، وهي في جنوبيه ، وبالقرب من بلنسية وطرطوشة وجزيرة ميورقة . وركن شمالي بميلة إلى البحر المحيط . حيث الطول عشر درجات ودقائق ، والعرض ثمان وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شنتياقوه ، وهي على البحر المحيط في شمالي الأندلس وعربيها . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبي الغربي - وهو عند جزيرة فادس - إلى الركن الشرقي الذي عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبي الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثاني من الركن الشرقي المذكور إلى الركن الشمالي الذي عند شنتياقوه . وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالي ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت^(٢) ، الحاجز بين الأندلس وبين أرض تعرف بالأرض الكبيرة . وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل . والضلع الثالث من الركن الشمالي المذكور إلى الركن الجنوبي المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربي الممتد على البحر المحيط .

(١) La Manche

(٢) وربما قال العرب البرتات ، وهي لفظة افرنجية معناها الأبواب وهذا الجبل هو البرانس أو البيرانة .

قال ابن سعيد : قال الحجارى : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى اشبونة ، وهى فى نهاية الأندلس الغربية ، الف ميل . وعرض وسطه ، من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، عند طليطلة وجبل البرت ، ستة عشر يوماً . قال فى تقويم البلدان : وقد قيل : إن طوله غرباً وشرقاً من اشبونة ، وهى فى غرب الأندلس إلى أربونة ، وهى فى شرق الأندلس ، مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

واعلم أن جبل البرت المقدم ذكره متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، وطوله أربعمائة ميلاً ، وفيه أبواب فتحها الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق فى البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفى وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب ، يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبى ونصف شمالى اه . ثم ذكر القلقشندى أهم حواضر الأندلس وسنأثر عنه ما نجد جديراً بالنقل ، وذلك عند وصولنا إليها .

مقاله ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب

فى سنة أربع وثمانين افتتح موسى بن نصير أوربة من المغرب ، وبلغ عدد السبى خمسين ألفاً . اه . سعى الأندلس أوربة ، من باب تسمية البعض باسم الكل وذكر فى حوادث سنة ٨٧ فتح سردانية من المغرب . وفى حوادث ٨٩ فتح جزيرتى ميورقة ومنورقة . وقال عن حوادث ٩٢ : فيها افتتح إقليم الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نصير ، وتم موسى فتحه فى ثلاث سنوات . وذكر فى حوادث سنة ١٧٢ موت صاحب الأندلس أبى المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموى الدمشقى المعروف بالداخل وقال إنه : فرّ إلى المغرب عند زوال دولتهم ، فقامت معه الجانية ، وحارب يوسف الفهرى ، متولى

الأندلس ، وهزمه ، وملك قرطبة في يوم الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة .
وامتدت أيامه ، وكان عالماً ، حسن السيرة ، وعاش اثنتين وستين سنة . وولى بعده
ابنه هشام ، وبقيت الأندلس لعقبه إلى حدود الأربعمائة الخ .

قول المقدسي في جغرافيته الشهيرة المسماة

« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم »

ذكر المقدسي الأندلس في جملة إقليم المغرب ، بدأ بإفريقية ، أي مملكة تونس
الحاضرة ، وتقدم إلى المغرب الأوسط ، وكان يسمى في ذلك اوقت إقليم تاهرت
ثم تقدم إلى سجلماسة ، وفاس ، والسوس الأقصى . ثم ذكر جزيرة صقلية ، وبعد
أن عدد مدنها بدأ بالأندلس فقال : وأما الأندلس فنظيرها هيطل من جانب
المشرق ، غير أننا لم نقف على نواحيها فنكورها ، ولم ندخلها فنقسمها . ويقال لها
الف ميل . وقال ابن خرداذبة : الأندلس أربعون مدينة ، يعني المشهور منها ،
لأن أحداً لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ، ووضع القصبات ، فبعض المدن التي ذكر
هي قصبات ، على قياس مارتينا .

وسألت بعض العقلاء منهم عن الرساتيق المحيطة بقرطبة ، والمنسوبة اليها والمدن
فقال : انا نسمى الرساتاق اقليماً ، فالأقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها ، فذكر
« أَرْجُونَة » « قَسَطَلَة » « شَوَذَر » « مَارْتُس » « قَنْبَاش » « فِجْ ابن لَقِيْط »
« بِلَاط مَرَوَان » « حَصْن بُلْسَكُونَة » « الشنيدة » « وادي عبد الله » « قرسييس »
« المائدة » « جيان » - وعلى ما دل اخر الاسم هي ناحية مدنها الجفر - « نَيْغُو »
« مَارْتُس » « قانت » « غَرْنَانَة » « مَنْدَيْشَة » « بِيَّاسَة » وسائر مدن اندلس
المذكورة « طَرْطُوشَة » « بَلَنْسِيَة » « مَرْسِيَة » « بَجَانَة » « مَالِقَة » « جزيرة
جبل طارق » « شَدْنَة » « إشبيلية » « أُخْشَنْبَة » « مَرَبَة » « شَنْتَرِين » « بَاجَة »

« لَبْلَةٌ » « قَرْمُونَةٌ » « مَوْزُورٌ » « إِسْتِجَّةٌ » .

ثم عاد بعد قليل فذكر الأندلس بشيء من التفصيل فقال : قرطبة هي مصر الأندلس سمعت بعض العثمانية يقول : هي أجلُّ من بغداد . في صحراء يطل عليها جبل ، ولها مدينة جَوَانِيَّةٌ ، وربض الجامع في المدينة وأسواق . وأغلب الأسواق ودار السلطان في الربض . قدامها واد عظيم ، سطوحهم قراميد . الجامع من حجر وجير . وسواريه رخام . حواليه مياض .

وللمدينة خمسة ابواب : باب الحديد ، باب العطارين ، باب القنطرة ، باب اليهود ، عامر . وقد دلت الدلائل ، وانفقت الآراء على انه مصر جليل ، رفق طيب ، وان ثم عدلا ، ونظراً ، وسياسة ، وطيبة ، ونما ظاهرة ، ودينياً ، وان ناحية الأندلس على سجية « هيطل » ^(٢) ابدأ ثم غزاة ، ابدأ في جهاد ونفير ^(١) مع علم كثير ، وسلطان خطير ، وخصائص ، وتجارات ، وفوائد .

وحدثني بعض الأندلسيين انها ثلاثة عشر رستاقا على خمسة عشر ميلا « أَرْجُونَةٌ » مسورة ، ليس لها بساتين وأشجار ، لكنها بلد الحبوب ، ولهم عيون ، ومزارعهم على المطر ، و « قَطْلَةٌ » على ثلاثة عشر ميلا من أرجونة ، وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرمات ، ومشاربهم من آبار ، ويسقون البساتين بالسواني . و « شَوْذَرٌ » على ثمانية عشر ميلا من قرطبة ، وهي في سهلة كثيرة الزيتون جداً ، شربهم من أعين ، « مَارْتُشٌ » على خمسة عشر ميلا من قرطبة ، وهي جبلية ، ليس لها غير الكرمات ، ولهم أعين . و « قَنْبَانُشٌ » على خمسة عشر ميلا ، وهي سهلية ، ذات مزارع أكثرها بموضع يقال له « قَنْبَانِيَّةٌ » مشاربهم من آبار . و « فِجْ ابن لقيط » على خمسة وعشرين ميلا في سهلة كثيرة المزارع ، شربهم من آبار . و « بِلَاطٌ مَرَّوَانٌ » على ثلاثين ميلا ، لها واد جرار ، سهلية ، ذات مزارع . و « بُرْيَانَةٌ » ذات

(١) هذا خلاف ما زعمه ابن حوقل . والصحيح في هذا المقام هو للام المقدسي

(٢) يقال هيطل لبلاد ما وراء النهر : بخارى وسمرقند وما جاورهما

مزارع سهلية ، شربهم من آبار ، وفيها حصن من حجارة ، والرّبع حوله ، والجامع في الحصن ، والأسواق في الرّبع . وحصن « بُلْكُوْتَة » كثير الزيتون والاشجار ، والعيون ، مسورة بحجارة ، شربهم من عين واحدة وآبار ، على أربعين ميلا من قرطبة ، و « الشنيدة » على جبل ، كثيرة الكروم والمرايع والعنب ، شربهم من أعين وآبار ، على يومين من قرطبة ، المنزل فج ابن لقيط . و « وادي عبد الله » من نحو القبلة ، على أربعين ميلا من قرطبة . المنزل « وادي الرُّمَّان » سهلية ذات مزارع وأنهار وأشجار . و « قرسيس » على ستين ميلا من قرطبة . سهلية كثيرة التين والأعنان والزيتون الكبير . شربهم من أعين و « جِيَّان » على خمسين ميلا من قرطبة . اسم الرستاق « أُولْبَة » ومدينة جِيَّان على جبل ، كثيرة الأعين ، قد خرب حصنها ، غير أنها منيعة بالجبل . بها اثنتا عشرة عيناً ، ثلاث عليها أرحية ، تقوم بالأندلس ، ومن ثم ميرة قرطبة وثمارها كثيرة ، وصِفَ ماشئت من طيها ورُحِبها ، فانها جنة الأندلس على ما حكى لى . ودل آخر الاسم على أنها ناحية بنيانهم بالحجارة ، باردة كثيرة الرياح ، وبكورتها حرّ ، هي في عداد النواحي قياساً على مارتينا . ومدّها الجفّر^(١) ، على الجبل ، كثيرة الأودية والأرحية ، على عشرة أميال من جيان ، كلها أشجار وثمار ، وزيتون وأعنان ، على واد تجمع الفواكه . و « بِيَّغُو » وهي جبلية لها أودية تخر منها عيون تدير الأرحية ، كثيرة التوت والزيتون والتين . و « مارتش » مسورة على جبل ، شربهم من أعين . كثيرة التين والزيتون والكروم . « فانت » مسورة في قنباية . لا بساتين لها زاكية . و « غرناطة » على واد به منية ، طوله ثلاثة عشر ميلا للسلطان ، فيه من كل الثمار حسن عجيب ، سهاية كثيرة المزارع . قلت : وما المنية ؟ قال البستان^(٢) . « مَنْتِيْشَة » مسورة على واد

(١) كذا ولم يظهر لنا مراد المؤلف هنا إلا أن يكون ثمة تحريف

(٢) تقدم لنا ذكر لفظة المنية وماذا كانوا يعنون بها ، وهذا نص يؤيد ما ذكرناه

وهو أن المنية المتزّه أو البستان

كثيرة الزيتون والتين سهلية . و « يياسة » مسورة في جبل ، بناؤهم طين ، وشربهم من أعين ، كثيرة التين والسكرمات . قلت : هل تبقى لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن ؟ قال : لا . قلت : فاشبيلية و بجانة . . . وذكرت عدة من البلدان . قال : هذه نواح لها أقاليم ، كما تقول : القيروان وتاهرت وسجلماسة وهم يسمون الرستاق اقليما . فعلت أنها كور على قياسنا ، وأنها إن لم تكن أجل من كور هيطل فليست بأقل منها فيحصل القول ، وثبتت الدلائل ، على ان مثل المغرب كمثل المشرق ، كل واحد منهما جانبان : فكما ان المشرق خراسان وهيطل يفصل بينهما جيحون ، فكذلك المغرب والاندلس يفصل بينهما بحر الروم .

غير انا نعجز عن تكوير الاندلس ، فتركناها على الجملة ، ووصفنا كورة قرطبة لما كثر الخبر ون عنها ، واتضح عندنا أمرها . وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال : على هذا القياس يجب أن تكون الاندلس ثمانى عشرة كورة ، فعدت بجانة ، مالقة ، بلنسية ، تدمير ، مرقوسة ^(١) ، يابسة ، وادى الحجارة ، تطيلة ، وشقة ، مدينة سالم . طليطلة ، إشبيلية ، بطانيوس ، باجة ، قرطبة ، شذونة ، الجزيرة الخضراء وسألت آخر فقال : صدق ، وزاد ليرة ، خشنبة . ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي ، قياساً على يلاق وكش والصفانيان . والله أعلم بالصواب .

ثم ذكر المقدسى جل شؤون هذا الاقليم فقال : هو اقليم جليل كبير طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الاقاليم ، مع الرخص ، كثير النخيل والزيتون ، به مواضع الحر ، ومعادن البرد ، كثير اليهود ، جيد الهواء والماء .

فأما الحر فانك تجده من مصر الى السوس الاقصى ، إلا في مواضع ، فان بها جبلاً وبلداتاً باردة ، والغالب على الاندلس البرد ، كثير المجذمين ، والخصيان ، والثقلاء ، والبخلاء ، قليل القصاص ، رفق ، يحبون العلم وأهله ، ويكثرون التجارات والتغرب .

(١) يعنى سرقسطة وهو أقرب إلى لفظ الاسبانيول بها

وأما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام : أما فى الأندلس فذهب مالك وقراءة نافع .
 وهم يقولون : لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك . فان ظهروا على حنفى أو شافعى
 نفوه ، وان عثروا على معتزلى أو شيعى ونحوها ربما قتلوه . وبسائر المغرب الى مصر
 لا يعرفون مذهب الشافعى (رحه) انما هو ابو حنيفة ومالك (رحهما) . وكنت
 يوماً اذا كرر بعضهم فى مسألة فذكرت قول الشافعى (رحه) فقال : اسكت ! من هو
 الشافعى ؟ انما كانا ببحرين : ابو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، افتركما
 ونشتغل بالساقية ؟ ورأيت أصحاب مالك (رحه) يبغضون الشافعى قالوا : أخذ العلم
 عن مالك ثم خالفه .

وما رأيت فريقين أحسن اتفاقاً وأقل تعصباً منهم ، وسمعتهم يحكون عن
 قدامهم فى ذلك حكايات عجيبة ، حتى قالوا انه كان الحاكم سنة حنفى ، وسنة مالكى .
 قلت : وكيف وقع مذهب أبى حنيفة (رحه) اليكم ولم يكن على سابلتكم ؟ قالوا : لما
 قدم وهب بن وهب من عند مالك (رحه) وقد حاز من العلوم والفقه ما حاز استنكف
 أسد بن عبد الله أن يدرس عليه ، لجلالته وكبر نفسه ، فرحل إلى المدينة ليدرس
 على مالك ، فوجده عليلاً ، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع إلى ابن وهب فقد
 أودعته على وكفيتكم به الرحلة ، فصعب ذلك على أسد ، وسأل : هل يعرف للمالك
 نظير ؟ فقالوا : قى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . قالوا : فرحل
 إليه وأقبل عليه محمد اقبالا لم يقبله على أحد ، ورأى فهماً وحرصاً ، فرقه الفقه زقاً ، فلما
 علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه ، سيبه إلى المغرب ، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان ،
 ورأوا فروعاً حيرتهم ، ودقائق أعجبتهم ، ومسائل ما طنت على أذن بن وهب وتخرج به
 الخلق ، وفشا مذهب أبى حنيفة (رحه) بالمغرب قلت : فلم لم يفس بالآندلس ؟ قالوا
 لم يكن بالآندلس أقل منه ههنا ، ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال
 لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . فقال : مالك ؟ قالوا : من المدينة .
 قال : عالم دار الهجرة يكفيننا ؟ فأمر بإخراج أصحاب أبى حنيفة . وقال : لا أحب أن

يكون في عملي مذهبان . وسمعت هذه الحكايات من عدة من مشايخ الأندلس والقسم الثالث مذاهب الفاطميّ ، وهي على ثلاثة أقسام : أحدها ما قد اختلف فيه الأئمة مثل القنوت في الفجر ، والجهر باليسجلة ، والوتر بركعة ، وما أشبه ذلك . والثاني الرجوع إلى ما كان عليه السلف ، مثل الإقامة مثنى التي ردها بنو أمية إلى واحدة ، ومثل لبس البياض الذي رده بنو العباس إلى السواد ، والثالث ما تفرّد به مما لا يخالف الأئمة ، وإن لم يعرف له قدمة ، مثل الخيعة في الآذان ، وجعل أول الشهر يوماً يرى فيه الهلال ، وصلاة الكسوف بخمس ركعات وسجدين في كل ركعة وهذه مذاهب الشيعة ، ولهم تصانيف يدرسونها .

ونظرت في كتاب « الدعائم » فإذا هم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول ويقولون بمذهب الإسماعيلية . ولهم فيه سر لا يعلمونه ولا يأخذونه على كل أحد ، إلا من وثقوا به ، بعد أن يحلفوه ويماهدوه . وإنما سموا باطنية لانهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن ، وتفاسير غريبة ، ومعان دقيقة . وهذه الأصول مذاهب الأدرسية وغلبتهم بكورة السوس الأقصى ، وهي قريبة من مذاهب القرامطة .

وأهل المغرب والمشرق في مذاهب الفاطميّ على ثلاثة أقسام : منهم من أقرّ بها واعتقدتها . ومنهم من كفر بها وأنكرها . ومنهم من جعلها في اختلاف الأمة . وأكثر أهل اصقاية حنفيّون . وقرأت في كتاب صنّفه بعض مشايخ الكرامية بنيسابور أن بالمغرب سبعمائة خانقاه لهم ، فقلت لا والله ولا واحدة !

وأما القرامات في جميع الأقليم فقراءة نافع حسب الرسوم ، لا يشهد في هذه الأقاليم الستة إلا معدّل ، وحضرنا يوماً^(١) ملاكا فأمرني أبو الطيب حمدان أن أكتب شهادتي ، فهتّيت بذلك ، ولا يأخذون الميت إلا من الرأس أو الرجلين ، ويصلون كل ترويحة ويجلسون ، ولا يسلخون الأغنام إذا شووها ، ويدخلون

(١) الملاك : الزواج

الحمامات بلا ما آزر إلا القليل ، و بالمغرب رسومهم مصرية ، إلا أنهم قل ما يتطلّسون وكثيراً ما يجعلون الرداء بطاقيين ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباة ، أصحاب قلانس مصبّفة ، والبربر بيرانس سود ، وأهل الرساتيق باكسية ، والسوقة بمناديل ، والتجار يركبون أحمره مصرية وبنالا ، وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق ، وأهل الاندلس أحذق الناس في الوراقه ، خطوطهم مدورة ، وبه تجارات تحمل من برقة ثياب الصوف والاكسية ، ومن اصقلية الثياب المقصورة الجيدة ، ومن افريقية الزيت والفتق ، والزعفران ، واللوز ، والبرقوق ، والمزود ، والانطاع والقرب ، ومن فاس التمر ، وجميع ما ذكرنا ، ومن الاندلس بز كثير ، وخصائص ومعائب ، ومن خصائص الاقليم المرجان ، يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الحرز ، يدخل إليها في طريق دقيق كالمهدية ، من بحرها يرتفع القرن ، وهو المرجان ، لا معدن له غيرها . وهي جبال في البحر ، يخرجون إلى جمعه في قوارب ، ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول ، وربطوا في كل صليب حبلين ، يأخذها رجلان ، فيرميان بالصليب . ويدير النواتى القارب ، فيتعاق بالقرن ثم يجذبونه ، فنههم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم . ثم يجلى في أسواق لهم ، ويباع جزافاً رخيصاً ، ولا اشراق له قبل جايه ولا لون . وبتطيلة سمور كثير (١) .

وبالاندلس السفن (٢) الذي يتخذ منه مقابض السيوف . ويقع اليهم من البحر المحيط عنبر كثير في وقت من السنة ، ويرتفع من اصقلية نوحادر كثير ابيض . وسمعت انه قد انقطع معدنه ، واستغنى عنه أهل مصر بدخان الحمامات .

وأما الارطال فكانت بغدادية في الاقليم كله ، إلا الذي يوزن به الفلفل ، فانه يشف على البغدادى بعشرة دراهم . والآن هو المستعمل في أعمال الفاطمى بالمغرب كله . والمكاييل قفيز القيروان اثنان وثلاثون ثمناً ، والثن ستة أمداد بمدّ النبي

(١) المشهور أنه بسرقسطة ولكن تطيلة هي من عملها

(٢) السفن محرّكة جلد أخش كجلود التماسيح يجعل على قوائم السيوف

صلى الله عليه وسلم . وقفيز الاندلس ستون رطلا ، والرابع ثمانية عشر رطلا . وفنيقة نصف القفيز . ومكاييل الفاطمي الدوار ، وهي التي تشف على وية مصر بشى . يسير قد أجم رأسها بعارضة من حديد ، وأقيم عمود من قاعها الى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الوية ، فاذا اترعها أدار الحديد ، فمسحت فم الوية ، وصح الكيل . وأرطاله رصاص على كل رطل اسم أمير المؤمنين ، فان اجتمعت أرطال بموضع واحد بسيط صبها ، وطبع على كل رطل ، ولو كانت عشرة .

وأما نقوده في جميع أعماله الى أقصى دمشق فالدينار ، يزل عن المثقال بحبة ، أعنى شعيرة ، والسكة مدورة الكتابة . وله ربع صغير يؤخذان بالعدد . والدرهم أيضا زال له نصف يسمونه القيراط ، وربع ، وثمان ، ونصف ثمن ، يسمونه الخرنوبة ، يؤخذ الجميع بالعدد . ولا يرخصون في المعاملة بالقطع ، وسنجهم^(١) من زجاج مطبوع ، كما ذكرنا من الارطال . ورطل مدينة تونس اثنتا عشرة أوقية ، والوقية اثنا عشر درهماً .

والمعجائب بهذا الاقليم كثيرة ، منها ابو قلدون ، وهي دابة تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها ، وهو في لين الخز ، لونه لون الذهب ، لا يفادر منه شيئاً ، وهو عزيز الوجود ، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم ألواناً ، ويمنع السلطان من حمل ذلك الى البلدان ، إلا ما يخفى عنهم ، ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار . بأصقلية جبل تغور منه النار أربعة أشهر ، في كل عشر سنين مرة ، وسائر الاوقات يدخن ، وحوله ثلوج متلبدة ، إلا موضع الدخان .

بمدينة « إيكيجا » عيون تخرج أوقات الصلاة ثم تغور . فان قصدها رجل كان قد قتل نفساً بغير حق لم يخرج له شى .

فان قال قائل : إنك تركت كثيراً من المعجائب في هذا الاقليم لم تذكرها . قيل له : إنما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصانيفهم . ومن مفاخر كتابنا الاعراض

(١) جمع سنجة وهي ما يوزن به كالأوقية والرطل

عما ذكره غيرنا . وأوحش شئ ، في كتبهم ضد ما ذكرنا . ألا ترى أنك إذا نظرت في كتاب الجبهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبه ، وبناء عليه ، وإذا نظرت في كتاب ابن الفقيه ، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزيج الأعظم ، وإذا نظرت في كتابنا وجدته يستبح وحده يتما في نظمه . ولو وجدنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به ، ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الاسلام ، وأرانا أسبابه ، وألهمنا قسمته ، وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين . ألا ترى إلى قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض) (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا) وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر .

بما قاله عن الأندلس لسان الدين بن الخطيب

وقال لسان الدين بن الخطيب السلماني عن مملكة غرناطة ، وقوله هذا في الاحوال الاجتماعية يصدق على جميع الأندلس : أحوال أهل هذا القطر في الدين ، وصلاح العقائد أحوال سنة ، والنحل فيهم معروفة ، فذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية . وطاعتهم للأمراء محكمة . وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة . وصورهم حسنة . وأنوفهم معتدلة غير حادة ، وشعورهم سود مرسلات . وقدودهم متوسطة معتدلة ، إلى القصير . وألوانهم زهر مشربة بجمرة . وألسنتهم فصيحة عربية يتغللها أعراب كثير ، وتغلب عليهم الامالة ^(١) وأخلاقهم أبيّة في معاني المنازعات . وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير . ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاء ، وتفاضل أجناس البر بتفاضل الجدة والمقدار والسكتان والحريير والقطن والموعر والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشقوقة صيفا ، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة ، تحت

(١) عرب الأندلس كانوا يتكلمون بالامالة ، وسنأتي بأمثال من ذلك عد

الاهوية المعتدلة . أنسابهم حسبما يظهر من الاشتراءات والبياعات السلطانية والاجازات
عربية يكثر فيها القرشي^(١) . والفهري^(٢) . والأموي^(٣) . والانصارى^(٤) .
والاوسى^(٥) . والخزرجى^(٦) . والقحطاني^(٧) . والحجيرى^(٨) . والخزومى^(٩) .

(١) قرشه : جمعه من مهنا وههنا وضم بعضه إلى بعض . قال الفراء : ومنه قريش القبيلة
وأبوم النضر ابن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياص بن مضر فكل من كان من ولد
النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه كذا فى الصحاح . قال الزيدى فى تاج
العروس : قلت وعند أئمة النسب كل من لم يلبه فهر فليس بقرشى ، قاله ابن السكبي ،
وهو المرجوع إليه فى هذا الشأن . وقيل سميت قريش بهذا الاسم حين غلب عليها قصى
ابن كلاب ، وكان يقال : تقرش القوم إذا اجتمعوا ، وكان قصى يسمى بجمعاً بجمعه
قريش بالرحلتين ، وقيل لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها ، أولان النضر بن كنانة
اجتمع فى ثوبه يوماً فقالوا تقرش . أولانه جاء إلى قومه يوماً فقالوا كأنه جمل قريش
أى شديد . أو سموا قريش بمصغر القرش ، وهى دابة بحرية سيدة دواب البحر
وبذلك قريش سادات الناس جاهلية واسلاماً ، وقيل سموا بذلك لأنهم كانوا أهل
تجاره ، لا أصحاب زرع وضرع ، من قولهم فلان يتقرش المال ، والنسبة إلى قريش
قرشى ونادراً يقال قريشى

- (٢) هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وقريش كلهم ينسبون إليه
(٣) نسبة إلى بنى أمية ، وهما اميتان الأكبر والأصغر ابنا عبد شمس بن عبد
مناف من قريش ، والنسبة اليهم أموى بضم ففتح وأموى بالتحريك على التخفيف
(٤) نسبة إلى أنصار الرسول عليه السلام
(٥) نسبة إلى الأوس وهو أوس بن قيلة أخو الخزرج
(٦) نسبة إلى الخزرج وكان الخزرج والأوس أخوين ، وهما ابنا قيلة ، وهى
أمهما ، وأبوها حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من عرب اليمن
(٧) نسبة إلى قحطان أبو عرب اليمن ، وقالوا فى نسبه قحطان بن عابر بن شالح
ابن أرغشذ بن سام بن نوح عليه السلام
(٨) نسبة إلى حمير وهو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
(٩) نسبة إلى مخزوم وهو ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأولاده

والتنوخى (١) . والفستاني (٢) . والازدي (٣) . والقيسي (٤) . والمعافري (٥) .
والكناني (٦) . والتميمي (٧) . والمهذلي (٨) . والبكري (٩) . والسكلابي (١٠) . والنمري (١١) .

حتى من قريش ومخزوم أيضاً قبيلة من عبس وهو بن مالك بن غالب بن قطعة
ابن عبس

(١) نسبة إلى تنوخ كصبور قبيلة من اليمن ، قيل إنهم عدة قبائل اجتمعوا وتحالفوا
وقيل تنوخ ونمر وكب ثلاثهم إخوة

(٢) نسبة إلى غسان كشداد وهو ماء نزل عليه قوم من الأزد بين رمح وزيد
من اليمن ، فسموا به وهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث من عرب اليمن

(٣) نسبة إلى الأزد وهو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ ،
ويقال أزد شنوثة وأزد عمان وأزد السراة واستدرك الزبيدي على صاحب القاموس

أزد بن عمران بن عمرو بن عامر ، وقالوا إن الأزد افترقوا على سبع وعشرين قبيلة
(٤) نسبة إلى قيس عيلان وهو أخو الياس الذي هو خندف ، وكلاهما ولد مضر

وقد غلب هذا الاسم على العرب العدنانية ، فالناس يقولون قيس ويمن
(٥) نسبة إلى معافر حتى من همدان من عرب اليمن

(٦) نسبة إلى كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر وهم خمس قبائل
بنو عبد مناة بن كنانة ، وبنو عمرو بن كنانة ، وبنو عامر بن كنانة ، وبنو ملكان

ابن كنانة ، وبنو مالك بن كنانة ، ثم بنو كنانة قبيلة أخرى في تغلب بن وائل ،
وقبيلة من كلب منهم خلف بن حامد الكناني من قضاة الأندلس

(٧) تميم كأثير ابن مرة بن أد بن طابخة أبو قبيلة من مضر مشهورة

(٨) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر حتى من مضر

(٩) نسبة إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه أو إلى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة

ابن خزيمه أو إلى بكر بن عوف بن النخع أو إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب
أو إلى بكر بطن من عذرة

(١٠) كلاب في قريش هو ابن مرة وفي هوازن ابن ربيعة بن صعصعة

(١١) النمر ككتف بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن

ربيعة ، والنسبة إليه نمري بفتح الميم ، والحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
المالكي الأندلسي هو نمري

واليعمرى ^(١) . والمازني ^(٢) . والثقفى ^(٣) . والسلى ^(٤) . والفزاري ^(٥)
والباهلي ^(٦) . والعبسى ^(٧) . والعنسى ^(٨) . والعذرى ^(٩)

(١) يعمر بطن من كنانة وربما كان هذا اللفظ هو اليعفرى، لا اليعمرى، وذلك لأننا نقلنا كلام لسان الدين بن الخطيب عن الاحاطة طبعة مصر، وهى طبعة مشحونة غلطا وتصحيحا وتحريفا. وقد رددنا كثيراً من الفاظها إلى الاصل بالقرينة والاستدلال فان كان هذا اللفظ هو اليعمرى، فيوجد فى العرب قبيلة اسمها يعمر جاء ذكرها فى تاج العروس، إلا أنه لم ينسبها ولكن السويدى ذكر أنها من كنانة. وإن كان هو اليعفرى فينو يعفر هم بطن من حير ويقال لهم الأوزاع

(٢) مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وهم حى مشهور منهم أبو عثمان المازنى النحوى وبنو مازن أيضا من الخزرج، وبنو مازن بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان. وبلادهم الطائف وجبالها

(٣) ثقيف كأمير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان

(٤) نسبة إلى سليم كزبير وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة من قيس عيلان، وهم قبيلة كبيرة منتشرة فى الشرق والغرب، ومنهم أكثر عرب برقة

(٥) فزارة بلالام ابن ذبيان بن غضيب بن ريث بن غطفان، أبو قبيلة من غطفان منهم بنو المشراء وبنو غراب وبنو شمش

(٦) نسبة إلى باهلة قبيلة من قيس عيلان، وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها

(٧) نسبة إلى عبس اسم أصله الصفة وهو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس. وهم رهط الخطيئة الشاعر وعروة بن الورد وإليهم ينسب عنزة بن شداد، وفى بنى هلال أحياء ينسبون إلى عبس

(٧) العنسى بسكون النون بطن من كهلان وإليهم ينسب الأسود العنسى الذى كان فى اليمامة وارتد هو ومسيلة الكذاب

(٩) عنزة بلالام قبيلة فى اليمن وهم بنو عنزة بن سعد هذيم بن سعد بن ليث ابن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة وخواوته الحارث ومعاوية ووائل وصعب بنو سعد هذيم بطون كلهم عنزة وأهمهم عائد بنت مر بن أد، وكذلك منهم سلامان

والحجبي^(١) والضيبي^(٢) والسكوني^(٣) والتميمي^(٤) والعبشمي^(٥) والمرى^(٦) والعقبلي^(٧)

ابن سعد في عذرة أيضا كذا قاله ابن عبيد وهم مشهورون في العشق والعفة حتى ضرب المثل بالهوى العذري ومنهم جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بئنة ، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء

(١) جاء في تاج العروس : والحجبيون محرمة بنو شيبه لتوليتهم حجابة البيت الشريف
(٢) ضبة ابن أدم تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وأبناء ضبة
ثلاثة سعد ، وسعيد ، مصغرا ، وباسل . فسعيد وباسل لا عقب لها فانحصر جماع ضبة في
سعد بن ضبة وهم جمرات العرب

(٣) السكون كصبور حي من العرب ، وهو ابن أشرس بن ثور بن كندة
(٤) في قریش تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، ومن تيم هؤلاء
اثنان من العشرة المبشرين بالجنة ، أبو بكر الصديق ، وأبو محمد طلحة بن عبيد الله ،
وهما يجتمعان في عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، ويجتمعان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرة ابن كعب وفي قریش أيضا تيم بن غالب بن فهر أخو لؤي بن غالب
وفي بني بكر بن وائل ، تيم بن قيس بن ثعلبة بن عكابة وفيهم أيضا تيم بن شيبان بن
ثعلبة وقبل إن تيم بن شيبان هذا هو من بني شيبان بن ذهل ثم في بني ضبة تيم اللات
ابن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد ، وفي الخزرج تيم اللات بن ثعلبة ، قال في تاج
العروس . والتيموم كثيرون

(٥) نسبة إلى عبد شمس ، وهم بطن من قریش ، ويوجد في العرب عبشمس
ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، والعب هنا قيل ضوء الشمس ، وقيل لعاب الشمس
وقيل هو العبي . بالهمز يفتح فيكسر والنسبة أيضا عبشمي قال الشاعر :

وتضحك مني شبيجة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً

(٦) نسبة إلى مرو هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر قبيلة مشهورة ،
وهناك مر ابن عمرو بن العوث بن جلهمة من طيء وإخوته ستة عشر ، ويقال أيضاً
مرى نسبة إلى مرة بالناء . وفي قریش مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النضر ثم إنه يوجد في قيس عيلان قبيلة اسمها بنو مرة ، وهو مرة بن عوف
ابن سعد بن قيس عيلان .

(٧) نسبة إلى عقيل كزبير ، وعقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي بني فزارة
عقيل بن هلال ، وفي أشجع أيضاً عقيل بن هلال .

والفهمي^(١) . والصريحي^(٢) والجزلي^(٣) . والقشيري^(٤) . والكليبي^(٥) . والقضاعي^(٦) .

(١) نسبة إلى فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ردهط تأبط شرا . وفهم أيضا هم فهم الجرات ، بطن من لحم . وفي الأزدي فهم بن غنم بن دوس ، منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرش .

(٢) لم نقف حتى الآن على اسم قبيلة يقال لها الصريح ، وغاية ما رأينا أنه في تاج العروس يقول : (والصريحان قبيلة) ولم يزد على هذه الكلمة شيئاً - ونظراً لكثرة التحريف والتصحيف في طبعة الاحاطة التي أخذنا عنها فيغلب على ظننا أن (الصريحي) هنا إنما هو الصليحي باللام ، فاذا كان كذلك فالصليح نخذ من همدان منهم القاضي محمد بن علي الهمداني الصليحي ، وكانوا قائمين بدعوة العبيديين باليمن كما جاء في سبائك الذهب للسريدي و ذكر السلطان بن رسول صاحب أنساب العرب منهم أمراء .

(٣) نسبة إلى جزيلة كسفية بطن من كندة .

(٤) نسبة إلى قشير كزير وهو قشير بن كهب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن ، والى هذه القبيلة ينسب الامام أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة المشهورة .

(٥) نسبة إلى كلب بن وبرة وهو أخو نمر وتوخ كما في معارف ابن قتيبة وقال العيني : في طيء كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحواف بن قضاة .

(٦) قضاة قبيلة من حمير من القحطانية . وعليه جرى ابن اسحاق والكليبي وغيرهما وذهب بعض النسابين إلى أن قضاة من العدنانية وأنه بن معد بن عدنان . قال ابن عبد البر وعليه الأكثر : قال السويدي : والأشهر هو الأول . قلنا وهو المعتمد عليه . إلا أن النسابة جعفر بن حبيب قال : لم تزل قضاة في الجاهلية والاسلام تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم فالت قضاة إلى اليمن واتممت إلى حمير . وذكر ابن الأثير في الانساب هذا الاختلاف ونقل عن محمد بن سلام المصري وقد سئل انزار أكثر أم اليمن ؟ أنه قال : إن تعددت قضاة فنزار أكثر وإلا فاليمن . ومن الغريب أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان كل منهما له طريق أحدهما يفيد أن قضاة من اليمن والآخر أنها من معد بن عدنان . وهذا برهان على كثرة الوضع في الأحاديث ، وقد رأيت كلا منهما في كتاب أنساب العرب لابن رسول من سلاطين اليمن .

والاصبحي (١) . والمرادى (٢) . والرعيى (٣) . واليحصي (٤) . والتجيبى (٥) .

(١) نسبة إلى ذى أصبح من حمير ، قيل هو الحارث بن عوف بن مالك بن زيد ابن سدد بن زرعة وقال بن حزم ، وهو ذو أصبح مالك بن زيد بن الغوث من ولد سبأ الأصغر . وإلى هذه القبيلة ينسب سيدنا مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الأربعة . وجده الأقرب هو أبو عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان الاصبحي الحميري من التابعين .

(٢) نسبة إلى مراد كغراب وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وفي المصباح : مراد قبيلة من مذحج قال الزبيدي : ومذحج هو مالك بن زيد المتقدم ذكره (٣) نسبة إلى ذى رعين كزبير قال الجوهري إنه من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبا من عرب اليمن ، ورعين حصن أو جبل فيه حصن ، وفي اليمن مخلاف يقال له شعب ذى رعين .

(٤) نسبة إلى يحصب ذكر الحافظ بن حزم في جمهرة الانساب : أن يحصب هو أخو ذى أصبح جد الامام مالك ، وقلعة يحصب بالاندلس سميت بمن نزلها من اليحصيين من حمير ، منها سعيد بن مقرون بن عفان ، والناطقة ابن ابراهيم المحدثان . والقاضى عياض بن موسى صاحب الشفاء ، وعبدالله بن محمد بن معدان اليحصي الاندلسي كتب عنه السلفي .

(٥) تجيب بالضم كما جزم به أهل الحديث ، وأكثر الأدياء : قال الزبيدي في تاج العروس : إن أهل الانساب يميلون إلى فتحه وقال القاضى عياض : إنه بالفتح كما قيدناه عن شيوخنا ، وذهب أبو محمد بن السيد النحوى إلى صحة الوجدتين ، وسمعت الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله يلفظ تجيب بالضم نقلا عن أحد مشايخه في الحديث والتاء في تجيب أصلية عند الخليل ، وتابعه في ذلك الفيروز آبادى مجد الدين ، ولكن الجوهري وابن فارس وابن سيدة ذهبوا إلى أنها زائدة ، والقبيلة بطن من كندة ، قال ابن قتيبة ، ينتسبون إلى جدتهم العليا ، وهى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج وقال ابن الجوائى : هى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منبه بن حريث بن جلد ابن مذحج وهى أم عدى وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون ، قال ابن حزم : كل تجيبى سكونى ولا عكس . ومن تجيب كنانة بن بشر التجيبى قاتل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وهناك قبيلة أخرى اسمها تجوب منها عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فهو تجيبى من مراد ثم من حمير .

والصدفي (١) . والغافقي (٢) . والحضرمي (٣) . واللخمي (٤) .

(١) نسبة إلى صدف ككتف قيل هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وينسب إلى صدف خلق من الصحابة وغيرهم ، نزلوا بمصر واختطوا بها ، ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفي صاحب الامام الشافعي رضى الله عنه ، وقد نزل من الصدف قوم بالأندلس ولهم قرية بغربي الأندلس تقدم ذكرها والنسبة إلى انصدف صدف بالتحريك كراهة الكسرة قبل ياء النسب

(٢) بطن من عك قال ابو عبيد كان منهم في الاسلام أمراء ورؤساء ، ويوجد الغافق بالألف واللام وهم بطن من انمار بن أراش ، وجاء في نفع الطيب أن أكثر أهالي شقورة من الأندلس ينتسبون إلى غافق ، وإلى غافق ينسب عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس الذي استشهد في وقعة بلاط الشهداء

(٣) نسبة إلى حضرموت وهو ابن سبأ الأصغر ، وسميت به مدينة حضرموت ويقال للعرب الذين من حضرموت حضارمة . وقد انتسب إلى هذه البلدة أعيان كثيرون من كل قطر ، وأورد في تاج العروس من أسماء الحضرميين من فقهاء ومحدثين ما ملاً صحيفة كبيرة وابن خلدون إذا انتسب يقول عن نفسه الحضرمي

(٤) قبيلة من كهلان ، جاء في أنساب العرب لابن رسول من ملوك اليمن أن اسم لحم مالك بن عدى . قال : واختلف في لحم وجذام ، فقال قوم : هم ابنا عدى بن عمرو بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن اسحاق : وأكثر أهل النسب على أن لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن الكلبي : لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن رسول : وكل هؤلاء قد أجمعوا أن لحمًا وجذامًا في قحطان . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة باسناد ليس بالقوى : الايمان يمان آل لحم وجذام ، صلوات الله على لحم وجذام ، يقاتلون الكفار على رؤوس الشعف ، ينصرون الله ورسوله . وقالت فرقة : إن قنص بن معد بن عدنان هو أبو لحم ، واحتجوا بحديث روى عن بن الخطاب رضى الله عنه أنه أتى بسيف الزعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة

(١) والجذامى

وعنده جبير بن مطعم ، فقال له عمرو ياجبير من كان النعمان بن المنذر ؟ فقال كان من اشلاء قنص بن معد بن عدنان يعنى من بقايا قنص ، انتهى .

قلنا فى هذه الرواية شك . وإن صححت عن جبير بن مطعم فيكون خطأ منه ، لأن لحم وجذام هم من عرب اليمن ، والقول بخلاف ذلك هو خرق للاجماع قال فى سبائك الذهب : وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق وإنه كان لبقايا لحم ملك باشبيلية من الأندلس ، وهى دولة بنى عباد : وقال القضاعى فى خطط مصر أنهم حضروا فتح مصر واخطوا بها ، وفى صعيد مصر بنو سماك وبنو سهل وبنو شنومة وبنو عدى وبنو راشد وأغاذ كثيرة من لحم ومنهم بنو عمم الذين ينسب إليهم ملوك الحيرة رهط النعمان بن المنذر واسم عمم الأصيلى هو عدى ، ولما كانت عائلة محرر هذه السطور تنسب إلى المناذرة فقد راجعت سلسلة نسبهم إلى لحم فى سجل النسب الارسلاتى المبدوء به سنة ١٤٢ للهجرة المتسلسل خلعاً عن سلف من ذلك التاريخ إلى الآن تحت تصديق القضاة والحكام ، والعلماء الأعلام فوجدته يقول : إن الملك المنذر الذى لقبته العرب بالمغرور هو ابن الملك النعمان أبى قاسم بن الملك المنذر بن الملك المنذر ، وهو ابن ماء السماء مارية ابنة ربيعة التغلبى أخت كليب والمهلل بن الملك امرئ القيس ابن الملك النعمان الأعور ابن الملك امرئ القيس بن الأمير النعمان ابن الملك عمرو بن الملك امرئ القيس بن الملك عمرو ، وهو بن أخت جذيمة الأبرش الذى زوجها من ابنه عدى حتى يملك على لحم . وعدى هو ابن نصر بن ربيعة بن المنذر بن تميم بن عمرو ابن سعد بن ذميل بن الحارث بن زيد بن الحارث بن إباد بن نصر بن فهم بن عامر بن زهير بن مالك بن جزيلة ابن مالك . وهو لحم بن عدى بن عمرو بن عبد شمس ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد العرب العرباء والله أعلم .

(١) نسبة إلى جذام ، وهى بضم الجيم وبالذال المعجمة ، بطن من كهلان ، ويقال ان جذام كان أخا لحم ، وهذه هى الرواية المشهورة ، وإليك لتجد هذين القبيلين دائماً متلازمين . قال الجوهرى : وبزعم نسبة مضر أن جذام من مضر وأنهم انتقلوا إلى اليمن فحسبوا من اليمن . ثم إن جذام هم فى مقدمة العرب الذين فتحوا مصر مع عمرو ابن العاص ، ذكر السويدى فى سبائك الذهب نقلاً عن الحدائق قال : وبالأسكندرية من جذام ولحم أقوام ذوو عدد وعدد ، وأهل شجاعة وإقدام وضرب بالسيف ورشق بالسهم ، ولحم أبام معلومة ، وأخبار معروفة ، ووقائع فى البر والبحر مشهورة . ومن جذام ملوك بنى هود أصحاب سرقسطة

والسلولي (١) . والحكمي (٢) . والهمداني (٣) . والمذحجي (٤) . والخشني (٥) .

(١) سلول فخذ من قيس بن هوازن ، وفي الصحاح والعياب قبيلة من هوازن هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول اسم امهم ، وهي ابنة ذهل ابن شيان بن ثعلبة ، وفي سلول هؤلاء قبيل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) نسبة إلى الحكم وهو مخلاف في اليمن نسب إلى الحكم بن سعد العشيرة من مذحج . قال الزبيدي في تاج العروس : ولبنى الحكم بقية كثيرة باليمن منهم بنو مطير ، وقال ابن الكلبي أن الحكم بن يتبع بن الهون بن خزيمه دخل في مذحج منهم رهط الجراح بن عبد الله الحكمي عامل خراسان

(٣) نسبة إلى همدان بفتح فسكون ، بطن من كهلان ، واسم همدان هو أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قال الزبيدي : والعقب من همدان في جشم بن خيران بن نوف بن همدان ، والعقب من جشم في فخذين لصلبه بكيل وحاشد فمن بكيل في رومان وسوران وخيران ، ومن حاشد في سبيع بن سبع بن صععب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد ولهم بطون متسعة باليمن انتهى .

وهم الذين نصرُوا علياً في حرب صفين حتى قال رضى الله عنه .

فلو كنت و أباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وإلى همدان ينسب الهمداني صاحب الأكليل وصفة جزيرة العرب ، وكان علامة فيلسوفاً ، وقد سمي بهمدان أحد حصون مملكة غرناطة والاسبانيول يقولون د هندن Alhendin ، قلبوا الميم نونا ولفظوا الاسم بالامالة كما سمعوا من العرب الأندلسيين

(٤) مذحج كمجلس هو مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وقيل بل مذحج هو ابن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الزبيدي : وهم شعب عظيم منه بطون وأفخاذ

(٥) نسبة إلى خشين كزبير وهو جابر بن خشين بن عاصم بن لؤي في نسب فزارة وأيضاً هالك خشين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان في قضاة . ومن هؤلاء جرثوم بن ناشر الخشني رضى الله عنه ، ومنهم بشر بن حيان التابعي ، ومنهم محمد بن عبد السلام الخشني أبو عبد الله صاحب كتاب القضاة في قرطبة وولده محمد بن محمد

والبلوى (١) . والجهنى (٢) . والمزنى (٣) . والطائى (٤) . والاسدى (٥) .

وأبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الحثنى الأندلسى الحوى المعروف بابن أبى الركب أخذ عنه الشريشى صاحب المقامات

(١) نسبة إلى بلى كرضى قبيلة معروفة وبلى هو ابن العمرو بن الحافى بن قضاة والنسبة إلى بلى بلوى مثل علوى

(٢) نسبة إلى جهينة بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياء المثناه وفتح النون بعدها حتى من قضاة يسكنون اليوم فى سواحل الحجاز وعددهم كبير

(٣) نسبة إلى مزينة كجهنة قبيلة من مضر . وهو بن أد بن طابخة ، وهم رهط ابن أبى سلى الشاعر صاحب المعلقة . وهم يسكنون اليوم حول المدينة المنورة

(٤) نسبة إلى طىء بفتح الطاء وتشديد الياء وهمزة فى الآخر قبيلة من كهلان كانت منازلهم باليمن فخرجوا على أثر خروج الأزدي منها ، وانتهى أمرهم بالاستيلاء على جبل

أجأ وسلى الذين يعرفان الآن بجبل طىء ، قال السويدي فى سبائك الذهب : وافترقوا فى أول الاسلام فى الفتوحات قال ابن سعيد : هم الآن أمم كثيرة تملأ السهل والجبل

حجازاً وشاماً وعراقاً قال : وهم أصحاب الرئاسة فى العرب إلى الآن فى العراق والشام ومن بنى طىء بنو نهران ، وبنو ثعل المشهورون بالاجادة فى الرمي ، وبنو جرم الذين

أعقابهم فى بلاد غزة ، وبنو بولان بفتح أوله وسكون الثانى ، ومنهم الثلاثة الذين يقال إنهم وضعوا الخط العربى . وكان منهم بنو الجراح أيام الفاطميين ، وكانت

لهم رئاسة على طىء ثم صارت الآن لآل عيسى بن مهنا . ومنهم بنو سنيس طائفة بيطايح العراق ، وطائفة بدمياط من الديار المصرية ، ومنهم بنو لام فى العراق ومنهم

بنو تيم الذين كان يقال لهم مصاييح الظلام ، وهم الذين مدحهم امرؤ القيس . ومنهم بنو صخر فى بلاد البلقاء . ومنهم آل فضل من ربيعة طىء ولهم رئاسة وامارة ، ومنهم

بطون وأفخاذ لا يحصيها إلا خالفها كما أن الأعيان والأعلام المنسوبين إلى بنى طىء لا يحصى عددهم . ومنهم حاتم الطائى الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وأبو تمام الطائى والبحترى كلاهما أشعر شعراء المولدين . ومنهم محي الدين بن عربى المتصوف الشهير

ومنهم ابن مالك النحوى الجياني الأندلسى (٥) نسبة إلى اسد وهو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكذلك

أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهى قبيلة أخرى

والاشجعي^(١)، والعاملي^(٢)، والخولاني^(٣)، والايادي^(٤)، والليثي^(٥)، والختمي^(٦)

(١) نسبة إلى أشجع وهم حى من غطفان كانوا عرب المدينة، وكان سيدهم معقل ابن سنان. قال في العبر: ان منهم بالمغرب الأقصى حياً عظيماً في جهات سجلماسة

(٢) نسبة إلى عاملة وهم حى باليمن من ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ نسبوا إلى أمهم عاملة بنت مالك بن وديعة بن قضاة، أم الزاهر، ومعاوية بن الحارث بن عدى نفسه، ومنهم عدى ابن الرقاع الشاعر قال الجوهري: ويزعم نساب مضر أنهم من ولد قاسط قال الاعشى:

أعامل حتى متى تذهبين إلى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجموا إلى النسب الفاخر الأقدم

قال في تاج العروس: وشذ بن الأثير حيث جعل عاملة من العماقة اه.

وجاء في سبائك الذهب نقلاً عن أبي عبيد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد وأنه كان تحته عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير ابن عدى قال الحمداى: وجبل عاملة من بلاد الشام وقيل إن هذه القبيلة من اليمن نزلت به فقيل له عاملة وقد يحذفون التاء فيقال جبل عامل وهو الواقع بين صيدا وصور من الشمال إلى الجنوب وبين البحر المتوسط وغور الحولة من الغرب إلى الشرق

(٣) نسبة إلى خولان بطن من كهلان وبلاد خولان في اليمن من شرقيه وقد افترقوا في الفتوحات ومنهم بنو سعد وبنو بكر وبنو قيس وبنو الأصهب وبنو حبيب وبنو عمرو وما أتذكره أننى رأيت في الجبل الأخضر من برقة مكاناً إلى الجنوب منه يقال له خولان

(٤) نسبة إلى أياد وهم حى من معد إلا أنهم يسكنون اليمن قال ابن دريد: هما إيادان إياد بنى نذار وإياد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو

(٥) نسبة إلى ليث وهو ليث بن بكر بن عبدمناف بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر وفي التهذيب بنو ليث حى من كنانة

(٦) بنو خثعم بطن من أنمار بن أراش قال في العبر: بلاد خثعم مع اخوتهم بجيلة بسروات اليمن والحجاز. وقال السلطان ابن رسول في كتابه أنساب العرب: واختلف في خثعم وبجيلة فأكثر أهل النسب يقولون أنهما أبناء أنمار بن نزار بن معد ابن عدنان وأنهما لاحقاً باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

والسكسكى (١) . والزيدي (٢) . والثعلبي (٣) . والسكلاعى (٤) . والدوسى (٥)

(١) نسبة إلى سكاسك حى باليمن وهما قبيلتان الأولى من كندة وهو كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد وولد لكندة أشرس وولد لأشرس سكسك ويقال له حميس وهو أخو السكون وحاشد ومالك بنى أشرس . والقيلة الثانية هم بنو زيد بن وائلة بن حمير وزيد هذا كان يلقب بالسكاسك .

(٢) نسبة إلى زيد كزبير وهم بطن من مذحج وهو منبه الاكبر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو جماع مذحج وزيد الأصغر هو منبه بن ربيعة بن سلمة بن هازن ابن ربيعة بن زيد الاكبر قال ابن دريد : زيد تصغير زيد وهو العطية . وينسب إلى زيد عمرو بن معدى كرب الصحابى الفارس المشهور أسلم سنة تسع وشهد الفتوح واستشهد بالقادسية وقيل بناوند رضى الله عنه والقاضى أبو الهذيل محمد بن الوليد بن عامر الزييدى ومحمد بن الحسين الزييدى الاندلسى صاحب القالى ومحمد بن عبيد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزييدى الاشيبلى للغوى نزيل قرطبة .

(٣) نسبة إلى ثعلب ويوجد فى العرب قبائل شتى باسم ثعلبة . فثعلبة فى أسد . وثعلبة فى تميم . وثعلبة بن ربيعة . وثعلبة فى قيس ، وثعلبتان فى طى . وهما ثعلبة بن جذعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى وثعلبة بن رومان بن جندب المذكور قال الزييدى : وقرأت فى أنساب أبى عبيد : الثعالب فى طى يقال لهم مصاييح الظلام كالربائع فى تميم . ويوجد بطن اسمه ثعلبة فى غطفان

(٤) نسبة إلى ذى الكلاع وهما من اليمن أحدهما الأكبر . وهو يزيد بن النعمان الحميرى من ولد شهاب بن وحاضة بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر وذو الكلاع الأصغر هو أبو شراحيل سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر .

(٥) الدوس بن عدنان بن عبد الله وأخطأ بعضهم فظن أنه عدنان بالنقطة الموحدة والحال أنه بالثاء المثلثة وهم قبيلة من الأزدي قال ابن الجوانى النسابة : هو دوس بن عدنان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن أزد منهم أبو هريرة الدوسى الصحابى المشهور ، ودوس أيضاً قبيلة من قيس وهم بنو قيس بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان .

والحوارى (١) . والسلماني (٢)

هذا ويرد كثير من شهادتهم ، ويقل من ذلك السلمى نسباً والدوسى والحوارى والزبيدى ، ويكثر فيهم كالانصارى والحيدى (٣) والجذامى والقيسى والغسانى وكفى بهذا شاهداً على الاصلالة ودليلاً على العروبة .

وجندهم صنفان : اندلسى ، وبربرى . والاندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة وحصى (٤) من شيوخ الممالك ، وزيتهم فى القديم شبه زى اقيالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج : اسباغ الدروع ، وتعليق الترسة ، وجفاء البيضات ، واتخاذ عراض الأسنة ، وبشاعة قرابيس السروج ، واستركاب حملة الرايات خلفه ، كل منهم بصفة تختص بسلاحه ، وشهرة يعرف بها . ثم عدلوا الآن عن هذا الذى ذكرنا الى الجواشن المختصرة ، والبيض المرهفة ، والدرق العريية ، والسهام الأمطية (٥) ، والاسل العطفية . والبربرى يرجع الى قبائله المرينية ، والزنازية ، والنجانية ، والمغراوية ، والمعجيسية

(١) لم نجد فى ما قرأناه الى الآن قبيلة لها هذه النسبة وإنما ورد فى تاج العروس : وحوار كغراب صقع بهجر ، وكذلك بلد الحيرة بقرب الكوفة النسبة اليها حيرى وحوارى وقد تكون هذه اللفظة من جملة الألفاظ التى حرفها النساخ فأصبح لا يعرف أصلها .

(٢) نسبة الى سلمان بطن من مراد وهو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد قال الرشاطى : وأهل الحديث يفتحون اللام . منهم عبيدة بن عمرو وقيل ابن قيس الكوفى السلماني أسلم فى حياة النبي عليه السلام ولم يره وروى عن على وابن مسعود . وإلى هذه القبيلة ينسب الوزير العلامة لسان الدين بن الخطيب الذى تنقل كلامه الآن . ويوجد بطن من جذام اسمهم السلماني بالالف واللام

(٣) لعله يريد الحميدات وهم من بنى أسد بن عزي ينسبون إلى حميد بن زهير بن الحرث بن راشد كما فى التوشيح قاله الزبيدى فى تاج العروس .

(٤) الحصى بالحاء المهملة المعروف بالعقل .

(٥) نسبة إلى قبيلة من البربر اسمها اللط معروفة بنوع من الدرق إلى النهاية فى

المتانة ولكن الموصوف هنا هو السهام .

والعرب المغربية ، الى أقطاب ورؤوس يرجع أمرهم الى رئيس على رؤسائهم ، وقطب لعرفائهم ، من كبار القبائل المرينية ، يمت الى ملك المغرب بنسب . والعمام تقل في زى هذه الحضرة ، إلا ما شذف في شيوخهم وقضائهم وعلماهم والجنود العربى منهم . وسلاح جموعهم العصى الطويلة المثناة بعصى صغار ذوات عرى في أوساطها ، ترفع بالانامل عند قذفها ، تسمى « بالامداس » وقسمى الافرنجة يحملون على التدريب بها على الايام . والمواسم متوسطة ، وأعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد . والغنى بمدينتهم فاش ، حتى في الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيراً من الاحداث كالحفانين ومثلهم . وقوتهم الغالب البر الطيب عامة العام ، وربما اقتتت في فصل الشتاء الضعفة والبوادي والفعلة في الفلاحة الذرة العربية . ومثل أصناف القطانى الطيبة .

وفوا كههم اليابسة عامة العام متعددة ، يدخرون العنب سليما من الفساد الى شطر العام ، الى غير ذلك من التين ، والزبيب ، والتفاح ، والرمان ، والقسطل (١) ، والبلوط ، والجوز ، واللوز ، الى غير ذلك مما لا يتفد ولا ينقطع ، إلا مدة في الفصل الذى يزهد في استعماله .

وصرفهم فضة خالصة ، وذهب ابريز طيب محفوظ ، ودرهم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين ، في الاوقية منه سبعون درهما ، يختلف الكتب فيه : فعلى عهدنا في شق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفي شق آخر : « لا غالب إلا الله » غرناطة . ونصف ، وهو القيراط ، في شق : « الحمد لله رب العالمين » وفي شق : « وما النصر إلا من عند الله » ونصفه ، وهو الربع ، في شق : « هدى الله هو الهدى » وفي شق : « العاقبة للتقوى » .

ودينارهم في الاوقية منه ستة دنانير وثلثا دينار ، وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية ، وفي شق منه : « قل اللهم مالك الملك (الى) بيدك الخير » ويستدير به قوله تعالى : « وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفي شق :

(١) هو ما يقال له الكستنا

« الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين ابى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل ابن نصر أيد الله أمره » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » ولتاريخ تمام هذا الكتاب في وجه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » وفي وجه : « الامير عبد الله الغنى بالله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر أيد الله وأعانه » ويستدير بربع : « بمدينة غرناطة حرسها الله » .

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حبل العصير ، أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفحوص باولادهم وعبائهم ، معولين في ذلك على شهامتهم . وأسلحتهم على أكتاد دوابهم ، واتصال أمصارهم بمحدود أرضهم ، وحلبهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في أولى الجدة ، واللجين في كثير من آلة الراجلين فيمن عداهم ، والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ، ونفيس الجواهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة ، أو اصالة معروفة موقرة .

وحر بهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشور ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاوره ، إلا أن الطول ينذر فيهن . وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبتات ، والتنافس بالذهبيات والديباجيات ، والتماجن في اشكال الحلى الى غاية ، نسأل الله أن ينض عنهن فيها عين الدهر ، ويكف كف الخطب ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه بمرزته وقدرته . انتهى . قلت : كيف لو عاش ابن الخطيب في عصرنا هذا ! فماذا كان يقول ياليت شعري ! ؟ والله الأمر من قبل ومن بعد ! .

ما ذكره المقرئ في النصح عن أنساب عرب الأندلس

قال : إنه لما استقر قدم أهل الاسلام في الأندلس ، وتنام فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها ، فنزل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم ، إلى أن كان من أمرهم ما كان . فأما المدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش . وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة الأنفس : بالأندلس منهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد انتشار ملك بني أمية . وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس . قال ابن سعيد : ويعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين ، وربما عموا نسبهم إلى أمية في الآخر ، لما انحرف الناس عنهم ، وذكروا أفعالهم في الحسين رضي الله عنه . وأما بنو زهرة فمنهم ناشيلية أعيان متميزون . وأما الخزوميون فمنهم أبو بكر الخزومي الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن المدور . ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر أبو بكر بن زيدون ، ووالده الذي هو أعظم منه ، أبو الوليد ابن زيدون وزير معتضد بنى عباد .

قال ابن غالب : وفي الأندلس من ينسب إلى ججح ، وإلى بنى عبد الدار ، وكثير من قريش المعروفين بالفهريين من بنى محارب بن فهر ، وهم من قريش الظواهر ، ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الأندلس . ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء ، وبنو الجد^(١) الأعيان العلماء . ومن بنى محارب بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، سلطان الأندلس ، الذي غلبه عليها عبد الرحمن الأموي الداخل وجد يوسف عقبة بن نافع الفهري ، صاحب الفتوح بأفريقية . قال ابن حزم : ولهم بالأندلس عدد وثرورة .

وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير ، وجلهم في طليطلة وأعمالها ، ولهم

(١) لمولاي سليمان سلطان المغرب تأليف خاص في نسب بنى الجد الذين يقال لهم

ينسب الوشقيون الكنانيون الأعيان الفضلاء ، الذين منهم القاضي أبو الوليد ، والوزير أبو جعفر ، ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة ، وقد ذكرناه في محله .

وأما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة أريولة من كورة تدمير . وأما تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أيضاً أنهم خاق كثير بالأندلس ، ومنهم أبو الطاهر صاحب المقامات اللزومية . وأما ضبة بن أد بن طابخة فذكر أنهم قليلون بالأندلس . فهؤلاء خندف من العدنانية .

وأما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية ففي الأندلس كثير منهم ينتسبون إلى العموم ، ومنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس ، كعبد الملك بن حبيب السلمى الفقيه ، صاحب الامام مالك رضى الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة . ومن قيس من ينتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة . قال ابن غالب : وهم بأشبيلية خاق كثير ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن هوازن قال ابن غالب : ولهم منزل بجوفى بانسية ، على ثلاثة أميال منها وبأشبيلية وغيرها منهم خاق كثير ، ومنهم بنو حزم ، وهم بيت غير البيت الذى منه أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهرى ، وهو قارىبى الأصل^(١) ومنهم من ينتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن . وذكر ابن غالب أن منهم بفرناطة كثيرا كبنى جودى وقد رأس بعض بنى جودى . ومنهم من ينتسب إلى سلول ، امرأة نسب إليها بنوها وأبوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى نمير بن عامر بن صعصعة . قال ابن غالب : وهم بفرناطة كثير ومنهم من ينتسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومنهم بلج بن بشر صاحب

(١) الأفرنج مجموعون على أنه من أصل اسبانيولى

الأندلس وآله وبنو رشيق . ومنهم من ينتسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . ومنهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث ابن غطفان . ومن هؤلاء ، محمد بن عبد الله الأتجمي سلطان الأندلس وفي تقيف اختلاف : فمنهم من قال إنها قيسية ، وإن تقيفاً هو قيس بن منبه ابن بكر بن هوازن ، ومنهم بالأندلس جماعة ، وإليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الأندلس وقيل إنها من بقايا نمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار . قال في فرحة الأنفس : ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم . بجوف مدينة وادي آش انتهى والأشهر بالنسبة إلى أسد أبداً بنو أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر ، ومنهم من ينتسب إلى محارب بن عمرو بن وديعة بن بكير بن افضى بن دعوى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة ، . قال ابن غالب في فرحة الانفس : ومنهم بنو عطيه أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى النمر بن قاسط بن هنب بن افضى بن دعوى بن جديلة بن أسد كبنى عبد البر الذين منهم الحافظ ابو عمر بن عبد البر ، ومنهم من ينتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ، كبنى حمديس أعيان قرطبة ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن وائل كالبكرين أصحاب أونبة وشلطيش ، الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف . انتهت ربيعة .

وأما إياد بن نزار ، وقد يقال انه ابن معد ، والصحيح الاول ، فينتسب اليهم بنو زهرة المشهورون بأشبيلية وغيرهم . انتهت العدنانية . وهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام .

واختلف في القحطانية ، هل هم من ولد اسماعيل ؟ أو من ولد هود ؟ على ما هو معروف ، وظاهر صنيع البخاري الاول ، والاكثر على خلافه . والقحطانية هم المعروفون باليمانية ، وكثيراً ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس ، كما كان يقع بالشرق ، وهم الاكثر بالأندلس ، والملك فيهم أرسنخ ، إلا ما كان من

خلفاء بني أمية ، فان القرشية قدمتهم على الفرقتين ، واسم الخلافة لهم بالمشرق . وكان عرب الأندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والاختاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس ، وقصد بذلك تشتيتهم ، وقطع التحامهم وتمصيبهم في الاعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل ، فأنحسمت مادة الفن والاعتزاء بالأندلس ، إلا ما جاءت على غير هذه الجهة .

قال ابن حزم : جامع أنساب اليمن من جرم بن كهلان ، وحمير بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل قحطان بن الهمة يسع بن تيهان بن نابت بن اسماعيل ، وقيل قحطان بن هود ابن عبد الله بن رباح بن جارف بن عاد بن عوص بن إرم بن سام . والخلف في ذلك مشهور ، فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومنهم الأزدي ابن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، واليهم ينتسب محمد بن هاني . الشاعر المشهور الألييري ، وهو من بني المهلب . ومن الأزدي من ينتسب إلى غسان ، وهم بنو مازن بن الأزدي ، وغسان ماء شر بوامنه . وذكر ابن غالب ان منهم بنو القسيبي من أعيان غرناطة ، وكثير منهم بصالحه ، قرية على طريق مالقة ، ومن الأزدي من ينتسب إلى الأنصار على العموم ، وهم الجرم الفقير بالأندلس .

قال ابن سعيد : والمعجب أنك تعلم هذا النسب بالمدينة ، وتجد منه بالأندلس في أكثر بلدانها ما يشد عن العدد كثرة . ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه إلا شيخاً من الخزرج ، وعجوزاً من الأوس . قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة ، وهم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها ومغربها انتهى . ومن الخزرج بالأندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء ، من ولد سعد بن عبادة ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور بالموشحات . وإلى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة ، الذين كان لسان

الدين بن الخطيب أحد وزرائهم ، وعليهم اقترض ملك الأندلس من المسلمين ، واستولى العدو على الجزيرة جميعاً كما يذكر . ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخى الخزرج ، ومنهم من ينتسب إلى غافق بن عك بن عديان بن أزان بن الأزد . وقد يقال عك بن عدنان بالنون . فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب : من غافق : أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب ، وأكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق . ومن كهلان من ينتسب إلى همدان ، وهو أوسلة ابن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، ومنزل همدان ^(١) مشهور ، على ستة أميال من غرناطة . ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى . ومن كهلان من ينتسب إلى مذحج . ومذحج اسم أكمة حمراء بالين ، وقيل اسم أم مالك وطىء بن أدد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : بنو سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج . ومنزل طىء بقبلى مرسية . ومنهم من ينتسب إلى مراد بن مالك بن أدد . وحصن مراد بين أشبيلية وقرطبة مشهور . قال ابن غالب : وأعرف بمراد منهم خلقا كثيرا . ومنهم من ينتسب إلى عنس بن مالك بن أدد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب . وقلمة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة . ومن مذحج من ينتسب إلى زبيد قال ابن غالب : وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد . ومن كهلان من ينتسب إلى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى عاملة . وهى امرأة من قضاة ، ولدت للحرث بن عدى بن الحرث مرة بن أدد فتسب ولدها منه إليها . قال ابن غالب : منهم بنو سبائك القضاة من أهل غرناطة . وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل هم من قضاة .

(١) الاسبان يسمون هذا المكان « هدين » Hendin لأنهم قلبوا الميم نوناً ثم لفظوا الألف بالأماله فصارت كاليا .

ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مُرّة . وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية . ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى المعافرين يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة ، منهم المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس . ومنهم من ينتسب إلى لحم بن عدى بن الحرث بن مرة . منهم بنو عباد أصحاب اشبيلية وغيرها . وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة . ومنهم بنو الباجي أعيان اشبيلية ، وبنو وافد الأعيان . ومنهم من ينتسب إلى جذام ، مثل ثوبة بن سلامة صاحب الأندلس ، وبنو هود ملوك شرق الأندلس . ومنهم المتوكل ابن هود الذي صحت له سلطنة الأندلس بعد الموحدين . ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الأندلس . قال بن غالب : وكان لجذام جزء من قلعة رباح . واسم جذام عامر ، واسم لحم مالك ، وهما ابنا عدى

ومن كهلان من ينتسب إلى كندة ، وهو ثور بن عفير بن عدى بن مرة بن أدد ، ومنهم يوسف بن هرون الرمادي الشاعر . ومنهم من ينتسب إلى تُجيب ، وهي امرأة أشرس بن السكون بن أشرس بن كندة . ومن كهلان من ينتسب إلى خُشم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الفوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبي نسعة^(١) سلطان الأندلس . وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد ابن عدنان . انتهت كهلان .

وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب إلى ذى رعين . قال ابن غالب : وذو رعين هم ولد عمرو بن حمير في بعض الأقوال ، وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معارية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الفوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع بن حمير . قال : ومنهم أبو عبد الله الحنّاط الأعمى الشاعر . قال الحازمي في كتاب النسب : واسم ذى رعين

(١) أكثر الأفرنج يجعلون عثمان بن أبي نسعة هذا الذي تزوج بابنة الكونت اود

ملك غالبا بربريا ولم نعلم سندهم في ذلك

عريم بن زيد بن سهل . ووَصَلَ النسب . ومنهم من ينتسب إلى ذى أصْبَح . قال ابن حزم : هو ذو أصْبَح بن مالك بن زيد من ولد سبا الأصغر ابن زيد بن سهل ابن عمرو بن قيس ، ووَصَلَ النسب . وذكر الخازمي أن ذا أصْبَح من كهلان . واخبر أن منهم مالك بن أنس الامام ، والمشهور أنهم من حمير . والأصبحيون من أعيان قرطبة . ومنهم من ينتسب إلى يحصب قال ابن حزم : إنه أخو ذى أصْبَح ، وهم كثير بقلعة بنى سعيد ، وقد تُعْرَف من أجدادهم في التواريخ الأندلسية بقلعة يحصب . ومنهم من ينتسب إلى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن العوث . قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان أشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى قُضَاعَة بن مالك بن حمير ، وقد قيل إنه قضاعة بن معد بن عدنان ، وليس بمرض ومن قضاعة من ينتسب إلى مهرة ، كالوزير أبي بكر بن عمار ، الذي وثب على ملك مرسية ^(١) ، وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ومنهم من ينتسب إلى خشين بن تنوخ ، قال ابن غالب : وهو بن مالك بن فهم بن نمر ابن وبرة بن تغاب . قال الخازمي : تنوخ هو مالك بن فهم بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة . ومنهم من ينتسب إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ومنهم البلويون الاشبيلية . ومنهم من ينتسب إلى جهينة بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . قال ابن غالب : وقرطبة منهم جماعة . ومنهم من ينتسب إلى كلب بن وبرة بن تغاب بن حلوان ، كبنى أبي عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها . ومنهم من ينتسب إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وقرطبة واشبيلية ^(٢) و بطليوس وقرطبة . قال ابن غالب : وهم كثير بالأندلس ،

(١) وهو الذي قتله المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لهجوه اياه هجوا مقذعاً

(٢) ابن خلدون صاحب التاريخ هو من حضارمة اشبيلية ولا تزال في اسبانيا وثائق خطية تثبت املاك بني خلدون في ذلك الصقع

وفيه خلاف ، قيل : إن حضرموت هو ابن قحطان ، وقيل هو حضرموت بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن العوث بن جيدان بالجيم بن قَطَّان ابن العريب بن الفرز بن نبت بن أيمن بن الهيسع بن حمير . كذا نسق النسب الحازمي ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى سلامان ، ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله .

وقد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية ، وإن تقدم ، ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول : طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ثم الأمير موسى بن نصير ، وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسريره اشبيلية ، ثم أيوب بن حبيب اللخمي وسريره قرطبة . وكل من يأتي بعده فسريره قرطبة ، والزهران والزاهرة بجانيها ، إلى أن انقضت دولة بني مروان ، على ما ينبه عليه ، ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ثم السَّمْح بن مالك الخولاني ، ثم عبد الرحمن بن عبد الله العافقي ، ثم عنبسة بن سحيم الكلابي ، ثم عذرة بن عبد الله الفهري ، ثم يحيى بن سلمة الكلابي ، ثم عثمان بن أبي نسمة الخثعمي ، ثم حذيفة بن الأحوص القيسي ، ثم الهيثم بن عبيد الكلابي ثم محمد بن عبد الله الأشجعي ، ثم عبد الملك بن قَطَّان الفهري ، ثم بلج ، ثم بشر ابن عياض القشيري ، ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم أبو الخطار بن ضرار الكلابي ، ثم ثوابة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري . وههنا انتهى الولاية الذين ملكوا الأندلس من غير موارثة ، أفرادا ، عددهم عشرون ، فيما ذكر بن سعيد ، ولم يتعدوا في السمة لفظ الأمير قال ابن حيان . مدتهم ، منذ تاريخ الفتح من لنريق سلطان الأندلس النصراني ، وهو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين إلى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك بقرطبة ، وهو يوم الأضحى لمشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة - ست وأربعون سنة وخمسة أيام اه .

ثم كانت دولة بني أمية ، أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
ثم ابنه هشام الرضى . ثم ابنه الحكم بن هشام . ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط . ثم
ابنه محمد بن عبد الرحمن . ثم ابنه المنذر بن محمد . ثم أخوه عبد الله بن محمد . ثم ابن
عمه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله . ثم ابنه الحكم المستنصر ، وكرسيهما
الزهراء . ثم هشام ابن الحكم . وفي أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبي عامر الزاهرة . ثم
المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . وهو أول خلفاء الفتنة ، وهدمت في
أيامه الزهراء والزاهرة ، وعاد السيرير إلى قرطبة . ثم المستعين سايمان بن الحكم بن
سليمان بن الناصر ، ثم تخلت دولة بني حمود العلويين ، وأولهم الناصر على بن حمود
العلوى الادريسي . ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود . ثم كانت دولة بني أمية الثانية
وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ثم المستكفي محمد
ابن عبد الرحمن بن عبد الله . ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ،
وهو آخر خلفاء الجماعة بالأندلس . وحين خلع اسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة
المروانية ، واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة ، وابن عباد باشبائية ،
وغيرهما ، ولم يمد نظام الأندلس إلى شخص واحد إلى أن ملكها يوسف بن تاشفين
الملم من بر العدو ، وقتك بملوك الطوائف ، وبعد ذلك ما خاصت له ولا لولده على
ابن يوسف ، لأن بني هود نازعوه في شرقها بالشعر ، إلى أن جاءت دولة عبد المؤمن
وبنيه . فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذي كان ينازعه في شرق الأندلس
ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ، ثم لمن بعده من بنيه ،
وحضرتهم مراکش . وكانت ولايتهم تتردد على الأندلس وممالكها ، ولم يوأوا على
جميعها شخصاً واحداً لعظم ممالكها ، إلى أن انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن
هود من بني هود ، ملوك سرقسطة ، وجباتها ، فملك معظم الأندلس بحيث يطلق عليه
اسم السلطان ، ولم ينازعه فيها إلا زيان بن مردنيش في بانسية من شرق الأندلس ،
وابن هلاله في طبيرة من غرب الأندلس . ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته

ولما قتله وزيره ابن الرميى بالمرية زاد الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر . وكان عرب أهل الأندلس فى المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبى زكريا يحيى ابن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص . ثم تقلصت تلك الظلال ، ودخل الجزيرة الانحلال ، إلى أن استولى عليها حزب الضلال . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

نظرة إجمالية

إن اسبانية والبرتغال ليستا على وجه الاجمال معروفتين حق المعرفة عند الناس ومهما اتسعت المعلومات عنهما فالناس تعلم عن أكثر البلدان الأوربية ما لا تعلمه عنهما ، لأن الممالك المعدودة كأنموذجات للمدنية الحاضرة ، والمعاصم التى يقصد إليها السياح لأجل الفرجة والاستشفاء أو البحث . ويؤمها الطلبة لأجل تحصيل العلوم . ليست فى اسبانية ولا فى البرتغال ، وإذا رجعنا إلى طبيعة الأرض ، وبداعة المناظر فايس فى الجزيرة الايبيرية فى الحقيقة من تنوع المناظر الساحرة ما فى إيطاليا مثلاً ، كما أن السائح لا يرى فيها تلك المروج الزمردية ، والبحيرات اللطيفة ، والجبال الشاخحة ، المعمة بالثلج ، ولا مسارح السمحات التى يراها فى سويسرة ، ولكن مما لا جدال فيه أن مواقع معدودة من اسبانية والبرتغال تعد من أبداع مواقع العالم ، وأنها المثل الأعلى من جهة الجنان والبساتين .

أما من جهة المدنية فهى فى جنوبي اسبانية راجعة الى أشد أدوار التاريخ توغلاً فى القدم ، وقد كان للفينيقيين فى هذه البلاد دور طويل عريض ، وقد أثروا فيها آثاراً لاتزال بقاياها ماثلة إلى الآن ، ثم جاء الرومانيون ، وكانت لهم طبيعة عمرانية معروفة لهم شرقاً وغرباً ، فوجدوا مجال العمل فى اسبانية ذاسعة ، فعملوا ، وبنوا ، وأثروا ، وأثلوا ، وتركوا آثاراً ناطقة بفضلمهم ، وجسوراً وأقنية معلقة منبثة عن شأومهم ، وملاهى وهياكل ، كالتى فى ماردة ، وطرق كونة ، ومريبطر ، وغيرها مما لا يدرسه الزمان ، ولا ينال منه الحدثنان .

وجاء بعد ذلك العرب فأثلوا في الجزيرة الايبيرية ، أو الجزيرة الاندلسية على رأيهم ، حضارة عربية شرقية بلغت من الأبهة ، والفراهة ، وسلامة الذوق ، سدره المنتهى ، فلا تكاد تمر بـ مكان إلا للعرب فيه آثار باهرة ، وعنهم أخبار تتحدث بها السامرة ، ولا يزال نظام سقيا الجنان ، وتوزيع المياه على الارضين ، هو النظام الذى رتبوه فى أيامهم ، ثم انه لا ينكر ان الفن المسيحى ، سواء فى القرون الوسطى ، أو من بعد عهد النهضة Renaissance قد ترك فى اسبانية آثاراً فاخرة ، ومباني فخمة ، كقصر الاسكوريال مثلاً .

فالذين يقصدون إلى اسبانية من السياح لا تخيب آمالهم ، ولا تذهب نفقاتهم سدى ، وذلك لأن السائح الأوربى يجد دائماً فى اسبانية أشياء جديدة بالنسبة اليه . فالبلاد كلها عبارة عن جزيرة يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، وتحيط بها جبال البرانس الشاخنة من الجهة الرابعة ، فهي معزلة فى مكانها ، منتبذة من اوروبا زاوية خاصة بها ، غير متأثرة بغيرها ، محتفظة بجميع مميزات وخصائصها ، لا هى شرقية تماماً ، ولا هى غربية تماماً ، بل هى متوسطة بين اوروبا وأفريقية ، واصلة بين المشرق والمغرب ، منظوية فى أحناء وجودها هذا المستقل على أسرار لا يعرفها إلا من أكثر من التجوال فيها ، وقرن السير بالنظر .

وهناك شعب شديد الحزوانة قائم بذاته ، لا يشبه غيره ، ولا يريد أن يتشبه بغيره ، وله مآخذ ومتارك لا ينزل عنها ، وهو بفطرته لا يحب تقايد الشعوب الاخرى ، بل هو من قديم الزمان مستمسك بأوضاعه ، متعال عن السير وراء أقرانه ، لا يرضى بما لديه بدلاً ، ولا يبتغى عما ائتمفه جِوْلاً .

نعم من جهة الصناعة وفن الرسم والتصوير قد يقلد الاسبانيول سواهم ، بل يجد الناظر فى كنائسهم وقصورهم آثاراً للفن الايطالى ، الذى يدور على محاكاة الطبيعة . وكذلك يجد فى رسومهم وتصاويرهم تأثير الفن الافرنسي ، والفلمنكي ، بل ليس فى اسبانية فن تصوير خاص بها ، ولا فن بناء خاص بها ، وإنما هى محاكاة للامم

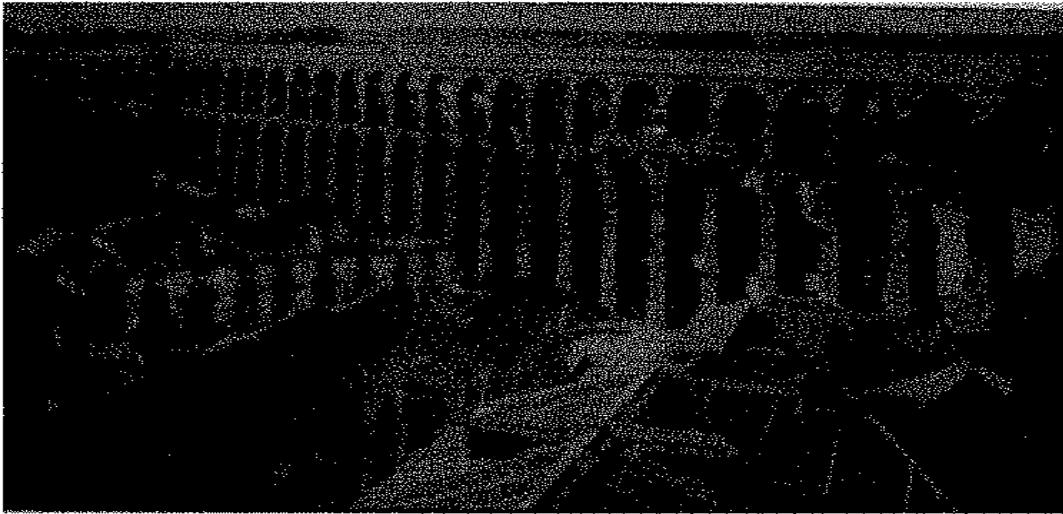
الغريبة الاخرى مع جزء فيها من الطبع الاسباني . وإذا كان السائح الاوربي لم يعرف بلاد الشرق ، أو لم يقيض له أن يزور بلاد الاسلام ، فانه يجد في اسبانية آثاراً عربية ، تكفيه لأخذ صورة حقيقية عن المدنية الاسلامية ، التي منها في الأندلس أمثلة كافية ، وقطع تعد من أنفس وأرقى ما تركه العرب من الآثار في الارض .

وأما السائح الشرقي فانه يقضى سياحته في أسبانية متأملاً ، غائصاً في بحار العبر هائماً في أودية الفسك . كلما عثر على أثر عربي خفق له قلبه ، واهتزت أعصابه ، وتأمل في عظمة قومه الخالين ، وما كانوا عليه من بعد نظر ، وعلو همم ، وسلامة ذوق ، ورفق يد ، ودقة صنعة . وكيف سمت بهم همهم إلى أن يقوموا بتلك الفتوحات في ما وراء البحر في مجبحة النصرانية ، وملتطم أمواج الأمم الأوربية ، وأن يبنيوا فيها بناء الخالدين ويشيدوا فيها ألوفا من الحصون ، وأن يملأوها أساساً وغراساً ، كأنهم فيها أبد الآبدن ، فلا يزال قلب السائح المسلم في الأندلس مقسماً بين الإعجاب بما صنعه آباؤه فيها ، والابتهاج بما يعثر عليه من آثارهم ، وبين الحزن على خروجهم من ذلك الفردوس الذي كانوا ملكوه ، والوجد على ضياع ذلك الارث الذي عادوا فتركوه ، وأكثر ما يغلب عليه في سياحته هناك هو الشعور بالألم ، فهو لا يزال يسير بين تأمل وتآلم ، وتفكر ، وتحسر ، لكنه يريد مع ذلك أن يقتري هذه الآثار ، وأن يمشی في مساكن أولئك الآباء ، وأن يخاطب الأحجار ، وذلك لأنه لهوى النفوس سرائر لا تعلم ، من جماتها أنها تنزع إلى البكاء عند دواعي الوجد ، كما ترتاح إلى الطرب عند بواعث السرور ، وأنها قد تهتف بالأمرين معاً ، وتجمع الضدين شرعاً ، وأن كل ما هو حنين وتذكار ، وولوع بعد الأعيان بالآثار ، هو من سرائر البشرية ، ومما هو غالب على النفس الناطقة .

العمارة والفن في اسبانية

هذا ، وإذا حاولنا تحليل الإنشاء العمراني الذي يعول عليه في اسبانية وجدناه ينقسم إلى أربعة أدوار : روماني ، وقوطي ، وعربي ، وأوربي متجدد ، فالروماني أعظم آثاره متجلية في مدينة ماردة ، قاعدة « لوزيتانيا » التي بناها أغسطس ، ففيها الجسر الذي كانت له ٨١ حنية ، وفيها القناتان المعلقتان ، وفيها الملهى التمثيلي ، وفيها ملهى التمثيل البحري وفيها الملعب العام ، وفيها هيكل المريح الذي تحول فيما بعد كنيسة وفيها قوس النصر الشهيرة ، وغير ذلك من المباني الخالدة . وطركونة فيها عدة هياكل وملهى تمثيلي ، وملعب وحمامات ، وجميعها من أنعم المباني الرومانية التي يقيدتها التاريخ لتلك الأمة العظيمة . وسقوية Ségopice هي ذات القناة المعلقة التي طولها ٨١٨ متراً ، منها ٢٦٦ متراً راكبة على طاقتين من الحنايا ، الواحد فوق الآخر ، عدد قناطرها ١١٩ قنطرة ، وهو أكمل وأروع بناء روماني في اسبانيا .

وأما القوطي فأقدم آثاره في « أوبيط » Oviedo وهي كنيسة « سان ميكال دولينو » San Mikal de Lino من بناء رامير الأول (٨٤٢ - ٨٥٠) وكنيسة



القناة الرومانية المعلقة في شقوية

« سانتا مارية نارنكو » Naranco وغيرها . وفي برشلونة اديار البندكتيين « سان بابلو دالكبو San Pablo delcampo و « سانت بدرو دولاس بويلاس » San Pedro de Las Puellas من أبنية القرن العاشر .

وبعد ذلك لعهد بداية الكثرة الاسبانيولية على العرب ظهرت صنعة جديدة في البناء تدل عليها كنائس ذلك الوقت ، يكثر في بنائها شكل الصليب ، ويقل الزخرف ، وتمتاز بالرصانة والمتانة . ومن هذا النوع كنيسة « سانت ياقو دو كومبوستيلا » De Compostela التي يرجع بناؤها إلى سنة ١٠٦٠ ، وقد امتد إلى سنة ١٠٩٦ وهي تقليد لكنيسة « سان سرنين » في طلوزة . وعلى نسق هذه الكنيسة بنيت كنيسة « سان ايزيدورو » في ليون بين سنتي ١٠٦٣ و ١١٤٩ و « سانتا مارية » في « كورنية » وسان بدرو في وشقة وغيرها . ثم في القرن الثاني عشر بدأوا في اسبانية يقلدون نسق البناء المعروف في فرنسا ، ويقال له هناك غوتيق Gothique وأصله نسبة إلى القوط ، ولكنه ليس بالقوطي الاسبانيولي القديم ، فبنيت كنائس في طلمنكة ، وطر كونة ولاردة ، وتطيلة ، وآبله ، وسقوية ، على هذا النسق . وقد فاقت في الضخامة جميع ما تقدمها .

وفي مدينة برغش Burgos كنيسة كبرى بناها المطران موريسيو سنة ١٢٢١ تحتوي مجموعة فنون البناء في الثلاثة الاعصر الاخيرة لذلك العهد . وكان يقال انها أبداع كنيسة في اسبانية . بناها الاستاذ يوحنا الكولوني Jean Cologne وكان من بلدة كولونية بناؤون كثيرون يعملون في اسبانية ، وكانوا يتوخون في ذلك العهد مناغاة الابنية العربية . ويحاولون التفوق عليها . فكنيسة برغش بنيت سنة ١٢٢١ وبعد ذلك بقليل ، عند ما حولوا المسجد الأعظم في طابطة الى كنيسة في سنة ١٢٢٧ اجتهدوا في أن يعطوه من السعة والاتقان والفضامة والضخامة ما لم يكن مهوداً إلى ذلك الوقت ، وليس في اسبانية كنيسة أوسع رقعة من كنيسة طابطة سوى كنيسة اشبيلية . ثم بعد بناء كنيسة طابطة أشأوا الكنيسة الكبرى في ليون ،

ذات الصور البديعة على البلور ، وتبع ذلك كنيسة « آبله » Avila ثم في القرن الرابع عشر والخامس عشر جداً طرز آخر للبناء يميل إلى توسيع الداخل ، ومنه كنيسة سانت ياقو في طليطلة ، وكنيسة « استورقة » Astorca وكنيسة سان بنيتو في « بلد الوليد » Valladolid ودير « البرآل » Parrel في سقوية ، وفي « نبارة » Navarre كنيسة بنبلونة Panpelonne وهي أشبه بكنائس فرنسة . وأبهى تلك الكنائس كلها الكنيسة العظمى في رتسلونة . بناها فابر الميورقي . وفي القرن الخامس عشر بنيت كنيسة أشبيلية مكان الجامع الكبير الذي كان فيها ، وهي أوسع بنية في ذلك العصر ، بناها معلمون من هولاندة ، وكانوا قد بدأوا يقلدون العرب في نقش الكتابات على أحجار المباني العامة ، وتطريس الخطوط على الأبواب

وأما في كتلونية فانتهى طرز اشياء الكنائس بأن أصبح مطابقاً تمام المطابقة لطرز بنائها في فرنسة ، ولد كشف الاسبانيول أميركة ، وبلغت اسبانية ما بافته من العظمة والبسطة في القرن الخامس عشر . ازداد الاسبان تفناً في البناء . وشادوا تحت تأثير العز ، ونشوة الساطن ، وكثرة الخيرات ، مباني مدهشة ، تستحق السياحة من البلاد النائية ، وذلك من قبيل « سان بابلو » و « سان غريغوريو » في بلد الوليد ، و « سنتا كروس » في سقوية ، وفي ذلك العصر تبع « خيل دوسيلو » الذي يعد عبقرى وقته في البناء . إلا أنه قد دخل إذ ذاك في هندسة الكنائس في أسبانية بدعة لم تكن تزيدها بهاء ولا رونقا ، وهي جعل موضع خاص في وسط البيعة لأجل الأحبار والقسيسين ، مما كان يخل بالهندسة ، وينافي وحدة الخطوط .

وكذلك هناك بدعة أخرى ، ليست بأقل منها هجئة ، وهي الاجتهاد في منع النور عن الكنائس ، وإبقاء داخلها مظلماً بقدر الامكان . وهذه العادة فاشية في أكثر بيع أوربة حتى يظن الغريب الجاهل بالأوضاع أن الظلمة هي مستحبة في فانون الكنيسة ، وأن النور مكروه فيه . ولا نظن أحداً يكابر في هذه الحالة

وأما طرز البناء العربي فهو على العكس من ذلك فهو يكره الظلام ، ويجب

النور ، كما تشهد ذلك في جميع المساجد والمباني العمومية التي شادها المسلمون في الأندلس وغيرها ، فأما مسجد قرطبة فهو أعظم مسجد في أسبانية ، ومن أعظم المساجد في الاسلام ، لا أظن مسجداً يفوقه في السعة سوى المسجد الحرام ، وسوى المسجد الأقصى . وربما كان جامع ابن طولون في مصر بهذا المقدار . ولم يقع إنشاء المسجد الأعظم في قرطبة دفعة واحدة ، بل وقع شيئاً فشيئاً ، كما سيأتي تفصيل ذلك ، فكان يزداد فيه كلما ازداد سكان قرطبة . وترى الافرنج الذين يدخلون إليه يؤثرون سمته هذه بأنه بناء قوم كانوا يحملون بأن الاسلام لا بد أن يعم العالم ، فان المسقوف والصحن من هذا المسجد يسمان ثمانين ألف مصل يصلون وراء إمام واحد .

فأما النقش والفُسَيْفِيساء اللذان في هذا المسجد فلا شك في كونها من الصنعة الميرنطية ، كما أنه لا شك في أن صنّاع المسلمين تعلموها وتفننوا فيها ، وقد تفننوا في الحُرط والنحت والنقش والزينة بما جعل لهم أسلوباً خاصاً معروفاً بهم منسوباً إليهم ، تجده في مساجدهم ، وقصورهم ، وحماماتهم ، وأبراجهم ، وأبوابهم ، وكل بناء يولونه شطراً من عنايتهم .

ومما تمتاز به المباني الاسلامية نقش آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة والامثال ، والأشعار ، في الحيطان والسقوف ، وفوق الابواب ، وفي الامكنة المعروضة للنظر ، بما تزداد به الابنية سناء ، والابهاء بهاء ، ويعد من نفائس الزينة التي تزهر بها هذه المعاهد . ولقد رأيت في رُندة قاعة انكشفت جديداً ، حيطانها كلها من المرمر ، وقد حُفر عليها سورة الفتح من أولها إلى آخرها . وكان الاسبانيول يوم أجلوا العرب عن الاندلس إذا رأوا بناء متقناً ، وضنوا به أن يجعلوه دكا ، أبقوه ماثلاً ، لكنهم غطوا بالجلس جميع ما على الحيطان من الكتابات العربية ، حتى يمحو أثر الاسلام من بلادهم بالمرّة .

ولبت ذلك ديدنهم إلى هذا العصر الذي شعروا فيه بأن السياح إنما تقصد بلادهم لأجل مشاهدة الآثار العربية ، فرجعوا يتقبون عنها في كل سهل وجبل ،

وكما انكشف لأحدهم منها شيء عدّ نفسه قد عثر على كنز ، وصارت المجالس البلدية تمنع هدم أى أثر قديم للعرب ، وإن كان متداعياً إلى الخراب اكتفوا بتقويم شعثه ، وأبقوه على هيئته . وقد يكون الشارع ضيقاً ولا يسمحون بتوسيعه ، إذا استلزم ذلك هدم الأبنية العربية .

ومما يُعجب به الافرنج من مساجد الأندلس جامع في طليطلة يقال له اليوم « سانتو كريستو دولالوز » Dela Luz تاريخ بذته كما يفهم من الكتابة التي في مدخله سنة ٩٢٢ مسيحية . ولا استرجع الأسبانيول طليطلة في القرن الحادى عشر المسيحى حولوه كنيسة ، ولم يغيروا فيه إلا الجهة الشرقية . وفي هذا المسجد بقايا نقوش عربية بديعة . ويقال إن الأذفونش السادس الذى احتال على ابن ذى النون حتى أخذ من يده طليطلة قد سمع أول قداس بعد استيلائه على هذه البلدة في هذا المسجد نفسه . وفي طليطلة أيضاً من أمثلة الصنعة العربية كنيس لليهود يقصد إليه السياح لقياسة بنائه . وقد بقى في الأندلس من الآثار العربية التى يشار إليها بالبنان قصر الجعفرية في سرقسطة ، ومنازة اشبيلية شهيرة ، وناب ساحة المارنج في هذه البلدة ، والتمصر Alcazar الذى بناه ملك بتر و لقب بالفاشم ولكن على الطرز العربى بأيدى بنائين من العرب .

فأما حمراء غرناطة فلا تزال إلى يوم الناس هذا زينة اسبانية وحليتها ، ومقصد المتفرجين من جميع الأقطار يزورها في دور السنة من سبعين الى مائة ألف متفرج ، ومن أغرب ما سمعت أن بعضهم يقيم الشهر والشهرين والثلاثة في غرناطة ، وقفا بمعنى يوم إلا ويقصد فيه إلى الحمراء حتى يتمتع نظره بما فيها من نفائس الصنعة ، وبدائع الطبيعة ، لأن موقع الحمراء الطبيعى هو أيضا نادر في الدنيا . ومما يحمد الله عليه أن صناعة البناء الأندلسية هى محفوظة كلها في المغرب ، لا تختلف في شيء عما كانت عليه في الأندلس ، وان الزليج الذى تزين به الحيطان والساحات ، والذى يشبه القاشانى في المشرق ، لا يزال يصنع ويتنافس به .

هذا ، وبعد أن استرد الاسبان بلاد الانداس من أيدي العرب ، وصار هؤلاء تبعة لهم تحت اسم المدجنين ، والاسبان يقولون مدجر Mudéjar بقيت الصنعة العربية زاهرة ، يبنى بها الاسبان أنفسهم ، ويدخلونها حتى في بعض كنائسهم ، وقد يجمعون بينها وبين الصنعة القوطية . ومن القصور المبنية على الطراز العربي قصر « الافاتادو » في وادي الحجارة ، وقصر اسمه « كازادل كاردون » Casa del Cardon في برغش ، من بناء مهندس عربي اسمه محمد ، من سقويبة ، تاريخ بنائه يرجع الى القرن الخامس عشر .

ولا تخلو اسبانية من أبنية قلدوا فيها الصنعة الايطالية بمد عصر التجدد Renaissance ثم رغبوا في زيادة التزيين والتزويق والتخريم والترصيع ، حتى سمي هذا الطرز من البناء بطرز الصياغة . وكان البنائون من الطليان يطوفون في اسبانية ، ويننون القصور لأمرائها بحسب الصنعة الايطالية ، وربما أرسل بعض المترفين من اسبانية إلى جنوة ، فأوصوا على رسوم لقبور موتاهم ، وبنوا بحسبها في بلادهم . ولم يكن الطليان وحدهم هم الذين يبنون بمقتضى الهندسة الجديدة في اسبانية بل كان هناك بناءون من فرنسة وهولاندة وبلجيكة وكان أشهر هؤلاء « أنريك دوايفاس » Enrique de Egas الذي هدس مدرسة « سنتا كروز » في بلد الوليد ، وعدة مستشفيات في طليطلة وغرناطة وسانت ياقو .

واشتهر من المعماريين في ذلك العصر « فيايب فيكارني » Vigarni « وسيلو » Siloe الذي بنى كنائس غرناطة وكنيسة مالقة . واشتهر أيضاً دياغو دوريانو Diego Deriano الذي له ابنية شهيرة في اشبيلية . مثل دار البلدية ، وكذلك في تلك الحقبة بنيت في بياسة دار بلدية فاخرة . وفي أبذة كنيسة سانتا مارية المشهورة بناها المهندس المسمى « بلد البيرة » وهو الذي بنى كنيسة جيان . واشتهر أيضاً « ريبارا » ناني دار البلدية في شريش . ومن المدن الشهيرة بالمباني المشيدة بحسب الطراز الجديد طلمنكة Salamanca ذات الاديار والمدارس ، ومدينة القلعة

Alcala وقونكة . ثم جاء عهد فيليب الثاني ، وكان الميل فيه إلى الفخامة ، مع عدم الاعتناء بالزخرف ، وبحسب هذا الاسلوب بُنى الاسكوريال الشهير كما لا يخفى .
ثم جاء مهندسون أحبوا الخروج عن قواعد الفن ، ونزعوا منزع عدم التقيد مثل « جوفاره » Juvara الذي بنى قصر آل ربون الملوكى ، ويقال انه من أنفس آثار هذا الأسلوب الجديد الحر الذي يسميه الاسبان باسم « روكوكو » Rococo وكذلك يمدون مدخل كنيسة مرسية من طرف هذا الاسلوب . وبالاجمال ففي اسبانية من جميع أساليب الفنون النفيسة ، وكلها تستحق النظر . وفيها عدا الكنائس وقصور الملوك والمباني العمومية منازل للنبلاء والمترفين في كثير من المدن ، يجدر بالسائحين أن يعوجوا عليها ، مثل قصور « آل بينافنت » Benavente في بياسة ، وآل مدينة سالم Medinaceli في « كوغولودو » Cogoludo وقصور « فالاسكو » Velasco « وميراندا » Miranda في برغش وقصور « مندوزه » Mendoza في وادى الحجارة ، وغيرها من قصور المثلثات النبيلة .

فأما صناعة النحت فقد وجد منها آثار قديمة ترجع إلى زمن الرومانيين ، لكنها شخوص معدودة . ثم وجدت تماثيل قليلة من أوائل عهد النصرانية . ولكن فن النحت ، في اسبانية لم يبلغ درجة تستحق الذكر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وإن وجد في اسبانية بعض تماثيل تعد من طرف الفن فيكون ذلك من صنع الطليان أو الفرنسيين ، وفي كنيسة طركونة أمثلة من جميع أساليب النحت المعروفة حتى إن من جماتها محراباً باقياً من عهد المسلمين . وقد كان الغراب على بلاد « نبرة » الأسلوب الافرنسى في النحت . كما ترى ذلك في دير بنبلونة وأما كن أخرى وأجل ما في اسبانية من التماثيل تماثيل السيدة مريم العذراء ، تجد منها نفائس في اشبيلية وطرطوشة وميورقة وطليلة وغيرها . وأكثر ماتنحت التماثيل هو اللأموات من ملوك وأمرء وأحبار وأعيان . وأشهر هذه تماثل الملك فرديناند في برغش ، وتماثل الأسقف « فرنندس دولونا » Deluna في كنيسة سرقسطة . وكذلك تماثل الأسقف

« دوسار فنتس » De Cervantes في اشبيلية وأرباب الفن يترنمون دائماً بذكر تماثيل برغش ، التي هي من خرط خيل « سيلو » Siloe ويمجبون بقبور كارلس الثالث وامراته في بنبلونة « وجوان كرادو » Grado في زمورة . ثم إنه في كنيسة سرقطة المسماة « بالسيو » وفي كنيسة طركونة تماثيل يقول أهل الصنعة إنها يتائم في بابها .

ولو جاء الكاتب يحصى ما في اسبانية من التماثيل الشهيرة ، والتصاوير المستعذبة والتهاويل المعروفة ببداعة الصنعة ، لطال به الأمر ، فان هذه البلاد ملأى بهذا النوع منه ما هو من عمل صنّاع طليان ، ومنه ما هو من عمل صنّاع البلدان الشماليه ، كفرنسة والمانية وبلجكة وهولاندة . ومن أشهر المتفنين في النحت من أمة الاسبانيول « الونزو بروغيت » Berruguete الذي كانت له حظوة لدى الامبراطور شارلكان في بلد الوليد ، فقد ترك هذا المفنن آثاراً كثيرة ، أثيرة ، يطول تعدادها . ومثله « بياترو توريجياني » Torrigiani . ومما يجب ذكره أن مملكة أراغون كانت لها مملكة قوية في صناعة النحت ، امتازت بها على غيرها من الأقطار الاسبانية واشتهر من صنّاعها « داميان فورمان » Forment ، كما أنه كان في قشتالة من الصنّاع المشهورين « كسبار بسرة » Becerra أفام مدة طويلة في رومة ، وقد رجع منها أستاذاً كبيراً في النحت والتصوير معاً ، وكان يؤثر العمل في الخشب على العمل في الحجر ، وأحسن آثاره المذبح الذي في استورقة . وممن اشتهر في اشبيلية « مارتينس مونتانس » Montanes المدود من فحول هذا الفن ، وكان أسلوبه وطنياً محضاً ، غير متأثر بأى فن أجنبي . ونفع في القرن الثامن عشر نحات أصله طلياني ، مولود في مرسية اسمه « زار سيلو » Zarcillo وكان له مذهب خاص لا يقلد فيه غيره .

أما من جهة التصوير فلم يوجد في اسبانية بقايا تصوير من عهد القوط الأولين وإنما بقيت تصاوير راجعة إلى القرون التي كان فيها العرب مالكين لاسبانية . وان السامح يجد في الاسكوريال ، وفي المكتبة الوطنية في مجريط ، وفي أكاديمية التاريخ

في هذه العاصمة ، كتباً أثرية تشمل تضاعيفها على صور يأخذ منها صورة ذهنية عن درجة هذا الفن في اسبانية لعهد العرب ، ومنها صور لبعض القصور العربية ، وكان يسمى هذا النوع من الرسم بالبيزنطى . ثم دخل في اسبانية التصوير الافرنسى ، ومنه آثار تذكر في طلمنكة ، وبنبلونة ، وتطيلة ، ودخل من جهة أخرى التصوير الايطالى واشتهرت له نفائس في بلنسية وكتلونية وجزيرة ميورقة ، وامتاز بنصاعة الألوان ، ودقة التقاطيع ، وغلب عليه الجمال . وقد وجد في اسبانية نوع من التصوير لا يخلو من الصنعة العربية منه مذبح دير « بيادره » Piedra

وعلى كل حال فلا الفن الافرنسى ، ولا الفن الايطالى ، بلع في اسبانية في التصوير ما بلغه الفن الفلمنكى ، فلقد اشتهر من مصورى الفلمنك الذين كانت اسبانية معرضاً لبدائعهم « جان فان أيك » Van Eyck ونبغ مصورون اسبانويويون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، هم من مقلدى الطريقة الفلمنكية . وفي كل مقاطعة من اسبانية يجد العارف بهذا الفن مساحة منتقلة اليها من مملكة أجنبية . ففي الشمال مثل نبارة وأراغون تسود الريشة الافرنسية ، وفي الشرق مثل بلنسية وميورقة تسود الريشة الإيطالية ، وأما في برشلونة فتوجد آثار الرسم الافرنسى والألمانى والإيطالى على السواء ، وأبداع أمثلة التصوير الاراعونى والقشئالى يجدها الإنسان في سقوية وآبلة ، وفي المتحف الآتارى في مجريط ، كما أنه يجد أنفس قطع الفن السكتلونى في كنيسة برشلونة ، وكذلك يجد في متحف بلنسية وميورقة نفائس كثيرة . وفي اشبيلية يتجأى أيضاً الفن الفلمنكى عياناً ، لأن أعظم مصور في هذه البلدة وهو « كاسترو » Castro كان من أتباع الطريقة الفلمنكية ، ثم طرأت على اشبيلية طريقة جديدة طليانية الأصل تميل إلى محاكاة الواقع بمخاديفه ، وعدم الاسترسال إلى التخيل ، واشتهر بها مصور اسمه « زور باران » Zurbaran ولا تنس آثار مصورى البنادقة الذين من عملهم أمائيل أنيقة في الاسكوريال وقصر مجريط . وكان قد نبغ من رجال الفن البندقى مصور يقال له « تتوان » Tetuan ونبغ له تلميذ يونانى الأصل

أطلق عليه الأسبان لقب « الكريكو » Greco وقد رأيت لهذا الكريكو صوراً كثيرة في طليطلة

وفي القرن السادس عشر نبع في مصوري اسبانية رجل يقال له « هريره » Herrera يمدته الاسبانيول المفن الوطنى الأ أكبر ، لأنه يمثل الرصانة والشدة والحمة والصفات التى تغلب عليهم . وكان أهل بلنسية معروفين بحسن الذوق فى التصوير ونبغ فيهم نوابغ فى هذا الفن ، ولكن تأثير الفن الايطالى ظاهر فى تصاويرهم ، ومن أشهر هؤلاء « ريبالتا » Ribalta ثم « اسپينوزة Espinosa تلميذه ثم « ريباره » Ribera . وليس فى اسبانية مدرسة أحدث عهداً فى التصوير من مدرسة غرناطة ومن نبغ فيها « الونزوكانو » Cano . وفى القرن السابع عشر نبغ « مورلو » Murullo الذى يحبه الاسبانيول أكثر من غيره ، وقد كان فى فنه من مقلدى الطبيعة ، أميناً للحقيقة ، لا يؤثر الخروج عنها ، وكان له ميل إلى محاكاة أذواق العامة وله تلاميذ كثيرون مثل « اوزوريو » Osorio و « طوبار » Tobar وظهر فى ذلك العصر أيضاً « فلاسكس » Velazquez وأصله من شاب وقد تبع فى التصوير الطريقة الاشبيلية ، وترك آثاراً يفتخر بها الاسبانيول ، مثل صورة فليب الرابع ، وصورة الدون كارلوس ، ولم يسن لنفسه طريقة يقال إنها طريقة مدرسيه ليتابعه الناس فيها ، بل لم يكن يتقيد بأسلوب خاص به . وفى مجرى نبغ « جوان كارينيو » Carreno فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان مصوراً للبلاط الملوكى فى أواخر عهد آل هبسبورغ ، ثم اشتهر « سيريزو » Cerezo و « فرنسيسكو ريزى » Rizzi الذى يحاكي فى تصويره الألوان المستحبة فى الشرق . ومن مصورى القرن السابع عشر فى مجرى « ليوناردو » Leonardo ثم « مينوز » Munoz : وفى أواخر القرن السابع عشر نبغ « كولو » Coello وكان يحاكي الفلمنكيين بسطوع الألوان واشعاع النور ، وشثونة التقاطيع . وبه ختمت دولة التصوير القديمة فى اسبانية ، وقيل انه مات كدا ، لأن البلاط الملوكى استدعى إليه « جيوردانو »

Jiordano وفي زمن آل بوربون نبغ « بالومينو » Palomino ولكن البوربون في القرن الثامن عشر اعتمدوا على مصوري الفرنسيين ، وروجوا بضائعهم . وفي أواخر القرن الثامن عشر ، إلى أوائل التاسع عشر ، اشتهر « فرنسيسكو غويا » Goya وكان هذا الرجل أعجوبة في طريقته ، يرسل نفسه على سجيته ، ولا يعرف المحاباة ، وقد تعرض غويا هذا لجميع المواضيع ، وله تصاوير دينية معلقة في كنائس طليطلة وبلنسية ومجريط ، إلا أنه لم يكن يحسن إلا هذا اللون ، ولم يكن الناس يحبون تصاويره إلا لخشونتها ، ولذبه في الصراحة ، لا رثاء فيها . والصورة التي رسمها لعائلة كارلوس الرابع هي في الحقيقة مخراة ناطقة بعبثام أمور . وله تصوير ملاعب الثيران ، وديوان التفتيش ، وتصاوير تمثل حرب الاستقلال ، أجاد فيها إلى الغاية ويقال إنه أقدر مصور مثل أعياد الاسبانيول . وجاء خلفا له مصور يقال له « مدرازو » Madrazo

ثم جاء العصر الأخير فنبغ « براديللا » Pradilla « وبنليور » Benlliure واضرابهما ، فاتفقوا الصور التاريخية ، وفق هوى الاسبانيول في الغرام بالماضي المجيد ، والافتتان بالعظيم والمحزن والمناظر القاسية . ثم ظهر المصور « فورتوفى » Fortuny وهو من كتلونية ، اعتنى بالحياة العصرية ، وكان له ملكة تامة في ايجاد تناسب الألوان ، على نمط نساى خراسان وكشمير . وبالجملة فالاسبانيول أصحاب دولة في التصوير والنحت ، وربما كانوا أدري بتمثيل أحوالهم الداخلية ، والأشكال التي ترتاح إليها نفوسهم من سائر الأمم ، ولو كان الآخرون أعلى منهم كعباً في الفنون النقيسة على وجه العموم

كلام القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد

الأندلسي الطليطلي

المتوفى سنة ٤٦٢ وذلك عن الأندلس العربية في كتابه « طبقات الأمم »

قال تحت عنوان « العلوم في الأندلس » : وأما الأندلس فكان فيها أيضاً بعد تغلب بني أمية عليها جماعة عُنيت بطلب الفلسفة ، ونالت أجزاء كثيرة منها ، وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طليسات قديمة في مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية ، إذ كانت الأندلس منتظمة بمملكتهم

ولم تنزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، فمادت على ذلك أيضاً لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة ، وعلم اللغة ، إلى أن توطد الملك لبني أمية ، بعد عهد أهلها بالفتنة ، فتحرك ذوو المهتم لطلب العلوم ، وتنبهوا لإشارة الحقائق على حسب ما يأتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى .

وأما دين أهل الأندلس فدين الروم من الصابئة أولاً ثم النصرانية إلى أن افتتحها المسلمون في التاريخ الذي ذكرناه ، وأما ملكهم فكان لطوائف من الأمم مختلفة ، تداولوها أمة بعد أمة ، فمن تلك الأمم الروم وكان عمالهم ينزلون مدينة طائفة العتيقة المجاورة لاشبيلية . واتصل ملكهم بها زمناً طويلاً إلى أن غلبتهم عليها القوط . فانسخ الملك الرومي منها ، واتخذ القوط مدينة طليطلة ، من مدائن العتيقة قاعدة لملكه ، وملكوا الأندلس أغخم ملك قريباً من ثلاثمائة سنة ، إلى أن غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدمنا ذكره ، واقتعد ملوكهم قرطبة وطنا ، ولم تنزل مركزاً لملك المسلمين بها إلى زمان الفتنة ، وانتشار الأمر على بني أمية . فافترق عند

ذلك شمل الملك بالأندلس ، وصار إلى عدة من الرؤساء ، حالهم كحال الطوائف من الفرس .

وأما حدود الأندلس ، فإن حدها الجنوبي منها الخليج الرومي ، الخارج مما يقابل طنجة في موضع يعرف بالزقاق ، سمته اثنا عشر ميلا ، ثم ينتهي إلى مدينة صور من مدائن الشام . وحدها الشمالي والغربي ، البحر الأعظم المسمى أوقيانوس المعروف عندنا ببحر الظلمة . وحدها الشرقي الجبل الذي فيه هيكل الزهرة اوصل ما بين البحرين : بحر الروم ، والبحر الأعظم ، ومسافة ما بين البحرين في هذا الجبل ثلاث مراحل ، وهو الحد الأصغر من حدود الأندلس ، وحدها الأكبران الجنوبي والشمالي ، ومسافة كل واحد منهما نحو ثلاثين مرحلة ، ومسافة حدها الغربي نحو من عشرين مرحلة ، ووسط الأندلس مدينة طليطلة العتيقة ، التي كانت قاعدة القوط . وعرضها ٣٩ درجة و ٥٠ دقيقة ، وطولها ٢٨ درجة بالتقريب ، فصارت بذلك في التقريب من وسط الاقليم الخامس ، وهي في وقتنا هذا الذي هو سنة ستين واربعمائة قاعدة الأمير أبي الحسن يحيى بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون عظيم ملوك الأندلس . وأقل بلاد الأندلس عرضاً المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، على البحر الجنوبي منها ، وعرضها ٣٦ درجة ، وأكثر مدنها عرضاً بعض المدائن التي على ساحلها الشمالي ، وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة ، فمعظم الأندلس في الاقليم الخامس ، وطائفة منها في الاقليم الرابع ، كأشبيلية ، ومالقة ، وقرطبة ، وغرناطة ، والمرية ، ومرسية . وهذا الجبل الذي ذكرنا فيه هيكل الزهرة الذي هو الحد الشرقي من الأندلس ، هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرنسة من الأرض الكبيرة ، التي هي بلاد افرنجة العظمى والأندلس آخر المعمور في المغرب ، لأنها كما ذكرنا منتهية إلى بحر الأوقيانوس الأعظم اه

التقسيمات الجغرافية

القشتالتان وليون

لم تكن اسبانية في الماضي مملكة واحدة كما هي الآن ، بل كانت أقساماً شتى ، وممالك مستقلة بعضها عن بعض . و بعد أن غلب العرب على جميعها ، ولم يبق موضع قدم منها لم يستولوا عليه ، بقيت صخرة لاذ بها ملك يقال له « بلاى » ، دخل في كهف منها بثلاثمائة رجل ، فلم يزل العرب يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعاً ، وترامت طائفة منهم إلى الطاعة ، فلم يزالوا ينقصون حتى بقي في ثلاثين رجلاً ، معهم عشرين سنة أصروا على الامتناع في ذلك الكهف ، الذي كان يصعب الوصول اليه ، وجعلوا يقتاتون من العسل الذي كان النحل يجمع في خروق الصخرة ، فاستخف بهم المسلمون وتركوهم وقالوا على ما في رواية « أخبار مجموعة » : ثلاثون عجباً ما عسى أن يكون أمرهم ! ؟ فهؤلاء بعد رجوع المسلمين عنهم عادوا فخرجوا من الصخرة غير خاضعين ، واعصوب حولهم كل من نزع به في تلك الأرض عرق الأنفة عن الخضوع للأجنبي ، ورأس بلاى هذا تلك العصابة التي لم تزل تنمو وتغلظ ، حتى صارت اشارة حقيقية ، ثم مملكة يحسب حسابها . ثم تكونت منها سلطنة قشتالة التي هي أول حكومة اسبانية ولية استقلت عن العرب بعد أن دانت لهم جميع الجزيرة الايبيرية .

ثم لما بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، بسبب الفتن التي كانت تقع بينهم وبين البربر ، وتقع فيما بينهم بعضهم مع بعض ، جعلت قشتالة تسترد شيئاً فشيئاً من البلدان التي كان المسلمون قد استعمروها ، وصار المسلمون يجولون عن الشمال إلى الجنوب ، فلذلك انقسمت قشتالة الى ما يقال له « قشتالة القديمة » و « قشتالة الجديدة » وجميع قشتالة Royaume de deux Castilles واقعة بين جبال « استورياس » Asturies و « بسقاية » Biscaye من الشمال ، ومملكتي « اراغون » و « بلنسية »

من الشرق ، ومملكة « مرسية » والاندلس من الجنوب ، و « الاسترامادور » و « ليون » من الغرب . فأما « قشتالة القديمة » Castilla la Vieja فهي إلى الشمال وأما « قشتالة الجديدة » Castilla la Heuva فهي إلى الجنوب . والبسيط المرتفع الايبيري الذي يقول له الاسبانيول « ميزيتا » Meseta يشتمل على القشتاليتين وليون والاسترامادور . وليس في هذا البسيط شيء ينطبق على ما يتخيله الناس ، وما تسير به الأخبار عن خصب اسبانية ، وكرم تربتها . وطيب نجمتها ، واعتدال هوائها . والحقيقة ان اسبانية التي كسبت تلك الشهرة ، وقيل انها جنة الله في أرضه ، هي مقاطعات اسبانية الجنوبية والشرقية ، وقطعة من وادي ابره لاغير . ومتوسط ارتفاع هذا البسيط الذي نحن في صدده عن سطح البحر هو ٨٠٠ متر يحده من الشمال جبال اشتورياس Asturias وجبال قنتبرية Cantabres ومن الشرق الجبال المسماة بالايبيرية ومن الجنوب شارات موريفا . وقولنا انه ليس مطبقاً للصفة التي يتخيلها الناس عن اسبانية لا ينبغي أن يكون فيه أودية عميقة ، ذات زرع وصرع ، وإن كان يوجد بجانبها بسائط ، هي في الحقيقة غير قابلة للسكنى . من قسوة هوائها ، وكثرة أرضها . وأما تقسيمات قشتالة القديمة التي أوتدها جبال قنتبرية في الشمال والتي ربيتها بواسطة « الوادي »^(١) الجوفي « أي « دورو » Douro ووادي « ابره » ووادي

(١) هذا النهر أول منابه مكان يقال له اوريون Urbion على علو ٢٢٥٥ متر عن سطح البحر بين شارات دومندا Demanda وشارات سان لورانزو Lorenzo وشارات سيبوليرا Cebollera وهي التي منها تنحدر مياه نهر ابره أيضا . وأصل اسمه دورو Duero مشتق من لفظة « دور Dour » ومعناها الغزارة ، واتصال هذا النهر بنهر ابره كان له تأثير في الوحدة الاسبانية . أي في توحيد قشتالة مع أراغون . والوادي الجوفي هذا يجري على ارتفاع سبعمائة متر فوق سطح البحر ، فهو يسقى بسائط في غاية الاتساع ، إلى أن يصل إلى بلد الوليد ، التي هي على يمينه ، وفي أول مجراه ينحدر انحداراً خفيفاً حتى يصل إلى الحدود بين أسبانيا والبرتغال ، فهو ينصب هناك بجرية شديدة في مضائق تجعل منه نهراً هائلاً ، ويصير مجراه في غاية العمق ، وفي بعض

« بَسِيورقة » Pisuerga فهي ست مقاطعات : الاولى « برغش » Burgos ومساحتها ١٤١٩٦ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٥٠ ألف نسمة . والثانية « آبله » Avila ، ومساحتها ٨٠٤٧ كيلو متراً مربعاً . وعدد سكانها ٢١٠ آلاف نسمة ، والثالثة « سقوية » Ségovie ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها زهاء ١٧٠ ألف نسمة . والرابعة « شورية » Soria ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٦٠ ألف نسمة . والخامسة « لوكروني » Logrono ومساحتها ٥٠٤١ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها ١٩٠ ألف نسمة . والسادسة « شنت اردم » أو « شنت اندر » Santander ومساحتها ٥٤٦٠ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٠٠ ألف نسمة .

أما قشتالة الجديدة فهي في قلب اسبانية تتوسطها شاربات « وادي الرمل » Guadarrama وأعلى قنة فيها ترتفع عن سطح البحر ٢٣٨٥ متراً وهي إلى الشمال من قشتالة الجديدة ، وأما شاربات مورينا فهي منها إلى الجنوب الغربي ، وفيها يمر « وادي تاجه » Tago « وادي شقر » Xucar و « منزانارس » Manzanares « وادي يانة » Guadiana وهي تشتمل على المقاطعات الآتية:

الاما كن ترتفع ضفافه مائتي متر عن سطح المياه ، وأحيانا تتقارب الضفتان تقارباً شديداً ، وينحصر الماء انحصاراً عجيباً ، وتتكون من هذا الوادي شلالات ، لو استخدمت قوتها الكهربية لجامت بالخوارق ، ولكنه عندما يدخل في بلاد البرتغال ينسط في الأراضي ، ويعود هادئاً . وللوادي الجوفي أنهر تمده من اليمين ومن الشمال ، منها دوراتون Duraton وسيغه Cega وأداجه Adaja وزابارتيال Zapartiel وطورماس Tormes ويقال انهم يفكرون في شق جداول بين هذه الأنهار ، حتى يمكن الجيء على الماء من طلنكة ، التي هي على نهر طورماس ، إلى زمورة ، التي هي على الوادي الجوفي . ونهر أداجه هو نهر آبله ، ولكن أراضيها لا تستفيد منه كما يجب ، ونهر زابارتيال وهو نهر مدينة الكبو . وأما نهر طورماس ، فانه يسقى بسيط طلنكة ويتصب إلى الوادي الجوفي على مقربة من البرتغال وأما اشقوية فان نهرها هو المسمى بأرسما Aresma

مقاطعة « مجريط » Madrid ومساحتها نحو من ٨٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٨٨٠ ألف نسمة . و « طليطلة » ومساحتها ١٥٣٣٤ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٤١٥ ألف نسمة . و « سيودادريال » Ciudad - Real ومعناها البلدة الملكية ، وهي محدثة بعد مجي العرب ، ومساحتها ١٩٧٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٨٠ ألف نسمة . و « قونلة » Cuenca ومساحتها ١٧١٩٣ كيلو متراً مربعاً ، وأهلها ٢٧٠ ألفاً . و « وادي الحجارة » Guadalajara^a ومساحتها ١٢١٩٢ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢١٠ آلاف .

وأما مملكة « ليون » Léon فكانت حدودها من الشمال الاشتورياس ، ومن الشرق والجنوب الشرقي قشتالة القديمة ، ومن الجنوب نجرأ « الاسترامادور » L'Estrémadure ومن الغرب غاليسية - وبلاد البرتغال ، وليون اليوم هي عبارة عن المقاطعات التالية :

نفس ليون ومساحتها ١٥٣٧٧ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٤٠٠ الف نسمة . « وطلينكة » Salamanca ومساحتها ١٢٣٢١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٣٥ ألفاً . و « زقورة » Zamora ومساحتها ١٠٦١٥ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٠ ألفاً . و « بلد الوايد » Valladolid ومساحتها ٨١٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٥ ألفاً و « بالنسية » Palencia - هي غير بلنسية Valencia التي على البحر المتوسط - ومساحتها ٨٤٣١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة . ولقد كانت هذه المقاطعات التي في قلب اسبانية تعد من فيافي بني أسد ، لولا ما ساق اليها العرب من مياه ، وشقوا من جداول ، وأخذوا من وسائل ، حتى اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ، وكانوا إذا عدموا الينايع المتفجرة ، التي تلزم لأجل الري ، يبادرون إلى إنشاء البرك ، والمصانع الهائلة ، يجمعون اليها المياه السائلة في الشتاء ، على نمط ما كانوا يعملون في اليمن ، وذلك مثل البركة التي في « منسا » Mansa وهي تحريف المصنع ، وأما بعد رحيل العرب فقد تهدمت المصانع وطهست

تلك القنى ، ورجعت هذه الأرضون إلى قسوتها الأولى ، وتبدلت من خضرتها غبرة وصارت تلك الفلات من حنطة وحبوب وزعفران سداداً من عوز ، في أماكن معلومة ، وبقى ذلك الى العصر الحاضر الذي عمّت به المدينة ، وامتدت السكك الحديدية ، فماد الأهالي يمتنون بهذه الأراضى ، ويستندرون خيراتها ، لأنهم أصبحوا قادرين على اخراجها الى الخارج ، بواسطة السكك الحديدية ، وصاروا يميرون بمحنتهم بلاد البرتغال ، وقويت رغبتهم في زراعة قصب السكر ، والشمندر . وقد كان في أسبانية من عشرين سنة أكثر من ثمانين معملاً للسكر

بلاد البشكس

أما بلاد البشكونس فهى ثلاث مقاطعات : الأولى « غيوسكوه » Guépuzco ، والثانية « بسقاية » Biscaye أو Vizcaya والثالثة « ألبة » بالتحريك Alava ومساحة جميعها ٧٠٧٥ كيلو مترا وعدد سكانها نحو من سبعمائة ألف . وهم أمة مستقلة بنفسها ، تسكن إلى الشرق من جبال قنتبرية ، على أبواب فرنسا ، وأصل اسم هذه الأمة هو « الباسقونفادوس » Vascongados ومنه اشتق اسمها الحالى « الباسك » أو « الباسكس » Les Basques . وكان العرب يقولون لهم الباشكونس ، ومنهم من يقيم على حدود « نباريه » Navarre ومجموعهم يقارب مليوناً أو أكثر . ومنهم جمٌ في أرض فرنسا ، ولغة الجميع واحدة مختصة بهم . ومنهم من يتكلم بالأسباني أو الافرنسى ، ولكن نحواً من نصف مليون لا يتكلمون بغير لغة الباشكونس . وهم من أشد أمم الأرض استمساكاً بقوميتهم ، واحتفاظاً بخصوصيتهم ، يزعمون أنهم أقدم أمة في أوربة ، ولا نزاع في أنهم هم بقايا الشعب الايبيري القديم ، والثمة الخالصة المحضة التى لم تدخل عليها شائبة من ذلك الشعب القديم . أشداء جبليون ، موثقو الخلق ، تغلب عليهم السمرة ، إلا من كان منهم (٢١ - ج أول)

في أعلى الجبال ، فيغلب عليه اللون الأشقر ، شمّ الأنوف ، محدّدو الأذقان ، شعورهم مائلة إلى السواد ، وكان لهم زىّ خاص بهم لا يعرفون سواه ، ولكن قد بدأ هذا الزى يضمحل ، ولم يبق منه إلا طاقية من الصوف يقال لها البوانه Laboina لا يزالون يلبسونها على رؤوسهم ، وهي زرقاء في مقاطعة غيبوسقوه ، وحمراء في بسقاية وبيضاء في ألبّة . والبشكونس الذين في أرض فرنسة أيضاً يحافظون عليها . وأما من جهة عاداتهم القديمة فمنهم من تركها ، ومنهم من لا يزال يعرض عليها بالنواجذ ، مثل أهل بسقاية . وتجددهم يستعملون محاريتهم القديمة ، ومجالات تجرها البقر ، وعليها نيرٌ مزخرف مغطى مجلد ضان . وعندهم نوع من الرقص في أعيادهم ومواسمهم يسمونه « أورييسكو » Aureescu يجرونه على صوت مزمار صغير يسمى « دولسينيه » Dulsinya مع قرع الطبول .

والبشكونس من أشدّ أمم الأرض حباً بالحرية وأمانة عن قبول الضيم ، وكانوا يردّون غارات العرب من الجنوب ، كانوا يردّون غارات الفرنج من الشمال وكانت مواقع بلادهم الجبلية تساعد على رد غارات هذه الأمم العظيمة ، فان مساكنهم أكثرها في الجبال تحيط بها الأوعار ، والأرض كما يقال تقاقل مع أهلها . وهم الذين أوقعوا بجيش شارلمان وهو منصرف عن سرقة بعد أن عجز عن أخذها . وسيأتي في كتابنا هذا عند الوصول إلى التاريخ تفصيل جميع ما وقع بين البشكونس والعرب . ولم يخضع البشكونس لملوك ليون ، وملك نبارة ، وملك قشتالة في الآخر ، إلا على شرط احترام هذه الدول لعاداتهم وقواعدهم . وكانت لهم امتيازات يقال لها « فيورس » Fueros ولم تنزل امتيازاتهم هذه محفوظة ، إلى أن جرت الحروب الداخلية المسماة بالكارلوسية ، والتي آخرها كان سنة ١٨٧٦ فن بعدها أزالته الحكومة الأسبانية امتيازاتهم وأخضعتهم للخدمة العسكرية ، ولقانون احتكار الملح ، واحتكار الدخان .

وهم يسمون أنفسهم بنير الاسم الذي يسميهم به الأسبان ، أي الباسقونفادوس ،

الذي منه جاء اسم الباشكونس ، الذي كان يسميهم به العرب . فاسمهم هم بلغتهم هو « أوسكالدوناك Euscaldunac ولا يعرف معنى هذه الكلمة . وفي لغتهم لا يضعون آل التعريف قبل الاسم بل بعده . وهذا الاصطلاح ليس بنادر ، بل اللغة السويدية واللغة الدانمركية واللغة البلغارية واللغة الرومانية فيها ذلك . وليس في هذه اللغة المثني بل عندهم المفرد والجمع . وعلامة الجمع هي السكاف (K) وكذلك لا يوجد عندهم فرق بين المذكر والمؤنث في التعبير . وقد غلب ذلك على لسانهم حتى إذا تكلم البشكونسي بالفرنسية يقول . هذا المرأة Ce Femme بدلا من هذه المرأة . وأما من جهة الأفعال فربما كان بينهم بعض المشابهة مع العرب ، فانه إذا أراد البشكونسي أن يقول مثلا : أنا أجي . « يقول « أنا عمل أجي . » وإذا أراد أن يقول لك « ستأكل » قال « عليك أن تأكل » وكذلك هم مثل العرب في كثرة المترادفات في لغتهم ، برغم أن لغتهم في أصلها فقيرة ، وهي لم تكمل إلا بالالفاظ الكثيرة الاجنبية ، من عشقوني ، وفرنسي ، واسبانيولي ، وعربي . بحيث إذا تجرد هذا اللسان من هذه الالفاظ الداخلة عليه لا يبقى منه إلا ما يعبر عن الاشياء المادية والمحسوسة ، فهو في هذا أشبه بالتركي . وليس عند الباشكونس لفظة تعبر مثلا عن « الروح » واسم الله عندهم « السيد الذي في العلي » وعندهم « الارادة » يعبر عنها بلفظة تفيد « الفكر والشهوة والتمنى » وقد اجتهد كثير من العلماء في درس لغة الباشكونس ، ولكن صعوبة هذا الدرس جاءت من كثرة اختلاف لهجات هذه الأمة ، فان القرية الواحدة لا تتكلم بلهجة القرية التي تجاورها ، فصارت اللهجات لا تحصى . وهذا شأن كل لغة الكتابة فيها نادرة ، وشأن كل شعب تغلب عليه الأمية . ومع هذا فقد أحصى الأمير لويس بونابرت ٢٥ لهجة باشكونسية ، يمكن إعادتها إلى ثمانية أصول بالتحليل الدقيق . وهذه الأصول الثمانية تتلخص في ثلاثة عامة . أما الأصول الثمانية فهي : اللابوردي ، والسولتي ، والنباري الادنى الشرقى ، والنباري الأدنى الغربي ، والنباري الأعلى الشمالي ، والنباري الأعلى الجنوبي ، والغيبوشقي ،

والبسقاني ، ويمكننا أن نرد أيضاً هذه اللهجات المختلفة إلى شرقي وغربي ، فالسوتاي والنباري الادني هما الشرقي ، والبسقاني هو الغربي . واللهجات الاخرى هي المتوسطة بينهما . وبلاد الباشكونس لا تخلو من أجناس غربية عنها ، وليس فيها مقاطعة خالية من الغرباء غير « غيبوسقوه » وبلاد نبارة نصفها أو أقل من الباشكونس . وأمايونة وبنبلونة وبلباو فلا يتكلمون فيها بلغة الباشكونس ، وقد بدأت هذه اللغة تنحل وتضمحل بقلية الاسبانيولي والافرنسي عليها . ولا عجب في ذلك ، فان مكتوباتها نادرة ، ولم يعثر الباحثون على كتب بهذه اللغة ترجع إلى أعلى من القرن العاشر للمسيح ، قيل إنهم وجدوا صحيفة قديمة من سنة ٩٨٠ فيها تحديد مقاطعة بيونة Bayonne ، وقيل إن هذه الصحيفة نفسها ليست بوثيقة لا يعترضها الشك .

وقد كشف أحد الرهبان اليسوعيين جدولاً فيه ثمانية عشر كلمة من لغة الباشكونس ، وذلك في كتاب مخطوط لزاثر افرنسي زار كنيسة سنت ياقو في القرن الثاني عشر ، وأقدم كتاب عند الباشكونس طبع سنة ١٥٤٥ ، وهو ديوان شعر مشتمل على قصائد دينية ، وأخرى غرامية . وقد طبعوا أيضاً ترجمة الانجيل الى هذه اللغة سنة ١٥٧١ ، وذلك على نفقة مجلس نبارة وجميع ما هو مكتوب بلغة الباشكونس يبلغ ستمائة مجلد لا أكثر . وأكثر الذين كتبوا هذه الكتب هم مؤلفون تلقوا ثقافة افرنسية أو قشتالية ومعظمها في مواضيع دينية ، وعن حياة القديسين . نعم يوجد من الباشكونس من تلقوا ثقافة اسبانيولية أو افرنسية ، وأجادوا الكتابة ، لكن باللغة الافرنية واللغة الاسبانية ، وقد جمع بعض المؤلفين كثيراً من قصص الباشكونس وتقاليدهم وأخبارهم . وأحسن المجاميع في هذا الموضوع هو ما كتبه يوليان فيسون Viuson الذي له على الباشكونس بحث في الانسيكلو بيديا الافرنية السكيري^(١) .

(١) في هذه الأيام الاخيرة انبرى الكاتب الافرني المسمى فرنسوا دوهوركو François Duhourcau فنشر في جريدة عطارد فرنسة Mercure de France بحثاً طويلاً عن البشكنس ، لانه من الكتاب المهجين بهذه الأمة ومثانة أخلاقها

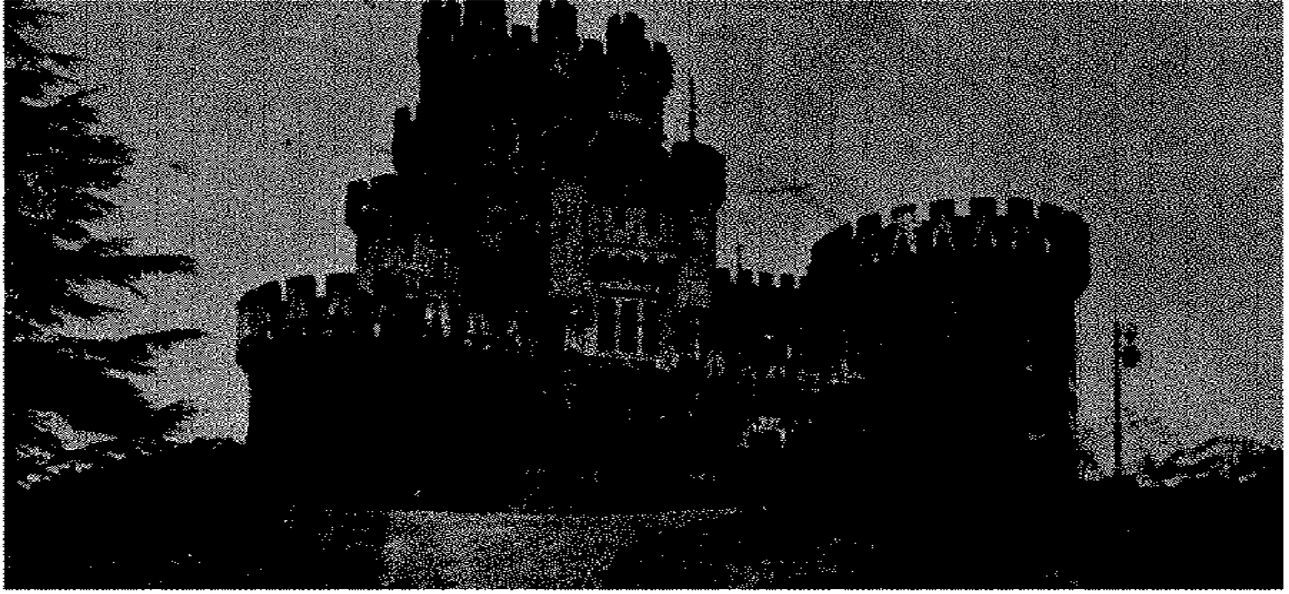
أما الباشكونس الذين في أرض فرنسا فهم يسكنون مقاطعات لا بورد Labourd ونباره السفلى La basse Navarre وسول Soule ومساحة هذه المقاطعات الثلاث

وشدة استمساكها بأوضاعها القديمة . فالباشكونس يزعمون أنهم أقدم أمة على وجه الأرض وأنهم لم يطرأوا على أسبانية من مكان آخر ، بل كأنهم نزلوا من السماء إلى أرضها ، ولكن المؤرخين مع اقرارهم بشدة توغل هذه الأمة في القدم ، يذهبون إلى أنها هي أيضاً طارئة على اسبانيا من مكان آخر ، ومن جعلتهم المسيو دوهوركو ، يرى ان أصل أهالي الجزيرة الايبيرية هو الجنس الايبيري ، وأن الفرق بين البشكنس وسائر الاسبانيين ان البشكنس هم ايبيريون اقحاح ، وان سائر الاسبانيين هم ايبيريون امشاج ، وان الايبيريين شعب قوقازى طراً على أسبانية ، عن طريق البحر المتوسط وجنوب فرنسا ، فنزل على المنحدرين الشمالي والجنوبي من اليرانس . وقد حاول الكاتب المذكور أن يستدل على أصل البشكنس وقرابتهم من الأمم الاخرى بأدلة من لغتهم ، وهو منزع كفاً في مقدمة من نبه عليه ، ولنا رسالة في ذلك قرأناها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في ليدن سنة ١٩٣١ ونشرناها في مجلة المقتطف ، وعنوانها « علاقة اللهجات بالتاريخ » ، إذ لا نرى هذا الباحث مخطناً في تنقيح أصل هذه الأمة من جهة تشابه لغتها مع لغات أمم أخرى . فهل وفق دوهوركو إلى بلوغ مراده ؟ الجواب أنه من المعلوم أن اللغة البشكنسية هي أقدم من اليونانية واللاتينية ، ولم يثبت كونها فرعاً من لغة السنسكريت الهندية ، بل يظن الباحثون أن أصلها لغة منقرضة فرض العلماء وجودها فرضاً ، وهي في هذا أشبه باللغة الاتروسكية Etrusque فان هذه اللغة أيضاً ليست فرعاً من فروع السنسكريت ، فيظهر للمسيو دوهوركو أن الاتروسكيين والبشكنس من أصل واحد ، وقد وجد بعض الكلمات في لغة البشكنس تشبه كلمات أخرى في لغة الاتروسك . من ذلك كلمة « لار » فهي تفيد معنى « رئيس » في لغة البشكنس ، وهي كذلك في لغة الاتروسك ، فمن هنا استدل على كون هذين الشعبين من أصل واحد ، ولما كان الرومانيون أصلهم من الاتروسك ، وصل إلى الاستنتاج بأن البشكنس هم أولاد عم الرومان ، وأصل الأصل هو من القوقاز ، وليس هذا الرأي بكراً ، فقد زعم اليزه ركلوز الجغرافي الشهير من خمسين سنة أنه يوجد بين لغتي البشكنس والكرج تشابه ، وان أصلهما لغة كانت شائعة في آسية الصغرى منذ آلاف وآلاف من السنين ، ولم تكن هذه اللغة لامن اللغات الآرية ولا السامية ولا الاورالية.

هى ستة آلاف كيلومتر مربع . فأما المقاطعات التى يسكنونها فى اسبانية فقد تقدم ذكرها ، وهى جزء من ثلاثين من مساحة الجزيرة الأيبيرية بحسب تعريف اليزى « ركلوس » الجغرافى الشهير *Lisée Reculs* و بلادهم فيها قابلية زراعية ، وفيها معادن كثيرة كالتصدير والرصاص والحديد ولكنهم من جهة الزراعة لم يكونوا ممن بلغ شأواً عالياً . ومن الباشكونس مهاجرون كثيرون إلى أميركة كل سنة ، فلهذا عددهم يقل فى بلادهم الأصلية يوماً فيوماً .

وقد فحص الأطباء مثل الدكتور بروكا والدكتور فالسكو من مجريط جاجم الباشكونس من سبعين سنة ، وأخذوا منها عدداً كبيراً من مقابر تلك البلاد ، كما أنهم ميزوا جاجم الأحياء ، فوجدوا أن هذه الأمة فيها نوعان من الجاجم ، منها النوع الذى يزيد طوله على عرضه بنحو الربع ، ومنها الذى يتساوى طوله بعرضه . ويقال عن أخلاق الباشكونس أنهم كثيرو الخيالات ، سريعو الانفعالات ، وان عندهم خرافات قديمة لم يتخلصوا منها حتى الآن ، ولكن فطرتهم الأصلية مبنية على الاستقامة ، وعندهم حسن معاشرة ومخالقة ، إلا أنهم بطاشون عند الغضب ، ومع ان الرصانة غالبية على طباعهم ، فانهم يحبون الألعاب ، ويتأذون بالماكل والمشارب وحسن الوفاة ، واكرام الضيف عندهم مما لا يفوقهم فيه أحد . ونساؤهم حلائل أمينات ، وأمهات مربيات ، إلا أن التدين عندهن بالغ درجة الوسواس ، لاسيما عند البنات اللواتى ينسن من الحيض ، وكثيراً ما ينتهى أمر العانس من هؤلاء بالجنون . والباشكونسى بطبيعته ذكى الفؤاد ، شهم ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، واذا تعلم وتهذب ففيه قابلية كبيرة للترقى ، أما خرافاتهم القديمة فمنها أن الانسان اذا رأى امرأة يوم الاثنين تحت نافذة بيته فى ذلك الاسبوع يحصل له بلا ، واذا صاح الديك فى أول الليل فيكون هذا الصباح علامة على كون الديك أحس بمرور الساحرات وهو خطر يتلافونه بأخذ قبضة من الملح وذرهما فى أرض البيت ، والمتزوج يوم عرسه يجتهد أن يمسك بذيل من ثوب زوجته ويضعه تحت ركبته حتى يكون فيما بعد

هو السيد في البيت ، وكان للباشكونس اعتقاد عظيم بالسحر ، وكانت السحرة عندهم في كل مكان ، وكانت لهم اجتماعات يتداعون اليها ، ويعتقدون ان هؤلاء السحرة لهم علاقات مع الشيطان وأنهم يدفعون شره ، ولكن هذه الخرافات قد بدأت تضمحل شيئاً فشيئاً .



حصن بوترون في بيلباو من بلاد الباشكونس

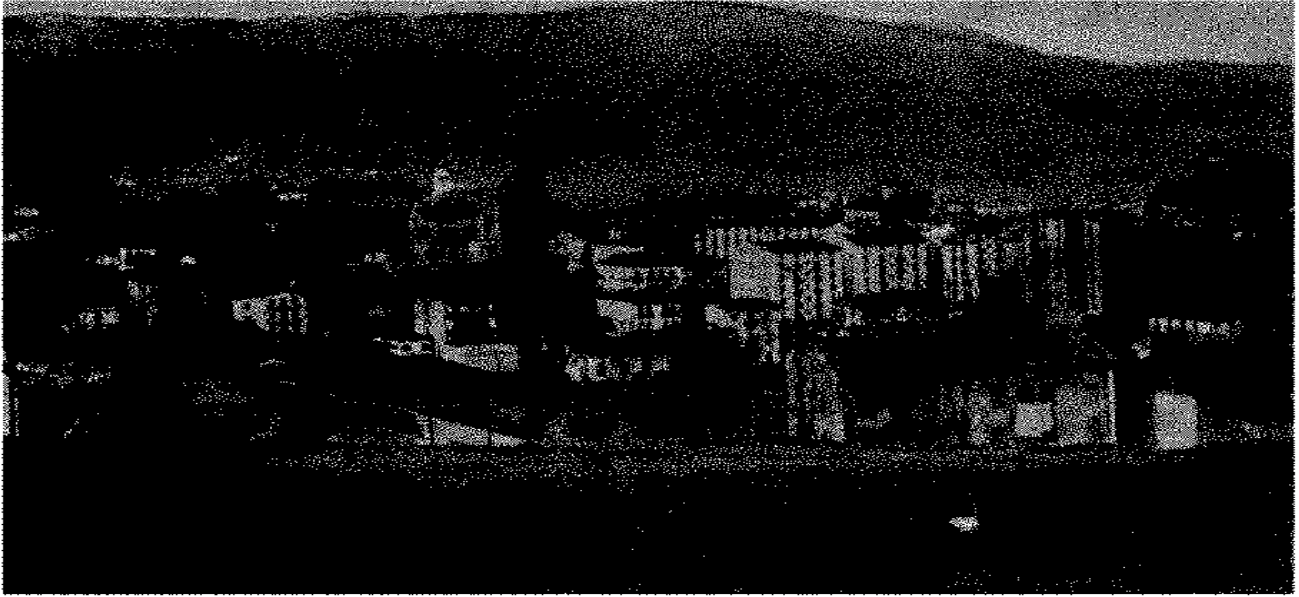
وقد كان للباشكونس دور مهم في حروب استرداد الاندلس من أيدي المسلمين وبهذا السبب تميزت بينهم عائلات كثيرة ، ورأست وعزّت وبزّت ، وبتوالي الزمن صارت نبيلة . ففي قشتالة وليون الملك هو المالك لجميع الأرض ، أما في نبارة ، حيث مواطن الباشكونس ، فالملك يشاركه في ملك الأراضي هؤلاء النبلاء الذين ساعدوه على طرد المسلمين ، ولهذا عندهم هناك ثلاث طبقات : النبلاء ، والعامّة ، والطبقة المتوسطة بينهما . وفي « ألبّه » الأهالي ينقسمون إلى نبلاء وإلى عامّة ، وذلك لأن منهم من حارب المسلمين ، ومنهم من خضع لهم ، فالذين خضعوا لهم هم الممدودون من صنف العامّة . ولهذا حصل التمايز بينهما ، أما في « بسقاية » و « غويبوسقوه » و « لابورد »

حيث لم يتمكن المسلمون ، ولم تكن لهم ولاية ، فجميع الأمة معدودة من النبلاء ، لأنه ليس فيها من أسلم ، ولا من خضع للإسلام . والنبالة في هذه المقاطعات يقال لها نبالة أرض ، لا نبالة دم ، والفرق بينهما أن الذين أخرجوا المسلمين بالحرب صارت لهم حقوق متأثلة ، واستولوا على الأراضي التي كانت صارت إلى العرب ، وأقاموا فيها أكثارين من عبيدهم وجنودهم ، فصار هؤلاء بمرور الأيام عائلات نبيلة ذوات اقطاع ، وأما نبلاء الأرض فهم الذين توارثوا أراضيهم من القديم ، وحفظوها خلقاً عن سلف ، لأنه لم يقع عليها فتح ، وأما القوانين والأعراف التي يمشي الباشكنس عايتها فهي عبارة عن عادات واصطلاحات قديمة مختلطة بقوانين جديدة ولكل ناحية عادات تختلف عن غيرها . وأكثرها يدور حول الامتيازات التي نالها بعض الأهالي ، وتملكوا بها الأراضي في حروبهم مع العرب . وهذا هو خلاصة ما يقال عن الباشكنس ، إحدى الأمم الأيبيرية وأقدمها ، ونزيد عليه أن باشكنس فرنسة و باشكنس اسبانية عقدوا سنة ١٩٠٢ مؤتمراً في « فونترابية » سموه مؤتمر اتحاد الباشكنس .

عود إلى ليون وقشتالة

ثم نعود إلى تفصيل ما أجملناه عن ايون والقشتاليتين بقدر الامكان فنقول : الحدود بين فرنسة واسبانية من جهة الشمال الغربي هي وادي « بيداسوا » Bidassoa الذي يجري بين « هنداي » Hendaye و « فونترابية » Fontarabie وهناك جزيرة اسمها جزيرة الحجل ، في وسط النهر انفتحت فرنسة واسبانية من قديم الزمان على جعلها منطقة متحايدة ، وفيها تلاقى الكردينال مازارين مع الدون « دوهارو » ، لأجل عقد صلح البرانس ، وتقرير زواج بنت فيليب الرابع ولويس الرابع عشر ، وفي هذه الجزيرة نفسها انعقد سنة ١٤٦٤ مؤتمر بين لويس الحادي عشر ملك فرنسة ، وهنري الرابع ملك قشتالة ، وفيها أيضاً ودّع فرنسوا الأول ملك فرنسة أولاده وعانقهم وهم ذاهبون رهائن إلى مجريط ، بحسب معاهدة سنة ١٥٢٦

وفي هذه الجزيرة أيضاً تقرررت بين فرنسا واسبانية مصاهرة مزدوجة ، وذلك سنة ١٦١٥ بعقد نكاح ايزابلة ابنة هنرى الرابع ملك فرنسا على فليب الرابع ملك اسبانية وعقد نكاح حنة النمساوية أخت فيليب الرابع هذا على لويس الثالث عشر .



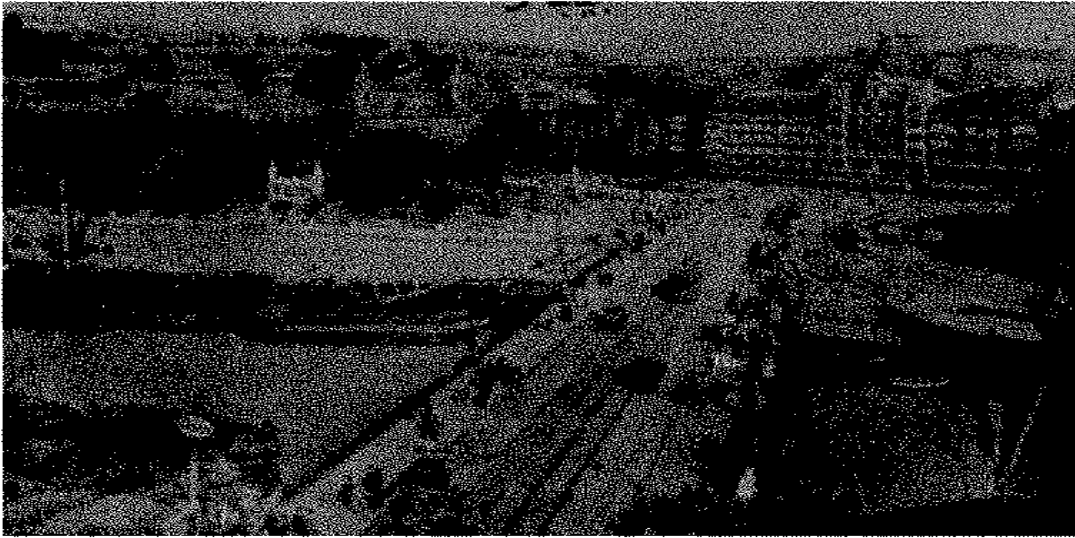
مدينة ايرون

ويوجد على وادى بيداسوا جسر مشترك طوله ١٣٠ متراً ، والنقطة المتوسطة منه هى الحد الفاصل بين المملكتين ، فاذا تجاوزته إلى الغرب فأنت فى مقاطعة « غينبوسكو » من بلاد الباشكونس . وأول مدينة تستقبلك هى مدينة « ايرون » Iruun وعدد سكانها بضعة عشر ألف نسمة ، وهى بلدة عصرية ذات موقع جميل على الضفة اليسرى لوادى بيداسوا . ثم على مسافة عشرين كيلومتراً من هناك تصل إلى مدينة « سان سيباستيان » Saint - Sebastien والباشكونس يقولون لها « دونوستيا » Donostiya ويقولون لها أيضاً « أيروشولو » Eruchulo وهى قاعدة مقاطعة « غينبوسكوا » وموقعها من أبداع المواقع . وفيها كانت تصيف العائلة الملوكية فى أسبانية ، ونبلاء الاسبانيول يقصدونها للترهة ، وعدد سكانها يقرب من خمسين ألف نسمة . وهى قسبان ، قديم وجديد ، وحوها جبال يصعد إليها المتزهون ، وعليها حصون منها جبل « ايقلدو » Igueldo وجبل « العليا » Iia وعلى خمسين كيلومتراً

من هناك مدينة « طولوزه » Tolosa وهي بلدة صغيرة ، سكانها ستة آلاف نسمة ، وموقعها بهيج ، وفيها معامل للورق ، وهي على نهر « أوربة » ، وبالقرب منها على مسافة عشرين كيلومتراً بلدة « زومرارة » Zumarraga وهي بلدة على نهر أوروله Urola ، ولها أيضاً منظر بديع . ومن هذه البلدة خرج « ميكال لويس دوليكازبي » De Ligazpe فاتح جزر الفيليبين سنة ١٥٦٩ ، وله فيها تمثال ، وبالقرب منها بلدة صغيرة يقال لها « فرغاره » Vergara والبلاد هناك كلها جبال وأودية ، إلى أن يصل المسافر إلى بسيط « ألبة » Alava ولألبه ذكر كثير في كتب العرب . وهذا البسيط تنحدر إليه جداول أهمها نهر يقال له « زادوره » وقاعدة مقاطعة ألبه مدينة « فيتورية » وكانت معروفة عند العرب ، ويقال إنهم كانوا يقولون لها سنت مرية ؟ وهي بلدة صناعية ، سكانها ٣٥ ألفاً ، يقال أن بانها هو « إيوفيجاد » ملك البيزيقوت Leovigilde بناها سنة ٥٨١ بعد يوم كان له على الباشكونس ، ثم إن الأذفونش الثامن ملك قشتالة انتزعها من يد النصارين سنة ١١٩٨ وفيها تمثال لرحل يقال له « ماتيومورازه » من زعماء الباشكونس ، كان يدافع عن امتيازاتهم . والبلدة قسيان عتيق وجديد ، والعتيق هو القسم الأعلى . وفي هذه البلدة ، أي فيتورية ، جرت معركة بين الانكليز والفرنسيين في ٢١ يونيو سنة ١٨١٣ وكانت هذه المعركة ختام حرب أسبانية في زمان نابوليون الأول . ثم هناك بلدة يقال لها « كستيلو » وبلدة أخرى يقال لها « أرغانزون » وهما من البلاد الصغيرة القديمة . ثم بلدة « ميرانده » وهذه سكانها خمسة آلاف نسمة ، وفيها حصن قديم وهي على نهر إبره

ومن جهة البحر يوجد بلدة يقال لها « غوتارية » Guetaria وبلدة يقال لها « زوميا » Zumaya على مصب نهر أوروله ، وبلدة يقال لها « سيستونه » Cestona وفي تلك الناحية دير كبير منسوب إلى القديس أغناطيوس لويولا Ignacio de Loyola مؤسس رهبانية الجزويت ، وهو مبني في مكان الميت الذي ولد فيه لويولا . وعلى البحر مرسى يقال له « ديفا » Deva سكانه ثلاثة آلاف ، وبلدة أخرى إسمها « ليكتيو »

Lequeitio سكانها أربعة آلاف ، ولها مرسى بديع . ثم بلدة « موتريكو » Motrico وأهلها صيادو سمك ، وفيها تمثال من رخام للجنرال « داميان » المولود في موتريكو ، والمقتول في واقعة طرف الأغر سنة ١٨٠٥ ثم بلدة « أونداروه » Ondarroa وهي مرسى سكانه صيادو سمك أيضاً ، وبلدة « الزولة » Alzola وفيها حمامات معدنية تنفع لأجل مرض المثانة ، وبلدة « الجويبار » Elgoibar وبلدة أخرى اسمها « إيبار » وفي كليهما معامل للسلاح . ثم بلدة دورنغو Durango ولها واد خصيب وفيها كنيسة « سان بطرودو طبيره » من أقدم كنائس الباشكونس ، وبلدة يقال لها « آموريبيطه » Amorebieta وبلدة يقال لها « غرنيقه » Guernica وسكانها



بيلباو

٣٥٠٠ ، ولها موقع في غاية الجمال ، وكانت في القديم قاعدة لمقاطعة « بسقاية » وهناك وادٍ بديع يقال له « مينداكا » Mundaca وكان للإمبراطوره أوجيني زوجة نابوليون الثالث قصر للأنزهة في تلك البقعة . ثم بلدة « برميو » Bermeo وسكانها عشرة آلاف ، وفيها بيارستان لهجانين يخص ثلاث مقاطعات الباشكونس . ثم بلدة « بيلباو » Bilbao وسكانها ٩٥ ألفاً ، وهي على نهر « نرفيون » Nervion وهي

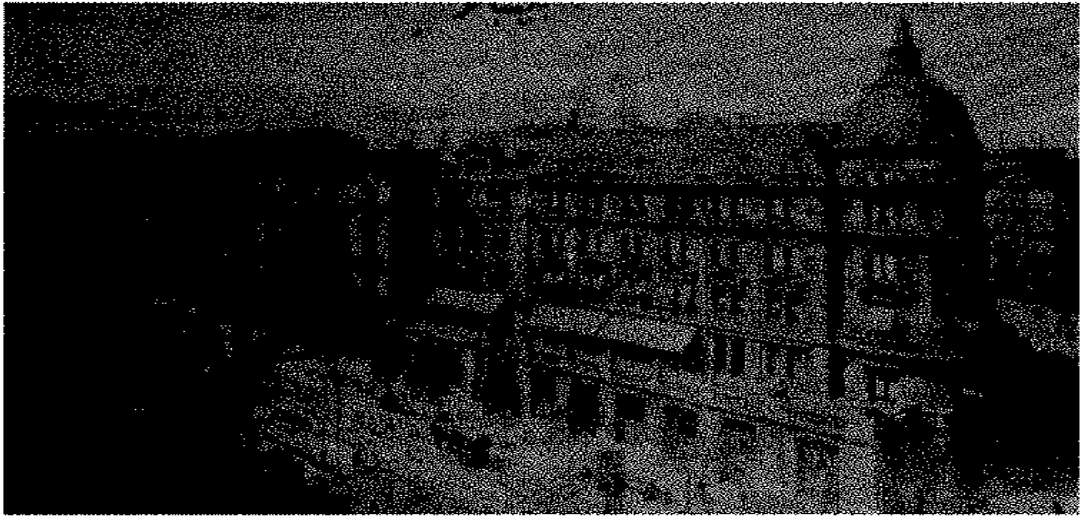
قاعدة مقاطعة بسقاية ، تحيط بها جبال مغطاة بالحراج ، وتبعد عن البحر ١٢ كيلومتراً ولها تجارة واسعة ، وهي قسيان . المدينة الجديدة ، والمدينة القديمة . فالقديمة هي على الضفة اليمنى للنهر ، والجديدة هي على الضفة اليسرى . وعلى النهر خمسة جسور ، وقد أصلحوا النهر حتى صارت البواخر التي محمولها أربعة آلاف طن تدخل فيه . ولهذه البلدة مرسى على البحر عند مصب النهر يقال له « العبره » El - Ebra وهذه المدينة معدودة من المدن الغنية ، بسبب معادن الحديد التي بجانبها ، وفيها مبانٍ جديدة بالذكر ، ومعاهد خيرية ، منها ملجأ للعميان وللخرس ، وفيها معامل ، ويقال إن باني هذه المدينة هو « لوبس دوهارو » Haro أمير بسقاية ، وذلك سنة ١٣٠٠



الحمام في بيلباو

وفي تلك الناحية بلدة « ارانغورن » Arenguren وفيها معامل للورق ، و بلدة « كارانزا » Carranza وفيها ينابيع معدنية والمهم هناك هو مدينة « سانت اندر » Santander وهي مدينة بحرية سكانها سبعون ألفاً . وهي قاعدة مقاطعة بهذا الاسم ، وهي بلدة قديمة ، كانت تنتهي إليها طريق رومانية ، وكان العرب يقولون لها « شنت أدرم » وأحياناً « شنت اندر » وهي قسيان : القسم الأعلى ، وهو المدينة القديمة ، وأزقتها ضيقة ، والقسم الأدنى ، وهو المدينة الجديدة ومرساها بديع ، وتجارها واسعة ، وهي من أهم المرافئ البحرية في شمالي اسبانية

ثم مدينة « أوردونية » وهى على وادى « نرثيون » وعدد سكانها ٣٥٠٠ وجميع مناظر تلك البلاد شائقة نظراً لكثرة الجبال والأودية والغابات فيها .
ثم نعود إلى الجهة الداخلية ، وهى التى يمر بها نهر ابره ، فمن مدن هذه الجهة « بريفسكا » Briviesca وهى بلدة صغيرة سكانها ٣٥٠٠ اجتمع فيها نواب البلاد سنة ١٣٨٨ وقرروا أن ولى عهد قشتالة ينبغى أن يحمل لقب « برنس الاشتورياس »



أحد البيوت المالية فى ايلباو

وبقربها بلدة « أونيه » One وفيها دير لابندكتيين اسمه سان سلفادور ، مبنى سنة ١٠١١ وفيه أربعة قبور من قبور الملوك وهناك قرية « كينتانا بالاً » Qnintanapalla التى فيها سنة ١٦٨٢ تزوج كارلوس الثانى ملك اسبانية بمارية لويز من آل بربون ، فى زمن لويس الرابع عشر . وقرية « تور كادة » التى ينسب اليها « تومادوتور كادة » Torquemada رئيس ديوان التفتيش الشهير فى اسبانية . وفى تلك البلاد مساكن كثيرة منحوتة فى الجبال . ومن الأماكن المذكورة فيها قرية « دويناس » Duenas التى تلاقى فيها فرديناند ملك أراغون مع ايزابلا ملكة قشتالة قبل زواجهما وعلى وادى دورو Dueno الذى يقول له العرب « الوادى الجوفى » بلدة « ارانده » Aranda وهى صغيرة بديعة المنظر ، وهناك مدينة « سان استبان »

San Estevan de Gormaz وكان العرب يقولون لها « شنت استابين » وفيها حصن قديم من أيام حروب العرب . ومدينة « اوسما » Osma وهي بلدة ايبيرية عتيقة ، كان لها ذكر في الدور العربي ، وبالقرب منها على شفير واد عميق دمن حصن عربي قديم . وقرية « المازان » Almazan ، وفيها مسارح نظربذيمة ، وآثار أسوار قديمة ، وقنطرة على الوادى الجوفى طولها ١٦٣ متراً . ومدينة « الكامبو » Medina del Campo وهي صغيرة ، وكان فيها قصر اسمه « قصر موتا » Castillo de la Mota مبنى من سنة ١٤٤٠ كانت تؤثره الملكة ايزابلا ملكة قشتالة ، زوجة الملك فرديناند ، وتقيم به وماتت فيه سنة ١٥٠٤ ومن مدينة « الكانبو » أو « الكامبو » إلى « زمورة » ٩٠ كيلو مترا بالسكة الحديدية ، وبينهما بلدة « تورو » Toro مبنية على جبل شاهق مدهش فوق الوادى الجوفى

برغش

وأما برغش ، Burgos فهي مركز مقاطعة بهذا الاسم ، وسكانها يزيدون على ثلاثين ألفاً ، وهي مركز قيادة عسكرية ، ومقر رئاسة أساقفة ، وموقعها على يفاع من الأرض فى القسم الشمالى من قشتالة ، يسقيها نهر اسمه « ارلنسون » Arlençon تراه أكثر السنة شحيحا ، لكن له فيضانات مدهشة . وفى برغش حصن على رابية مشرفة على البلد ، لم يبق منه إلا رسوم طامسة . وفى أسفل هذه الرابية الكنيسة الكبرى وهي من أبداع بدائع الصنعة القوطية فى اسبانية . ولبرغش سهل مربع يسقيه جدول اسمه « بيكو » وأقنية من ارلنسون . وهذه البلدة هى من أقرس مدن اسبانية بردا ، يتسلط عليها ربح الشمال ، وقد يقع فيها الثلج فى شهر يونيو وفى الشتاء يصح أن يقال فيها :

لا يفتح الكلب فيها غيرَ واحدة من الصقيع ولا تسرى أفاعيا
وأما فى القيظ فهى من أشدها حرارة ، يهب عليها ربح الجنوب المحرق فيشوى



مدينة برغش « منظر عمومي »

الوجوه ، وعليها يصدق المثل الذي يقال عن مجريط وهو : تسعة أشهر شتاء ، وثلاثة أشهر جهنم الحراء .

وفي برغش أبنية تعد من أجل ما يوجد في اسبانية ، وأهمها الكنيسة الكبرى بدأ بنائها الملك فرديناند الثالث الذي يقال له القديس فرديناند ، وذلك سنة ١٢٢١ واستمروا يبنون فيها ويزخرفون ويزينون مدة ثلاثمائة سنة . فتأمل كم فيها من بدائع وتصاوير وتماثيل وتماثيل ، تعد في الدرجة الأولى من درجات الفن . ويوجد غير الكنيسة الكبرى كنائس أخرى تقصدها السياح . مثل كنيسة سان نيقولا ، وكنيسة سان اشتابين ، وكلها على طرز البناء القوطي ، وكذلك في هذه البلدة حصن قديم يقال له « كاستيليو » يصعدون إليه من باب عربي اسمه قوس سان اشتابين وكان يسكن فيه ملوك قشتالة . وفي هذا الحصن احتفل بزواج السيد لذريق دو بيفار المسمى بالقمبيدور الشهير في التاريخ الذي يجعله الاسبانول بطلمهم القومي ، نظراً لشجاعته واقدامه . برغم أنه كان ظالماً غداراً ، ناقص الذمام ، عديم الوفاء . مما ثبت في التاريخ ثبوتاً لا ريب فيه ، ولكن الشعب الأسباني تعامى عن ذلك وخلق لهذا

الرجل محاسن لم تكن فيه ، حتى يمكنه تمام الاعجاب به ، وقد ولد لنريق البيفارى De Buer هذا سنة ١٠٢٦ ومات سنة ١٠٩٩ ،
وسنأتى على ذكره فى قسم التاريخ ، ونروى كيفية استيلائه على بلنسية ،
واحراقه القاضى ابن حجاف فى ساحة تلك البلدة ، بحجة أنه خبأ عنه بعض خزائنه
والحقيقة انه إنما أراد إلقاء الرعب فى قلوب أهل بلنسية . حتى لا يخفوا عنه شيئاً من
الأموال التى كان يطمع فيها . وقد كانت ولادة هذا البطل العشوم فى برغش ،
ومكان البيت الذى ولد فيه لا يزال معروفاً . وفى دار البلدية مخدع فيه عظام السيد
المذكور . وقد كانت من قبل مدفونة فى دير « كاردينية » Cardena ، وتقلبت
هذه العظام على حالات شتى إلى أن جمعوها سنة ١٨٨٣ فى دار البلدية فى برغش .
وبالقرب من دير كاردينية ، كانت تسكن امرأة السيد ، وهى المسماة « شمانة »
وكانت ابنة الكونت دياغو من « اوبيط » diego d'oviedo فإها بعد أن مات
زوجها وأخرجت من بلنسية سكنت فى برغش إلى أن ماتت ^(١) سنة ١١٠٤ .

(١) اختلف الناس فى أمر هذا البطل الاسانى اختلافاً شديداً من كونه عبقرى
بسالة وأصالة متحلياً بجميع مزايا الأبطال، إلى كونه سيداً عملماً سفاكاً للدماء ، غداراً
نهاباً ، ليس فيه شىء من مزايا الكرام ، وقد كتب المؤرخون سيرته بىرقادح ومادح ،
وقد وجد فى مكتبة دير سان ايزيدور فى ايون مخطوط نشر سنة ١٧٩٢ يتكلم عن هذا
السيد . ولكن أحسن كتاب عن السيد باعتراف الافرنج انفسهم هو المخطوط الذى عثر
عليه دوزى فى غوته Gotha سنة ١٨٤٤ وهو كتاب كتبه الكاتب العربى ابن بسام
بعد موت السيد بعشر سنوات ، لازيادة . وكان ابن بسام يعرف السيد معرفة شخصية
فوصفه عن معرفة تامة ، ولم يكن يذكره إلا ويردف اسمه باللعنة ، ولذلك إذا قال فيه
خيراً فلا بد من تصديقه ، لانه كلام عدو بحق عدوه ، فهو يقول عن السيد ما يأتى :
برغم هذا كله لا بد من الاعتراف بأن هذا الرجل الذى كان بقمة إلهية فى وقته ، بحبه
للجد ، ومثانة خلقه ، ورباطة جأشه ، وشجاعته الخارقة للعادة ، كان أعجوبة وقته ،
وكان النصر لا يفارق رايته ، وكانوا يقرأون سير أبطال العرب بحضوره ، ولما وصلوا
إلى سيرة المهلب أعجب بها اعجاباً شديداً ، انتهى .

ويقال ان باني برغش هو « رودريغس بورسالوس Rodriguez Porcelos » كونت قشتالة ، بناها سنة ٨٨٤ ، وكانت من قبل تابعة للاشتورياس ، ولكن الملك «أوردونيو» الثاني Ordono قتل ذرية بورسالوس ، فاستقلت المدينة واتخذت لنفسها حكومة جمهورية ، ثم في زمن « فرنان غونزاليز » Farnen Gonzales صارت قاعدة قشتالة^(١) ثم عند ما اتحدت قشتالة وليون مملكة واحدة كانت هي مركز قشتالة القديمة . وفي برغش هذه هزم الفرنسيين في زمن نابليون الجيوش الاسبانية . ومن مباني برغش المشهورة القصر المسمى « بالكردون » Caza del Cordón وهو قصر بناه أمير الجيوش « فاليسكو » في أواخر القرن الخامس عشر على يد البناء المشهور المسلم محمد السقوبي Mahomat de Segovia وفي برغش دير للراهبات شهير أصله مقسف للملك قشتالة ، ثم حوَّله الأذفونش الثامن سنة ١١٨٧ ديراً للراهبات ، وكان فيه مائة من هؤلاء المتبتلات . ولم يبق الآن سوى ثلاثين . ويقال للواحدة منهن

هذا كلام بن بسام بحق السيد ، ترجمه دوزى من العربية ، ونحن الآن نترجمه إلى العربية عودا على بدء ، والله أعلم بمكان الأصل . ومنه يعلم أن السيد كان بطلا حقيقياً ، لا بطلا خياليا ، وإنما الناس محلوه محاسن لم تكن فيه وربما أضافوا إليه مقابح تجاوزوا فيها الحدود ولكن بما لا مشاحة فيه أن الشر غالب عليه ، وانه أحرق القاضي ابن جحاف في ساحة بلنسية ، لكونه خبياً عنه أمواله . أما شجاعته وإقدامه فما لا يختلف فيه اثنان ، وكان ملكا قشتالة واراغون فرديناند ورامير يتنازعان على مدينة كالاهوره Calahorra فلولا السيد لم يتغلب ملك قشتالة على ملك اراغون ، وسنأتى بقصة السيد على وجهها في القسم التاريخي من هذا الكتاب ، وإنما اكتفينا الآن بالإشارة إليها . (١) وقرأت في كتاب «الصلة» لأبي القاسم خلف بن بشكوال ترجمة صادق بن خلف ابن صادق بن كييل الأنصارى من طليطلة فقال عنه إنه سكن برغش . فن هنا يظهر أن العرب استولوا على برغش وسكنوا بها . هذا إلا إذا كان المقصود بالبلدة التي سكن بها صادق بن خلف الأنصارى هي قرية « برغش » بفتح الباء Bargos التي في وادى الرمل على مسافة ٦٣ كيلو مترا من مجريط . فاما برغش المدينة المشهورة فهي بضم الباء Burgos

« سنيوره » أى سيدة ، ولا يقال « أخت » كما يقال لغيرهن .
 وفي هذا الدير كنيسة خزانة فيها راية عربية أخذها الأسبان من المسلمين في
 وقعة العقاب . وأما دير كوردينية فهو من أقدم الأديار ، كان بناؤه سنة ٥٣٧ وبانيه
 سنشه Sancha أم الملك تيودوريق . وهناك دير آخر تاريخ بنائه يرجع إلى سنة ٥٩٣
 في قرية صغيرة بقرب برغش يقال له دير سيلوس Silos بانيه الملك « ريكاريد »
 Récarèd وهو اليوم للبندكتيين

بلد وليد

ثم بلد الوليد Valladolid وهذه اللفظة عربية محرفة عن « بلد الوالى » . هكذا
 سماها العرب ، فأضاف إليها الأسبان حرف الدال ، فصار الانسان يتوهم أنها بلد بناها
 رجل يقال له الوليد ، وهى الآن مركز مقاطعة بهذا الاسم . سكانها فوق السبعين ألفاً
 وموقعها فى مرج أفتح ، على الضفة اليمنى من وادى بسيورقة . وكانت هذه البلدة
 مقراً للملك قشتاله^(١) وفيها تاهل فرديناند بايزابلاً سنة ١٤٦٩ وفيها مات كريستوف
 كولومب فى ٢١ مايو سنة ١٥٠٦ وفيها أفام فيليب الثانى وفيليب الثالث ، وكذلك
 نابوليون الأول جعل فيها مركزه عند ما فتح أسبانية ، وفيها كنيسة كبرى بدأوا بها
 سنة ١٥٨٥ على يد « هريرة » من البنائين المشهورين ، طول المسقوف من هذه
 الكنيسة ١٢٢ متراً ، وعرضها ٦٢ متراً ، وفيها مدرسة جامعة ، عدد طلبتها يقارب
 خمسة آلاف ، وأساتيذها خمسون ، وفيها خزانة كتب تشتمل على ٣٥ ألف مجلد . منها

(١) قال فى صبح الأعشى : مدينة وليد بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة
 من تحت ودال مهملة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الاقليم الخامس من الأقاليم
 السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول احدى عشرة درجة واثنتا عشرة دقيقة والعرض
 ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى « تقويم البلدان » : وهى من أحسن المدن
 وهى فى الغرب من طليطلة فى جنوبى جبل الشارة الذى يقسم الاندلس نصفين . قال :
 ويحلها الفونش ملك الافرنج فى أكثر أوقاته



الساحة الكبرى « بلد الوليد »

ثلاثمائة مخطوط ، وأمام المدرسة الجامعة تمثال للكاتب الاسبانيولى الشهير « ميشال دوسرفاننتس » Cervantes صاحب كتاب « الدون كيشوط » . وفي هذه البلدة متحف كان في أصله مدرسة يقال لها مدرسة « سانتا كروز » Santa Cruz وعلى باب هذه البناية القديمة صورة المطران « مندوزا » ساجداً أمام القديسة « تيريزه » وفي هذا المتحف مجموعة من تماثيل خشبية نادرة في بابها ، لأشهر نحاتى أسبانية ، وفيه من نقائس التصاوير والتماثيل ما يدهش السائحين .

وفي هذه البلدة أيضاً كنيسة يقال لها كنيسة المجدلية ، فيها قبر بانيتها «الدون بدور دولاغاسكا » de Lagasca وفيها كنيسة يقال لها كنيسة « سانتامارية لانطيقا » la Antigua هي من الكنائس الاثرية ، ومدرسة يقال لها مدرسة «سان غريغوريو» ، بناها البناء الشهير « فيغارنى » في أواخر القرن الخامس عشر . على بابها شجرة نسب الملوك الكاثوليكيين أى فرديناند وأيزابلا والمطران الونزو دو برغش . وفي بلد الوليد أيضاً كنيسة سان بابلو ، بدأوا بنائها سنة ١٢٧٦ ثم جددوها سنة ١٤٦٣ الكردينال « توركادا » وفيها ست أو سبع كنائس غير التي ذكرت . وكلها من الأبنية الموصوفة

بحسن الصنعة . وبالقرب من بلد الوليد بلدة « شنت طانكش » ، وأصل اسمها في زمن الرومانيين « سبتيمانكة » Septimania ثم انقلب إلى سيمينكاس Simancas والعرب يقولون لها « شنت طانكش » وفيها حصن مودعة فيه أوراق دولة اسبانية من القديم ، وهى ثمانون ألف اضبارة ، تشتمل على ٣٣ مليون وثيقة .

وبالقرب من سيمينكاس مدينة قديمة صغيرة اسمها « طورد زلاس » Tordsillas ومن مدن تلك الجهة « أريفالو » Arévalo وهى بلدة قديمة صغيرة ، سكانها أربعة آلاف نسمة ، وكانت فى الماضى معدودة من مفاتيح مملكة قشتالة . ثم مدينة « آبله »^(١)

(١) قد سكن المسلمون فى آبله لأول فتح العرب لاسبانيا ، وانتسب اليها جماعة من أهل العلم ، منهم أناس هاجروا منها إلى فاس ، وقد ذكر لى الاديب المدقق السيد محمد الفاسى من بنى الجد الفهرين أن أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبدرى الآبلى المتوفى فى فاس سنة ٧٥٧ للهجرة ، أصل أجداده من آبله ، نزحوا منها إلى تلمسان وبها ولد أبو عبد الله هذا ، ثم انتقل إلى فاس ومات بها ، وهو تلميذ العالم الرياضى الكبير اس السناء المراكشى ، والشيخ العلامة ابن خلدون

وقد وجدت فى آبله بلاطة تاريخ الكتابة التى عليها سنة ٨٠١ للهجرة ، نقلها لاوى بروفنسال ، وقال إن هذه البلاطة وجدت بقرب باب القصر Aleazar فى آبله ، وهى هذه : هدا قبر عبد الله بن يوسف السبي (٤) المقتول على ظلم (٤) ظه وملكه عام ض ١ لهجرة نيبا محمد صلى الله عليه وسلم (٤) الله يجمعنا معه فى الجنة النعيم لاحول ولا قوة إلا بالله ،

قال لاوى بروفنسال إن هذا التاريخ يوافق سنة ١٣٩٨ - ٩٩ مسيحية . قلنا إن آبله هى من المدن التى أخلاها المسلمون من أوائل الفتح . مثل شقوية ، وسمينكاس ، واستورة ، وليون ، وزموره وغيرها ، نعم ان المنصور بن أبى عامر كان قد غزا فيما بعد هذه البلاد كلها . واستولى عليها ، بعد أن أوقع بجيوش جميع أمم الاسبانيول ، وأعاد شمالي اسبانية إلى ملك الاسلام . ولكن لم يمض على ذلك إلا قليل ، حتى كانت الفتنة فى قرطبة ، وسقطت الخلافة . وصار المسلمون يستعين بعضهم على بعض بالنصارى ونجمت ملوك الطوائف ، وأصبحت الحالة أشبه بالفوضى ، فاسترجع النصارى جميع تلك المدن ، منها ما أخذوه بالقوة ، ومنها ما اشترطوا التخلي عنه لأجل النصره التى كان

Avila وسكانها ١٢ ألف نسمة ، وهي مركز مقاطعة بهذا الاسم ، ومركز أسقف ، وموقعها على سطح رابية منقطعة من الجهات الثلاث ، وأمامها الجبال التي يقال لها شارات « مالاغون » من جهة الشرق ، وشارات آبله من جهة الشمال الغربي . وهواء هذه البلدة هو في غاية القسوة ، وقد تنازع الأسبانيول والعرب هذه البلدة مدة أربعة قرون متوالية ، ولم تدخل في حوزة المسيحيين نهائياً إلا سنة ١٠٩٠ في زمن الاذفونش السادس ، فحصنها الاذفونش ، وجدد فيها أبنية كثيرة ، وبقيت إلى القرن السابع عشر من أحفل مدن اسبانية وكان فيها جم غفير من الموريسك ، أي العرب الذين نصرهم الأسبانيول ظاهراً ، ولبثوا مسلمين باطناً ، وكانت هذه المدينة عامرة بهم ، فلما طردوهم في سنة ١٦١٠ ، وهو الجلاء الأخير ، سقطت هذه المدينة سقوطاً تاماً . وفي آبله من الكنائس ما يعد في الطبقة الأولى بين كنائس أسبانية ، على كثرة احتفال الأسبانيول بالكنائس ، وبذلهم في بنائها ما عزو هان . ومن أشهرها كنيسة « سان سلفادور » San Salvador وهي مبنية من الحجر المحبب ، ينحالها الناظر إليها حصناً من الحصون . وهي من القرون الوسطى ، وبابها بديع الصنعة ، وفي داخلها تصاوير لأشهر المصورين ، وفيها قبر المطران « الفونسو دومادر يغال » من عمل النحات الشهير « فاسكو زارزا » Zarza ، وفيها كنيسة « سان بدرو » ودير « سانتو توماس » بناه الملك الكاثوليكيون ، أي فرديناند وايزابلا سنة ١٤٨٢ ، وفيه قبر البرنس جوان الذي مات سنة ٤٩٧ ؛ وكان الولد الوحيد لفرديناند وايزابلا وسور آبله القديم طوله ٢٤٠٠ متر ، ولم يكمله إلا سنة ١٠٩٩ . وفي آبله ماتت

يرجوها منهم كل من الفريقين المتقاتلين في قرطبة ، إذأ في سنة ٨٠٠ للهجرة لم يكن في آبله مسلمون غير المدجنين ، فان آبله كانت قبل تاريخ هذه الكتابة بثلاثمائة سنة رجعت إلى النصرانية ، فان كان قد بقى فيها مسلمون فيكونون ممن اختاروا « الدجن » أي الإقامة تحت حكم النصارى ، من دجن دجنا ودجوننا أي أقام بالمكان وألفه واستأنس به . وأصل استعماله للحمام والحيوانات ، يقال الحيوانات الداجنة ، ضد الحيوانات البرية



سور مدينة آبله

القديسة « تريزا » Teresa ، ولها هناك دير مشيد في محل البيت الذي ولدت فيه سنة ١٥١٥ ، وهذه القديسة هي شفيعة آبله . وفيها أيضاً كنائس أخرى متقنة مثل « سان سغوندو » Segundo و « سان فيسنت » Vicente نسبة إلى القديس فيسنت الذي يقال انه في سنة ٣٠٣ للمسيح قتل من أجل عقيدته المسيحية . وهناك صخرة هي في داخل الدير ، يقال إن القديس المذكور قتل عليها . وفي آبله ساحة منسوبة إلى المنصور بن أبي عامر . وبالقرب من آبله واد بهيج ، يقال له « وادي البرش » Alberche ، وفيه بلدة مشهورة بنوع من العنب يسمى البيلو Albillo ويقال لهذه البلدة « سبريروس » Cebberos

ومن مدن قشتالة « فيلالبة » Villalba واقعة على واد متسع تحيط به أهاضيب من شارات وادي الرمل ، وهي على حدود قشتالة الجديدة . وفي تلك الجهة قرية يقال لها « شارمارتين » Charmartin وهي التي فيها كانت نابليون الأول عند ما استسلمت له مدينة مجريط .

ومن مدن قشتالة « أوليدو » Olmedo وهي صغيرة ، ثلاثة آلاف نسمة ،

إلا أنها كانت ذات شأن في الماضي ، وكانت مسكن نبلاء قشتالة ، حتى ضرب المثل بها ، فكانوا يقولون : من أراد أن يسود في قشتالة ، فعليه أن يستند على أوليدو وأريفالو . ثم بلدة يقال لها « كوكو » Coco كان لها شأن عظيم في القديم ، ولكنها اليوم قرية صغيرة . و بلدة سقوية Ségovia ، وكل هذه البلاد قريبة من مجريط ، والسكة الحديدية تمر على سقوية ثم تدخل في نفق وادي الرمل ، وطوله ٢٧٠٠ متر وإذا أفاض الانسان من هذا النفق وقع نظره على سهل قشتالة الأفيح ، فشاهد أجمل ماتقع عليه العين . وفي تلك الناحية دير الاسكور يال الشهير ، ثم مجريط وهذه البلدة هي اليوم عاصمة أسبانية ، وسكانها يزيدون على ثمانمائة الف وفيها مدرسة جامعة ، ومركز اسقفية ، وموقعها على ٦ ، ١ ، ٣١ من الطول الغربي من خط نصف النهار الباريزي ، وعلى ٤٠ ، ٢٤ ، ٣٠ من العرض الشمالي ، وهي تطلو عن سطح البحر ٦٤٠ متر

مجريط Madrid

قال ياقوت في معجم البلدان : مجريط بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وكسر الراء ، وياء ساكنة ، وطاء : بلدة بالأندلس ينسب إليها هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي الأديب القرطبي ، أصله من مجريط ، يكنى أبا نصر ، سمع من أبي عيسى الليثي وأبي طلي القالي ، روى عنه الخولاني ، وكان رجلا صالحا صحيح الأدب ، وله قصة في القالي ذكرتها في أخباره من كتاب الأدباء - يعنى كتابه معجم الأدباء - ومات المجريطي لأربع بقين من ذى القعدة سنة ٤٠١ قاله ابن بشكوال . هـ

ومن غريب الأمور أن ياقوت ذكر مجريط في مكانين من كتابه ، ففي الأول ذكرها في صفحة ٣٨٨ من الجزء السابع من معجمه ، الطبعة الأولى المصرية المصححة بقلم الشيخ احمد بن الأمين الشنقيطي ، ثم في صفحة ٣٩٤ من الجزء نفسه ، عاد فذكر مجريط هي نفسها وترجمها غير الترجمة الأولى فقال : مجريط بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، وياء ، وآخره طاء مهملة : مدينة بوادي الحجاره ، اختطها محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ينسب إليها سعيد بن سالم الثغرى ، ساكن مجريط ، يكنى أبا عثمان . سمع بطليطلة من وهب ابن عيسى ، وبوادي الحجارة من وهب بن مسرة وغيرهما ، وكان فاضلاً ، وقصد السماع عليه ، ومات لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٧٦ قاله ابن الفرضى انتهى نقله عن بغية الملتمس

والذى يلوح لنا أنه كتب عن مجريط أولاً ، وانتهى منها ، ثم تلقى معلومات جديدة عنها فبدلاً من أن يلحقها بما تقدم له في شأن مجريط ، عاد فترجمها مرة أخرى وينسب إلى مجريط عدد من أهل العلم في الاسلام منهم أبو محمد عبد الله بن سعيد المجريطى^(١) وعبد الرحمن^(٢) بن عبد الله بن حماد المجريطى . وهارون بن موسى ابن صالح ابن جندل القيسى القرطبي ، أصله من مجريط ، وأبو العباس يحيى بن محمد ابن فرج بن فتح ، المعروف بابن الحاج^(٣) المجريطى ، توفى بقرطبة سنة ٥١٥ وأبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد^(٤) المجريطى ، توفى بمجريط نفسها سنة ٤٧٣ وعبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج المجريطى ، سكن قرطبة ، وكان

(١) سمع من علماء طليطلة وعلماء قرطبة وتوفى بالمشرق سنة ٣٩٠ أو في السنة

التي بعدها

(٢) أخذ عن ابن مدراج وعبدوس بن محمد وأبي بكر الزبيدي وابن الهندي وابن

القطار وابن ابى زمنين وكان فاضلاً ثقة متواضعاً قال ابنه يوسف بن عبد الرحمن : توفى

أبي رحمه الله في صفر سنة ٤٠٧ وهو ابن ٧٧ سنة

(٣) كان من علماء الأدب والعربية قال ابن بشكوال : وقد أخذ عنه أصحابنا وكان

أحد العدول وتوفى رحمه الله يوم الاثنين لاربع بقين من ربيع الأول سنة ٥١٥ بقرطبة

ودفن بمقبرة أم سلة حضرت جازته اه

(٤) روى عن ابى عبد الله بن الفخار وابى عمر الطلنكى وابى محمد الشنتجالي

ورحل الى المشرق حاجاً ولقى أبا ذر الهروي ويحيى بن نجاح ولقى بركة ميمون ابن

طريف وباطرا بلس أبا الحسن بن المنمر وقرأ عليه كتابه في الفرائض وكان أبو يعقوب

ابن الحاج هذا ثقة حسن الخط من بيت خير وفضل توفى بمجريط سنة ٤٧٣

يكنى بأبي الحسن^(١) . وأبو الحسن غريب بن خلف بن قاسم الخطيب القيسي الجريطي نزيل مالقه ، كان من أهل العلم ، وله تصنيف

وأعظم المنسويين إلى جريط أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطي الفلكي الكياموي الشهير . وعن ينسب إلى جريط سعيد بن سالم الجريطي المعروف بأبي عثمان الثغري الذي ذكره ياقوت ، وينسب إلى جريط أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن ابن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج ، كان ساكناً في قرطبة . وتولى قضاء جيان ، وقضاء مرسية ، وقضاء غرناطة ، ثم تولى قضاء قرطبة بعد أبي الوليد بن رشد ، وكان قاضياً جليلاً ، توفي^(٢) سنة ٥٩٨ .

وأما أبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد الجريطي الذي قلنا إنه توفي بجريط سنة ٤٧٣ . فاذا كان القشتاليون استولوا على جريط سنة ١٠٨٣ فينبغي أن تكون وفاته وقعت في جريط بعد استرداد الاسبانيول لهذه البلدة . وأخبرني مهندس اسبانيولي مدقق متخصص بعلم الآثار اسمه فرناندس من أهل قرطبة أنه لما استولى الأسبان على جريط كان فيها أربعة جوامع

كان بناء جريط في زمن العرب ضرورة عسكرية ، لأنهم جعلوها قلعة في وجه القشتاليين ، ولولا القلعة ما تكونت ثمة بلدة ، إذ ليس إلا بلد محتل ، وماء ضحل ، وبقيت في أيدي العرب مدة طويلة إلى أن تمكن الاسبانيول من إرجاعها سنة ١٠٨٣ وذلك على يد الأذفونش السادس ، وكانت القلعة العربية في مكان القصر الملوكي الحالي وهذا القصر هو أنخم بناء في هذه العاصمة الآن ، وكان الشروع بينائه سنة ١٧٦٤

(١) قال ابن الأبار في التكملة : يعرف بالجريطي لان أصله مها أخذ القرامات عن أبي القاسم بن النحاس وتولى القضاء برندة وحدث عنه ابنه القاضي أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن وكان مولده سنة ٤٧٣ . وتوفي سنة احدى وعشرين وخمسمائة

(٢) ترجمه ابن الأبار . فقال : انه اخذ القرامات عن أبيه وقرأ على أبي بكر ابن العربي وأبي زيد الخزرجي وأبي بكر بن سمجون وتولى قضاء جيان ومرسية وغرناطة ثم قضاء قرطبة بعد ابن رشد وكان معدوداً في رجالها مع الجزالة والعدالة والايثار للحق

هذا ، ولما دخلها الاسبانيون حولوا مسجدها الكبير إلى كنيسة باسم السيدة العذراء ، وأعطوا مجريط امتيازات كثيرة ، وصارت لذلك العهد مدينة لابأس بها ، تمتد إلى باب « لاتينه » Latina و باب « سراده » Cerrada ، و باب « وادي الحجارة » و باب « سانتو دومينكو » Sato Domingo و باب « سان مارتين » San Martin و باب « الصول » Del Sol ، و وقع بين أهل مجريط وأساقفة أسبانية دعوى على مشاعات البلدة ، فصدر الحكم بأن تكون المراعى لرجال الكنيسة وأن تكون الغابات للمدينه .

وفي سنة ١٣٢٩ جمع فرديناند الرابع أول مجلس للأمة الاسبانية في مجريط ، وفي سنة ١٣٨٣ التجأ إلى اسبانية لاوون ملك أرمينية شريداً ، فولّوه على مجريط ، ولكن بعد وفاته رجعت البلدة إلى حكم قشتالة ، وفي سنة ١٣٩٠ حصلت في مجريط فتن متتامة أيام كان الملك هنري الثالث صغيراً فانتقلت العائلة المالكة إلى سقوية . ثم تجددت هذه الفتن في زمن هنري الرابع بين سنتي ١٤٥٤ و ١٤٧٤ ، ولم تستقر أحوال مجريط إلا في زمن الملوك الكاثوليكين ، أي فرديناند وايزابلا سنة ١٤٧٧ وفي زمن شارل كان ثار مجريط عليه ، وانضمت إلى الحزب الذي كان يأبي الانقياد للحكم المركزي ، إلا أن هذا الحزب انتهى أمره بالفشل ، فدخل شارل كان مجريط سنة ١٥٢٤ و بعد ذلك بسنة ، لما وقع فرنسوا الأول ملك فرنسة أسيراً في يد الامبراطور شارل كان ، بعد معركة « بايئه » Pavia جى ، به إلى مجريط ، واعتقلوه مدة في البرج المسمى « لوجانس » Lujanes ثم نقلوه إلى القصر Alcazar ، وكان عدد أهالى مجريط في أوائل القرن السادس عشر لا يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة .

والذي فكر في جعل مجريط عاصمة اسبانية هو فيليب الثاني ، وذلك سنة ١٥٦٠ وقبلها كانت العاصمة طليطلة . وكان في طليطلة كرسى الأسقف الأكبر ، فكانت هذه المدينة عاصمة اسبانية في الدين والدنيا ، وكان الاحتكاك الدائم لا يخلو من حوادث تبعث على الاختلاف ، فأخذ فيليب الثاني يفكر في الانتقال إلى مركز

آخر يتوسط المملكة من جميع الجهات ، فلم يجد أفضل من مجريط ، على علاقتها ، وقحولة أرضها ، وعظمتها من أكثر المواهب الطبيعية التي تقوم بها عمارة البلدان . فانه فكر في سرقسطة ، فوجدها منحرفة إلى الشمال . وفي برغش وليون ، فلم يجد فيهما التوسط اللازم الذي جعله نصب عينيه ، وفي قرطبة واشبيلية ، فوجدهما ضاربتين في الجنوب ، وكان مراده على كل حال أن يغادر طليطلة فراراً من مجاورة أحبار الكنيسة فاختر مجريط ، برغم وقوعها في أرض قليلة الخيرات ، لا تجري فيها أنهار ولا تمتاز بزراع ولا ضرع ، كما أن هواءها جامع بين الأضداد ، فمن نوافح البرد القارس ، إلى لوافح الحر المحرق ، ففي أيام الشتاء قد تنزل درجة الحرارة في الميزان إلى ١١ تحت الصفر ويتجمد الماء أكثر فصل الشتاء ، وفي الصيف تصعد الحرارة إلى الدرجة ٤٣ في الظل ، كأنه حر الساحل الجنوبي ، ثم ان هواء مجريط ، إما أن يكون شديداً عاصفاً ، يصرع الرجل الماشي في الشارع ، وإما أن ينقطع تماماً ، حتى لا يطفىء المصباح ، فتقلبات الأحوال الجوية في هذه العاصمة أعجوبة من الأعاجيب ، ومن أمثالهم : لا تترك معطفك قبل ٢٠ مايو .

ولما انتقل فيليب الثاني إلى مجريط كان فيها ٢٥٠٠ بيت ، و ٢٥ ألف نسمة ، فضاقت على رجال الدولة والجنود . وصدرت الأوامر بانزال الأمراء والقواد وأصحاب المناصب في البيوت الكبيرة ، فمن ذلك الوقت امتنع الناس عن بناء الدور الفيحاء ، وصار الأغنياء منهم يعتمدون السكنى في المنازل الحقيمة ، حتى لا ينزل رجال الدولة في دورهم . فلذلك بقيت مجريط لا تتقدم إلى الأمام مدة طويلة ، مع ان الفن لذلك العهد كان بلغ أوج الترقى ، واستمرت هذه الحالة على مجريط إلى أن جاء آل بوربون ملوكاً على اسبانية ، فشرع كارلس الثالث ، أفضل ملوك هذه العائلة ، في عمارة مجريط والاعتناء بشأنها . ولما استعفى كارلس الرابع من عرش اسبانية سنة ١٨٠٨ جاء يوسف بونابرت ، وأخذ يوسع شوارع مجريط ، ويهدم حاراتها القديمة ، والأديار التي كانت تضيق بها الأرض بما رحبت ثم ذهب حكم نابليون ، وأعيد حكم آل

بربون ، وجاء فرديناند السابع ، فأخذ يمتنى بتوسيع مجريط وتزيينها ، إلى أن كسبت شكل عاصمة حقيقية .

وأشهر ساحة في مجريط هي التي يقال لها « باب الشمس » Peurta del Sol ومن هذه الساحة يمتد شارعان ، أحدهما المسمى شارع « القلعة » Alcala وهو أوسع شوارع المدينة وأبهاها ، وبه تسير جميع المواكب في الاحتفالات ، والثاني شارع « جيرونيمو » وفيه أعظم المخازن وأغناها .

وفي مجريط أكاديمية للفنون النفيسة ، وفيها متحف المدفعية وفيه آثار وفنائس كثيرة . وفيه قاعة تسمى القاعة العربية ، جمعوا إليها كل ما قدروا عليه من مخلفات العرب ، من رايات ، وعمائم ، وأثواب ، وأحذية ، وسيوف ، ومن جملتها سيف أبي عبد الله بن الأحمر ، آخر ملوك غرناطة . وقد اشتمل هذا المتحف أيضاً على غنائم كثيرة مما حازه الاسانيول في فتح أميركة ، وتلك المستعمرات الواسعة ، وكذلك في هذا المتحف تذكارات كثيرة من أيام حروب الكرلوسيين .

وحروب الكرلوسيين تشغل من تاريخ اسبانية حيزاً كبيراً ، بحيث لا يفهم القارىء حقيقة تاريخ اسبانية في القرن الماضي بدون أن يعرف قضية الكرلوسيين هذه . فلذلك رأينا تلخيصها فيما يلي :

الدون كارلوس البربونى المولود سنة ١٧٨٨ المتوفى سنة ١٨٥٥ كان ابن كارلس الرابع ، ملك أسبانية ، واخا فرديناند السابع . فلما حمل نابليون الأول فرديناند هذا على الاستعفاء واعتقله ، كان الدون كارلس مع أخيه في الاعتقال ، فلما عاد فرديناند الى الملك ، بعد سقوط نابليون سنة ١٨١٤ عاد الدون كارلس أيضاً مع أخيه ونظراً لكون فرديناند لم يعقب ولداً ، كان كارلس هو ولى العهد الشرعى ، وحوله اجتمع رجال الكنيسة والرهبان والنبلاء الذين يكرهون مبادئ الثورة ، وجميع من كان من أنصار الملكية المطلقة ، وأصحاب الامتيازات والاقطاعات ، فصار الدون كارلس يناوىء أخاه الملك ، ولم يتمكن فرديناند من العرش في وسط هذه المزاهاز الآ بواسطة

جيش أنجده به فرنسا سنة ١٨٢٣ ، واشتدت المداوة بين الأخوين ، فتزوج الملك فرديناند بمارية كرسطينا من ملوك الصقليتين ، وولد له منها الأميرة ايزابلا ، فصارت هي في نظر أبيها وارثة الملك . والحال ان قانون أسبانية كان يمحصر الارث في الذكور ، فادى الامر الى الحرب بين حزب الملك وحزب الدون كارلس ، ومزقت هذه الحروب الأمة الأسبانية تمزيقاً ، وانفقت فرنسا وانكاترة ، فعضدتا الملك فرديناند في وجه أخيه ثم مات الملك سنة ١٨٣٣ فقامت مقامه زوجته الدونة مارية ، وعضدتها فرنسا وانكاترة ، فانهزم كارلس الى البرتغال ، لمصاهرة بينه وبين الدون ميكال ملك البرتغال . الآ ان حزب الدون كارلس كان كبيراً ، وثارث معه المقاطعات التي كانت تكبره النظام المركزي ، فاشتعلت نار الفتنة في الاستورياس ، وبلاد الباشكونس ، ونبارّه ، واراغون ، وكتلونية . واشتدت الحرب الأهلية في أسبانية ، الى ان وقع الخلف أخيراً بين زعماء حزبه ، ففشلوا ، واضطر كارلوس الى الفرار سنة ١٨٣٩ ، والتجأ الى فرنسا في زمن الملك لويس فيليب ، واعتقل فيها .

ثم نزل عن دعواه لشخصه وخلفه ابنه الدون المسمى كارلس أيضاً ، فاخذ هذا يثير حزبه على ابنة عمه ، وجرت وقائع وحروب في أيامه ، كما جرت في أيام أبيه . وما زال يقاتل ويثير الفتنة الى أن مات . فخلفه أخوه الدون جوان . ثم خلف الدون جوان ولده الدون كارلس أيضاً ، وذلك سنة ١٨٦٨ ، وسماه حزبه كارلس السابع ، ودخل أسبانية ، وأثار الفتنة ، نظير عمه وجده . وتغلب على عساكر الدولة الأسبانية ، وقام بتشكيل وزارة ، واوشك ان يستولى على العرش . واستمرت هذه الحالة مدة أربع سنوات ، الى أن تغلبت الدولة الأسبانية في الآخر عليه ، فانهزم الى الخارج ، فصار يجول في الاقطار الى ان مات . وانتهت الشحنة الكارلوسية .

ثم نعود الى ذكر مدينة مجريط فنقول : انه فيها دار لمجلس النواب ، يقال لها دارالمؤتمر Palacio del Congreso وهي بناء فخم ، انشأه المهندس . نرسيزو بشكوال Pascual . وأمام الرتاج اسدان من مكب الرمل ومدافع غنمها الاسبان من

المراكشيين في واقعة تطوان سنة ١٨٦٠ . وفي مجريط متحف يقال له متحف البرادو Prado ، بدأوا به سنة ١٧٨٥ ، وهو قسيان ، أحدهما للتماثيل ، والآخر للتصوير . وفيه آثار ايدي مشاهير المصورين والنحاتين ، ممن تقدم لنا ذكرهم في الفصل المتعلق بالفن ، ومن غيرهم . فهو من أحفل متاحف أوربة بلا نزاع ، يختلف اليه عشاق الفن ما شاؤا ان يختلفوا ، ولا يزالون يرون فيه أشياء جديدة . وفيها جنة النبات Gardin Botanique ، وقد بدأوا بها سنة ١٧٧٤ الا ان دليل بديكر يجعلها دون حديقة النباتات التي في بلنسية ، ودون حدائق النباتات التي في البرتغال .

وفي مجريط ساحة يقال لها ساحة الشرق ، في نهايتها ملهى التمثيل الملوكي . وأما قصر مجلس الشيوخ فانه في طرف من المدينة ، بينما مجلس النواب هو في الطرف الآخر .

وأما خزانة الكتب الوطنية ففيها عدا الكتب ، وعدا الوثائق التاريخية ، متحف يقال له متحف الفن الحديث ، ومتحف آخر يقال له متحف الآثار القومية . وقد بدأوا ببناء دار الكتب هذه سنة ١٨٦٦ ، وانتهوا منها سنة ١٨٩٤ ، وامام رتاجها تماثيل المشاهير من رجال أسبانية ، وفي داخلها تماثيل ملوكهم وملكاتهم . وأول من جمع هذه الكتب في مجريط هو الملك فيليب الخامس ، وذلك من مائتين وخمس وعشرين سنة . وسنة ١٨٦٦ اشترت الحكومة مجموعة كتب مخطوطة كانت تخص دوق اوشونة ، و اضافها الى هذه المكتبة . ومجموع ما تشتمل عليه من الكتب هو ستمائة وخمسون الف مجلد ، منها ثلاثون الف مخطوط ، والفان وسبعة وخمسون كتاباً طبعت في بداية عهد الطباعة . وفيها عشرون الف ورقة من الوثائق . وثلاثون الف صورة يدوية . وفيها ثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط . والبناء هو سبع طبقات من الحجر والحديد ، وفي قاعة القراءة ٣٢٠ كرسيًا . ولما ذهبت الى مجريط سنة ١٩٣٠ كنت أذهب كل يوم الى هذه المكتبة ، وفيها اطلمت على كتب كثيرة تتعلق بالأندلس ، ثم اقتنيت اكثرها فيما بعد ذلك ، ونسخت بخط ايدي

يومئذ قسما من كتاب اخبار مجموعة ، وهو أول تاريخ عربي لمسلمى الاندلس ، يصل الى زمان الناصر ، وقسما من كتاب القضاة بقرطبة ، لأبي عبد الله محمد الحشني ، وأما خزانة الآثار القومية ففيها مائتا ألف وثيقة ، جمعت من كل الأطراف ، ولا سيما من كنيسة آبله . وتحت المكتبة أقباء ملائى بالآثار القديمة التى قبل التاريخ وعظام بشرية ، وهناك مكان للعاديات الشرقية ، ومنسوجات قبطية ، وآنية أصلها من قبرص ، وكثير من المصنوعات الايبيرية ، والتماثيل العتيقة ، مما يحار له العقل . ويقضى السائح الأيام والأشهر وهو يقضى منه العجب ، ويوجد قاعات لآثار القرون الوسطى : من كتابات ، وقطع فنية ، ونواويس . وهناك قاعة خاصة بآثار العرب ، والآثار المسيحية التى يطلق عليها اسم الطراز المدجن ، والاسبانيول يقولون المدجر ، وأكثر هذه الآثار العربية مأخوذة من أشبيلية وقرطبة وسرقسطة وغرناطة وفى القاعة العربية أسطرلابان عربيان ، أحدهما تاريخ صنعه سنة ١٠٦٧ مسيحية ، وهو أقدم أسطرلاب معروف اليوم . وفيها تحت الزجاج مجموعة عظيمة من الصحون والآنية العربية . وإلى الحائط الغربى من القاعة العربية قوسان من باب الجعفرية ، فى سرقسطة ، وقطع من البهو الملوكى فى الجعفرية المذكورة ، وباب عربى جىء به من ليون ، وحوض للوضوء جىء به من مدينة الزهراء فى قرطبة ، وآثار من جامع بناء محمد الثالث فى غرناطة . وإلى الحائط الجنوبى باب عربى من خشب وجدوه فى « دروقه » ، وإلى الحائط الشرقى مجموعة من الزليج ، وفى الوسط فوارة أشبه بفوارة قاعة الأسود فى الحمراء ، وفورتان من قرطبة ، ويوجد سيوف عربية ، وخواتم ، وآنية من العاج ، وغير ذلك من نفيس صناعات العرب . ومما يوجد فى هذا المخزن مفاتيح مدينة وهران يوم دخلها الاسبانيول سنة ١٥٠٩ وفى الطبقة الأولى من خزانة الآثار هذه توجد آثار مكسيكية قديمة ، حازها الاسبانيول يوم فتحوا تلك البلاد ، وآثار غريبة ، وآنية خزفية ، ومنسوجات من أميركا الجنوبية ، وفُسيفساء من صنعة أميركا الشمالية القديمة وغير ذلك مما وجدوه فى المكسيك وكولومبية وكوبا وغيرها .

ومكتبة مجريط هي من أغنى مكاتب أوربة بلا نزاع ، سواء في الكتب ، أوفى الآثار أوفى التحف النفيسة ، وفيها أيضاً نفائس من صنعة فارس وتركية والهند ، وتماثيل صينية ، ومصنوعات من العاج من عمل الصين ، وفيها أيضاً من صناعة اليابانيين وبلاد الفيليبين ، وفيها معرض للمسكوكات القديمة ، من زمان قرطاجنة فما بعدها ، وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به العقل .

وفي مجريط تمثال لكريستوف كولومب منصوب في ساحة منسوبة إليه . وتمثال للملكة إيزابلا الكاثوليكية ، وتماثيل أخرى لأعظم الرجال . وفيها متحف للعلوم الطبيعية أنشأه سنة ١٧٧١ ، يوجد فيه كثير من الحيوانات والطيور والحشرات والموام والبقايا المتحجرة . ولما كانت مجريط خالية من الماء في وسطها فقد جرّوا إليها قناة يقال لها « لوزويّة » Lozoya ، وأنشأوا خزّاناً يفضى إليه الماء في أعلا نقطة من المدينة ، وهذا الخزّان يسع ١٨٠ ألف متر مكعب من الماء ، وهناك برج عال ارتفاعه ٣٧ متراً تتفرق منه المياه على الحاضرة . وأوسع ساحة في مجريط هي الساحة التي يقال لها « ساحة الشرق » Plaza de Oriente أنشأها يوسف بونابرت لما كان ملكاً على أسبانية ولكثرة ما أنشأ من الساحات صاروا يقولون له « Rey Plazueles » ومعناه ملك الساحات . وقد هدم لأجل توسيع هذه الساحة عدة أديار وكنيسة وخمسة بيت . وفيها أربعون تمثالاً للملوك القوط والأسبان . وفي مجريط دار للسلاح مشهورة ، وكان أصلها في بلد الوليد ، فنقلها فيليب الثاني إلى مجريط ، وفيها أسلحة من جميع الأنواع ، منها ما جاء هدية من اليابان إلى فيليب الثاني ، ومنها أسلحة مكسيكية . وفيها رايات باقية من زمن شارلكان وفيليب الثاني ، وكذلك دروع ومغافر كانت لشارلكان وفيها أيضاً عمامة وأسلحة منسوبة لخير الدين بربروس ، قيل إنهم أخذوها في موقعة تونس سنة ١٥٣٥ ، وفيها أسلحة علي باشا أمير البحر التركي ، مع ثيابه وراية تركية ، مما أخذه الأسبان في واقعة لينط الشهيرة سنة ١٥٧١ ، وفيها رايات لمشاهير قواد أسبانية . وخيمة من مصنوعات تركية ، كانت لفرنسا الأول ملك فرنسا وقد أخذها

الاسبانيول في وقعة « باثيا » التي أسرف فيها ، وفيها سيوف باركها البابوات لأن أصحابها جاهدوا في المسلمين ، مثل الملك هنري الرابع صاحب قشتالة ، والأمبراطور شارل كان وفيليب الثاني ، وفيليب الثالث ، وفيليب الرابع ، وفيها أسلحة تركية من صنعة القرن السادس عشر والسابع عشر ، وبقايا غنائم أخذوها يوم فتحوا وهران سنة ١٧٣٢ ، وفيها أسلحة شارل كان يوم نازل تونس ، ويوم انكسر عن مدينة الجزائر . وفيها أسلحة كانت للملك فرديناند الكاثوليكي ، وقلما وجد سلاح لملك من ملوك أسبانية إلا ومنه بقية في هذا المخزن

وفي مجريط دار يقال لها أكاديمية التاريخ ، بنيت سنة ١٧٣٨ ، وفيها متحف يحتوي على أسلحة ايبيرية قديمة ، وعلى مجموعة مسكوكات ، ومن جملة ما فيها راية عربية كانت من قبل في كنيسة سان اشتبان . وأما من جهة الكتب ففيها ٤٤ ألف مجلد ، من أصلها ألفان من المجلدات المخطوطة ، وأكثرها عائد لتاريخ أسبانية وأما الكنائس فحدث عنها ولا حرج ، ففي اسبانية تكون القصة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف نسمة ، ولا تعدم فيها كنيسة متقنة تستحق أن يقصد السياح اليها ، فكيف تكون ياليت شعري ! حاضرة المملكة التي جلس فيها ملوك اسبانية من ثلاثمائة سنة ؟ وأشهرها الكنيسة الكاتدرائية التي يقال لها كنيسة سيدة المدينة Nuestra Senoira de la Almudena

هذا وقد ترددت في أثناء مقامي بمجريط على مكتبة أكاديمية التاريخ ، وعثرت فيها على كتب كثيرة . وقطفت من أزهارها . ونسخت بقدر ما أمكنني الوقت ، واني لذا كر الآن بعض الكتب التي استجلبت نظري ، من أسفار تلك المملكة وهي : « تاريخ علماء » الاندلس ، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي ، وكتاب « الحلال الموشية في الأخبار المراكشية » . و « الروضة الغناء في أصول الغناء » ، و « تفريج الكرب عن كرب أهل الأرب . في معرفة لامية العرب » لمحمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور ، و « نظم السر والعقيان ، في شرف (٢٣ - ج أول)

بيت بنى زيان ، وذكر ملوكهم الأعيان ، ومن ملك من أسلافهم في ماضى من الزمان ، و « عمدة الطيب في معرفة النبات » ، لابن بطلان ، و « نزهة المشتاق ، في اختراق الآفاق » للشريف الادريسي ، الذى نقلنا عنه كل ما قاله عن الاندلس في كتابنا هذا وكتاب « فتوح أفريقية » ، وكتاب « القواعد المسطرة ، في علم البيطرة » لعلى بن عبد الرحمن بن هذيل بن محمد الفزاري . وكتاب « فضالة الاخوان في طبيبات الألوان » ، لأبي الحسن طلى بن محمد بن القاسم بن محمد بن أبي بكر بن الوزير التجيبي الاندلسى . و « تقييد الرسائل » من انشاء الفقيه القاضى الكاتب ابن المطرف ابن عميرة . و « عقد الجمان ، في تاريخ أهل الزمان » لبدر الدين أبي محمد محمود بن احمد بن موسى العيني . و « الروض المhton ، في أخبار مكناسة الزيتون » ، لمحمد ابن احمد بن محمد بن محمد بن عازى العثماني المكناسى . و « نتيجة الاجتهاد ، في المهادنة والجهاد » ، لاحمد بن المهدي الغزال الفاسى . وكتاب « الاكتفا في أخبار الخلفاء » ، لأبي مروان عبد الملك بن الكردبوس . وكتاب « الدررة المضية ، في اللغة التركية » ، لزين الدين عبد الرحمن بن ابى بكر العيني . و « القوانين السكاية ، لضبط اللغة التركية » ، لشمس الدين محمد بن نور الدين على بن زين الدين . وكتاب « استخراج ملح المعادن » . وكتاب « تأييد الملة » . و « الذخيرة » لابن بسام ، ورسالة بفضل الاندلس لأبي الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى . و « حكاية الجارية تودور » ، وما كان من حديثها . وكتاب الجغرافية في مساحة الأرض ومجائب الأسقاع والبلدان . وقصة الست زمرد الستورية . و « التكلة » لابن الأبار . ودقتر لرسم الكتب الموضوععة في خزائن يبنى المحراب من الجامع الأعظم (يريد جامع قرطبة) . ودقتر لرسم الكتب الموضوععة في خزائن بسرى المحراب من الجامع الأعظم . وكتاب « فوائد الموائد » تأليف يحيى بن عدى ، وقيل تأليف جمال الدين ابى الحسن المعروف بالجزار . وكل هذه الكتب نظرت فيها بقدر ما وسع الوقت وكتاب فوائد الموائد كثير النكات ، يقرأه الانسان للتسلية . أوله : « الحمد لله الذى جعل الطعام رزقاً للعباد ، وقواماً للأجساد ، وسبباً لدم البغلاء ، ومدح الأجواد ، أحمدته على ما منح من طبيبات رزقه ، ومعرفة

السكرام من خلقه ، رازق الاطعمة الشبيهة ، ومسخر النفوس السخية ، النخ . وأجل كتاب رأيته في هذه المكتبة هو «الفلاحة في الارضين» ، لابي زكريا يحيى بن محمد ابن احمد بن العوام الاشبيلي . وهو جزمان ، وعدة صفحاته ٠٨٤١ . ويندر أن يكون في هذا الفن كتاب أجل قدرأ منه . وقد قرأت في مجلة المجمع العلمى العربى التى تصدر في دمشق أنه مترجم إلى الافرنسية وقد نسخت من هذا الكتاب عدة صفحات ورأيته ينقل كثيراً عن الفقيه الامام أبى عمر احمد بن محمد بن حجاج فى كتابه «المقنع» وهو المؤلف سنة ست وستين واربعائة ، نقل فيه صاحبه عن الرازى ، واسحق ابن سليمان ، وثابت بن قرّة وغيرهم . وكذلك نقل ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي صاحب كتاب الفلاحة هذا عن كتاب الشيخ أبى عبد الله محمد بن ابراهيم ابن الفصّال الاندلسى ، الذى بنى كتابه على تجاربه الخاصة ، ونقل عن كتاب الحكيم الشيخ ابى الخير الاشبيلي ، وهذا مبنى على تجارب المؤلف وعلى آراء جماعة من الحكماء والفلاحين . ونقل عن كتاب الحاج الفرناطى . وكتاب ابن أبى الجواد ، وكتاب غريب بن سعد ، ونقل عن حكماء اليونان ، وأيضاً عن كتاب الفلاحة النبطية المشهور المبنى على أقوال جملة من الحكماء منهم آدم ، وصغريت ، وينبوشاد ، وأخنوخا ، وماسى ، ودونا ، وكانترى ، وغيرهم . وأما تاريخ ابن الفرضى ، ورسالة الشقندى فى فضل الانداس ، فقد نقل عنهما صاحب النفع ما شاء .

الاسكوريال L'escurial

ومن ضواحي مجريط قرية الاسكوريال Escorial أو Escurial ومعناها معدن الحديد ، والقرية قسمان : القرية القديمة تسمى «أباجو» ، والقرية الجديدة وتسمى «الريبة» وعدد سكان هذه ثلاثة آلاف نسمة . وهى مصيف لاهل مجريط ، وفيها الدير الشهير الذى يسميه الاسبانيون Rial Monasterio de San Lorenzo del Escorial وهو الذى بناه فيليب الثانى ، وذلك انه فى حصار مدينة سان كنتين سنة ١٥٥٧ أصابت مدافعه كنيسة باسم القديس «لورنزو» ، وهو جندى روماني

من أصل اسبانيولى ، توفى شهيداً فاراد فيليب أن يعوض القديس من هدم تلك الكنيسة المبنية على اسمه ببناء دير عظيم ، جعل فيه أيضاً مدفن والده شارل كان ، الذى كان تخلى عن الملك من تلقاء نفسه ، واختار العزلة والانسك ، وصح فيه قول المتنبي :

ويمشى به العكازُ في الدَيْرِ راهباً وما كان يَرْضَى مَشَى أشقرَ أجرداً

وكان فيليب الثانى يريد أن يقتنى أثر أبيه فى التنسك والاعتزال ، فبعد ان بحث نحواً من سنتين عن مكان لهذا الغرض اصابه فى جوار مجريط بقرية الاسكوريال ، فاستدعى اليه المهندس الطليطلى الشهير « جوان بوتستا » ، وبدأ بالعمل سنة ١٥٥٩ ، ولكن المهندس مات بعد أن بدأوا بالبناء ، فخافه عليه « جوان دوهريره » الذى هو من تلاميذه ، وكان الأول تعلم البناء فى رومة ، وأما الثانى فكان تحصله فى بروكسل . وكان فيليب الثانى يشترك بنفسه فى الشغل ، و يأخذ ويعطى مع الصناع ، ولا يتركهم يعملون شيئاً بدون رأيه وقد بذل همه فوق تصور العقل لاجل اكل هذه البنية التى قل ان يوجد مثمها فى الدنيا . وقد انتهوا من العمل ووضع العسايب على القبة سنة ١٥٨١ ، وآخر حجر وضع فى هذا الدير كان وضمه فى ١٣ سبتمبر سنة ١٥٨٤ ، وأما المقبرة الملوكية فتمت الا فى زمن فيليب الرابع ، حفيد فيليب الثانى . وقد حتموا نفقات هذه البناية الكبرى بستة عتس مايوناً وخمسةائة الف بسيطة . وطرز هندسة هذا الدير هو طرز عصر التجدد الثانى فى ايطالية ، وهو الذى يعتمد فى جلاله على مجرد تناسب الاقسام ، وليس فى الاسكوريال شىء من الزينة ولا الزخرف ، وجميع تلك الجدران لا يتخللها غير نوافذ صغيرة . واذا نظرت الى هذا البناء العظيم حسبت انه قلعة أو سجن . ولما أراد فيليب الثانى ان يزين داخل الدير بالتصاوير التى لا بد منها نظراً للذهب الكاثوليكي ، استجداد بعض مصورى ايطالية المشاهير مثل « تيبالدى » و « كامبيازو » و « زوكارو » وأما من اسبانية فقد استدعى « جوان فرناندىس » و « نافاريت الكرونى » .

وقد انتقد الكثيرون من أساطين الفن بناء الاسكوريال ، وقالوا إنه ليس له

من مزية غير السعة والكثرة ، وانه ليس فيه ذوق ولا قوة توليد ، ولا فضل اختراع ، وكل ما هناك فهو خطوط هندسية مستقيمة ، تسود عليها بساطة زائدة ، يمجتها الطمع . وقد علل بعضهم هذه البساطة الزائدة بكون فيليب الثاني كان هو الأمر الناهي في اختيار الأشكال التي لم يكن يستحسن منها إلا البسيط الساذج . وكان كلما جاءه المهندسون بشئ من الزخرف رفضه فجاءت بنايته هذه أشبه في بيوتها وجهامة منظرها بالبرية التي تحيط بها . أما طول البناية فهو ٣٠٦ أمتار والعرض هو ١٦١ مترا ، ولها أربعة أبراج . وفي وسطها كنيسة ذات قبة عالية و برجين عظيمين ، في كل منهما جرس كُبار وإلى الشرق والشمال من هذه الكنيسة المقر الملوكي ، وإلى الغرب ساحة خارجية ، وإلى الجنوب الدير الحقيقي وحواشيه وأما كن القسيسين .

واللاسكوريال رتاج عظيم ، عليه تمثال القديس لورانزو ، يعلو أربعة أمتار ، ورأسه ويداه من المرمر ، وفي يده اليمنى مشواة من النحاس المذهب ، إشارة إلى كيفية استشهاد القديس ، الذي يقال إنه أميت على آلة مثلها . وفي الكنيسة ست اسطوانات ، عابها تماثيل ملوك العهد القديم ، وجميع الرؤوس والأيدى من الرخام الأبيض ، والتيجان والصوالمجة من النحاس المذهب . وقبة الصليب ترتفع ٩٥ مترا ، والكنيسة في غاية الاتساع ، وفيها ٤٨ مذبحاً وعلى حيطانها تصاوير الوقائع الدينية الكبرى ، مثل البشارة ، والحمل ، وولادة عيسى ، وعبادة الملائكة له ، وملوك الجوس ، وبنى إسرائيل في البادية ، واليوم الآخر ، وهزيمة بنى إسرائيل للعالمقة ، وغير ذلك . وأما مقبرة الملوك فهي مجاورة للمذبح الأعظم ، وذلك حتى تقام القداسات اليومية على عظام الملوك المدفونين وفي هذه المقبرة زخرف كثير ، مخالف لقاعدة البساطة التي كان فيليب الثاني قد جعلها إماماً له في بناء هذا الدير . والسبب في ذلك هو أن هذه المقبرة قد أكلها خلفاؤه من بعده ، والمدافن واقعة ضمن محاريب في الحيطان ، وكل مدفن فيه ناووس من الرخام الأسود ، عليه كتابة باسم الدفين . وفي هذه المقبرة ستة وعشرون ناووساً ، لم يبق منها غير قليل خالياً ، وليس جميع الملوك

مدفونين هنا ، بل فيليب الخامس ، وفرديناند السادس ، ونساؤها ، ليسوا فيها .
 وهناك مقبرة أخرى فيها أجساد الأمراء والأميرات ، ممن لم يصل إلى العرش .
 وفي هذا الدير خزانة كتب عظيمة ، واقعة في بهو طوله ٥٢ متراً ، فوق الرتاج
 الذي منه الدخول إلى المقر الملوكي . وفي هذه الخزانة من نوادر الكتب والآثار
 ما يستحق كل اعتبار . من ذلك كتب الصلاة التي كان يصلي بها شارل كان وفيليب
 الثاني ، ومخطوط اسبانيولى يتضمن قصيدة فيرجيل الشاعر الرومانى التي تسمى
 «اينايدي» Eneide ، والأناجيل الأربعة ، في مجموعة كتبت لكونراد الثاني ، قيصر
 ألمانيا ، وأبجرت في زمن هنرى الثالث ، وتاريخها سنة ١٠٥٠ ، ومخطوط فيه رؤيا
 يوحنا ، تاريخه القرن الخامس عشر . وفيها مصحف شريف بخط مغربي مذهب كبير
 الحجم ، اتصل بالاسبانيول سنة ١٥٩٤ ، وقد سألت عنه بعد زيارتي للاسكوريال ، السيد
 الشريف الأجل ، مؤرخ المغرب في هذا العصر ، مولاي عبد الرحمن بن زيدان ،
 حفظه الله ، لأنى وجدت مكتوباً على الصوان البلورى ، الذى فيه هذا المصحف
 أنه مأخوذ من السلطان زيدان ، صاحب المغرب . فأجابنى مولاي عبد الرحمن
 بأن السلطان الذى أخذ منه هذا المصحف ليس من العائلة الشريفة السجلماسية بل
 من الملوك السعديين ، وذلك أن بعض قراصن الاسبانيول غنموا مركباً من البحر
 لهذا السلطان ، وكان فيه أمتة نفيسة ، وكتب من جملتها هذا المصحف . وقد قرأت
 في تاريخ الاستقصا للناصرى السلاوى ، في الجزء الثالث ، في صفحة ١٢٨ ما يلى :
 وقال منويل : « إن قراصين الاسبانيول غنمت في بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان
 فيه أثاث نفيسة ، من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة
 وغير ذلك »

ومن جملة آثار خزانة الاسكوريال تأليف للملك الاذفونش الملقب بالحكيم ،
 من القرن الثالث عشر ، وكرة أرضية ، كان فيليب الثاني يستعملها في مطالعته
 وكية . وفي هذه الخزانة صورة لفيليب الثاني ، يوم كان فى الواحدة والسبعين من

العمر ، وصورة لشارل كان يوم كان في التاسعة والأربعين ، وصورة لفيليب الثالث ، وصورة أيضا لكارلس الثاني ، وهو ابن أربع عشرة سنة . ثم إنه يوجد في الخزانة قسم للكتب الخطية ، لا يمكن الاطلاع عليه إلا بإذن خاص من إدارة الاسكوريال . وأما القصر الملكي الذي في الاسكوريال فانه إن كان فيه شيء من الزخرف ، فهذا قد حصل بعد موت فيليب الثاني . فأما هو فلم يكن بنى لنفسه إلا غرفة صغيرة يشاهد منها المذبح الأكبر في الكنيسة ، وغرفتين بجانبها ، ولا تزال فيها المفروشات التي كانت في أيام فيليب الثاني ، ولا تزال في غرفته الخاصة المائدة التي كان يكتب عليها مع أدواتها ، وهناك الكرسي التي كان يمد عليه رجله . وفي هذه الغرفة كان يستقبل سفراء الدول . وفيها مات ، وذلك في اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٩٨ ، على أثر مرض برّح به ، وكان وهو يجود بروحه ينظر إلى مذبح الكنيسة الكبير ، كما أنه كان في يده نفس المصلوب الذي كان في يد والده شارل كان يوم فاضت روحه .

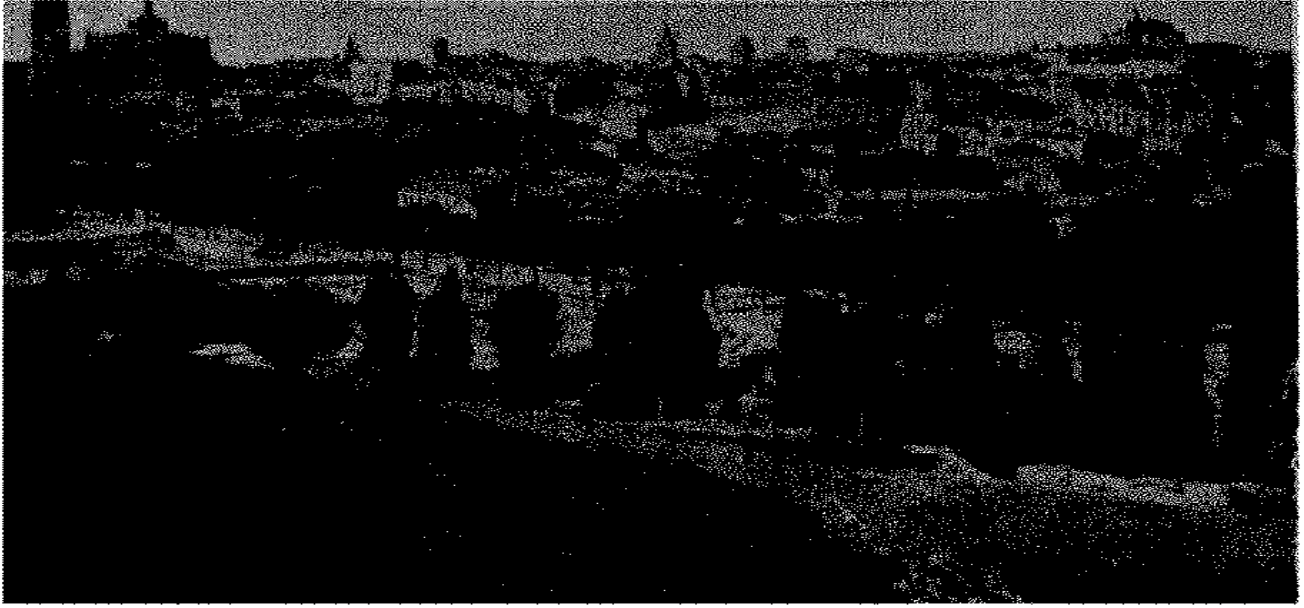
والاسكوريال حديقة تفتح أبوابها الساعة الثانية بعد الظهر . ولها منظر من أبداع المناظر ، لا تبلغ العينان مدته على سهل قشتالة الجديدة ، وعجريت ، ووادي الرمل . ولما زرت اسبانية سنة ١٩٣٠ أي من ست سنوات ، ذهبت إلى الاسكوريال أنا واثنان من شبان المغرب النجباء ، وسرواته الأدباء ، وهما السيدان العالمان الفاضلان أحمد بلا فريج ، ومحمد الفاسي الفهري ، وكان معنا السنيور دوزميت يواكين ، من شبان نبلاء الاسبانيول ، فطوّفنا في الاسكوريال مدة ساعات ، وجلسنا في خزانة الكتب ، حيث رأيت من الكتب العربية ما لا يوجد في كثير من المكاتب . وهناك تعارفنا مع الأستاذ المستشرق العلامة القسيس آسين بلاسيوس المشهور ، وتحدثنا معه في مختلف المواضيع ، وسألناه عن سبب ذهابه إلى أن رواية دانتى ، الشاعر الايطالى الأكبر ، المسماة بالمهزلة الالهية ، هي فكرة مسروقة من رسالة الغفران ، لأبي العلاء المرّسي ، فأدلى إلينا بآرائه في الموضوع ، وبين لنا أن التشابه الواقع

في عدة من النقط لا يمكن أن يكون من قبيل وقع الحافر على الحافر ، وقال أيضاً إن رسالة الغفران كانت مترجمة إلى اللاتينية ، ككثير من الكتب العربية ، فيترجح أن يكون دانتي قد اطاع عليها . ثم سألتناه عن رأيه في علماء غرب الأندلس ، فرأينا له في حقهم رأياً عظيماً ، وذكر منهم عدداً من جملتهم أبو محمد بن حزم ، برغم كون ابن حزم طعن كثيراً في النصرانية ، وإن آسين بلاسيوس ليس نصرانياً فحسب ، بل هو قسيس مستمسك بدينه . وأما لسان الدين بن الخطيب فقال لنا انه لا يعجبه . وذكر لنا آسين بلاسيوس أنه تلميذ « قُدَيْرَة » المستشرق الاسبانيولى الذى أصله من العرب ، والذى طبع في مجربط كتب ابن بشكوال ، وابن الأبار وغيرها ، وله تحقيقات كثيرة ، وإليه يرجع الفضل في تجديد العناية بالعربية في اسبانية

شقوية ^(١) Ségovie

ومن مدن قشتالة المدودة « مدينة « شقوية » Ségovia وهي مدينة عالية سكانها اليوم ١٥ - ١٦ ألف نسمة ، وهي مركز مقاطعة منسوبة اليها ، ومركز اسقف ، وإنما أهميتها هي بكونها من أقدم المدن الايبيرية ، وأنها تشتمل على آثار قديمة ذات عظمة ، منها القناة الرومانية المعلقة ، وفيها كنائس وقلاع باقية من القرون الوسطى ، وموقعها أشبه بموقع طليطلة ، وذلك أنها مبنية على قمة صخرية ، علوها مائة متر ، ولها شوارع ضيقة ، معوجة ، معرّجة ، غريبة الشكل ، والقصر Alcazar في

(١) قد كان لهذه البلدة بشأن عظيم في قشتاله القديمة ، ولم تبق في أيدي المسلمين أكثر من نصف قرن ، إذ ابتدر استرجاعها الأذفونش الأول ، أو ابنه فرويله ، ثم عاد فزحف اليها المنصور ابن أبي عامر وفتحها ، في جملة ما فتح من شمالي أسبانية ، ولكن بعد موته ، وبعد اشتعال الفتنة الكبرى في قرطبة ، انتهز الأسيبان الفرصة فاسترجعوها هي وسموره وطلنكة وآبله ، وما يتبع هذه المدن من النواحي . وكان الفريقان اللذان يقتتلان في قرطبة ، كلما استعان احدهما على الآخر بالاسبانيول ، اشترط هؤلاء عليه لمعاونته على الفريق الآخر ، تسليم كذا وكذا من الحصون ، فيبادر المسلمون بالتخلي للاسبان عنها ، كما سيأتي مفصلاً



شقوقية « منظر عمومي »

أعلى القمة ، و بالقرب منه الكنيسة . وللبلدة نهر يقال له « اريسة » يجري في جانبيها ، ولها أسوار قديمة من زمان الايبيريين ، ثم جددتها الرومانيون . ولها أرباض مثل « سان دورانزو » و « سان مرقس » و « سان ميلان » مبنية في سفوح الجبل الذي هي عليه .

أما القناة المعلقة ، التي هي مع جدران طرّكونة ، أعظم مآثر الرومان في اسبانية فالمظنون أنه كان بناؤها في أيام أغسطس قيصر ، ثم تجددت في أيام فلافيانوس ، أو تراجانوس ، كما يظهر من الكتابات الباقية ، والماء مجلوب من شارات « فنفريا » Fuenfria ، وهو يجري في البداية مكشوفاً على مسافة ١٦ كيلو متراً ، إلى أن يصل إلى شرقي شقوقية ، حيث بُدِيت له خزانات ، ومن هنا يكون مجراه على جسر طوله ٨١٨ متراً ، منه على مسافة ٢٧٦ متراً قسم مبنى طبقاً عن طبق ، ولهذا القسم ١١٩ قوساً ، وهو الواصل بين جانبي الوادي العميق ، وارتفاع أركان الجسر هو من سبعة أمتار إلى ٢٨ متراً ونصف ، وجميع البناء هو من الحجر الحبيب . ولما حاصر العرب شقوقية سنة ١٠٧١ انهدم في أثناء الحصار خمس وثلاثون قوساً ، وبقيت مهدومة إلى زمن

الملكة ايزابلا ، فأمرت بتجديدها . وهذه القناة المعلقة تعرف فوق ساحة يقال لها إلى اليوم ساحة «السويقة» La Plaza Del Azoquejo هي في مدخل المدينة العليا وهذه الساحة هي أهم مركز للبيع والشراء واسمها عربي كما لا يخفى . وفي شقوية ساحات أخرى ، وفيها كنائس متعددة ، منها كنيسة سان ميكال ، بنيت سنة ١٥٥٨ ، والكنيسة الكاندرائية ، بدأوا بها سنة ١٥٢٢ ، وانتهوا منها سنة ١٥٧٧ ، بناها المعلم «جوان خيل اوتانون» باني كنيسة طلمنكة ، وابنه «لذريق بن خيل» وطول هذه الكنيسة ١٠٥ أمتار ، وعرضها ٤٨ متراً . أما القصر في شقوية فهو من بناء الازفونش السادس ، وكان قد تهدم ثم تجدد

وبالقرب من شقوية بلدة يقال لها «سان ايلدفونسو» San Idefonso سكانها أربعة آلاف نسمة ، في موقع بديع ، يقصدها الناس للاصطياف ، يقال إن بانيها هنري الرابع ، جعل فيها هناك مكاناً ينزل فيه عندما كان يذهب إلى الصيد ، وذلك سنة ١٤٥٠ ، وبالقرب من هذه البلدة قرية يقال لها «لاغرنبجة» La Granja وكانت مكاناً لفيليب الخامس أول ملوك البوربون في اسبانية ، وقد بنى فيها قصرًا وحدائق على نسق وطنه فرنسة . وكان يجلس فيها خلفاؤه . مثل فرديناند السابع . وبالقرب من هناك بلدة «ارانجويز» Aranjuez . وهي بلدة سكانها ستة آلاف نسمة ، يمر عليها جدول من نهر تاجه ، فيسقى البساتن التي حوالها . وهذه البلدة قديمة من زمن الرومانيين ، وكانت تصطاف فيها الملكة ايزابلا الكاثوليكية . وقد بنى فيها الإمبراطور شارالكان مكاناً ينزله عند الصيد ، فصارت هذه البلدة مركزاً لاصطياف ملوك اسبانية إلى زمن كارلس الرابع ، الذي تخلى هناك عن الملك لابنه سنة ١٨٠٨ ومن ذلك الوقت أهملت الأبنية الملوكية هناك ، ولم يبق لانزهة غير الجنان البديعة التي تحديق بها ، ومن الغريب أنهم كانوا يقيظون فيها ، مع أن الحرارة ربما تصعد فيها إلى درجة ٤٧ من ميزان سنتيفراد . والحقيقة أن أحسن فصل في أرانجويز هو فصل الربيع . وهي بالنسبة إلى ملوك اسبانية أشبه بقرساي بالنسبة إلى ملوك فرنسة ،

وبوتسدام بالنسبة إلى ملوك بروسية . والقصر الملوكي في أرانجوير هو من القصور الملوكية المحدودة ، فيه كثير من التحف والتصاوير وبديع الصنعة^(١)

طليطلة Tolêdo

هذه البلدة هي من أعظم بلاد اسبانية قديماً وحديثاً ، مركزها في وسط اسبانية ، وإن كانت أميل إلى الجنوب منها إلى الشمال ، وأصل بنائها متوغل في القدم ، يقال إنها كانت حاضرة الكاربتانيين Carpetani ، وقد ورد ذكرها في كتاب المؤرخ الروماني « تيتليف » ، وهو يقول لها « طليطم » Toleteum ، ويذكر أنها بلدة صغيرة ، ولكنها منيعة بموقعها الطبيعي . استولى عليها الرومانيون سنة ١٩٢ قبل المسيح ، وفي زمن القوط Visigoths جعلها الملك « أنانجلد » كرسياً للملكه وذلك سنة ٥٦٧ للمسيح ، وصارت هي حاضرة المملكة .

ولما وقع الانشقاق الديني في النصرانية بين الكاثوليكين الذين يقولون بألوهية عيسى ، والاريسيين الذين لم يكونوا يقولون بألوهية عيسى ، جرت في طليطلة مجادلات دينية شديدة ، وانعقدت مجامع متعددة لفصل الخلاف ، وكان لكل من الحزبين قوة هي كفوء للأخرى ، إلا أن الملك القوطي ريكاريد جحد المذهب الاريسى سنة ٥٥٧ للمسيح ، فسادت بعد ذلك الكتلكة في اسبانية كلها . ولم يلبث العرب بعدها أن فتحوا اسبانية ، واستولوا على حاضرتها طليطلة ، وغنموا فيها مغانم كثيرة ، مما سيرد ذكره في القسم التاريخي من هذا الكتاب . ولكن العرب

(١) قد ذكر الوزير الغساني في رحلته إلى أسبانية في زمان السلطان .ولاي اسماعيل أن ملك أسبانية دعاه للنزهة في أرانجوير هذه حيث رحب به كثيراً وأكرم نزله قال : فدخلنا بستاناً له هناك قد حف به واديان كبيران مجموعهما يسمى وادي طاجه وهو المار بمدينة طليطلة من هذا الموضع بعد مروره بمسيرة يوم وهذا البستان هو غاية في جداوله ونظم أشجاره وقد اشتمل على أزهار وأنوار ودواليب وصهاريج وبرك مياه ومقاعد في غاية الاتقان .

لم يتخذوها حاضرة لملكهم كلقوط لأنهم وإن كانوا وجدوها متوسطة بالنسبة إلى اسبانية ، فلم يجدوها متوسطة بالنسبة إلى القوة العربية ، وقد كانوا لا يقدرون أن يبعدوا كثيراً عن أفريقية ، فلذلك جعلوا مركز الإمارة في اشبانية ، ثم في قرطبة ، وصارت قرطبة هي العاصمة مدة قرون متطاولة .

على أن طليطلة كان لها شأن عظيم في زمن العرب ، وكانت هي المعقل الأعظم لهم في وجه الاسبانيول ، وكانت تسمى الثغر الأدنى ، وكان فيها أمير من قبل الخليفة وطالما انتقضت طليطلة على قرطبة ، وطالما ساق عليها بنو أمية من قرطبة الجحافل الجارية . وكانت تتمتع عليهم ، ورتباً تعيب عليها الخلفاء بالحيلة ، كما سيأتي خبره . وأخيراً عمد ما حرت التورة في قرطبة ، وانتسلك الخلافة . استأثر بأمير طليطلة الأمراء بنو ذي النون ، واستقلوا بها سنة ١٠٣٥ . وفي جميع أدوارها كانت مدينة علم وصناعة ، وفيها أحسن معامل السلاح ومناسج الحرير والصوف . وفيها صنعة الحفر والتبريل على المعادن ، وهي الصنعة السقية إلى الآن من أيام العرب . ونفائس هذه الصنعة تباع في كل أوربة . وهذا في طليطلة تسمية معامل في يومنا هذا ، والمنرفون يتنافسون باقتناء ما يصنع بها من ساعات ، وأسفط ، وعنب ، ومحاجس ، وأقلام ، وسكاكين ، وغير ذلك . من عمل اليد . وقد ورث الطليطيول كل هذا من العرب وقد بقيت طليطلة في أيدي العرب من سنة ٧١٢ مـ مسيحية إلى سنة ١٠٨٥ ، أي زهاء أربعة قرون . وكانت في أيامهم كلها زاهرة باهرة . وغدت العروبة على نصارى طليطلة ، فلبثوا نصارى ، واسكن اتخذوا اللغة العربية ، والثقافة العربية لأنفسهم وكانوا يقيمون صلواتهم ، وما يسميه النصارى بالطقوس الكنيسية ، وذلك لأنهم العربيه والقوطيه . وصار الاسبانيول يطبقون عليهم اسم « موزاراب » Mozarabes محرقة عن « نصف عرب » ومن الغريب أن رغبة أهل طليطلة في العربية . وصات إلى أنهم بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبانيول الذين أرجعوها حاضرة لملكهم ، لم يزالوا مستمسكين بعروتها ، ولبث أخذهم ، وعطاؤهم ، وبيعهم ، وشراؤهم ، وجميع

صكوك معاملاتهم ، بالعربية^(١) إلى سنة ١٥٨٠ ، أى أن آثار العربية لم تدرس من (١) ومن شدة رغبة مستعربى طليطة في اللغة العربية كانوا ينقشون على قبورهم فضلا عن دورهم الكلمات العربية التى يعبرون بها عن مرادهم فقد وجد من هذه القبور في طليطة من جملتها قبر تاريخه سنة ١١٥٦ مسيحية وعليه بلاطة مكتوب عليها اسم الدفين بالعربى وباللاتينى متقارنين ذكر ذلك لاوى بروفسال ونقل نص الكتابة وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم كان من مضى لله برحمته مقايل بن سمنة من دار الدنيا إلى دار الآخرة يوم الأحد . اضى من نوتبراربعة أيام سنة أربعة وتسعين ومائة و الف لتاريخ الصفر نضر وجهه و . . . وقد نقل الكتابة اللاتينية التى بجانب الكتابة العربية وقال ما يفيد أن صاحب هذا القبر كان من الطائفة المستعربة في طليطة وهى فته من الصارى الاسبانين اتخذت اللغة العربية لساناً لها حتى بعد رجوع طليطة إلى الأسبان ثم ذكر قبراً آخر تاريخه ١١٦٠ مسيحية وعليه كتابة عربية بجانبها كتابة لاتينية أيضاً ونصها : لتاريخ الصفر هذا القبر لشمسى ابنة ابن الشيخ رحمها الله وجعل الجنة مأواها بيوم أربع وعشرين لشهرا اغشت ثمانية وتسعين ومائة الف

ولما كان لاوى بروفسال يترجم كل هذه الكتابات للفرنسية فقد ترجم لفظة « شمسى » بقوله بالفرنسية Mon Soleil وقال انه اسم متداول كثيرا بين مستعربة طليطة . قلنا : نعم قد مر علينا هذا الاسم في الصكوك التى نقلناها كأموذجات لمعاملات نصارى طليطة باللغة العربية ولكننا نميل إلى الظن بأن لفظة شمسى ليست من باب الاضافة إلى ضمير المتكلم بل هى شمسة بالتاء المربوطة ملفوظا بها بالامالة التى كانت غالبة على لفظ أهل الأندلس . فبدلا من أن يقولوا « شمسة » بفتح السين كانوا يقولون « شمسة » بكسر السين كما يقول أهل سورية اليوم لأن الامالة هى لهجة أهل سورية أيضا وأصل وجود الامالة في لغة الأندلس أت من الشام . فأما كتابة شمسى هنا بالياء فلا عبرة به بل هو غلط إملاء كما هو في كتابات أخرى لهؤلاء المستعربين وردفها إملاء لفظة « مضا » بالالف و « أنا » بما نقله لاوى بروفسال نفسه . ثم إن لفظة شمسة هى ذات أصل في اللغة وهى مستعملة في سورية كاسم مرة من طلوع الشمس أو انتشار نورها ولها في اللغة معنى آخر وهى مشطة معلومة للنساء . وأنت إذا ذهبت إلى سورية الآن تجد أسماء لا تحصى من قبيل « نجمة » والآهالى لا يلفظونها بفتح الميم بل بكسرها بمقتضى الامالة فتظنهم يقولون « نجمى » فلو ترجمت هذه اللفظة فلا ينبغى أن تترجم Mon étoile لأنها ليست لفظة نجم مضافة إلى ياء المتكلم بل هى مؤنث «نجم»

طليطلة إلا قبل عهدنا هذا بثلاثمائة سنة لا غير . وكان ذلك بتكرار الأوامر الصادرة من الحكومة بمعاينة كل من يتكلم بالعربية ، أو يكتب بها ، ولولا ذلك لربما كانت بقيت العربية في طليطلة إلى يوم الناس هذا .

وقد جمع « أنجل غوانزاليز بالانسيه » أحد أساتيد الأدب في مجريط Angel Gonzalez Palencia تحت عنوان « نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق ، التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، فبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالأسبانيولى . وإليك بعض أمثلة من هذه الوثائق .

« بجميع منافعه كله إلى آخرها ، وعامة مراقفه على ضروب أنواعها ، في قاعته ، وفيما عليها ، وبكل حق وملك ، هو من هذا المبيع الموصوف وبه وله ومنسوب إليه ، في داخله وخارجه ، وبالداخل إليه والخروج عنه ، لم يستبق البايع المذكور لنفسه ، ولا لأحد بسببه ، في شيء من جميع المبيع الموصوف كله ، حقاً ولا ملكاً ، قليلاً ولا كثيراً ، ولا منتفعاً بوجه من الوجوه كلها ، ولا بسبب من الأسباب ، إلا وخرج عنه للمبتاع المذكور ، بالمبيع الصحيح التام البتّ البتّل^(١) المناجز الصريح الذي لم يتصل به شرط مفسد ولا تضيء ولا خيار » انتهى .

مثال آخر :

« دفع الأرسيدياقن^(٢) المذكور جميع الذهب الموصوف كله للبايع المذكور ، وقبضه منه ، وصار عنده وفي ملكه وذمته ، وأنزله في جميع المبيع الموصوف كله منزلة ذى المال في ماله ، وذى الملك في ملكه ، بعد أن عرفا قدر هذا المبيع ومبلغه بمنتهى

(١) البتل هو القطع مثل البت

(٢) Archidiaconus أو أرشيدياقن ، بالفرنسية وهو ذو رتبة كنسية له الحق في مراقبة القسيسين الذى يخدمون الرعية وتفقد أعمالهم والرتبة هي نفسها يقال لها « أرشيدياقنة » Archidiaconat وأما فى الإسبانية فصاحب هذه الرتبة يقال له « أرسيديانو » Arcidiano وقد قال له العرب « أسيدياقن »

خطره ، ولم يجهد شيئاً منه ، وعلى سنة النصارى في بيوعهم وأشريتهم ، ومراجع إدراكهم « اه .

مثال ثالث :

« شهد على أشهادهما بالذكور فيه عنهما ، من أشهاده به على أنفسهما ، حسب نصه وسمعه منهما ، وعرفها بحال الصحة والجواز والطواعة » اه
وإليك هذا الصك :

« اشترى ربي بواسحق بن نحميش اليهودي من جميلة بنت فرج زوجة البليوشى البنّا جميع^(١) خصتها وهو النصف من الكرم المعروف بالقوجال بحومة قرية جَانَسِكِش^(٢) من قرى مدينة طليطلة وعلى الاشاعة فيه مع من يشركها بسائر وحدّه في القبلة الطريق وفي الجوف جبل لابن برطال ، وفي الشرق كرم ابن فرنجيل^(٣) وفي الغرب الطريق وفيه باب به بثمان مائة مثقال من الصروف الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ بما فيه عشر درهما^(٤) بمثقال على سنة المسلمين في بيوعهم ومرجع الدرك . في رمضان المعظم عام خمسة وتسعين وأربعمائة^(٥) ومن اشده على بن البليوشى باجازته له وإمضائه له وإقراره الأحق له في شيء من المبيع المذكور وبوجه من الوجوه ولاسبب من الأسباب ، وإنه كان لوالدته جميلة إلى أن باعته حيث وصف .

إبراهيم على بن سعيد بن الفتح اللدنى . وإبراهيم بن وهب (هنا كلمة غير مقروءة) . و (هنا كلمة أخرى لاتقرأ) بن يوسف بن الربابى . ومحمد بن احمد بن سعيد وعبد الرحمن بن أحمد بن عفيف الفهرى وأحمد بن محمد (كلمة محووة) . ومحمد ابن

(١) الخص هو بيت من الشجر أو الورق وهو كثير الاستعمال في لغة سورية ولا نرى المبيع هنا بيتاً من الشجر أو الورق وإنما هو نصف كرم والفرق ظاهر ولعلمهم توسعوا في هذه اللفظة أوهى ، وخاصها ، وقد كتبت بحذف الألف ككثير من الألفاظ

(٢) Chalencas (٣) Aben Franchil (٤) كذا

(٥) هذا الصك تاريخه بعد خروج طليطلة من يد الاسلام بسبع عشرة سنة

عبد الله بن مظاهر الأنصاري . واحمد بن يوسف الأنصاري . وإبراهيم بن عبدالرحمن ابن أبي وسلمة بن يونس الأنصاري . ويحيى بن عبد الله الغافقي «
وإليك هذا الصك :

« اشترى عبيد بن أسد من خلف بن عبيد الله جميع الكرم الذي له في أول منزل رزين . حده في القبلة نهر تاجه ، وفي الجوف كرم يشته الحريري ^(١) ، وفي الشرق كرم لأبي خالد ، وفي الغرب غروسات السلطان ^(٢) أيده الله ، بثمن عدته ستون ديناراً ، من البريزات ^(٣) الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ ، وفي شهر نونبر الكاين في سنة ثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر ^(٤) .

ومما وجب إلحاقه إلى المدخل للكرم الموصوف فوق هذا على باب الكروم ^(٥) الذي لردريقة قسيس السلطان الذي هو من ليون والباب المذكور مشترك بينهما إذ كان الكرم في القرع واحد وعلى ذلك كله يقع الاشهاد .

عبدالرحمن بن زكريا : يوان بن خاف شاهد . سليم بن زكريا وكتب عنه . سليمان ابن عمر شاهد وكتب عنه . وعلى بن الحرير . عبد العزيز بن خير . وعبد الله ابتهوال . وسليمان بن المدجالة . إليان بن سعيد . وعبد الملك بن عبد الملك وكتب عنه وعايه شهد عندي . وبخط عجمي جليانثس بطريس تشتا . وبخط عجمي سيداله ابن .شرك

(١) Justo el Hariri

(٢) السلطان هنا هو الاذفنش لأن تاريخ الصك واقع في أيام دولة الاسبان بطليطلة فقد كان رجوع طليطلة إلى الاسبانول يوم الثلاثاء . مستهل صفر سنة ٤٧٨ وقيل في المحرم .

(٣) كذا . فهل هي محرفة عن « اريزات » ، بمعنى ذهبات . أولها تأويل آخر ؟

(٤) تاريخ الصفر هو تاريخ كان مصطلحاً عليه في اسبانية من قبل دخول الاسلام بل من قبل المسيح وكان مبدأه في أول يناير سنة ٣٨ قبل المسيح لعهد أغسطس قيصر وبقى هذا التاريخ معروفاً في اسبانية إلى القرن الخامس عشر للمسيح .

(٥) استعمل هنا الجمع استعمال المفرد بدليل قوله « الموصوف » وقوله عنه « الذي »

شاهد . وعلى كل اسم من المعجمي معلم شهد عندي . وبالعربي أبو خالد بن أسطراه .
مثال آخر :

« اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار التي له بحومة
رحبة القشالي^(١) حد الدار في الشرق دار خلف بن جواد^(٢) ، وفي الغرب دار
جلبارت الفرنجي^(٣) ، وفي القبلة دار أبي الحسن بن ذكري وفي الجوف دار مفرج
ابن عثمان بثمان عدته أربعون ديناراً من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ
من شهر إبريل في سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر .

وشهود الأصل فيه : فرج بن عبد الله . ومسعود زرقون شهد وكتب .
عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك . وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره .
وعيشون بن يحيى شاهد . هذيل بن حكم شاهد وكتب . زكري بن عثمان شاهد
وكتب عنه . وبالأنجمي يُشتس فليس^(٤) بطرُه^(٥) يُشتس .

صحت هذه النسخة (الخ) في العشر الأوسط من شهر شبتمبر سنة ثلاثين
ومائتين وألف للصفر . يوان بن يليان الصقلي شهد . ويوانش بن مقابل بن عبدالعزيز
المشناري . وباطرُه بن عمر بن غالب بن القلاس .

مثال آخر :

« اتباع يحيى بن خلف ويحيى بن قريش من بيطر وأنفونش^(٦) وزوجه يشته^(٧) »

Jàlaf ben Chuad (٢) Plaza del Caxali (١)

Chelabert el franco (٣) من هنا يعرف أن طليطلة بقيت حتى بعد رجوعها

إلى الاسبانيول بلدة عربية يشار فيها إلى الأفرنجي بصفته هذه لأنه غريب فيها

Justes fèlix (٤) Petro (٥) ومن هنا يعلم أنه كان في طليطلة نزر

لا يعرفون الكتابة العربية فكانوا يوقعون بالاسبانيولية

(٦) يعرف من هنا أن اسم « الفونس » كما كان يقال له عند العرب « اذفنش »

كان يقال له أيضا « الفونش » ، وأنفونش ، واللام والنون كثيراً ما تقوم إحداهما

مقام الأخرى . وقد رجعنا إلى ترجمة هذا الصك بالاسبانيولي فوجدناه يكتب هذا

الاسم هكذا Pedro Alfonso (٧) يشته هي في الترجمة الاسبانيولية Justa

(٢٤ - ج أول)

جميع المنية^(١) التي لها بمنزل مُشكة^(٢) المعروفة من قبل لابن سلمة ، والمتصورة إليها بالابتياح ، التي حدها في الغرب مضربة القرمادين ، وفي القبلة المضربة المذكورة أيضاً وفي الشرق محجة سمرة إلى الكرمات ، وفي الجوف المحجة السالكة من طليطلة إلى القرضيطة^(٣) ، وفيها بابها ، تخرج بين ذلك حصة لاشتاغن من بيت قوبه ، وحدها من المحجة الداخلة إلى الثانية ، بثمن مبلغه من الدنانير اثنان وثمانين^(٤) ديناراً ، من الدينارات الجارية بمدينة طليطلة ، حرسها الله حين التاريخ كل دينار منه عشره وإلى ذلك الكريم^(٥) المعروف بالقوجول بمنزل مُشكة المبتاع منها المذكورين يبطره أنفُذش وزوجه بُشته ، والتصير إلى يحيى ، ويحيى بالابتياح من البايين للمنية يبطره وزوجه زيادة وعواناً إلى الدنانير المذكورة في عقب ابريل التي من سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين للصف

عبد الملك بن عامر . ولب وعبد الله بن جلبرت . وخير بن يحيى . ومروان ابن غالب . يحيى بن معبد وكتب عنه و بأمره . السرقسطى كتب عنه بأمره . وعمر ابن عامر بن الليث . وعبدالرحمن بن غدير بن عريب . وعبدالعزيز بن سعيد وكتب عنه بأمره . وعبد الله القوطى وكتب عنه بأمره «

مثال أيضاً :

« اشترى ديمنقوس الارجيقيس وديمنقوس القس كنيسة شنت لوقادية^(٦) خارج مدينة طليطلة حماها الله من ميقال وزوجه بيليه من الحصاة التي له بدار الخازن ، وبحوز المشاطر ، وهو نصف خمسين ونصف القرية ، بمبلغه من الثمن خمسة وأربعين ديناراً من السكة الجارية حين عقده ، اشترى ديمنقوس والارجيقيس

- (١) تقدم في هذا الكتاب كلام طويل عن معنى « المنية » وهو البستان
 (٢) في الترجمة الاسبانية Man-el Mosca (٣) في الترجمة الاسبانية
 Alcardete (٤) كذا ويظهر أن كاتب هذا الصك لم يكن يعرب كثيراً
 (٥) تصغير كرم (٦) في الترجمة الاسبانية Leocadia

وديمقوس المذكوران جميع هذا النصف سهله ووعره عامره وغامره أنادره (١) وقرالاته (٢) وسدوده (٣) وقنانه (٤) وأرحاه و برجه ، والمدخل إلى جميع الدار والمخرج منه وذلك كله في النصف من شهر مارس من سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين شهد عندي بن يوانش شاهد . شهد عندي بن عبد شهد عندي ، وعبد الرحمن بن

مثال آخر :

« اشترى مرتين الأرجيد ياقن من يوسف بن يعيش اليهودي جميع الثلاثة جبال الكروم المتصلة التي له بمرطيلة ، حدها في الشرق كرم بيطر والجزار ، وفي الغرب كرم شلوط ، وفي القبلة كرم الطريق بثمان عدته اثنتان وثلاثون دنانير الجارية بطليطة حين التاريخ في شهر مارس الكاين في عام ثمانية وأربعين بعد ألف لتاريخ الصفر .

ويوصف بن شاهد . وسيف بن العزاد شاهد . إبراهيم بن إسحق ومرتين الخياط . عمر بن عبد الله ، وعبد الملك بن مرتين بن خير ، وسعدان بن عبد الله ، ويعقوب البرسلوني شاهد «

مثال آخر :

« اشترى ميqaيل بن بقي من البيرة زوج فرنده منيوس ، وبينهما منيوه وغانصالبه ، وأختها وابنتها شولى جميع نصف الجنان المعروف لهم بحومة الليتيق

(١) جمع اندر وهو الذى تدرس عليه الحبوب كالبيدر

(٢) هو جمع قرال وهو حظيرة الحيوانات تكون وراء المنزل وهذا لفظ

اسبانيولى استعمله عرب الأندلس (٣) وفي الترجمة الاسبانيولية Azud فيظهر

أن الاسبانيول أخذوا لفظه « السد » إلى لغتهم (٤) في الترجمة الاسبانيولية

Canales أى قناة فيظهر أن الاسبان أخذوا هذه اللفظة إلى لغتهم وضموا إليها اللام .

ثم رجعت العامة في طليطلة فجعلت اللام راء وجمعت الكلمة جمع تكسير على « قنانه »

بدلا من أن تقول « قنوات » أو ترددها إلى العربى الفصحى فتقول « أقنية »

من نظر مدينة طليطلة ، حماها الله ، على الاشاعة ، حده في الشرق نهر تاجه ، وفي الغرب حده أرض بيضة للشيخ ابن مُشقيق ، وفي القبلة نهر تاجه أيضاً ، وفي الجوف^(١) المحجة السالكة ، بثمن عدته مائتين ديناراً اثنتين من الفروود الجارية حين التاريخ ، والمثقال الشرقية المأحونية ، دينارين وسدس في عقب فبراير سنة تسع وأربعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

سهل بن خلف بن علي ، حسان بن جهيد وسلمة بن سعد وكتب عنه بأمره ،
عبد الله بن حسان «

مثال آخر :

« اشترى ديمته بن يحيى من سفيان بن أبي البقي ومفروج بن خير ، جميع حصتهما من المنية التي بمنزل مُشكة ، من نظر مدينة طليطلة حماها الله ، وذلك الثالث من جميع هذه المنية التي تعرف في عهد الاسلام مع ثلث البير وثلث ثمار القباوب ؟ على البحيرة ، وثلث الصهريج مع والمدخل والمخرج إلى البير والصهريج ، وحد هذا الثلث المذكور في الشرق كرم لأبي اسحاق القمراني مع القس ابن فرحون ، وفي الغرب حصة لورثة يحيى بن سرير رحمه الله ، وفي القبلة فدان

(١) تقدم لنا بحث غير قصير عن قضية استعمال الاندلسيين والمغاربة لفظة الجوف بمعنى الشمال واختلاف آراء أدباء العصر وأهل اللغة في منشأ هذا الاصطلاح ولما كان بعضهم ذهب إلى كون الجوف إنما استعمل بمعنى الشمال لأن مدينة الجوف ونواحيها واقعة في شمالي الحجاز وذلك قياساً على أن أهل الشام يستعملون القبلة بمعنى الجنوب فقد سألت حضرة الوجيه المفضل الشيخ محمد نصيف المشهور من أعيان جدة هل لهذا الاصطلاح من أثر في الحجاز ؟ فأجابني أنه سأل العلماء والقضاة وكتاب المحاكم والمحامين وغيرهم فأجابوه بأنهم لم يسمعوها بشيء كهذا ولا رأوا في الصكوك والوثائق القديمة تسمية الحد الشمالي بالجوف بل الحدود في الحجاز هي هكذا : شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً أي جنوباً وقد يقولون جنوباً . فثبت من هنا أن لاستعمال الجوف بمعنى الشمال وجهاً آخر خاصاً بالاندلس نفسها وقد يكون جاء إلى المغرب من الاندلس

حُبس على شنت فليج^(١) وفي الجوف الطريق الداخل إلى القرضيط ، بعدد مبلغه من الذهب المرابطية^(٢) سبعة عشر مثقالا ، في أول شهر شبتمبر عام خمسين ومائة وألف تاريخ الصفر

إن ثلث المنية المذكورة فوق هذا أن ثلثي أرضها أرض بيضا خاوية عن جميع الثمرات والسكرم والغراسات ، وجميع الثلث المذكور بغير تعليق^(٣) ولا اعتماد

عمر بن سعيد شهد وخلف بن عمر كذلك ، وسلامة بن مقيال شهد ، وعبد الله ابن عثمان نقطة ، وعتبة بن وليد ورمّان بن عامر ، وخير بن مورن . وعبد العزيز بن أبي الحسن بن أبي رجال ، ويعيش بن فيليش ، وعبد الملك بن بهلول ، وبهلول بن
ابن عبد الرحمن شاهد ، وعمّان بن عثمان شاهد وكتب عنه

شهدوا الشهود على بعد اقرار الفريقين في التاريخ المؤرخ إن شاء الله مثال آخر :

« اشترى يوانس بن ملوك بن استافن بن عبد الرحمن جميع القرس مع الأرض البيضا المتصلة به المعهودين له بحومة بنال من عمل طليطلة حرسها الله ، حدها في الشرق الطريق الناهض إلى حصن مورة حرسها الله ، وفي الغرب غرس ييطرّه شترانه الحداد ، وفي الجوف غرس مرتين بلايس بشمن عدته أربعة مثاقيل ذهباً مرابطياً في شهر يولية من سنة إحدى وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

يحيى بن علي بن يحيى شاهد ، ييطرّه بن سهل ، ومقيال بن يوانس شاهد ، ومسمود بن يحيى بن عفان شاهد ، فليس ابن مروان شاهد وكتب عنه لورانس بن يوانس شاهد »

(١) Félix

(٢) كانت المسكوكات المرابطية في ذلك العهد متداولة لأن المرابطين كانوا في الاندلس

(٣) لا نعلم هل هي هكذا من الاصل أم هي محرفة عن « تعزيق » وهو مصدر

عزق فعل المبالغة من عزق الأرض شقها وكرها

مثال آخر :

« اشترى بلدوين قيليار وزوجه مونيته من بيطره الخياط ، من أهل مدينة شقوبية جميع حصته الواجبة له بالقسمة مع شركة بيطره تعليقس ^(١) وذلك النصف الذى بجبة الشرق من الميشون ^(٢) والقرال ^(٣) المتصل به بحومة ربض الأفرنج ، قرب القاعدة شنته مرية أم النور بمدينة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المبيع من الميشون والقرال ، فى الشرق حوانت السلطان أيده الله ، وحوانت الأحباس ، وفى الغرب النصف الثانى الذى لبيطره تعليقس قسيمة المبيع المذكور ، وفى القبلة المحجة السالكة ، وإليها يشرع باب الميشون المبيع المذكور ، وفى الجوف حوانت السلطان أيده الله التى للفخارين بثمان عدته خمسون مثقالاً ذهباً مرابطياً ^(٤) مالكية طيبة وازنة ، فى شهر يوليو من عام اثنين وسبعين ومائة وألف للتاريخ الصفر .

هو بر الافرنجى وكتب عنه ، وهربرت بلنك وكتب عنه ، وبامين الافرنجى وكتب عنه وغطارد ^(٥) طليطلة وكتب عنه ، وبيطره بن يوسف بن مروان ، ومرتين ابن استافن وعمان بن سليمان بن ملك وكتب عنه ، ويوليان بن يحيى وكتب عنه ، وغونصلبه فرولس ، وكتب عنه أبو على بن روين وكتب عنه . وبيطره قولونبير يانة ، وكتب عنه وبياك مونس من سنت رمان وكتب عنه ، ودون مينوه

(١) Talliques بالترجمة الاسبانيولية

(٢) بالاسبانيولى Meson وهو بمعنى Maison بالافرنسى أى بيت ولكن يغلب

عليه بالاسبانيولى معنى الخان أو الفندق

(٣) ذكرنا أن القرال حظيرة الحيوانات أو الدجاج عندهم

(٤) كان هذا العهد عهد دولة المرابطين بالاندلس وربما كان متأخراً عن دورهم ولكن مسكوكاتهم بقيت متداولة . والأصح أن دولتهم انقضت سنة ١١٤٧ للمسيح

(٥) علامة الشرف عند الافرنج هى De كما لا يخفى وقد جاءت فى هذه الصكوك

أحياناً بوضع حرف الدال مع كسرة فى آخرها هكذا د وجاءت أحياناً بوضع حرف الدال وبمعها اليا .

أدفونش قايد « مورة » ^(١) شاهد وكتب عنه بامرته «

مثال آخر :

« اشترى الوزير دون ميقاتيل ميظس ، أعزه الله ، من بهلول وأخيه ييطره ابني مرتين بن بهلول رحمه الله جميع الدار الكبيرة ، والقرال المتصل بها ، من جهة الغرب ، والقبلا ريسا المتصلة أيضاً بها من جهة القبلة ، حدود جميع ذلك كله في الشرق الطريق السالك واليه يشرع الباب ، وفي الغرب دار ابن طورنيو المسلم ^(٢) أمين الفخارين ، وفي القبلة دار ييطره البنّا ابن بهلول ، وفي الجوف دار تيقيت بين البائعين ودار سلمة بن حسان ، بثمن عدته ثمانون مثقالاً ذهباً مرابطياً ، في العشر الأول شهر اوغوشت من سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .

وعبد الله بن داود شاهد . وباقي بن عمر بن باقى . وديمقوه بن يحيى بن مرتين وبهلول بن عمر شاهد على النص . عبد الله بن البعص . ويوان بن عامر . وعامر ابن تمام . وعبد الرحمن بن ابراهيم شاهد . ويحيى بن مفرّج وكتب . وعلى بن عياش وكتب عنه . وحكم بن شلون وكتب عنه . ويوليان بن سلمة شاهد . وجنيد ابن عبد الملك بن ليون وكتب عنه . وييطره بن عبد العزيز بن عطّاف بن لبطار .

مثال آخر :

« يشهد من تسمى أسفل هذا الكتاب من الشهداء أنهم حضروا وسمعوا من يوان الكراسنى وزوجه اويانية ، يقولانها باعا من رودريقه اوردوناز الحصار جميع الكرم الذى لها بالوعد بحومة كنيسة شنت فليس ، قبلى طليطلة ، حرسها الله ، وحده في الشرق كرم لبنت الشمتانى ، وفي الغرب كرم لولدين ^(٣) سربى ، وفي القبلة

(١) لا يخفى أن مورة اسم حصن من حصون طليطلة

(٢) لما قل عدد المسلمين في طليطلة بالهجرة والتنصر صاروا إذا ذكروا مسلماً في

أحد الصكوك يذكرونه بقولهم فلان المسلم

(٣) اسم علم

الجبيل ، وفي الجوف كرم القسكى بثمان عدته ثلاثة مثاقيل ذهباً مرابطياً ، ودفع
 البايع الثمن الى البايعين ، وأقرّا انهما قد اتصفا منه وأنزلا في المبيع وحقوقه الخ .
 وكتب الاستدعا في شهر مايو من عام خمسة وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .
 يعيش بن قريش شهد عندي ، ومرتين بن رمانش شاهد وكتب عنه شهد
 عندي . شهدوا عندي الشهود بأعيانهم ، وفي التاريخ وأنا عبد الرحمن بن يحيى
 بن حارث وبالله التوفيق .

مثال آخر :

« اشترى مرتين سلمة بن ابى حجة من مرتين باطرس قرعتين اثنين من جملة
 اثنين وثمانين قرعة بقرية الكلبيين والجار من عمل مدينة طليطلة من أراض بور
 ومعمور وأنادر ، ومروج وأسواط^(١) و برادات وكل حق ، بثمان عدده أربعة مثاقيل
 مرابطية ، ورباعى مثقال ضرب المرية ، في شهر نوفمبر الذى من عام سبعة وثمانين
 ومائة وألف للصفر

شهود الأصل فيه مجانت بن عمان بن خلف . وعمر بن عبد الله شاهد .
 ويحيى بن سعيد شاهد كذلك . وبالمعجمى سبربان بطرس تشتش . ديمتقهُ
 شربطول تشتش

هذه النسخة الخ . في العشر الاخير من نوفمبر سنة ثمان وعشرين ومائتين
 وألف للصفر :

اشتابن بن لازره . وشلبطور^(٢) بن سهل بن عبد الرحمن . ويحيى بن وليد
 ابن قاسم . وباطره بن عمر بن غالب بن القلاّس .

ولا يمكننا أن نستقصى جميع الصكوك والحجج التى فى هذه المجموعة التى تقع
 فى ألف صفحة كبيرة ، وإنما اقتبسنا منها بعض أمثلة لاجل تمثيل حالة طليطلة

(١) جمع شوط والشوط بالعربية يأتى بمعنى الأرض بين شرفين يجرى بها الماء

(٢) Salvador

الاجتماعية ، التي قيل فيها بحق إنها الحد الواصل بين الاسلام والنصرانية ، والتعخم الذى يجمع بين الشرق والغرب ، ترى ذلك من اختلاط الأسماء فبينما الأب هو عمر إذ الابن هو بطره ، وبينما الأب هو عبد العزيز إذ الابن هو ميقيال . وربما تجد بيطره بن يحيى بن أصبغ ، واشتافن بن حسان ، ومرتين بن عثمان ، وشلبطور بن عبد الرحمن وهلم جرا . والسبب فى ذلك هو أنه لما فتح العرب الأندلس ، وأسلم من أهلها أناس كثيرون استعربوا اسما وفعلا . ومنهم من لم يدخل فى الاسلام ، ولكنه استعرب وهو باق على نصرانيته . وأكثر ما تجلّى هذا الوضع فى مدينة طليطلة التى كان النصارى فيها يشبهون نصارى المشرق باستعمال كثير من العربية فى صلواتهم وطقوسهم الدينية .

وقد تبدلوا بأسمائهم الأسبانيولية القديمة أسماء عربية كأسماء المسلمين إلى أن كان القسوس ورجال الكنيسة منهم يتسمون بأسماء اسلامية . وحسبك أن أحد مطارين طليطلة كان اسمه عبيد الله بن قاسم وكان له مقام عند الخليفة الناصر رحمه الله ، كما أنه بعد أن استرجع النصارى طليطلة تنصّر من مسلميها عدد كبير ، نقل صاحب النفح عن ابن بسام فى الباب الثامن من الجزء الثانى : أنه لما دخل الأذفونش طليطلة سار مع المسلمين سيرة حسنة فى أول الأمر حتى استمالهم إليه . وعبارة ابن بسام هى هذه : « وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر إلى عامة طغامها ، فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله ، وشرع فى تغيير الجامع كنيسة فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واربعائة » اه .

قلنا إنه تمهل قليلا حتى أجرى بالفعل ما كان يضمه من أول ساعة دخوله إلى طليطلة ، فأما بحسب الروايات التى بين أيدينا ، والتى معناها أن طليطلة خرجت من يد الاسلام سنة ١٠٨٥ مسيحية فان الجامع الأعظم تحول إلى كنيسة ^(١) ثانى سنة

(١) قد جاء ذكر طليطلة فى رحلة الكاتب الأرفع أبى عبد الله بن عبد الوهاب الوزير الغسباني الأندلسى القاسى ، كاتب السلطان مولاي اسماعيل ، الذى أرسله

وقد رأينا في دليل بديكر أن الاذفونش السادس فتح طليطلة سنة ١٠٨٥ ، وكان السلطان سفيرا في بعض المهمات إلى صاحب اسبانية ، وكان قد جول في تلك المملكة واطلع على أحوالها فكتب رحلة شهيرة بديعة اتصلت بترجمتها إلى اللغة الافرنسية قبل أن أطلع على أصلها العربي الذي أهدانيه العلامة الكبير المؤرخ الشهير مولاي عبد الرحمن بن زيدان ، نقيب العائلة السلطانية العلوية بالمغرب ، أدام الله عزهم ، وقد نقلت كثيرا من هذه الرحلة إلى العصل المتعلق بمسلى الاندلس في كتابي حاضر العالم الاسلامي . وكانت وفاة الوزير الفسائي في فاس عام تسعة عشر ومائة والالف . قوله عن طليطلة : قد أمر الطاغية من أصحاب معنا من خدامه بمرورنا على مدينته طليطلة لنشاهد مسجدها الجامع الذي هو من عجائب الدنيا في بنائه وذكره وبعد صيته فبتنا يوم خروجنا من مدريد بقرية يقال لها وشقة ، وكانت من حواضر العدو التي لها ذكر ، دار علم ونباهة ، وهي اليوم قرية متبديدة ، وبها من أثر البناء القديم الاسلامي بعض أثر مثل الباب الذي يدخل به إليها حين كانت مدينة . أما اليوم فالتبدي أقرب إليها من الحضر . وبينها وبين مدينة طليطلة أحد وعشرون ميلا . وطليطلة مدينة كبيرة قاعدة من قواعد مدن العدو ، ودار ملك قديم ، وهي على ربوة من الأرض ، في حافة مطلة على الوادي المسمى طاجو ، وهو الوادي المار بأرنجويس - كتب الوزير الفسائي طاجو وأرنجويس بالحاء لا بالجيم وذلك بحسب تلهظ الاسبانيول بهما - وقد أحاط هذا الوادي بالحافة التي عليها المدينة من ثلاثة أرباعها والربع الموالي للبر هو الآتي من طريق مدريد . وأسوار هذه المدينة وحيطانها وازقتها باقية على حالها من عهد عمارتها من المسلمين ، وأثرها أثر الحضارة . إلا أن أزقتها ضيقة جداً ، ودورها باقية على حالها من البناء الاسلامي وتفصيله ، والنقش في السقوف والحيطان بالكتابة العربية ، ومسجدها الجامع هو من عجائب الدنيا ، إذ هو مسجد كبير مبني كله من الحجارة الصلبة الغريبة ، القريبة الشبه من الرخام ، وسقوفه مقبوة من الحجارة وهي في غاية ارتفاع السمك وعلوه ، وسواريه في غاية الضخامة ، والصناعة العجيبة والنقوش ، وقد أحدث النصارى في هذا المسجد من جوانبه زيادة في الوسط بشباك من نحاس أصفر ، وفيها من تصاويرهم وصلبانهم وآلة الموسيقى المسماة عندهم أوركان التي يضربون بها وقت صلواتهم ، مع الكتب التي يقرأونها في الصلوات ، شيء كثير . وقد جعلوا أمام هذا الشباك صورة المصلوب ، وهو من ذهب ، يقابلونها في صلواتهم ، وأمام المصلوب

المسلمون اشترطوا لتسليمها أن يبقى المسجد الأعظم لهم ، ورضى الاذفونش بهذا

مصايح كثيرة من ذهب وفضة ، توقد ليلاً ونهاراً ، مع شموع كثيرة كبيرة . وأبواب هذا المسجد في غاية الاتقان والصناعة . وقد زادوا فوقها من الصور ما هو من عوائدهم التي لا يمكنهم تركها ، ومن الزيادات المحدثه في جوانب هذا المسجد بيوت كثيرة كبيرة مشتملة على خزائن من الأموال ، فيها من الذخائر والأحجار الملوثة ، مثل الياقوت الأحمر والأبيض ، والأصفر ، والزمرد ، والتيجان المرصعة بالدر الفاخر ، والأحجار النفيسة التي لها بال ، ولا تقوم بمال ، ومع هذه الذخائر تاج كبير من ذهب ، ومع سواران من ذهب ، زعموا أن ذلك من عهد المسلمين رحمهم الله . وعن يمين هذه الخزائن خزانة فيها كتاب كبير مكتوب بجماء الذهب ، زعموا بأنه كتاب التوراة ، وهو عندهم في غاية التحفظ والصون والاعتناء به ، لا يخرج عن موضعه الذي به ، وذكروا أن والد هذا الطاغية أحب إخراجها من هناك ، وأن يكون عنده بعد أن أعطاهم فيه مدينة كبيرة بخراجها وجميع منافعها ، فلم يعطوا به كلاماً ، لفضهم به . وعن يمين هذه الخزانة أيضاً خزانة أخرى ، فيها صندوق كبير مرصع ، مشحون بالموائد الفاخرة المرصعة بالذهب ، مثل الهدايا والقلائد والسلاسل والخواتم الثمينة وعن يمينه صومعة من فضة ، تزيد على قامة الانسان ، وداخلها وخارجها من الذهب المرصع بالأحجار النفيسة ، وقد عمل هذا المنار على شكل منار مسجد طليطلة ، وعلى هيئته ومثاله ، وهو عندهم زينة ، يخرجونه في أعيادهم مع الصلبان التي يطوفون بها في الأزقة ، وهذا المنار الذي بهذا المسجد ، أعاده الله للإسلام ، وعمل هذا على شكله ، هو من أعاجيب البناء صناعة وعلواً في الجو ، فقد اشتمل على ثلاثمائة درجة . منها مئتان إلى موضع التأذين وفي موضع التأذين جعل أعداء الله تعالى تسعة نواقيس كبار جدا ، دائرة ، كل ناقوس منها ستة وثلاثون شبرا ، مع غلظ ثلاثة أرباع الذراع . وبناء هذا المنار كله من الحجارة الصلبة التي تشبه الرخام ، من جنس الحجر الذي بنى المسجد منه ، نسأل الله أن يعيده لتوحيده وذكره ، وحوالي هذه الخزائن من الخزائن المشحونة بالقناديل الذهبية والفضية والصلبان المرصعة ، والثياب التي يلبسها الغرابلية ، وأكابر القسوس والشمامس والرهبان ، التي طرزت بالجواهر النفيس شيء كثير . وهؤلاء الرهبان الذين في هذه الكنيسة هم جميعاً إلى نظر الكردينال ، الذي هو اليوم أكبر كردينال عند سائر المسيحية ، وهو الذي تحت الباب كما تقدم التنبيه عليه ، وعلى الباب

الشرط ، ولكن في السنة التالية نقض الاذفونش عهده ، بناء على الحاح الملكة كوزتازنة و برنار رئيس الأساقفة اه .

وكيف كان الأمر فقد تنصر كثير من مسلمي طليطلة ، وبقى كثير من المسلمين على دينهم ، لاسيما طبقة الخواص ، ولكنهم لم يهجروا البلدة دفعة واحدة . وما خلت طليطلة من المسلمين تماماً إلا بعد قرون متطاولة . ومن الغريب أن طليطلة رجعت إلى النصرارى في الثلث الثالث من القرن الحادى عشر للمسيح ، وأنه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال فيها مسلمون في زى نصرارى . وقد نقلنا في بحث مسلمى الاندلس في حاضر العالم الاسلامى في الجزء الثانى عن كتاب الأنوار النبوية في أنباء خير البرية ، للعالم الفسامة سيدى محمد بن عبد الرفيع الاندلسى المتوفى في رجب عام اثنين وخمسين وألف ، وصفه يوم كانوا بالاندلس لحالة المسلمين الذين كانوا مضطرين تحت خطر الحرق بالنار ، أن يطهروا النصرانية وهم يبطنون الاسلام ، وكيف كان والد المؤلف المذكور يعلم ولده الاسلام سرّاً ، ويوصيه بأن يكتم ذلك

دمرها الله . وحيث كانت طليطلة هي من قواعد مدن اسبانية ، كان الكردينال الذى يتولى أمر كنيستها أكرم من يتلقب بالكردينال عند عبدة الصليب . وهذا الكردينال الموجود اليوم هو رأس ديوان اسبانية ، واليه ينتهى جميع أمرهم في دينهم ودنياهم ، وعن رأيه يصدر كتاب الديوان جميعاً ، وفي طليطلة أثر القصة التى كان يسكنها الملوك قبل هذا ، وقاعدة طليطلة كانت دار ملك المعجم الأولى ، هي واشيبانية ، وإليها كان قصد طارق ، رحمه الله ، بوجهته حين دخل العدو ، بعد مروره بقرطبة ، ولم يعرج على غيرها ، حتى انتهى إليها ، ووجد بها من الآثار التى تدل على مكاتها مالا حصر له . ومن جملة ذلك المائدة المشهورة . إلا أن بعض أهل التاريخ يزعم أن المائدة لم تكن بطليطلة ، بل كانت بموضع آخر قريب من طليطلة ، يسمى وادى الحجارة وان طارقاً لما فتح طليطلة خرج إلى الموضع المعروف وادى الحجارة قرب الفج الذى كان ينسب إليه خلف الجبل حتى بلغ مدينة المائدة . وسميت بذلك لوجودها بها ، وهي المنسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وقيل إنها كانت من زبرجدة خضراء ، وانها كان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلاً والله اعلم ، انتهى

حتى عن والدته وعمه وأخيه ، وجميع أقاربه ، وأن لا يخبر أحداً من الخلق بما يعلمه إيتاه في الخفاء . ثم كان يرسل والدته إليه فتسأله : ما الذى يملكك والدك فيقول لها : لاشئ . فتقول له : أخبرنى بذلك ولا تخف لانى عندى الخبر بما يملكك . فيقول لها : أبدأ ما هو يعلمنى شيئاً . قال : وكذلك كان يفعل عمى ، وأنا أنكر أشد الانكار ثم أروح إلى مكتب النصارى . وآتى الدار فيعلمنى والذى ، إلى أن مضت مدة ، فأرسل إلى من اخوانه فى الله والأصدقاء . فلم أقرّ لأحد قط بشئ ، مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى بنفسه للهلاك لا مكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة . لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده الخ . إلى أن يقول : فلما تحقق والذى رحمه الله تعالى أنى أكنم أمور دين الاسلام عن الأقارب ، فضلا عن الأجانب ، أمرنى أن أتكلم بأفشائه لوالدتى وعمى وبعض أصحابه الأصدقاء فقط ، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون فى أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزمى مع صغر سنى فرح غاية الفرح ، وعرفنى بأصدقائه وأحبائه واخوانه فى دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً . « اه

وقد عاقت على هذه الجملة بقولى : إن الاسلام بالاندلس حسبا يظهر من هذا الوصف كان أصبح شبيها بجمعية سرية تكتم أمرها أشد الكتمان ، ولا يقدر واحد من المسلمين أن يبوح باسلامه إلا لمن يكون قد ابتلى أمانته ، وامتنحن صدقه فكانوا يجتمعون سراً إذا كان بعضهم واثقا ببعض ، ويتكلمون فى أمر الدين فى أشد الحفية . ثم نقلت عنه مايلى :

« وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان ، مدينة ابن مالك إلى غرناطة ، وإلى قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للاسلام فتلخص لى من معرفتهم أنى ميزت سبعة رجال ، كانوا كلهم يتحدثوننى بأمر غرناطة ، وما كان بها فى الاسلام حينئذ ، وبما أقوله وقتله بعد ، فسندى عال لكونه ماتم إلا بواسطة واحدة بينى وبين الاسلام بها « اه . وعلقت على هذه الجملة الأخرى مايلى : إنما من عرف كون ابن عبد الرفيح

توفى عام ألف واثنين وخمسين للهجرة ، لا يخفى عنه أنه كان شاباً في أول سنى الالف للهجرة ، أي منذ نيف وثلاثمائة سنة . ويظهر له أنه منذ نيف وثلاثمائة سنة ، كان في جيان وغرناطة واشبيلية وقرطبة أناس لا يزالون يدينون بالاسلام سرا ، وهم في الظاهر نصارى . وأغرب من هذا وجود مثل هؤلاء في طليطلة المصاقبة لمجريط ، والتي كان مضى على استرجاع الاسبانول لها يوم زارها ابن عبد الرفيح أكثر من خمسمائة سنة . أى أنه بقي مسلمون في الباطن في طليطلة من بعد أن زال عنها حكم الاسلام بخمسمائة عام

ثم ذكرت في محل آخر من هذا البحث : « وقيل لى إن أحد المغاربة وقع في هذه الأيام الأخيرة بمض قرى طليطلة ، فوجدهم يذبحون الأكباش يوم عيد النحر عندنا ، ويقولون إنها عادة توارثوها عن آبائهم اه .

ثم إني أذكر في المبحث نفسه فصلا عثرت عليه في جريدة « العملة » المساوية الصادرة في فينة ، عددها المؤرخ في ٣ يناير سنة ١٩٣٢ ، جاء فيه بمناسبة الكلام عن ثورات أهل العمل ، كلام عن موريسك الأندلس ، وأعمال ديوان التفتيش الكاثوليكي مايلي :

« فأخذ هذا الديوان ينقب وينقر عن السككية والجزئية من أعمال المسلمين ، ومنع جميع شعائرهم الدينية ، بل منع جميع عاداتهم ومذاهبهم في الحياة : ولو لم يكن لها تعلق بالدين ، وعاقب على ذلك . وكان يعاقب أشد العقاب من علم عنه أنه لا يأكل لحم الخنزير أو الميتة ، أو عرف عنه أنه لا يشرب الخمر ، أو قيل إنه أدرج ميتة في كفن نظيف . وكانت النظافة في ذاتها ذنباً يعاقب عليه ، وفي سنة ١٥٩٧ وجد في طليطلة المسمى « موريسكو بار تولوم شانجه » فلحظ عليه القوم أنه شديد التطهر ، فعذبوه عذاباً شديداً ، وما زالوا يعذبونه حتى أقر بأنه يتطهر عن عقيدة ، فحكوا عليه بالسجن المؤبد ، وبضبط جميع أملاكه . ووجدوا قرآناً عند عجوز اسمها « ايزابلا زاسن » فقالت انها لا تقدر أن تقرأه فلم ينفمها هذا القول ، وعذبوها ،

ولكن لما كان عمرها تسعين سنة اكتفوا من اهانتها بحملها على حمار ، والطواف بها في الشوارع وعليها غطاء مكتوب عليه اسمها « وإثمها » ثم زجوها في السجن بعد ذلك ، و بقيت فيه إلى أن علموها قواعد المسيحية « اه .
من هذا الفصل الوارد في جريدة « العملة » النمساوية .

Arbeiterzeitung يتأيد ما رواه ابن عبد الرقيق الاندلسي ، من انه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال في طليطلة بقايا مسلمين ، وأن العروبة لم يكن طمس هناك أثرها بالكلية . وهذا بحث سنفرد له إن شاء الله ، بعد أن أعدنا موادنا ، جزءاً خاصاً من كتابنا هذا .

ونعود إلى طليطلة واختلاط أسماؤها ، الاسبانيولى بالعربي ، والعربي بالاسبانيولى مما يدل على امتزاج المجتمعين في هذه البلدة ، بشكل غريب ، لم يسبق له مثيل ، وإليك أمثلة أخرى :

« باع القائد دون شبيب بن عبد الرحمن من دون دمنقه مرزأله الدليل ، ومن زوجه يُشْتة بنت مرتين النخ . والشهود يحيى بن خليل ورفاعة بن يحيى القنترى وابراهيم بن خليل وعبد الله بن عمر وحسين بن جعفر بن حسين وميقائيل بن شبيب ابن عبد الرحمن » .
ومثال آخر :

« اشترى القس دون دمنقة بن مقيال بن الريم من بوان باطرس جميع الفدان الواحد الأرض البيضاء الذي له بحومة أوليش الكبرى عمل طليطلة حرسها الله . إلى أن يقول : وسعة هذا الفدان المبيع المذكور كسمة كل قرعة هي بالحومة المذكورة بشمن عدته مثقال ونصف من الذهب البياسي الضرب ^(١) . أما الشهود فهم : يبطره ابن يليان بن ابي الحسن ، وشلمون بن طلي بن وعيد النخ .

وفي مكان آخر صك المشتري فيه الارجرشت ^(٢) دون تقلاوش القونوتقى ^(٣)

(١) البياسي نسبة إلى ياسه من عمل قرطبة ويظهر أنه كان بها دار ضرب لعهد الاسلام

(٢) Archiprêst القس الأكبر (٣) Canonigos القانوني

بقاعدة شنتة مريّة عمرها الله والبائعة مريّة بنت تمام على حفيدها الصغير الذي من غير رشد المسمى شربند بن باطرة غرسية الذي في حضانتها . وفي هذا الصك ذكر الوزير القاضي دون يليان بن أبي الحسن بن الباصه أدام الله عزّه .

وفي صك آخر يقول : اشترى دون لازر بن علي من دون يوان بن عثمان ومن زوجه دمنقة بنت حنصون جميع الكرم الذي لهما بمحاز شنت اشتاين خلف نهر تاجه وبمقربة من قرال بنى ابى مالك من احواز مدينة طليطلة حرسها الله . والتاريخ هو في العشر الأوسط من شهر ينير سنة إحدى ومائتين وألف للصفرة والثمن ثلاثون مثقالا من الذهب البياسى . والشهود يليان بن فرجون وبيطرو بن اندراش بن عزيزى وميقايل بن سلمة بن سدرايه ولب بن فرنندس . وفي آخر الصك يقول : وأنا يوان ابن عثمان بن عثمان بنت وقمضت « اه

وانظر إلى هذا الصك :

« اشترى الديقن دون دمنقة نفره الذي من أئمة فاعدة شنتة مريّة بطليطلة حرسها الله من الامام دون بيطرو جلبرت منها أيضاً جميع الغرس المعلوم له بحومة برج الشياطين عدوة نهر تاجه في حومة شنت فليس من أعمال مدينة طليطلة المذكورة انها يصل اليه وهو الغرس الذي كان اغترسه أبو الطيب المغترس وحده في الشرق غرس لدون اشنا بن التميميرانى وفي الغرب شنطير سالك من النهر المذكور الى الطرق التى بالحومة المذكورة وإلى سواها وفي القبلة غرس الاندراش وفي الجوف غرس لبيطروه اشكرده بثمن عدده ثلاثة عشر مثقالا ونصف مثقال ذهباً بياسى الضرب طيباً وازناً في شهر مارس من عام اثنين ومائتين وألف » .

وهذا المثال :

« اشترى ميقايل يوانش وأخيه دمنقر يوانش على السواء بينهما والاعتدال من دونة التى كانت زوجاً لاندراش دحجاج ومن بينهما يوانش ويلىان واشتاين ورومان ومريه وقطنيه جميع الدار التى لهم بحومة شنت رومان داخل مدينة طليطلة حرسها

الله التي حدها في الشرق دار لورثة دمنقه سبريان وفي الغرب الزقاق الغير نافذ
والباب فيه شارع وفي القبلة غرفة على اسطوان هذه الدار وهي لدون فيليز شنجس»
وهذا صك آخر :

« اشترى الارده^(١) الافرنجى وزوجه دونه مرشكيطة^(٢) ، من اولاليه^(٣)
بنت ديقه ، وهي التي كان أباها بيطروه ديس^(٤) شيون الكنفريه^(٥) متاع^(٦)
شنته مريه العظمى ، جميع الدار المعلومة لها ولأخيها بيطروه ديس المذكور بحومة
شنته مريه القاعدة داخل مدينة طليطلة حرسها الله التي حدها أجمع في الشرق الطريق
السالك ، والباب إليه شارع ، ودار كانت لنقلاش دِ طوريش ، وفي الغرب دار اتالين
ولدغلتار لقواس ، وفي القبلة دار الوزير القاضي دون رودريقه ديمنقس ، ودارلاشتافن
مشتابار ، وفي الجوف قرال لاتلين المذكور ، ولريموند بلدى^(٧) ولد جفري
مرابطى^(٨) ، ودار كانت لأرنلد فرانساشك النخ »
وتأمل في هذا الصك :

« اشترى دونه لوقاديه بنت ميقاتيل شايس ، وابنتها دونه مريه ، التي كانت
زوجاً لدون غرسية القميراني رحمه الله من دونه مرينه التي كانت زوجاً لدون قليام
ومن بينهما دون فيليز ، ودون بيطروه ، ودون يوانش ، ودونه ديمنقه ، جميع الميشون
الذي هو حانوت الآن ، والشوطار الذي تحته ، والغرفة التي عليه ، المعلوم لهم بحومة

(١) في الترجمة الاسبانيولية Alardo el Franceses

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Dona Morisquita

(٣) Eulalia في الترجمة

(٤) Diaz في الترجمة

(٥) Sayon de la cofradia في الترجمة

(٦) متاع هنا يراد به المنسوب إلى المكان وهو اصطلاح العامة

(٧) في الترجمة Raimundo boldi

(٨) في الترجمة Jofré Almoravide

كنيسة شنته مريه القاعدة في ر بوض الافرنج^(١) ، داخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وحد هذا المبيع في الشرق والغرب والقبلة والجوف طريق آخذ على ما يشين الطعام الى سوق الرقيق ، وطريق آخر على اليليندين ، إلى سوق الحصارين ، وميشون لقليان دديقرميلش وميشون لارنال ميقلده ، وهو قريب البائعين ، وكان قسم المبيع ومثله بشمن مبلغه أر بعون مثقالا ذهباً ، بياسية الضرب ، طيبة وازنة ، بشهر ديجمبر الذي من عام ثلاثة ومائتين للصفري .

وشهود الأصل فيه بيطرو بن يليان بن أبي الحسن ، وعمر بن أبي الفرج ، وفيليس بن غليام ، ويوانش بن غليام ، وبيطروش بن غليام ، واندراش فرتوم ، وميقايل ارتند . وفي آخره مذكور هكذا : نسخة النسخة (الخ) وذلك في العشر الأوسط من شهر فبرير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف للصفري

شلبطور بن عبد الملك بن العريب ، ويحيى بن وايد بن قاسم «

وغيره :

« واشترى القس ديمتقة بن الريم من دونة بنت الوزير القاضى عبد الرحمن ابن يحيى بن حارث ، جميع الكرمين المعلومه لنا بحومة منزل مُشقة من مدينة طليطلة حرسها الله ، وحد أحدها في الشرق كرم لورثة لب اشناينس ، وفي العرب نهر تاجه وفي القبلة كرم لمرتين فالله وفي الجوف جبل كرم لمرتين فالله ، وقطمة كرم اصق نهر

(١) كان للافرنج أى للفرنسيس حارة خاصة بهم في طليطلة لسكناهم هناك بحسب رواية المسيولاقالى Lavallée وسبب ذلك هو انه لما فتح الاسبانيول طليطلة سنة ١٠٨٥ كانت امرأة الأذفونش السادس يقال لها كونستزه ، وكانت أفرنسية الأصل وكان مع جيش الأذفونش الذى فتح طليطلة عدد كبير من الفرنسيس وكان معهم رهبان كثيرون من الفرنسيس أيضاً اشتهر بينهم راهب اسمه برنارمن ديرساهاغون Sagahun فلما تم استيلاء الاسبان على طليطلة سكن هؤلاء الفرنسيس فيها . وكانت الملكة التى هى أفرنسية الأصل تدمم وتعززم حتى أنها جعلت الراهب برنار المذكور مطراناً لطليطلة .

تاجه (إلى أن يقول) : حضر لهذا المبيع دون يوليان بن البائمة . وقال ان لا اعتراض عنده فيه وسلمه

والشهود بيطرو بن مرتين بن بهلول ، و بهلول بن غالب ، و يوانش بن تمام وعمر بن أبي الفرج . وفي الآخر هكذا : كان ذلك بحضري وانا يوانش بن عطاف بن لنبضار « وغيره :

« اشترى الارجرشت ^(١) الاجل دمنه تقلاوش أدام الله عزه ، من ديمنقه بنت شلبطور ^(٢) أبقاها الله ، جميع النصف من المسجد الذي بحومة شنته مرية ، بحضرة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المذكور في الشرق النصف الثاني الذي هو لاختها شول ، وفي الغرب حجرة لمريم المسلمة التي كانت زوجاً للأبدي الجزاز . وفي القبلة الدار التي كانت لابرسيوه ، وفي الجوف الطريق وإليه يشرع الباب ، بثمان مبلغه ثمانية عشر مثقالا من الذهب الطيب الوازن ، في العشر الآخر من شهر مايو سنة خمسة ومائتين وألف

والشهود : عبد الرحمن بن عبد الملك ، وديمنقة بيطروس الباسي ، وعبد الله بن عمر بن يوانش بن سليمان ، وعامر بن يحيى بن بلاي « وغيره :

« اشهدت دونة شولي بنت عمر بن هشام ، و بنتها يوشتا وستى بنتى مقيال ابن سليمان على أنفسهن شهدا آخر هذا الكتاب أنهن بعن من الوزير الأجل دون اشتافن يليانس ، أكرمه الله الربع الواحد على الاشاعة من جميع السد المعروف بسد الفته الذي في نهر تاجه تحت حصن قلانيه النخ . « وغيره :

« اشترى يوان مستعرب ^(٣) لدون مَلَنَدَة الدليل ، وبمال دون ملنده المذكور

(١) Archiprêtre (٢) Salvador

(٣) Mozarabe انه يظهر من هذه الكتابات التي إذا ذكرت الافرنجي تنص عليه بأنه افرنجي، وإذا ذكرت الاسبانيولي المتكلم بالعربية تنص عليه بأنه مستعرب

من دونه ستميورى ، التى كانت زوجاً لدون ديمنقه البرنيى ، رحمه الله جميع الحوانيت والغريفة المتصلة بها ، (إلى أن يقول) واعترف المتبايعان المذكوران أن البايعة المذكورة قبضت عن الستة عشر مثقالا المذكورة أعلاه من المتبايع المذكور القلاب

وإذا ذكرت المسلم أشارت أنه مسلم وإذا ذكرت اليهودى أشارت اليه بأنه اسرائيلى انه كان فى طليطة أربع أو خمس فرق منها العرب المسلمون الذين بقوا حافظين لغتهم ودينهم حتى بعد استيلاء الاسبانيول ومنها الاسبانيول المستعربون الذين كانوا يتكلمون ويكتبون و يقيمون صلواتهم بالعربية حتى إنهم كانوا إذا كتبوا كتاباً يبدأونه بيسم الله الرحمن الرحيم وكانوا متعصبين جدا للعربية ولذلك بقيت اللغة العربية والثقافة العربية سائدين فى طليطة مدة ستمائة سنة بعد اقراض حكم الاسلام منها ومنهم الاسبانيول الذين يتكلمون ويكتبون باغتهم الاسبانية وكان المستعربون يسمونهم بالقشتاليين كما مر فى أحد الصكوك التى نقلناها . وكان منهم أيضاً الافرنج الذين بدأت سكناهم فى طليطة من وقت استرداد الاسبانيول لها لانهم كان منهم جنود كثيرون فى جيش الأذفونش السادس . ومنهم اليهود الذين كانوا عنصرا كبيرا ولم يكن الاسبانيول المستعربون بالفتة التى ترضى بالسيادة للاسبانيين القشتاليين أو للافرنج حتى انه وقع خلاف بين النصارى المستعربين والنصارى غير المستعربين من قشتاليين وافرنج فى مسألة الصلوات فان المستعربين كانوا يقيمون القداس الذى يسمى بالاسبانية بالمشة أو الميسة وذلك باللغة القوطية بحسب قاعدة قدس عندهم يسمى سان ايزيدور وكانوا يخلطون ذلك بالعربية وكان الاسبانيول يقولون لهذا الطقس « نصف عربى ، أو « موزاراب ، فكان الافرنج والقشتاليون يريدون حمل الجميع على استعمال الطقس الرومانى ولكن المستعربين أبوا إباء شديدا وكان أشدهم خصاما فى هذا الأمر جوان رويس ماتانزاس Juanriuz de los Matanzas ولما تعذر حل هذه العقدة قيل إنهم لجأوا إلى البراز وأنهم يخرجون من كل فتة فارساً فيتجاول الفارسان والذى يصرع الآخر تكون فتته هى الغالبة فى الموضوع . فلما تبارز الفارسان كانت الغلبة للفارس المستعرب ولكن فتة الافرنج بقيت مصرة على عنادها . فلجأوا إلى امتحان آخر على عهدة الرواة ورموا كتاب الصلاة الرومانى وكتاب الصلاة القوطى فى النار وقالوا الكتاب الذى يخرج سالما من النار يكون له الحكم . فخرج كتاب المستعربين سالما وخرج الكتاب الرومانى أقل سلامة منه فيقال أن الأذفونش السادس أبى عند ذلك الطقسين معا .

المعروفة لمآئدة الدليل بقرية قنالس ، والنبر الذي كان له بها ، والحمار والمعجلة ، هذه الأسباب المذكورة عن سبعة مثاقيل ونصف النخ . «

وغیره :

« اشترى الوزير المشرف دون ديمنقه بن سليمان بن غصن بن شربند ، أكرمه الله من سبريان بن بسنت ، ومن زوجه لوفادية بنت يحيى البياسي ، جميع الدار المعلومة لها بحومة كنيسة شنت يوانش ، بثمن عدده ومبلغه سبعون مثقالا من الذهب الفنشي الطليطلى الغرب الطيب الوازن النخ . «

وغیره :

« اشترت الابطيسة^(١) الجايلة دونه مطري أكرمها الله ، التي بدير شنت قلنت عمرها الله من القس دون ديمنقه النخ «

وغیره :

« اشترى أبو زكري يحيى بن علي المالقي ، من دونه لوفادية بنت بيطروسايبس ومن ابنها رودريقه بن بشكوال جميع الكرم المعلومة لها بحومة كنيسة شنته قلمبه عمل مدينة طليطلة حرسها الله النخ .

والشهود فرنانده يوانش وعبد الله بن عبد العزيز بن خطاب ، وبسنت بن عبد العزيز بن سعد ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس «

وغیره :

« اشترى دون يوان البلجاني أكرمه الله من بيطرو بن يوليان بطيط جميع الجنينة^(٢) التي له بحومة باب المخاضة ، على نهر تاجه (إلى أن يقول) ودخل في هذا المبيع الموصوف جميع ما كان للبائع المذكور في السانية الكبيرة المشهورة النخ . «

(١) أي الراهبة الرئيسة

(٢) في جميع البلاد العربية يستعملون الجنينة ، بمعنى البستان الصغير

وغيره :

« اشترى افراير^(١) دون فرناندوه الذى من فرايرين قلعة رباح ، للرواهب الذين بدير شنت قلعت بدينة طليطلة ، أماها الله من ميقيبيل إلى آخره »

وغيره :

« اشترى دون يليان القس الميردوم ، متاع شنت ديمنقة ، إلى دير شنت قلعت الذى هو بمدينة طليطلة حماها الله ، ومن مال الدير المذكور الخ » .

وغيره :

« اشترى الفرايلى دون فرناندوه يوانش ، متاع قلعة رباح إلى الابطشة دونة مطرى متاع شنت قلعت الخ » .
ومن هذه الصكوك ما فيه :

« اشترى الوزير الأجل المشرف الأفضل الأكمل أو عمر شوشان^(٢) ، أدام الله عزه ، من دون مرتين^(٣) دى القواط ، ومن زوجه دونة قهبة بنت فرند واماط^(٤) الشطر الواحد على الاتساعة . من جميع الامدر الذى شطره الثمانى للمتاع المذكور ، وقد بين فيه قرال ، وهو بقرية أوامش الكبرى من عمل مدينة طليطلة حرسها الله ، ولشهرته استغنى عن تحديده . بثمن مبالغه ستة مذاقيل من الذهب الفه نشى الضرب ، وذلك في شهر ديجمبر سنة ست وثلاثين ومائتين للصفى .

(١) الراهب .

(٢) مكتوب فى الترجمة الاسبانيولية اسم هذا الرجل هكذا : Abuomar Susán . وقبل اسمه مكتوب Alguacil Almogarife . ومن المعلوم أن الاسبانيول حرفوا لفظه « الوزير » حتى صارت « الغاسيل » ، ويظهر أن لفظه « المشرف » كانت دخلت أيضا فى لغتهم حتى صارت تستعمل فيها .

(٣) Martin de Alconte

(٤) Fernando Abat

وتحتته مكتوب : غالب بن غلمون . ومرتين بن يحيى بن عبد العزيز . وديمثقه ابن بيطروه القنترى . تكيف الأَشهاد فيه بين يدي وأنا شلمون بن علي بن وعيد « ثم هذا الصك الذي يتضمن بيع عقار موقوف ، وبيان السبب الذي اضطر إلى هذا البيع فهو يقول :

« باعت الابطيشة ^(١) الجاييلة دونه شنبجه التي على دير شنت باترو بالحزام ^(٢) أكرمها الله مع كونباتها ^(٣) الكائن أسام في هذا الكتاب ، من دون مرتين ابن باطروه دِقشطارة ^(٤) ، جميع الميشون الذي علم في أصله للدير المذكور بر بوض الا فرنج التي على مقربة العشابين وبداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله ، وهو الميشون الذي حده في الشرق طريق سالك للحصارين ، وفي الغرب ميشون لدون بطال السبطير ^(٥) ، ولدونة يوشته ^(٦) زوج غليلم ^(٧) ديباسة ، ولباطروه غليلم ، ولبنى دون جوان دلبدقدوه ^(٨) ، وفي القبلة المحجة السالك ، وبابها شارع اليها ، وفي الجوف ميشون لدون باطروه جَسُواين ^(٩) ، وحوانيت السلطان ، بثمان مبلغه وعدده أربعون مثقالا ذهباً من الذهب الفونثى ، وصار عندهم وفي ملكهم لينفقوه على أنفسهم ، وعلى جميع من هو في الدير المذكور ، مما يجب له النفقة منه في الدير ، لا غنى لهم عنه في الأكل في هذه الاعوام المحيلة ، إذ لجتهم الحاجة والعاقة لثلاثموتون جوعاً ، إذ قد

(١) في النص الاسبانيولى Abbatissa Sanecia

(٢) في الترجمة Alhicem

(٣) أى صواحباتها .

(٤) Pedro de Castro

(٥) Don Vidal El - Zapatero

(٦) Justa

(٧) Guèllemo de Baeza

(٨) في الترجمة الاسبانيولى وضعوا مكان هذه الكلمة نقطا للدلالة على جهالتها .

(٩) Pedro Chasolin

أحفلوا على ذلك في الدير المذكور، وخارج الدير ، قد شاوروا فيه الاعيان القنوتقين^(١) بالقاعدة^(٢) شنتة مرية أم النور ، دَرّ لنا الله شفاعتها ، فكلمهم قد حطوه عليه ، وأجمعوا الرأى فيه ، إذ الضغطة والحاجة والفاقة ، قد صحت أنها حاظت بهم ، ولذلك باعوا المبيع الموصوف ، وجاز لهم بيعه ، وصح للمبتاع ابتياعه عن ذلك أبداً ، وللمبتاع المذكور براءة تامة ، فبرىء في العشر الأول من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف لتاريخ الصفر .

واعترف المبتاع المذكور دون مرتين أن هذا الشرى على حسبه ونسبته هو بينه وبين زوجه دونه يوشنة ، على المناصفة ، وعلى الجميع يقع الاشهاد .
مقيال بن على بن عمر . ويواتش بن مقيال بن عبد العزيز الشنارى .

Ego Abbatissa Sancia. Monasterii Sancti Petri Consedo. Ego Fernandus Iohnnes Subdiaconus Sancti Nicolai Testis. Ego Dominica Priora Confirmo. Ego Lazarus Presbiter Sancti Sevastiani Ecclesie Testis. Ego Liocadia Confirmo. Ego Anastasia Confirmo. Ego Eugenia Confirmo etc.

فمن هذا الصك وأمثاله يعرف انه في طليطلة لم يكن الجميع يكتبون بالعربية وكان لا يزال قسم كبير من الاسبانيول يضعون امضاءاتهم بالاسبانية ولكن العربية كانت هي السائدة .

ولنأخذ من بعض الصكوك بعض الجمل التي تدل على حاله طليطلة الاجتماعية في ذلك العصر ، لكون استقصاء هذه الوثائق بأجمعها غير ضرورى ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد .

فمن ذلك صك شراء للدون البيروه البرس^(٣) وزوجته الدونة مرية الجنان^(٤)

(١) Alos Canonigos يريد بها القانونيين وهي رتبة دينية عندهم

(٢) في الترجمة الاسبانية هي الكنيسة الكبرى Catedrale

(٣) في الترجمة الاسبانية « البيروه » هو Alvaro « والبرس » هو Alvarez

(٤) الجنان جمع جنة ولكنه يستعملها استعمال المفرد بدليل قوله « الذى علم لوالده »

الذي علم لوالده دون مقيال بن الوزير سيد ، بحومة السوميل ، من عمل مدينة طليطلة (الخ) وفي آخر هذا الصك يقول هكذا : وليعلم أن الجنان المذكور هو الآن مبور ، ومقطوعة ثماره ، كان قطعوها المسلمون دمرهم الله . وذكر ذلك ليعلم بعد أن ألزمت نفسها ومالها دونة ديمنقه المذكورة دفع ابنها الفونش المذكور متى قام أو قام أحد عنه وأراد طلب المتاعين شيء منه يدفعه عنهما بمالهما .
وإليك هذا الصك يستدل منه القارىء على أحوال طليطلة في ذلك العصر فهو يقول :

« اشترى القبشقول^(١) دون جردان من دونه دونة بنت عبد الله بن يحيى جميع الدار التي لها بحومة القاعدة شفته مريه ، داخل الدرب المشهور بدرب الارسبرست^(٢) دون نيقولاش ، وبداخل مدينة طليطلة حرسها الله ، ومنتهى حدودها في الشرق اسطبل كان مسجداً في القديم ، هو للارسبرست^(٣) دون ييطرو من طليبره^(٤) ودار لورثة شقره^(٥) ، وفي الغرب دار كانت لورثة الايطي^(٦) ، هي الآن للمبتاع المذكور ، وفي القبلة دار لورثة البرنيطي^(٧) ، وفي الجوف الدرب المذكور ، والباب

وقد مر أيضاً أنه استعمل الكروم ، استعمال الكرم بالمفرد وعلى كل حال ليست جميع هذه الصكوك كتابة المدققين بالعربية وان كان منها ما هو بغاية الضبط

(١) في الترجمة الاسبانية Capiscol Don Jordan

(٢) في الترجمة الاسبانية Arcipreste

(٣) هذه اللفظة أى ، الارسبرست ، بمعنى القسيس الاكبر تكتب أحيانا بالسين

وأحيانا بالشين والغالب أن العرب كانوا يلفظون السين في الاعلام الاسبانية شيئاً ولكن قد يراعون فيها الأصل أحيانا فيلفظونها شيئاً

(٤) Talavrra

(٥) Suegro

(٦) في الترجمة الاسبانية Laiti

(٧) في الترجمة الاسبانية Berniti

إليه شارع ، و بعض دويرة المسلم على ولد القلق (١) النخ ، والشهود : قرشتو بل بن يليان ، ولورنس بن ديمغه بن عمران . وبيطروه بن مرتين مستعرب .

وقد رأينا هذه اللفظة «مستعرب» مراراً في هذه الصكوك ، واستدللنا بها على أن نصارى طابطة كانوا قسمين يقال لهم المستعربون ، وهم الذين كانوا يتكلمون ويكتبون و يقيمون صلواتهم باللغة العربية ، وقسم آخر كانوا يتكلمون ويكتبون بالأسبانيوية و يقيمون صلواتهم باللاتينية ، وهذا هو السبب في أنهم عند كتابة الصكوك يميزون الأسبانيولى الذى لغته العربية بقولهم «مستعرب» وكذلك يذكرون عند وضع الشهادات لفظة « بالعربى » ولفظة « بالمعجمى » لأن من اليهود من كان يكتب امضاه بالعربى ومنهم من لم يعرف وضع امضائه بالعربى فيشيرون إلى أنه وضع بالمعجمى ومما تعرف منه اصطلاحاتهم مثل هذا الصك :

اشترى دون غونصاليه المكرج بالتمعة شنته مريه كرياطور المطران الأحل
دون غونصاليه قدس الله روحه . فلفظة « كرياطور » هي ترجمة Criado بالاسبانيوية
وهي الفظة معناها أشبه بمعنى شمس المعروف في الشرق ، وهو الذى يخدم المطران .
وفي هذا الصك ذكر رجل يقل له الدون مرتين المدوى المتاء . فذنت ترى في كل
مكان اختلاط الاسماء العربية بالاسماء الأسبانية
وانظر إلى صك آخر :

باع كونيانت (٢) القعدة المعظمة شنته مريه أم النور . در كونا الله شفاعتها ،
وأكرمهم . من دونة ديمغه بنت أنى الربيع سليمان بن عثمان ، التى كانت زوجاً
لدون لب بن يحيى ، جميع الدار النخ .

(١) فى الترجمة الاسبانيوية Galapago ومن هنا يعلم أنه كان لا يزال مسلمون بطابطة تحت النصارى من بعد ما استولى عليها الاسبانيول بقرن وقرنين وثلاثة وكانوا معروفين بأنهم مسلمون لأن اكرام المسلمين على النصر لم يقع إلا من القرن السادس عشر فصاعداً بعد سقوط غرناطة آخر سلطة اسلامية فى ذلك القطر

(٢) فى الترجمة الاسبانيوية Convento

وفي هذا الصك ذكر دار كانت للشقرشتان^(١) ولاخته دونه اغطه .

وإليك هذا الصك :

اشترى رومان بن^(٢) باطرو زورير حفيد السماد ، لنفسه ولزوجه دونه أوره بونه ،
ومن مالها جميعاً ، على اعترافه ، من دونه ديمنقه بن عبد الرحمن بن جابر (النخ)
بحومة بال ذي قبش^(٣) عمل طليطلة (النخ)

ويظهر أنه كان لليهود في طليطلة شأن عظيم ، لأن الأسماء الاسرائيلية تدور
كثيراً في هذه الصكوك ، وفيها أسماء رجال لهم مقام اجتماعي نبه ، مثل ماورد في
بعض الصكوك قوله :

« اشترى الوزير أبو هارون موسى بن الشحات الاسرائيلي أعزه الله من دونه
غاليانه (النخ) .

وأما أهمية رجال الكنيسة فلا تخفى في كل حرف من حروف هذه الكتابات
ومنها يظهر أن أكثر الأملاك كانت لهم ، لأن أكثر البيع والشراء هو منهم وإليهم
وإذا ورد ذكر أحدهم فبغاية التعظيم والاجلال ، مثل قوله في كثير من الصكوك :
« اشترى المطران^(٤) الأجل المقدس الأفضل دمنه مرتين لبوس^(٥) الذي

(١) في الترجمة الاسبانيولية Sacristàn

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Romàn Huigo de Pedro El Cebreiro

Nieto de Assamad ولا نعلم هل هذا الاسم مأخوذ من السماد أو هو محرف عن
الصمد فانهم أحياناً يخطئون فيجعلون الصاد سينا كما مر بقولهم حومة « الصوميل »
وحقها أن تكون بالصاد « الصوميل » ، والصميل اسم عربي شهير هذا مع كون السين
والصاد تقوم احدهما مقام الاخرى في الفاظ كثيرة

(٣) في الترجمة الاسبانيولية Valdecubas

(٤) في الاسبانيولى Arzobispo

(٥) Martin Lopez

لكرسى قاعدة طليطلة و برماطم أشبانية الخ «^(١)
ولم تكن أسماء رجال الكنيسة كلها لاتينية بل من القسيسين من كانت
أسماءهم عربية ففى بعض الصكوك :

« اشترى القس دون لب بن تمام بن بحيط الذى من أئمة كنيسة شنت زوال^(٢)
من دونة توطه بنت دون لب دِقترال^(٣) جميع الدويرة التى صارت لها بالمطية من
الدياقن دون مقيال دالبه^(٤) رحمه الله بحومة كنيسة شنت يناس^(٥) و بداخل
مدينة طليطلة الخ . وفى بعض الصكوك مذكور القس الدون عبد العزيز من أئمة
كنيسة شنتة لوفاديه الخ «

ومن الصكوك التى تستجلب النظر ما يلى :

« اشترى دون ديمتقة بشكوال ، تربية المطران الأجل ، القديس الأفضل ،
الحبيب الأكمل ، دون ردريقه شانس^(٦) وصل الله بركته ومن مال المطران
المذكور ، وله ويده فيه عارية الخ «

ومثله :

« اشترى القونوق دون جوان دى ستفيله^(٧) ، أعزه الله ، لمولانا المطران القديس
الأفضل ، البرماط الأعدل ، دون رودريقه شانس ، أدام الله نصره ، ومن مال
(١) Primado de Espana وهو الاسقف الاعظم لأسبانية ومن هنا يعلم أن
معاملات الاسقف الأعظم نفسه كانت بالعربية حتى بعد استرداد الاسبان لطليطلة
بزمن طويل

San Zoel (٢)

Toda Hija De Don Lope De Cotarel (٣)

Mical De Alba (٤)

San Gines (٥)

Rodrigo Giménez (٦)

De Setfila (٧)

المطران ، ويده فيه عارية بقوله ، من دونة مريه بنت حسين بن قرون ، رحمه الله وأعزها ، جميع الملك المشهور لأبيها المذكور ، والحق لها بالارث عنه ، وهو بجائز قرى ششلة^(١) مدينة طليطلة ، حرسها الله ، والمبيع الموصوف هو تحت كدية قرية المونسير^(٢) ، ويقسم التخيم مع القرية المونسير المذكورة ، ومع قرية بيله اتقوه (إلى أن يقول) دخل في هذا المبيع كل الذي صح وصار لوالد البايعة المذكورة بالعطية عن الامبراطور الشريف^(٣) مع ابنه السلطان المعظم دون شانجه ، رحهما الله ، بالصك الكريم التي استظهرت البائعة المذكورة ودفعته للمبتاع المذكور اه .
ومثله :

« اشترى دون ربرت^(٤) الافرنجى ، الذي هو الآن من ررض الافرنج ، لنفسه ولزوجه دونه رواش^(٥) سوية بينهما ، من دونه ديمنقه ، ومن اختها دونه مرتينه ، بنتى دون غيلين ، جميع الدار التي لها بحومة حمام يعيش ، من حومة البير المر ، داخل مدينة طليطلة الخ

والشهود : بيطروه بن اشتافن الربالى . وديمنقه اندراش ، ودون رجد الافرنجى ودون غيلم طبلد ، من ررض الافرنج ، وبيطرو نقولا البنا ، وكتب عن كل واحد منهم اسمه عنه بأمرهم وحضرتهم وفيليز بن يحيى بن عبد الله

وهذا تأييد لكون الافرنج لم يزالوا بعد رجوع طليطلة إلى الأسبان كأنهم غرباء فيها . وفي صك من الصكوك يذكرون مشترين ثم يقول : بعد أن فسر عليهما

(١) Sisla

(٢) Almonasir

(٣) Emperador وهو الاذفونش السادس الذي تولى من سنة ١٠٧٢ إلى سنة ١١٠٩ ولقب نفسه بامبراطور اسبانية

(٤) في الترجمة الاسبانية Roberto El Francés

(٥) في الترجمة الاسبانية Raues

معانيه بلفظ أعجمي فهماه واعترفا بفهمه ، في العشر الآخر من شهر أوغوست سنة ست وخمسين ومائتين وألف للصفير .

ومما يستجلب النظر صك فيه :

« باع دون جوان رويس ^(١) بن دون رودريقه رويس ، أخ الأسقف ^(٢) للمعظم دون غرسيه رويس ، الذي على سقافة كرسى كونكة ، أدام الله كرامته الخ ومما يستجلب النظر صك فيه :

اشترى المطران الأجل دون رودريقه شيانس ريتاط أشبانية أطل الله مدة وأدام بقاءه ، من دون فرنندوه لبوس بن دون لب فرنندس رحمة الله وأكرمه الخ . ومثله :

« اشترى القبيلة ^(٣) المكرم من شنابير ^(٤) القاعدة العظمى ، شفته مريه ، دركنا الله شفاعتها الخ

ومما يستجلب النظر هذا الصك :

« اشترى أبو حسن على الشيرى المسلم وزوجه عائشة بنت الدودري من الغيران وفقهم الله . على المناصفة بينهم ، من دونه أو رابونه ، تربيته القائد الأجل دون اشتابن الخ والتاريخ العشر الآخر من يناير سنة أربع وثمانين ومائتين وألف للصفير . ومن هذا التاريخ أيضاً يعلم أنه كان يوجد جماعة من المسامين بطايطلة في ذلك العصر وهذا الصك :

« اشترى دون بيظرو رويس فارس ، من أتانس ^(٥) هاند الغرديه ^(٦) ،

(١) في الترجمة الاسبانية Guan Ruiz

(٢) في الترجمة الاسبانية Obispo Deluena وهي أى كونكة بلدة تقدم

ذكرها في هذا الكتاب كان فيها العرب وكانوا يقولون لها فونكة وأخناناً كونكة

(٣) في الترجمة الاسبانية Cabildo وهو ذى رتبة في الكنيسة

(٤) في الترجمة الاسبانية Senares ومعناها السادات

(٥) في الترجمة الاسبانية Atenas

(٦) في الترجمة الاسبانية Guardia ومعناه الحرس

لمولانا الأليته^(١) دون شانجه بن مولانا الأمير المعظم المرحوم فرنده عفا الله عنه الخ وكان النصرارى والمسلمون يبيعون الأسرى بالوثائق ، كما يظهر لك من الصك الآتى : باع مرتين غرسيه دى أبره^(٢) ، من أبو عمر بن الشيخ أبو سليمان بن أبي عمر ابن نحميش الاسرائيلى ، أسير واحد اسمه محمد بن ابراهيم القصلونى من غرناطة ، بيعاً تاماً ناجزاً ، بثمان مبلغه وعدده مائة وخمسة وأربعون مثقالاً (إلى أن يقول) نقلا عن كتاب عجمى بشأن الأسير ، إن هذا الأسير محمد أخرجه جوان ديمنقوس بالمناداة^(٣) بقرطبة ، وتاريخه ألف وثمانمائة وعشرة من تاريخ الصفر اه
وفى صك آخر :

باع غنصالبه قاضى الحضرة أيدى الله ، وقاضى بمدينة قرطبة ، وساكن بها ، من غنصالبه بن الفونش بن الفونش بيطروس بن سربتوش أكرمه الله أسير واحد ، على الأسير البنّا بن سعيد مملوك كان لغنصالبه رودريقه بمدينة قرطبة المذكورة بيعاً تاماً صحيحاً بثمان عدده أربعمائة مثقال كل مثقال خمسة عشر فرد من البيض الجارية ، الآن وهذا الأسير باعه البايغ للمبتاع المذكور كما ذكر على يدى دلال الأسارى أبي عمر ابن اسرائيل الاسرائيلى الذى هو دلال الأسارى بطليطلة فى حادى وعشرين نونبر عام أربعة وعشرين وثمانمائة وألف للصفر

(١) فى الترجمة الاسبانيولى Eleito ومعناه المختار أو المنتخب

(٢) Martin de Garcia de Abra

(٣) المناداة هى فى الاصطلاح ان ينادى الدلال على البضاعة المعروضة للبيع حتى يقبل السامعون للنداء على شرائها وقد كان استعمال هذه اللفظة لهذا المعنى فى بغداد وجاءت بهذا المقام فى المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذانى كما انها كانت مستعملة فى الأندلس وأخذها الاسبانيول فى جملة ما أخذوه من العربى الى لغتهم . واما الاسير المسلم محمد الذى بيع فى المناداة فى قرطبة فقد بيع فيها بعد استيلاء النصرارى عليها

ومما يستوجب النظر الصك الآتى :

اشترت دونه مركاشه لابنها المدرج^(١) شانجه مرتينوس ، كاتب مولانا الملك المعظم ، دون شانجه أطال الله بقاءهم ، وخلد ملكهم ، بمال ابنها المذكور ، الذى صار له بالعطية من مولانا الملك المذكور النخ .

وفى صك آخر يقول :

كاتب مولانا الملك المعظم الأعلى دون شانجه أطال الله بقاءهم ، وخلد ملكهم وأيدهم ونصرهم ، ومن ماله المختص به الذى صار له من مولانا الملك المذكور النخ . وهذا الصك :

اشترى مرتين شانجس قبله^(٢) القاعدة شنته مريه لنفسه ولزوجه مانتقه بنت مرتين غونس ، سوية بينهما ، من قاسم البنأ بن محمد مملوك مولانا الملك المعظم دون شانجه ، أطال الله بقاءهم ، ومن زوجته فطومة الماشطة ، جميع الدار التى لها بحومة بيرالمير الملاصقة بالفرن بها النخ .

وهذا الصك الذى فيه :

اشترى دون جوان بيطروس بن دون بيطروه يايان بن الوزير القاضى دون يليان أكرمه الله لنفسه ومن ماله ، من مريه بنت جوان التجار ، جميع الدار مع خمسة حوانات ، بحومة كنيسة شنت يوشنت ، وقريب السكدية . بمدينة طليطلة حرسها الله ويلاصق ذلك كله من جوانبه وجهاته قاعة قرال ، هى لجماعة مساهين طليطلة ، حيث تذبج الكباش ، ودار لجوان مرتين العدار ، ودار لقنوتقين شنته لوقادية لصق قصر مولانا الملك النخ ، والتاريخ سابع نونمبر عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفرا هـ .

قلنا ثبت من هنا أنه كان فى ذلك التاريخ جماعة من المسلمين فى طليطلة وهذا

(١) لقب من القاب الكنيسة

(٢) قبله بمعنى خادم الكنيسة والقاعدة العظمى هى الكنيسة الكاتدرائية Cathédrale

بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبان بمائتين وخمسين سنة . وكانوا إلى ذلك الوقت يمارسون شعائر دينهم ويزبحون الكباش في عيد الاضحى وهذا الصك :

قاطع القوننق الأجل دون غشطين ، الذي من قونونقين القاعدة العظمي شنته مريه أم النور ، درّ كنا الله شفاعتها ، أسيرته ومملوكته المنتصرة سيسليه المسماة به بالمعمودية ، على حرية نفسها منه ، بأر بعون متقالا فونشياً صروفاً ، لتخدم سيسليه المذكورة بداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وباحوازاها ، دون رقيب عليها ولاثقاف وتأخذ لنفسها جميع مايعود الله عليها من فايد وعايد ، قلّ به أم كثر ، وتؤدى له الفدية المذكورة ، كما يذكر بعد هذا ، في كل شهر ، شهر بعد آخر ، إلى أن تم الفدية المذكورة وإذ ذلك تكون سيسليه المذكورة حرة كسائر حرائر النصرانيات أهل ملتها ، وما ينقص لها من شهر تكمله في شهر ثان وثالث ، وإن لم يتكمل لها في الشهر الثالث ، كما ذكر ، حاشى مرض بين يمنعها عن الفدية ، أو هربت وخالطت قوم سوا ، أو وجدت في سرقة أو خيانة ، فتخسر ما يكون منها مدفوعاً ، وتعود الأسر كما كانت الخ . وتاريخ هذا الكتاب ديجمبر سنة تسع وسبعين ومائتين وألف اه ملخصاً

ويوجد صكوك أخرى في موضوع شراء المسلمين لحرّيتهم^(١) من ذلك مايلي :

قاطعت الابطيشة الجليلة دونة أورابونة التي على راهبات ديرشنت قلنت

(١) هذه الطريقة يقال لها في الاسلام المكاتبه وهي ان يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال ينجمه عليه ويكتب عليه انه اذا ادى نجومه في كل نجم كذا وكذا فهو حر فاذا ادى جميع ما كاتبه عليه فقد عتق وولاؤه لمولاه الذي كاتبه وذلك ان مولاه سوغه كسبه الذي هو في الاصل لمولاه فالسيد مكاتب بكسر التاء والعبد مكاتب بفتحها اذا عقد عليه ما فارقه عليه من أداء المال . سميت مكاتبه لما يكتب للعبد على السيد من العتق إذا أدى ما فارقه عليه ، ولما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها في محلها وأن له تعجيزه اذا عجز عن أداء نجم يحل عليه .

والبريورة^(١) به ، دونه لوقاديه ودونه امونيه ، دام عزهن ، لأسيريهن ومملوكيهن عزوز ، ويعرف برود ريقه بن معمر العربي ، واحمد اللوقى ، على حريتهما منهن بخدمتهما جميع الغرس المعلوم للدير المذكور بحومة برالس ، فى حير قرية أوليش ، على أن يخدمنا الارض المذكورة مدة خمسة أعوام متوالية ، من تاريخ هذا الكتاب ، فى كل عام منها بالكشف والحفر والثنى والتثليث ، ويطبعا المواضع بقضبان الزرجون^(٢) ، وعليها القيام بالزبار^(٣) طول المدة . واذا قام المقاطعين المذكورين بالخدمة والعمارة حسبما وصف يصيران أحرار كسائر أحرار المسلمين أهل ملتتهما ، فى مالهم وعليهم ، وإن تهربا أو أحدهما فى طى المدة المذكورة ، أو عجزا عن اكمال التقطيع الموصوف يخسرا ما يتقدم لهما ، ويردهما راهبات الدير للأسر كما كانا أولا . وتاريخ هذا الصك عشر فونمبر عام خمسة وثمانين ومائتين وألف للأصفر اه .

ومثله صك آخر للابطيشة المذكورة بحق أسرى مسلمين هم : محمد المنارى ولد

(١) La Priora وهى وظيفة فى الدير

(٢) الزرجون جمع زرجونة وهى قضيب الكرم ويقال له الشكير وجاء فى المخصص

لابن سيدة عن ابن قتيبة ان الزرجون آت من الفارسية وانه فيها زركون بالكاف ومعناه الصفرة كلون الذهب وهذه اللفظة معروفة فى سورية ومنها جاءت الى الاندلس

(٣) هو تقليم الكرم وهى لفظة معروفة فى سورية بهذا المعنى يقال زبر فلان

كرمه وقد وصلت الى الأندلس من أهل الشام والحال انه ليس فى كتب اللغة هذه اللفظة بهذا المعنى بل فى اللغة زبر البر زبرا طواها بالحجارة وكذلك زبرت الكتاب

قرأته وزبرته ككتبته وقيل انه النقش فى الحجارة . والزبور الكتاب المزبور . والمزبر هو القلم . ثم ان الزبر يأتى بمعنى الزجر ولم يجد فى ما راجعناه من كتب اللغة فعل زبر

بمعنى قطع وانما فسروا قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) بان الزبر هى القطع جمع زبرة وهى مثل قوله تعالى (آتونى زبر الحديد) أى قطع الحديد وفى بلادنا

لبنان يقولون للنجل زوبر وليست فى كتب اللغة بهذا المعنى وانما هى فى اللغة : الداهية فلعل هذا المعنى لهذه المادة دخل الى العربية الشامية من احدى اللغات السامية التى

كانت فى الشام قبل الفتح

القنّان ، واحمد الذي كان لدون ميقاتيل دي رنالش ، وعمر بزارة ، يعرف بابن احمد ابن جامع الصنهاجى ، وعلى الرمقارة الغمارى على حرية أنفسهم ، وذلك بالخدمة مدة ثمانية أعوام متوالية فى جميع الكرم المعلوم بحومة قرية أوليش ، (إلى أن يقول) وان هربوا أجمع أو أحدهم ، أو خالطوا قوم سوا ، أو وجدوا فى سرقة ، يخسروا ما يكون لهم ويرجعون للأسر الخ ، وتاريخه ست وثمانون ومائتان وألف .

ومثل ذلك هذا الصك :

قاطمت الجليلة دونة قانبة ابنة الوزير الأجل دون غطار فرنندس أدام الله عزتها مع يعيش الحياط بن احمد الغرناطى ، على حرية أسيرتها أم الهدى الجللياقية ، بمائتين مثقال قنشية وثمانية مثاقيل ونصف ، صرف خمسة عشر ديناراً كل مثقال ، ليبتنى يعيش المذكور بأم الهدى المذكورة ، ويتخذها زوجته ، ويخدمان بطليطلة فى الذى يليق بهما دون رقيب عليهما ولا ثقاف ، ويأخذان لأنفسهما فائدهما وعائدهما قل أم كثر ، ويؤديان الفدية المذكورة ، وذلك مثقالين اثنين كل شهر ، (إلى أن يقول) وإن لم يتكمل لها ذلك بتمام الشهر الثالث ، حاشا مرض بين يمنعها عن الخدمة ، أو هرباً جيماً أو خالطاً قوماً سوا ، أو باتاً بخارج طليطلة بغير أمرها ، أو شرب يعيش المذكور خمراً^(١) ، يخسران ما يتقدم لهما مدفوعاً ، وترجع أم الهدى للأسر كما كانت أولاً ، ويؤدى يعيش الفدية على التنجيم ، وإن عجز عن التأدية فقد فوّض للجليلة دونه قنبة التقبض على جسمه ، ولا تسرحه إلا اذا أنصفها ، وعليه أن يهدى لها فى كل عيد من ثلاثة أعيادها هدية ، دون عذر ولا تأخير ، وأن يخيط لها^(٢) بدون أجره لنفسها خاصة دون غيرها . وتاريخ هذا الصك ديجمبر عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف .

(١) من النكت اللذيذة ان هذه الدونة النصرانية تشترط على رقيقها يعيش المسلم ان لا يشرب خمراً وان شرب يرد الى الاسر
(٢) لأنه خياط كما تقدم

ثم ضمن يعيش المذكور على بن على الفبري بخمسة مشاقيل ، و ابراهيم بن يحيى خمسة مشاقيل ، وزينب ابنة الحاج خمسة مشاقيل ، وقاسم بن احمد الحضرمي الاشبيلي خمسة مشاقيل ، ولب بن نصر القزاز خمسة مشاقيل ، وابنة سليمان التي كانت لابن يعيش خمسة مشاقيل ، وميمونة ابنة يحيى اللمطي خمسة مشاقيل ، وابنة عبد الحق الانصارى من مجريط^(١) خمسة مشاقيل ، وفاطمة ابنة احمد الانصارى من وبدة^(٢) خمسة مشاقيل وابن مفرج من مرشانة^(٣) مقاطع^(٤) ابي يوسف يعقوب البرجلوني اربعة مشاقيل ومحمد ابن احمد بن غرغل الخياط مقاطع اسحق الشتريني خمسة مشاقيل ومحمد عبد الرحمن الصفار مقاطع ربي بن قفاجة ثلاثة مشاقيل ، ويوسف ابن حسن الغاري القزاز مقاطع روبس بن دون روى ثلاثة مشاقيل ، وعلى بن يوسف البهلي ثلاثة مشاقيل ، وفاطمة ابنة محمد مقاطعة امشايجة الحكيم اربعة مشاقيل ، و ابراهيم ابن مالك الفران مقاطع ربي قسيم السوفر خمسة مشاقيل ، و ابراهيم بن عمر الاتبيلي مقاطع ابي اسحق بن الصباغ مشقاين ، وحسين الصباغ بن على الاتبيلي مقاطعة ابي الربيع بن صدوق مشقاين . فضمن المذكورون ما ذكر عنهم في يعيش المذكور لسيدته المذكورة ، وذلك على شرط انه إن يهرب يعيش في طى القطيع فوجه^(٥) ولم يحضروه لها فمابهم غيره ما ضمنوه فيه لها .

وهناك صك مقاطعة لراهبة بدير شنت قدمت لمملوكتها فطيمة بنت عمر على النحو المتقدم .

ومما يستجاب النظر ، ويطام به القارى . على اصطلاحات الانصارى في ما يكتبونه بالعرية في ذلك الوقت هذا الصك :

كتاب معاوضة صحيحة تكيفت باسم الله تعالى وحسن عونه بين الكندتور^(٦)

(١) Madrid (٢) U'bda ويقال لها ابدة أيضاً

(٣) Marcina (٤) مقاطع اى مكاتب بالفتح

(٥) اى اعلاه (٦) Comanador

دون جيل الذي هو الآن كندتور دار شنت ياقب^(١) للاصبيطال^(٢) ، وعلى حبوسات
الرتبة الافرايرية^(٣) بها وبين الابطيشة الجليلة دون سيسيلية التي على دير شنت
قلنت أنمام الله النخ .

ولما كان اليهود في كل مكان وكل زمان يتعاملون بالدين ، ففي هذه المجموعة
صور مئات من السندات المالية أكثرها لهم نذكر منها بعض أمثلة : للأمين أبي الحسن
زيره بن ربي بن أبي يوسف أعزه الله ، قبل دون بطرو البرقنطى ، وقبل زوجه ليه
وفي مالها وذمتها ، وعلى جميع أملاكهما وأحوالهما كلها حيث كانت وعلمت لها
ديننا لازما وحقا واجبا ، سبعة مثاقيل ونصف ذهباً فنشياً النخ

ومثال آخر : لأبي سرور فرج بن أبي عمران مرال الاسرائيلي ، قبل دون غرسيه
غليالم شبرين القنق^(٤) دون غرسيه الذي كان من قاعدة شنته مريه وهو بعل
مريه لنبرت^(٥) من ر بوض الافرنج ديننا لازما اثني عشر مثقالا وثمان فونشية لانصافه
من ذلك شهرين اثنين تاريخ هذا الكتاب ، وداخل ضامن غارم عنه في ذلك الدون
ديمنقه انطالين الباطير بن دون انطالين ، من ر بوض الأفرنج ، وإن كانت قلمية في ذلك
فيكون عليهما على مالها ، في تاسع يوم من شهر مارس سنة تسع وخمسين ومائتين
للصفر اه . وتحت الشهود

ومثال آخر : لأبي عمر بن الشيخ أبي سليمان بن أبي عمر بن نحميش الاسرائيلي
قبل الوزير دون بيطروه يواش ، وقبل زوجه الجليلة دونه طريشة^(٦) بنت الوزير
القاضي دون جوان بونش أعزها الله ، واجب خمسون مثقالا فونشياً لينصفاه دينه

(١) Hospital (٢) Santiago

(٣) الرهبان وفي المغرب يقولون لهم افرايرية وهي محرفة عن افرايرية واصل
معناها الاخوان

(٤) Canonigos في الترجمة الاسبانية

(٥) Lonbert (٦) Thérèse

يوم فصيح شنت ميقاتيل الآتي لتاريخه ، وإن مجزوا عن انصافه إذ ذلك يفرّما له قوط رباعى كل يوم يجوز بعد الأمد المذكور ، وإن طلبا منه يميّز يفرّما له قوط خمسة مثاقيل ، و بظهور هذا الكتاب و بعد فسرّه عليهما فى رابع وعشرين ابريل عام ستقوثمانين ومائتين وألف للصفرا هـ . ثم الشهود

وفى هذه المجموعة صكوك من أنواع متعددة ، منها وصايا ، ومنها رهون ومنها مصالحات ، ومنها صكوك شركات ، ومنها مزارعات ، وما أشبه ذلك . لنذكر منها صك مزارعة على سبيل المثال ، وهو هذا :

أنزل القس ماير ديمنقه المستعربى من كنيسة شنت مارتين ليوان فرنندس فى الأرض المعلومة له بحومة جبل حمارة ، عمل طليطلة حرسها الله ، حدها فى الشرق غرس بيطرو مرتينس ، وفى الغرب أرض بيضا ، وفى القبلة رأس جبل حمارة المذكور ، وفى الجوف غرس غنصالبه الجزّار ، فى أرض القس المذكور بالمنصفة ، وذلك بشرط يأتى ذكره بعد هذا ، ليفترسها يوان المذكور بقضيب الزرجون ، ويعتمر بالزبر والحفر والثنا فى كل عام ، مدة خمسة أعوام ، أولها تاريخ هذا الكتاب الأعوام المذكور ينقسم الغرس على ثلاثة أثلاث ، يأخذ صاحب الأرض الثلث الواحد يأخذه الخيار فى أحد الجانبين ، والمغترس الثلثين متصاين عن اغتراسه واعتماره . فى أول شهر مارس من سبعة وتسعين ومائة وألف من تاريخ الصفرا هـ .

وهذا الاصطلاح بقولهم « انزل » فلان لفلان فى الأرض العلانية على شرط

كذا وكذا مستفيض فى هذه الصكوك

ومن غريب هذه الصكوك صك ما يتضمن استرهان الأسارى والتعامل بهم كأنهم من جملة الأموال : أشهد دون مرتين فرنندس القرمادى بن دون فرنندو القرمادى وققهما الله على نفسه شاهداً آخر هذا الكتاب أنه قبض الآن من أبى الحسن بن يامن بن أبى اسحاق البرجلونى الاسرائيلى أعزه الله الثلاثة اسارى الذين استرهنهم لدونه أورابونه زوج فيدلقة عن دينه المترتب له قبلها ، وهم الأسارى

سليمان الذي كان لدون ميقيبيل خريبيش ، وعبد الله اللوشى الكوسيج^(١) ، ويوسف الغازى الصغير ، الذين قيمتهم خمسون مثقالاً فونشياً ، صرفاً طيباً ، وصارت عنده الأسارى المذكورين . وفى ملكه ، وعلى شرط وربط أن يصرفهم لأبى الحسن بن يامن المذكور ، متى ما يطالبه بهم . ويدوم أخذهم منه على كل حال من الأحوال ، وإن عجز عن احضارهم له عندما يطالبه بهم فليغرم له قيمتهم الحسين مثقالاً . سادس عشر أوكتوبر عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف للصفر . ثم الشهود اه .

ومن الصكوك المتعلقة بأسارى المسلمين ما يأتى :

ضمن للأباداشة^(٢) الجليلة دونه لوقاديه فرنندس التى على راهبات دير شنت قلنت ، ادام الله كرامتها وجه أسيرها احمد بن يوسف الرحوى الأسمر من يوسف والد المضمون أحمد المذكور ومريم ابنة محمد زوجة يوسف والدة أحمد المضمون ويوسف بن محمد المعروف الشقيق ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يمضى أحد المضمون المذكور مسرّحاً من الثقف من الآن تمام أربعة أعوام . فان هرب فى طىّ الأعوام المذكورة ولم يحضروه لسيدته المذكورة على الحلول من هروبه ، فعلى الضمان المذكورين غرم مئة مثقال قنشية ، صرف كل مثقال منها خمسة عشر ديناراً ، وعلى المضمون المذكور أن يعطى لسيدته الابطيشة المذكورة فى كل شهر طول

(١) الكوسج بفتح السين الذى لحيته على ذقه لا على عارضيه وهى لفظة فارسية وهو فى العربى الأئط ولقد كتبوها هنا بياء وهو خطأ ولكن الأندلسيين كانوا يتكلمون بالأماله ويقولون للحكم مثلاً ، الحكم ، بالكسر وللإمام الأوزاعى الامام «الأوزيعى» ويقولون «سنه» بكسر السين والتون بدلا من «سنة» بفتحهما ولفظهم هذا أشبه بلفظنا نحن فى بر الشام ويقولون «زمان» بكسر أوله ويقولون «فرقد» بكسر القاف ويقولون «كتيب» أى «كتاب» ويقولون «برى» بكسر الباء بدلا من «برى» بالفتح ويقولون «خسمية» كما نقول نحن فى سورية لا خمسمية وهلم جرا

(٢) بالترجمة الاسبانيولى Abadasa ولعلها الابطيشة التى مر ذكرها أو تقرب

منها ومعناها ظاهر وهو الراهبة الكبرى

الأربعة الأعوام المذكورة مثقالاً واحداً ، شهراً بعد آخر إلى تمام الأربعة أعوام ، دون مطل ولا تسوية بوجه ، وفي الشهر الذي يعجز المضمون المذكور عن أداء المشاهدة المذكورة فعلى الضمان المذكورين إحضاره لسيدته المذكورة أو يقرّوا لها المشاهدة المذكورة ، وإن عجزوا عن غرم المائة مثقال المذكورة أو عن المشاهدة المذكورة ، فقد فوضوا له وللمستظهر بهذا الرسم التقبض عليهم وتثقيفهم في ثقافها ، ولا تسرحهم منه إلا إذا أنصفوها من الضمان المذكورين من الجائز عليهم من المشاهدة المذكورة ، دون أمر حاكم بوجه من الوجوه . في العشر الاوسط من شهر ذيجمبر سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف للصفير . والشهود : محمد بن عبد الرحمن ابن محمد ، وعلي بن يحيى بن محمد الانصارى

ومثله صك تضمن به عائشة ابنة احمد السكونى ، زوج داود الأسمر بن سايان ، أسير دون غنصالبه الفونش بن دون الفونش بيطروس سرباش^(١) وذلك زوجها المذكور داود ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يتشى الاسير داود ويتصرف في أشغال سيده ، حين يأمره بالحاضرة والبادية ، فان هرب ولم تحضره زوجته فقد فوضت له التقبض عليها ، وتثقيفها في ثقافه بدون أمر حاكم . وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر يونيو من عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفير ، وشهوده احمد بن محمد بن احمد الأنصارى ومحمد بن عبدالرحمن بن محمد

ومثله ضمان نزهة بنت سعيد الأورىولى^(٢) ، ووالدتها عايشة بنت سعيد الحداد من لورقة^(٣) . وجه زوجها احمد الحداد بن علي ، نحو سيده دون غنصالبه الذي مر ذكره ، ضمان وجه وإحضار . وإن هرب المضمون فتقرّم نزهة وعائشة خمسمائة مثقال من البيض . وتاريخ هذا الصك حادى عشر يونيو عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة

Servatus (١)

(٢) نسبة الى اوريوالة Orihoala

(٣) Lorca

وألف ، وشهوده : علي بن أحمد بن حسن بن عبد الله الأنصاري وعلي بن قاسم بن علي بن الصيقل الأنصاري^(١)

ومثله :

اعترفت شمسي^(٢) بنت لب الفخار المعروف الغزيل^(٣) وبنت عائشة المعروفة الروبية اعترافا صادقا أنها تضمنت وجه زوجها شعيب الرحوي بن محمد المعروف بالمطيرش وحفيد غالب السمار نحو المطران الأعز الأكرم دون غتار غومس^(٤) ضمان وجه واحضار على النمط الذي تقدم ، وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر ابريل عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف ، وشهوده : أحمد بن علي بن محمد ، ويوسف ابن قاسم بن يوسف الأنصاري وابراهيم بن أحمد بن ابراهيم .
وهنا صك وقف يجدر بالنظر :

وقف الدياتن مرتين من كنيسة سنت مرية أم النور بطليطلة حرسها الله ، في مجاس القضاء أسماء الله بالدوام ، بين يدي الوزير القائد عمران ، وقفه الله ، عن تقدم الوزير الجليل القاضي الأعلى ، أبي الحسن حاتم ابن حاتم ، أدام الله توفيقه وتسديده وذكر ان الشنيور يوان رودميروس في أيام حكمه الحضرة المذكورة ، أمر لشانجة قزلون بدار بحومة القاعدة المذكورة ، وحازها وسكن فيها ، إلى مدة وفاته ، في خدمة الساطان واستظهر بعقد بذلك ، فأعذر إلى الدياتن المذكور ليستظهر بكتاب من

- (١) يكثر ذكر « الأنصاري » في عرب طليطلة وهو يؤيد ما روى من كون اكثر قبائل الاوس والخزرج لأول فتح الأندلس نزلت في طليطلة ونواحيها
(٢) يلزم أن تكون « شمسه » ولكن الأندلسيين يتكلمون بالامالة كما قلنا فالكتاب كتب الاسم بحسب ما كان يلفظ عندهم وقال « شمسي » والآن في سورية يلفظون « شمسه » كأنها « شمسي » الا في أما كن معلومة لا يتكلم أهلها بالامالة
(٣) حقها ان تكون « الغزال » ولكن الامالة الأندلسية جعلتها « الغزيل » وفي

الترجمة الأسبانية Algazil

Gitierre Gomez (٤)

الشنيور المذكور ، إذ لا مقنع في العقد ، فرغب الى الوزيرين الجليلين القاضي الأعلى
 أبي الحسن حاتم ، وصاحب المدينة زيد بن حارث ^(١) . أعزها الله ، ليتفضلا عليه
 بخطاب منهما ومن القونشلى ^(٢) أبقاهم الله ، إلى الشنيور المذكور . فأذنى له بذلك ،
 ثم بعد ذلك أحضر الدياقن عند من وقفه الله مرتين ^(٣) الناظر ، وبيطره ناغروه ^(٤)
 وبرمندة بلايس وبيطره بلايس ^(٥) ، وخاف بن رزق ، وعبد الله بن ماضى
 وشهدوا عنده في مجلس نظره ، وبحضر من الحاكم مرتين غرسيس ، انهم أشهدهم
 الشنيور يوان رودميروس وبأيديهم خطاب لطيني ^(٦) الى الوزير الجليل القاضي الأعلى
 أبي الحسن حاتم ، والوزير الجليل صاحب المدينة أبي زيد بن حارث ، أعزها الله في
 الدارين ، اللتين قلت لى أنا أعطيت الواحدة لشاحجة ، والأخرى لميقايل ، فثبت
 عندهما . وقفهما الله ، ذلك وأمضياه ، وأنزلا الدياقن المذكور في الدار . وتاريخ هذا
 الصك شهر مايو سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف لتاريخ الصفر . ومنه يعلم أنه في
 ذلك التاريخ أى بعد أخذ الاسبانيول لطيطلة بنحو من مائة وسبعين سنة كان يوجد
 فيها قضاة من العرب أو المستعربين ، وكان صاحب المدينة أيضاً منهم .
 ومن الصكوك التى استرعت نظرنا حكم يتعلق بصدوات الامبراطور الاذفونش
 السادس جاء فيه :

فلما وقف الوزير القاضي المذكور مع من ينزل اسمه أسفل هذا ، من أهل
 الشورى مع اسمه أدام الله عز جميعهم ، على جميع ما تقدم ذكرهم ، من احتجاجها ،
 وعلم ما استظهر به كل واحد منهما ، من فوائد وأصول ما بيده ظهر لهم دام عزهم أن
 الامبراطور قدس الله روحه تصدق بما كان له في القرية المذكورة على الدير المذكور

(١) كان العرب يسمون والى البلدة من قبل السلطان بصاحب المدينة

(٢) فى النص الاسباني Concilio

(٣) Martin (٤) Negro (٥) Pelayz

(٦) أى لاتينى العبارة

(إلى أن يقول) ولما يعلم علماً صحيحاً ان أغلب قرى مدينة طليطلة حرسها الله لم تصر لأربابها المالكين الآن لها إلا بعتية . . . أو بعتية من تقدمه من سلفه الشريف الكريم رضى الله عنهم جميعهم دام عزمهم ، أن يحملوا القرية المذكورة محمل غيرها من القرى المعطاة من عندهم ، رضى الله عنهم فأوجبوا حكماً منهم من السنة للدير المذكور لتكون له مالا وملكا على مقتضى السك العزيز المؤرخ المذكور ، وكل استدعاء استظهر به المتكلم عن ورثة عبد الملك بن هارون رحمه الله وأكرمهم اسقطوها لوجوه كثيرة اه . وفي الآخر يقول : وفي الأصل الذي انتسخت هذه النسخة منه أسماء الحكام أهل الشورى الذين حضروا الحكم المذكور وأمضوه أعز الله جميعهم . بخط عجمي : اغوغنصالبة^(١) أرسيسبو طولاطانة برماط اسبانية^(٢) و بخط عجمي : اغوديمنش ارجيديا قنش مجريط . و بخط عجمي : اغوجرنانش برشتر طولطانش كونفورم^(٣) . و بخط أعجمي : اغوبطروش ديس القائد كونفورم . و بخط عربي : سلون بن علي ابن وعيد . وخير بن سلون بن علي بن وعيد . وخالد بن سايمان بن غض بن شربند و بخط عربي : انا فاجتش الأسقف لسكورة لبلة^(٤) خيرها الله ، ويوشاب الارجقش ابن منصور حضر ذلك . ويوشتبش القس بن عبد الملك و باطره بن عمر بن غالب ابن القلاس . اشتابن بن يليانس .

انتهت النسخة وذلك في شهر ابريل عام اربعة وعشرين ومائتين وألف للصفحة .
عمر بن عبد الرحمن ، ويوسف بن عبد العزيز ، ومرتين بن حسن
ابن عبد العزيز الخ .

ويوجد جم من الاحكام على هذا النسق ويظهر ان ملكتهم في العربية

(١) Igo أى أنا

(٢) اسقف اسبانية الأعظم

(٣) Conforme أى مطابق

(٤) Niebla

أخذت تضعف بمرور الأيام فتجد صكوكا وأحكاماً كثيرة ملأى من الخطأ
واللحن مثلاً :

كانت قرية دار الخازن من قرى الحاضرة طليطلة حرسها الله من إمام المسلمين
معطلة الناعورة ومشرعها واقفة ، فوق اتفاق أهل القرية المذكورة من المدرجين^(١)
ليعمروها ، وإقامة ما وهى منها ، وتجديد ما عهد لها ، وكان بها حبسان أرض بيضا
للكنيسى شنت لو قادية الخارجة عن الحاضرة المذكورة ، وشتت مرتين بها عرض
المدرجون واللايقون على الخدام بالكنيستين المذكورتين ، عرضهم فى إقامة الناعورة
وتجديد ما وهى منها ، فادعوا عندهم بقلة ذات اليد من أنفسهم ، ومن رسوم
الكنيستين ، فرأى المتقدمون بالذكر اعراض ذلك ثانية على المطران الفاضل ديمنه
برندوه ، كفيل البيعة المقدسة أدام الله توفيقه وتسديده لما إليه تفويض الحبسان ،
والنظر من الديارات ، وانه رأس الامامة بالتماعدة شنت مرية ، أم النور بالحاضرة
طليطلة أدام الله حماها فظهر إليه ومن حضر قعدودته^(٢) من أئمة النظر فى ذلك ،
وأمر العالى أمره أن يعطى هذين الحبسين لمن يمترهما باسم المساقاة إلى مدة الخ
وهذا كتاب صلح :

هذا كتاب وقع الاصطلاح عليه ، وجرى الاقتصار اليه ، ما بين هند بنت
جبران وبنى أخيها الوزير ماير تمام رحمه الله غرسيه وأولياليه ومريه ، على ما يأتى
ذكره بعد هذا ، وذلك أن يعطى غرسيه لهند عمته المذكورة جميع حصته فى جنان
أبيه المخلف له ولأخته المذكورين المعروف بههد المسلمين بجنة الحنشى ، برىض
طليطلة وبجومة مرج القاضى الخ .

(١) تتكرر كثيراً فى هذه الصكوك لفظة « المدرج » ، و « المدرجين » ، وفى الترجمة

الأسبانية التى بازاء الأصل العربى تفسر بلفظة Racionero

(٢) هكذا وجدنا هذه اللفظة والاشبه أن تكون محرقة وأن تكون « قعدوته » ،

فالقعودة هى المجلس وأما القعدودة فلم نجدها

ومن الوثائق التي اطلعنا عليها عقود أنكحة كالذي يلي :

كتاب إيجاب واختطاب ، وعقد نكاح وارتباط ، أمر بمقده والاشهاد على نفسه بجميع ما فيه دون ديمنه بيطريس حين مراهة^(١) الخاتميين ، وبدل العربانيين^(٢) بعد تقديسهما بينه وبين دونه لوقادية التي كانت زوجاً لدون رودريغه دمرسيه عن بنتهما دونه يوشته البكر التي في حجرها ، وتحت ولاية نطقها ، لتكون دونه يوشته المذكورة لهذا دون ديمنه بيطريس المذكور زوجاً سنياً ، وصاحبة مرضية ، كالذي توجهه الشريعة المتتولية ، وتحط عليه الديانة الحوارية ، وعلى أن هذا دون ديمنه بيطريس المذكور أوجب لخطيبته المذكور عن الأزواج بها يمين الله مهرأ لها عشر جميع ماله أثاناً وعقاراً ، حيث كان ، وابن علم ، وعلى أن ينقدها أيضاً عند الابتناء بها هدية موهوبه لها . وذلك خلدي^(٣) ، وفنك^(٤) ، ورداء ، وقناع ، وخف ، وجورب ، تفعل في جميعه بحول الله عند ذلك ما واقفها كفعل ذى المال في ماله ، وجميع ما يكتسبها الخطيبان المذكوران من وقت ازدواجهما فانه يكون بينهما سوية بالمنافسة والاعتدال إن شاء الله ، والتزم الخطيب المذكور احضار الهدية المتقدمة الذكر ، والانفاذ بها لخطيبته المذكورة ، عند الابتناء بها يمين الله وتوفيقه . والتزم المتماهران المذكوران أيضاً إكمال ذلك كله بحول الله بعد أن قبض كل واحد من

(١) المراهة المقاربة

(٢) العربان والعربون بضم أولهما والعربون بفتح الأول والثاني هو ما عقد به المبايعه من الثمن أو هو ان يعطى المشتري شيئاً من الثمن أو المستأجر شيئاً من الايجار ثم يقول ان تم العقد احسبنا وان لم يتم فما أخذته هو لك . ونحن في الشام نقول العربون والعامه تقلبه فتقول العربون . ويظهر ان الأندلسيين استعملوا العربان وهو صحيح فصيح ومن العادة في الزواج عند النصارى ان يتعاطى العروسان الخواتم والعربون أو العربان وهذا قبل البناء

(٣) في النص الاسبانيولى Unos Pendientes

(٤) في النص الاسبانيولى Una Alfanega colcha

الخطيبين خاتم ثابتة عرباناً لما وقع الاتفاق عليه ، والارتباط إليه ، بتأييد الله ، مما ذكر فوق هذا ، بعد المعرفة منهما بقدر ما ارتبط اليه المتماهرين المذكورين ، على سنة النصارى في ازدواجهم الجياز عندهم ، بعد أن أعلنت الدونه يوشة المذكورة بذلك كله ، ورضيت به ، وأشهدته أيضاً به على نفسها ، وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ثلاثة وعشرين ومائتين وألف للصفر ، ووقع الاشهاد اليوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور .

ومن الوثائق التي يستدل منها على رسوخ الثقافة العربية في طليطلة صك وصية للقس ماير^(١) عبد العزيز بن سهيل يقول فيه :

لما مرض القس ماير عبد العزيز بن سهيل رحمه الله المرض الذي توفي منه أمر يكتب وصيته و إنفاذ متضمنها على أيدي النايه^(٢) القس وماير قرشتبول من شنت مرتين ، ويحيى بن عبد الكريم ونسخة الوصية كذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به القس ماير عبد العزيز بن سهيل ، وهو بحال الصحة والجواز والطواعية ، مؤمن بالأب والابن والروح القدس إله واحد ، وبالشاملة^(٣) الذي هو وثيقة الايمان وبالأناجيل الأربعة ، وبما أمر به الحواريون ، والآباء المقدسون ، فأوصى إن حدث به حدث الموت أن يعطى للوفادية الساكنة معه ، والحادمة له ، جبل الغرس الذي عند الطريق ، بدار الخازن ، وثالث الزرع ، وسبعة مثاقيل مرابطية عن دويرة كذا (إلى أن يقول) : وما يبقى يعطى عن روحه لقسيسين أو ثلاثة من أصحابه عن أربعين مئة ، وما بقي يعطى للمساكين ، وعن لبان للكنائس ، وكرم الغندري يكون باقياً في أيدي الأوصياء وما قام فيه يخرج منه بما يُخدم . وما قاض يكون منه خمسين ربماً والغير يكون منه الثاثل في زيت ولبان وخطب ، والثاثل

الثاني للأسرى ، والثالث للمساكين . وجعل هذه الوصية والعمل بها إلى يحيى قرمانه ، والقس دون قرشتوبل ، والقس النايه . ليكلوا ذلك حسب ما وصفه . ومن مات منهم يترك من يقوم مقامه عن خدمة الكرم . وكتب في يوم الثلاثاء الثامن من شهر ديجمبر من عام ثلاثة وستين ومئة وألف . فأنفذ الأوصياء جميع ما أمر به في هذه الوصية ، وما أمر به في الكرم المعلوم له بدار الخازن . وقد يفسر فيها . فلما بقي الكرم بأيدي الأوصياء مدة ثلاثة أعوام ، واعتمروه عمارة جيدة ، لم يكن فيه فائد للشرائع والأسرى والمساكين ، حسب ما كان ظنه الموصى رحمه الله واعتقده فيه ، فلما صح عند الوزير القاضي أبي الاصبح بن لنبطار^(١) وفقه الله ، قلة فائدته ، وأنه على غير ماظنه الموصى فاعتقده فيه ، أخذ في ذلك مع من وجب الأخذ معه فيه ، من كبار مدينة طليطلة من المدرجين والمستعربين والقشتيليين ، فرأى الوزير القاضي المذكور معهم أحباس الكرم المذكور على قاعدة شنته مرية ، بحضرة طليطلة ، أدخلنا الله في شفاعتها ، لما ظهر إليهم من قلة الفائدة العائد إليها ، وكثرة مؤنها بعد رغبة جميعهم إلى الأوصياء ، والتحمل عليهم في ذلك ، فاسمعفوا الرغبة ، وصح احباس الكرم المذكور ، على القاعدة المذكورة عن شرط على أهل القاعدة ، أن يكون اسم القس ماير عبد العزيز بن منصور رحمه الله في جملة أسماء القوتقين المتوفين بالقاعدة المذكورة حسب رتبهم وسيرهم الخ ، وتاريخ هذه الوصية مع حكم القاضي شهر يوليو من سنة سبع وستين ومئة وألف . وبعد ذلك الشهود منهم من هو وضع شهادته بالعربي ومنهم من هو واضح شهادته بالأسباني

وهذه وصية ثانية :

هذا ما أوصى به وعهد بتنفيذه ، حسب ما يأتي الذكر فيه الوزير القاضي دومنقه انطولين ، أعزه الله وهو عليل في جسمه وثابت في عقله وذهنه مؤمن بالأب

والابن والروح القدس الله واحد ، ومعتقد بما بشر به الحواريون ، ووصفه الأنبياء المختارون ، خشية الموت ، وحلول القوت ، الذي لا بد منه ، ولا يحصى لأحد خلق الله عنه ، فأول ما أمر به شفاه الله أن يمثل بعد عينه إن توفاه الله تعالى ، أن يزين على أقباره حين دفنه ، ومدة الثلاثة أيام بجميع أئمة البلد من أهل الكنائس بعد اندابهم بمن حف بهم من أساقفة ومدرجين ، على حسب رتبهم ، وإن كان المطران حاضراً فيندب ، وله الأجر والثواب إن يحضر ويزين مع من حضر مدة الثلاثة أيام المذكورة ، وبعد الثلاثة أيام فليستمر مدرجين كنيسة شنته لوفاضية ، التي داخل المدينة بالتزيين إلى تمام تسعة أيام . وأمر أن يعطى المطران الأهل أكرمه الله خمسة مثاقيل ، وللأسقف دومنه يوانس المرشاني مثقال واللاسقف دومنه فلقيس مثقال فينا النخ ، وبعد أن عدد جميع ما أراد الايضاء به بالتدقيق من عقار ولباس وطعام ومال صامت وناطق ، ذكر بأن يخرج جميع ما ذكر من ثمن غنمه وبقره ودوابه ، وربما كه وخنازيره ، ومن مائتاتى ومن الكس الصغير الفضة ، وأمر أن يعطى ليوان مستعرب الكاب ، وما يبقى بعد هذا كالد يكون لأخته دونه مريه وبنيتها

وفي وصية أخرى للمسيمة دونه لوقادية بنت يوانس ، بعد ذكر الديباجة المصطلح عليها في أول الوصايا ، وذكر جميع ما أرادت توزيعه على الكنائس والقسوس والصواحبات تقول : وأمرت أن تكون الأسيرة عائشة التي لها فيه النصف تُرد نصرانية إن هي شاءت وتنصف دون غرشييه عن نصفيته من ثمنها بما اشترت ، والنصفية خمسة مثاقيل من ماها ، وتكون حرة من أحرار النصارى فيما لهم وعليهم ، تصير حيث تشاء وتهوى ، بعد أن تخدم لدون غرسية عام واحد لاغير .

وقرأت في وصية أخرى من دونه قرشتينة بنت اندراش بعد الايضاء للكنائس وللقسيسين وللأصحاب ولذوى القرابة مايلي :

وعهدت الموصية المذكورة في أسيرتها مريم زوج عبد الله القزاز ، أن تكون حرة من أحرار المسلمين في ما لهم وعليهم ، عن عشرة مثاقيل ذهباً فنشياً ، كانت

الموصية المذكورة قد قبضتها باعترافها من عبد الله القزار زوجها المذكور . ولذلك انقطع عن مريم المذكورة جبل الرق ، فتملك مريم المذكورة نفسها ، تهض حيث تشاء الخ .

وفي أكثر هذه الوصايا يذكر شيء من المال لفكك أسرى النصارى ، فقد كانت الحالة عندهم كما عند المسلمين ، فأصحاب الخير والاحسان ، ولا سيما النساء من المسلمين ، كانوا يوصون بجانب من أموالهم لفكك أسرى المسلمين في بلاد النصارى وكذلك أهل الخير من النصارى ، ولا سيما النساء ، كانوا يوصون بشطر من أموالهم لفكك أسرى النصارى في بلاد المسلمين . قرأت في وصية للمسمى دون رودريغو شلبطورس بن دون شلبطور بن الوزير دون يوان ميغاليس مايلي :

أمر أن يزين عليه في كفنه ، وأيام زيارة قبره ، ودفنه ، في جميع ما احتاج إليه بما يقوم في ذلك ويليق بمثله ، ويكون دفنه في قبر والده دون شلبطور المذكور ، بالقاعدة شنته مريه ، وأمر للقانونيين بها عن دفنه بها ، وعن أن يذكره في صلواتهم ، عشرين مثقالا ، وأمر عن ميشات^(١) عن روحه مفرقة على أئمة كنانيس الحضرة مئة مثقال ، وأمر عن فك أسارى النصارى العيال في أسر المسلمين خمسمائة مثقال ، وأمر عن قبلانية^(٢) بالقاعدة شنته مريه ثلاثمائة مثقال ، على شرط أن يقدر ميشة كل يوم عن روحه ، لدى الدهر ، في هيكل من هياكل القاعدة المذكورة ، ويضع انتشار يوه^(٣) كل عام عن روحه قانونيين القاعدة المذكورة ، كما العوائد وبذلك يصح لهم قبلانية ، يعنى الثلاثمائة مثقال المذكورة ، وأمر لمعلمه ومعرفه القس دون شانجه ، من كنيسة شنت يوانس ، عشرة مثقالات ، على أن يقدر

(١) جمع ميشة وهى ما يقول له نصارى الشرق القداس

(٢) خدمة كنسية

(٣) هو ما نسميه بالحوول وبالافرنسية Anniversaire

مدى عام ميشات عن روحه . وفي آخر الوصية بعد ذكر الخيرات كلها يقول :

وقيد فيه عن أمره على يدي والدته ، دونه ستي المذكورة ، ثقة منه بديانتها وحسن أمانتها ، أنها تفعل في ذلك كله فعل من يعلم أن الله لا يخفى عليه خافية في سماواته وأرضه ، والتاريخ شهر يونوه سنة تسع وأربعين ومائتين للصفر
وفي وصية للدون ملندة فرندس ابن الوزير القاضي يقول : فأول ما أمر به أن يعطى لمعلمه القس جوان مثقالاً واحداً ، ويحل عن روحه الفين ميشه ويخرج أيضاً من بلاد الاسلام أسير بالغ مبالغ بعشرين مثقالاً .

وفي وصية للدون غنصالبه خل تاريخها شهر اوكتوبر سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف . أمر متى توفاه الله ان يعلم ماله كله ، أصله ومتحركه ، أثاثاً وعقاراً ، دقه وجلده ، جامده ومتخاذه ، ويخرج منه عن خمسمائة مثقال فونشية ، وتبذل عن روحه ، الى أن يقول : ويعطى في استفكك أسارى من بلاد الاسلام ستين مثقالاً الخ
وفي وصية للدون بطره شانجه من جماعة شنت رمان ، وصهر دون جوان اشتا ابن دى البقال ، يقول من حملة وصايا عدة : وأمر لرتبة افرايرين قلعة رباح مائة مثقال فونشية على شرط ان يدفنوه الافرايرين منها هنا بطليطاة بشنته فليج ، ويزينوا عليه كما لو كان افرايرى منهم ، وأمر بان يفك زوج نصارى اسيرين في بلاد الاسلام بما يقوم في ذلك

ومن أطول الوصايا التي اطلعنا عليها في هذه المجموعة وصية للمسمى الدون الفونش^(١) متاوش بن دون متاوش بن دون ميغال بن فرون ، أمر بانه متى توفي يعلم ماله كله ، قليله وكثيره ، ويبذل عن روحه في سبيل الله ، وأن يزين منه عليه في دفنه وكفنه بما يليق لمثله ، ويكون كفنه من الصوف أرخص ما يوجد للشراء ، ويوقد عليه زوج قناديل ، يكون زيتهما ربع واحد فقط . وزوج قناديل أخرى صغار . توقد حيث

يكون جثمانه ، ودفنه يكون بكنيسة شنتة لوقادية ، بقبر جده ، ويزين عليه تمام
 الحسين يوماً ، وتمام العام ، وتكون القناديل لذلك مثل القناديل المذكورة ، ويقدم
 عليه مشيتين في كل يوم من يوم دفنه إلى السابع يوم ، ويفرق على المساكين في كل
 يوم طول السبعة أيام مثقال وأمر أن يتباعوا أوصياؤه المذكورين بعد هذا ملكا
 بمائتين أو ديار بمائة وثمانون مثقالا ، وتحبسها زوجه دونه ميورى طول حياتها ويعمل
 من فائدها قبلانية عن روح الموصى المذكور تقديس ميشة واحدة في كل يوم للأبد ،
 وتعمل منه نفرشاريه ^(١) واحد عن روح الموصى في كل عام ، ثم أخذ في توزيع
 تركته على وارثيه ، وعلى من أراد أن يتصدق عليهم ، وعلى الكنائس والراهبين ،
 وحبس أملاكا لوارثيه أن يستغلوها ، بدون أن يكون لهم حق بالبيع ، وجعل شرطاً
 كبيراً من ثروته لزوجه دونه ميورى ، وأيضاً الاماء الست اللاتي كن له ثم قال :
 والمسلمتين الباقيات من مسلماتها تبقى لانصاف الوصية ، ولا يعترض أحد خلق الله
 لدونه ميورى ، والستة إماء المذكورات بوجه قال في هذه الوصية : وميز الموصى
 المذكور أن نبون المسلم والجعفر بن الجعفرين ، واراھيم الاحول والاسمر والاعرج
 المسمى دومنقه روبيوه وبكر ، انهم لزوجه دونه ميورى صارو لها باتراث عن أبيها
 ولها أيضاً في خاصتها احمدوج السقا ، ابتاعته من مالها المختص بها وقاسم وعلى هما
 للموصى ولزوجه دونه ميورى ، الحظ الذي فيهما للموصى يباع ويبدل ثمنه في انصاف
 هذه الوصية ، وقطيع مريم وفضوش الباقي منه هو لدونه ميورى ، ويكون لها في
 خاصتها اه . نقلنا ذلك لأجل اطلاع القارىء على كيفية معاملة الاسبانول لأمرى
 المسلمين ، وتاريخ هذه الوصية سادس مايو عام ستة وثلاثمائة للصفر .

ثم اطلعنا على وصية للدونه متاية ^(٢) زوج الدون غنصالبه البطلير سا كنه بر بوض
 الافرنج من طليطلة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد وحده . هذا ما أوصت

(١) Anniversaire بالافرنسية

(٢) Matia

به دونه متايه النخ وتاريخ هذه الوصية سادس ديجمبر عام عشرين وثلاثمائة وألف
للاصفر . وفي تاريخ ١١٩١ صك يقول فيه :

اشترى يحيى بن محمد الانصارى ، من دون غليان القس ، ازوجه هند بنت
عبد الرحمن ابن محمد ، جميع الحجرة التى بقرب كنيسة امنيوم شفتوروم ، بمدينة
طليطلة ، حرسها الله ، حد هذه الحجرة فى الشرق قرال لورثة ديمنقه اياس ، وفى الغرب
طريق فيه خرج الحجرة المذكورة ، واليه يشرع باسمها ، وفى الجوف دار ولد الشقية
المسلم ، وفى القبلة قرال لورثة ديمنقه اياس ، بثمن مبلغه عشرة مثاقيل من الذهب
الطيب البياىى النخ .

وفى آخر المجموعة سكوك ووزنق خاصة باليهود ، تجد منها سطرأ بالعبرية ،
وسطرأ آخر بالعبرية ، ولا حرم أن يهود طليطلة كان لهم شأن عظيم يستدل عليه من
كثرة الوثائق المتعلقة بهم ، ومنها سندات لا تحصى لهم على نبلاء النصرارى بأموال
وافرة . فقد كانوا هم المرابين فى تلك الحضرة ونواحيها ، وكان عددهم كبيراً ، ومن
شاهد كنيس اليهود^(١) الذى شهدته أرى بنفسى فى مدينة طليطلة ، وهو الذى يعد
من أنفس فائس الصنعة العربية ، ولا يذهب سائح إلى طليطلة إلا ويشاهده ، علم

(١) الكنيس المذكور سى فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وقيل ان الوزير
صموئيل لاوى هو الذى قام بنفقة بنائه ، وكان فى طليطلة عدة كنس لليهود لكثرة
عددهم فيها وأحدهما حوله الأسبان الى كنيسة باسمه و صان رومان ، اما ظن و توما
تاماىو بركاش Toma Tamayo De Vargas ان كنيسة و صانتا مارية البيضاء
أصلها كنيس لليهود وانه معبد قديم لهم وسابق لعهد النصرانية وانه كان فى طليطلة
جالية يهودية لعهد المسيح انهد احبارها لعدم استحسان الحكم عليه الى غير ذلك فيترجح
كونه تحريصاً وأحاديث ملفقة وربما كان بعض اليهود اخترعوا تلك الرواية من بعد ،
رامين بها الى الزلهى لدى الاسبانيول بعد ان ملكوا البلد . وعلى كل حال فليس فى كنيسة
و صانتا مارية ، المذكورة ادنى شبه مع هندسة معابد اليهود بل كلها طرز عربى بحت
ان كان فى أقواسها أو فى نقش حيطانها أو فى زليجها أو فى تقسيمها وقد بنيت فى القرن
الثالث عشر مكان جامع كان تداعى الى الخراب

مكانة اليهود المادية والمعنوية في تلك الحضارة^(١) ، وكانت لهم أيضاً بجانبها مكانة علمية أدبية ، إذ نبغ منهم العلماء والادباء ، وكانوا هم أكثر القائمين بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والاسبانية ، بحيث انه بواسطتهم انتشرت علوم العرب في أوربة في القرون الوسطى . ولذلك قيل ان أوربة لم تعرف علوم يونان رأساً ، وانما عرفت بها بواسطة العرب .

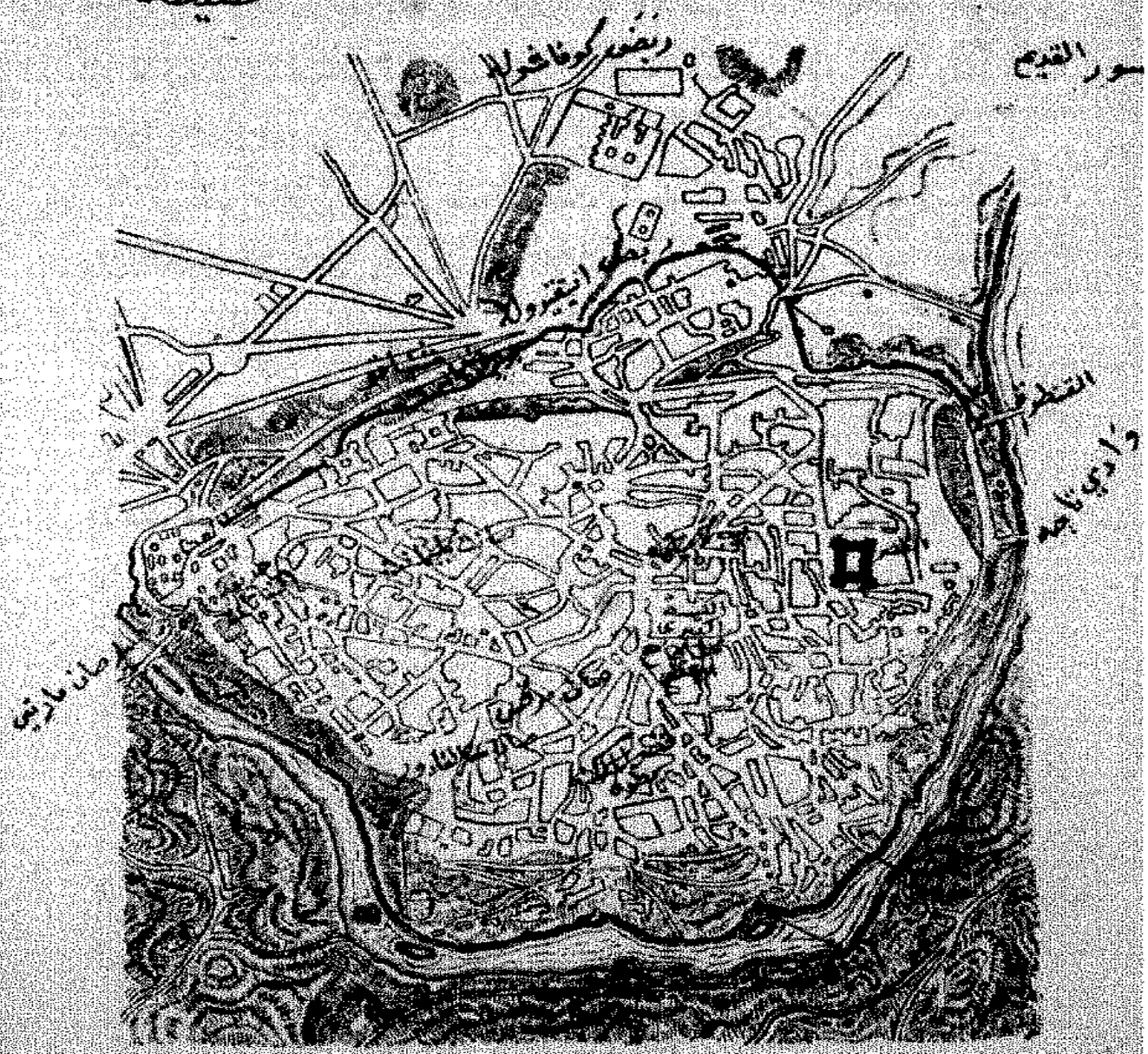
فلم يخطيء الذين قالوا إن طليطلة كانت واسطة التعارف بين الشرق والغرب ، وان العالمين الاسلامي والمسيحي قد تلاقيا فيها . وقال المسيو جوسه P. Jousset صاحب جغرافية أسبانية والرتغال المصورة :

ان الرسوبات البشرية التي ثبتت في طليطلة ، قد جعلت من هذه المدينة متحفاً حقيقياً ، لا متحفاً كالمتاحف المعتادة ، التي يجمع أصحابها فيها الآثار النادرة ، جماعاً مصطنعاً حتى يأتي الناس ويطلعوا عليها ، ولكنه متحف حقيقي أوجده أعصر تباغ عشرين قرناً ، وكل منها ترك أثراً في طليطلة ومن زار أسبانية ولم يزر طليطلة فيعود كأنه لم يعرف أسبانية . فهي مدينة أصيلة ثابتة بارزة ، ليس فيها شيء من المعتاد المؤلف الذي ملته الأنفس ، بل كل ما فيها أصل جليل يهم الأثاري والمتفنن . وهي وحدها تستحق سياحة السائح الى أسبانية . ومدخلها قنطرة ذات قوس واحد على نهر تاجه وعلى هذه القنطرة برج مكتوب عليه أن النهر طغى ، فهدم الجسر ، فرممه الاذفونش ، الملقب بالحكيم سنة ١٢٥٢ . ثم اكمل تجديده بريماط أسبانية المطران تينوريو Tenorio سنة ١٣٨٠

وكان هذا الجسر من زمان العرب ، بل يظن انه كان من قبلهم . وقد نقل « سلازار دو مندوسه » Salazar de Mendoza الكتابة العربية التي كانت

(١) وكان منهم عند ملوك الأسبانيول وزراء وكتاب ، وكان صموئيل لاوى ناظر الخزانة عند الطاغية بطرس الملقب بالصارم ، ونفذت كلمته عنده كثيرا وان كان قتله في الأخير

طليطلة



مزبورة على الحجر في هذا الجسر : الله اكبر والصلاة والسلام على جميع من آمن بالله ورسوله محمد ^(١) ونقل السكونت دوموراه de Mora كتابة أخرى مدفونة في باطن الجسر هي هذه : « بنى هذا الجسر بامر ملك طليطلة العظيم محمد سويد المجاشعي بطليطلة حرسها الله وانتهى سنة ٢٠٤ للهجرة » ^(٢)

وجاء في نفح الطيب : وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، وهي مطلة على نهر تاجه ، وعليه كانت القنطرة التي يمجز الواصفون عن وصفها ، وكانت على قوس واحدة ، تكنفه فرجتان من كل جانب ، وطول القنطرة ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعاً . وخربت أيام الامير محمد ، لما عصى عليه أهلها ، فغزاهم ، واحتال في هدمها . « قلنا : أما هذه القنطرة التي يمجز الواصفون عن وصفها فلا يمكن أن تكون القنطرة الحالية ، لأن هذه ليست بهذه العظمة التي ذكروها ، وان كانت جليلة في ذاتها . وهذه ذات قوس كبيرة واحدة ، مع أخرى صغيرة . وقد كانت القنطرة العربية في مكانها ، ولكن الوادي عند ما طغى ذهب بها ، فرمىها الاذقنش الملقب بالحكيم ^(٣) ثم ان تنوريو الأسقف الأعظم برماط أسبانية ، اكمل تجديد البناء كما مر

وعلى هذه القنطرة برج مبنى من سنة ١٤٨٤ ، ونمثال للقديس « سان ^(٤) ايلدفونس » وكتابة من زمن فيليب الثاني . وعلى الضفة اليسرى من نهر تاجه بقايا حصن سان « سرفنده » أو شربند ، كما يقول العرب والفئة المستعربة من الاسبانيول . وهو حصن كان بناء على ذلك الجبل الاذقنوش السادس ، فاتح طليطلة ، الذي في

(١) نقلنا هذا عن جغرافية أسبانية والبرتغال المصورة تأليف جوسه Jousset ولم نطلع على الأصل العربي لهذه العبارة

(٢) لم نعثر على أصل هذه الكتابة بالعربي وانما نقول انها غير ممكنة بهذا الشكل .

ونحن نرويها عن جغرافية أسبانية والبرتغال لجوسه Jousset

(٣) Alphonse le Sage

(٤) Hldefonse

أيامه بدأ انهيار دولة الاسلام في الاندلس . ومن جسر طليطلة الى محطة السكة الحديدية مسافة يشرف منها السائح على منظر بديع ، والى الشمال الشرقى من المحطة يوجد بقايا حصن عربى قديم يقال له اليوم قصر « عاليانه » ^(١)

فأما أسوار طليطلة فهي موصوفة بالمنعة ومن رأى طليطلة يقول إنها لا تحتاج إلى أسوار ، لمنعة موقعها الطبيعى ، ولكثرة ما فيها من غور ونجد ، فهي في هذا المعنى أشبه بمدينة لوزان في سويسرة ، لا يكاد يجد فيها الإنسان مساحة مسطحة . تزيد على ٢٠٠ متر بل ترى الماشى فيها يصعد ويهبط أبدأ ، ورتبة كانت طليطلة تفوق لوزان في قلة الاستواء ، فإن أكثر شوارعها لا تسير فيها العربات ، ولهذا تقل المركبات في طليطلة ، والماس تنقل أمتابها على الدواب . فكيفها توجهت في طليطلة تجد جر الأتقال ضربا من الحمال .

و رغم هذا فإن الملوك الفارين قد أحكموا أسوارها ، وحملوها طبعاً عن طفق ، فجمعت بين المنعتين الطبيعية والصناعية .

ومما لا نزاع فيه أنه مع كل ما نبى فيها الاسبانيول على أيدي مهندسين من الفرنسيس والألمان وانطليان ، وما بشوا فيها من الكنائس والأديار والمستشفيات والمدارس وما عنوا بتغيير شكلها العربى ، لا تزال المسحة العربية عاملة على هذه البلدة ، في ضيق الشوارع ، وقلة نوافذ البيوت ، وسعة الدور الداخلية ، وحصانة الأبواب ، وغير ذلك من أساليب العرب فى البناء ، ولا تجد الرهبان والراهبات مقيمين فى أديار هى على الطراز العربى إلا فى طليطلة . وقد نقل دليل بديكر كلمة فى حق طليطلة عن الكاتب الافرانسى المشهور « تيوفيل غوتيه » ^(٢) هى هذه ، وقد أبدع وصفها : « طليطلة فيها من الدير ، ومن السجن ، ومن القلعة ، ومن الحرم الاسلامى ، وذلك لأن العرب مروا بها » . نعم فيها من الدير لكثرة ماشاد الاسبانيول

Palacio de Galiana (١)

Theophile Gautier (٢)

فيها من المعاهد الدينية تغطية لآثار العرب وفيها من السجن لما يشاهد من الوثائق
والمئات في مبانيها . وفيها من القاعة لكثرة أسوارها ولمنعة مكائها الطبيعي وفيها من
الحرم لأن بيوتها الأصاية هي بيوت عربية كسائر بيوت العرب في الدنيا
وأعظم بنية في طليطلة هي الكنيسة الكبرى التي يقول لها المستعربون «القاعدة»
وهي على اسم مريم العذراء عليها السلام ، وفيها مذابح رومانية ، ومذابح نصف
عربية وهي في الحقيقة بيعة عظيمة بمنتهى الفخامة ، تعد من الدرجة الأولى في
كنائس العالم وموقعها بجزاء الأكمة التي عليها القصر Alcazar

ويقول المؤرخون عن تاريخ هذه الكنيسة انه في زمن ريكارد القوطي
تشيدت سنة ٥٨٧ كنيسة باسم العذراء . لا تزال هناك كتابة تدل عليها وكان
بجانبها دار أسقفية أقام بها القديسون أوجين ، وإيلاد ، وإلديفونس ، وإيليان . وفي
سنة ٧١٢ ب . م . عند ما فتح العرب طليطلة حولوا هذه الكنيسة إلى مسجد ،
وكانت لهم المسجد الجامع ^(١) ، وتبقى الأمر كذلك إلى سنة ١٠٨٥ التي فيها استولى

(١) كان في هذا المسجد الجامع حوض أمر ببنائه الظافر بن ذى النون سنة ٤٢٣
وقد وجدت كتابة على بلاطة رخام بالخط الكوفي البارز هذا نصها بعد البسملة : أمر
الظافر ذو الرئاستين أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون اطال الله أيامه
ببنيان هذا الجب بجامع طليطلة حرسها الله فتم بعون الله في جمادى الأولى سنة ثلاث
وعشرين وأربعمائة . وقد ظهر من هذه الكتابة التي نقلها لاوى بروفنسال ان الظافر
المذكور تولى طليطلة بطلب من أهلها قبل التاريخ الذي ذكره المؤرخون فقد قالوا انه
جاء خلفاً ليعيش بن محمد بن يعيش سنة ٤٢٧ والحال ان هذه الكتابة مؤرخة سنة ٤٢٣
فهي تصرح بكون الظافر بن ذى النون هو الذي أمر ببناء هذا الحوض اذ اصطلح
الأندلسيون على تسمية الحوض بالجب . وأما لقب ذى الرئاستين فقد لقب الظافر نفسه
به حتى يعلو عن لقب ذى الوزارتين الذي كان لقبه به الخليفة الأموي . وقد وجدت
كتابة ثانية في طليطلة نصها : بما أمر بعمله الظافر ذو الرئاستين اسماعيل بن ذى النون
في سنة تسع وعشرين وأربعمائة

الأذفونش السادس على طليطلة صلحاً بعد حصار طويل^(١)

(١) نحب أن نذكر هنا ما قاله دوزى R. Dozy المستشرق الهولاندى الشهير فى كتابه : تاريخ مسلمى أسبانية Histoire Des Musulmans En espagne وهو ملخصاً : ان القادر بن ذى النون كان فرض على أهل طليطلة مبالغ وافرة من المال فأدوها اليه وقدمها للأذفونش . فقال له الامبراطور : (لان الأذفونش السادس كان سمي نفسه بذلك) هذا لا يكتفى . فقدم له القادر ذخائر أليه وجده . فقال له : وهذا أيضاً لا يكتفى . فقال له القادر : انى حاضر لاعطائك فوق هذا لكن على أن تعطبنى مهلة . فقال له الأذفونش : انى ممهلك على شرط أن تسلمنى أيضاً حصوننا تكون رهناً عندى . فرضى القادر بهذا الشرط اذ لم يكن له قدرة على الامتناع فكان مضطراً أن يرضى بكل شىء وكان يرى سيف الأذفونش معلقاً فوق رأسه لا يستطيع أن يخالفه فكان يدفع المال بعد المال ويخلى الحصون بعد الحصون ولأجل ارضاء الامبراطور يفرض المغارم الثقيلة على رعيته التى بدأت تهاجر الى مملكة سرقسطة . وكان الأذفونش كلما ازداد القادر طاعة له يزداد عتواً فاتتهى الأمر بان فرغت يد القادر فجاء الأذفونش واكتسح ارباض طليطلة فحاول القادر أن يدافع عن عرشه لكنه رأى نفسه عاجزاً فمرض على الأذفونش تسليمه طليطلة تحت شروط وهى ان الأذفونش يتعهد بتأمين أهالى طليطلة على أموالهم ودمائهم ومن شاء منهم الهجرة هاجر ومن شاء الاقامة أقام وانه لا يفرض عليهم الا غرامة واحدة مقررة من قبل وان المسجد الاعظم يبق للمسلمين وان الأذفونش يساعد القادر على ملك بلنسية

فرضى الامبراطور بهذه الشروط وفى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ دخل الأذفونش طليطلة وقد بلغ من العظمة ما ليس له حد وما لا يساويه إلا ما بلغه أمراء المسلمين وقتئذ من الدناءة فاقبلوا عليه من كل فج يقدمون له الهدايا ويعرضون طاعتهم ويعلنونه أنهم ليسوا أكثر من جباة عنده فتسمى الأذفونش بملك اللتين وكان يكتب ذلك فى مناشيره ولم يكن يخفى احتقاره لأمراء الاسلام . ولما جاء حسام الدولة بن رزىن يهتبه الأذفونش بفتح طليطلة مقدماً له نفائس الهدايا كان عند الأذفونش قرد يلعب أمامه فأنعم عليه به ورجع حسام الدولة مفتخراً بأن الامبراطور أنعم عليه بقرد وعد ذلك من أعظم النعم . وكان فى بلنسية ولدا عبد العزيز يتنازعان ملكها وكان فيها حزب ثالث يريد تمليك صاحب سرقسطة وحزب رابع يميل إلى القادر بن ذى النون وقد

وكان المسلمون قد اشتروا لأجل تسليم البلدة بقاء المسجد الجامع لهم ورضى

كان هذا يظهره جيش قشتالة تحت قيادة (المارفانيس) Alvar Fanez وكان
البلنسيون مضطرين أن يقدموا ميرة هذا الجيش وكانت تكلفهم ستمائة ذهب في النهار
فقالوا للقادر إنهم في غير حاجة إلى هذا الجيش حتى يطيعوه فلم يسمع القادر كلامهم
لأنه كان يعلم أنهم لا يحبونه فاستبق القشتاليين في بلنسية استظهارا بهم وفرض على
أهلها وأهالي ملحقاتها غرامات منقضة للظهور وبلص الأعيان من أموالهم ومع هذا
فلم يقدر أن يقوم بكل ما يتطلبه القشتاليون فعرض عليهم أن يقطعهم أراضي في مملكة
بلنسية فرضوا بذلك وتملكوا القرى ولكنهم لم يقوموا على حرثها بأنفسهم بل جعلوا
فيها زراعاً يحرثونها لهم واستمروا يشنون الغارات على الأطراف وانضم إلى الجيش
القشتالي جماعة من غوغاه العرب ومن العبيد ومن الأشقياء أصحاب السوابق في الاعتداء
وقطع السابلة وارتد هؤلاء عن الاسلام وأخذوا يفعلون الأفاعيل التي لم يسمع بمثلاها
فكانوا يسفكون الدماء ويهتكون أعراض النساء وربما باعوا الأسير المسلم بزق خمر
أو برغيف من خبز أو بقطعة من حوت وكانوا يمثلون بمن يمتنع عن إعطائهم ما يريدون
فيقطعون لسانه أو يفقأون أعينه أو ياقون به للكلاب المفترسة لتأكله . فكانت
بلنسية وقتئذ في الحقيقة ملكا للأذفونش ولو كان القادر بن ذى النون ملكا عليها في
الظاهر ، وكانت سرقسطة أيضاً تحت حصار الأباطور وقد أقسم أن يفتحها ، وكان
هناك القائد القشتالي غرسية شيميناس بجماعة من فرسانه يشن الغارات على المرية وكان
صاحب غرناطة في المقيم المقعد أيضاً مع القشتاليين . وفي ربيع سنة ١٠٨٥ نازل
القشتاليون أهل غرناطة في عقردارهم ووقع الرعب في قلوب المسلمين حتى صار
الخمسة منهم لا يقومون لواحد من النصارى ووجد في إحدى المرات أربعمائة جندي من
المرية وكانوا من نخبة الجند فهربوا من وجه ثمانين قشتاليا فعم اليأس جميع المسلمين
ورأوا أنه لم يبق أمامهم إلا إحدى خطبتين ، إما الرحيل عن أوطانهم ، وإما الدخول
في طاعة النصارى ، وبقيت خطة ثالثة وهي استصراخ المرابطين من إفريقية . ثم ذكر
دوزى كيف دعا المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين لانتقاد الأندلس ولما ذكر له
ولده الرشيد ما في ذلك من الخطر عليهم أجابه أنه لم يبق أمامنا إلا إحدى هاتين الخطبتين
إما أن نخضع لحكم النصارى وإما أن نرضى بولاية المرابطين وإني أفضل أن أرى
الجمال في إفريقية على أن أرى الخنازير في قشتالة وسيأتي ذكر ذلك تفصيلا في
باب التاريخ .

الأذفونش بذلك . قال ابن بسام . لما تواتت على أهل طليطلة العتق المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء ، واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى ، أموالهم وأرواحهم ، كان من أعجب النوادر الدالة على الخذلان ان الخنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ، ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها ، لم ترفع الغلة من الأندرج حتى أسرع فيها الفساد . فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى ، لا امر أرادته ، من شمول البلوى ، وعموم الضراء ، فاستولى العدو على طايطنة ، وأنزل من بها على حكمه . وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ، ورآه الناس وبيده أسطرلاب . يأخذ به وقتاً يرحل فيه . فتمعجب منه المسلمون ، وضحك عليه الكافرون .

وبسط الكافر المدل على أهل المدينة . وحبب التنصر إلى عامة طغاهها ، فوجد المسلمون بذلك ما لا يطاق حمله . وشرع في تغيير الجامع كنييسة في ربيع الأول سنة ست وسبعين واربعائة .

ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الأستاذ المقامى رحمه الله تعالى صار إلى الجامع وصلى فيه ، وأمر مريداً له بالقراءة . ووافاه الفرنج ، لعنهم الله تعالى ، وتكاثروا لتغيير القبلة ، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته ، وعصمه الله تعالى منهم ، إلى أن أكمل القراءة ، وسجد سجدة ، ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء تنديداً ، وخرج ولم يعرض له أحد بمكروه اه .

قلنا إن الأسبان كانوا يعلمون أن تلك الساعة هي الساعة الأخيرة للجامع فصبروا على هذا الشيخ الجليل حتى أتمها بآخر عبادة اسلامية فيها

وفي ١١ أغسطس ١٢٢٧ جعل ملك أسبانية ، الذي يقولون له القديس فرديناد هذه البنية دكا . حتى يبني مكانها بيعة على الطراز القوطى ، الذى منه كنائس شمالى فرنسا ، وجنوبى ألمانيا ، وانتدب المهندس الافرنسى بطرس بترى ، الذى بقى متولياً إدارة تشييدها مدة تزيد على خمسين سنة ، وبعد وفاته عمل فيها مهندسون

آخرون ، أشهرهم رودريغُو الفونسه ، وجوان غواس ، والبير غومس ، ومرتين شانبجس وغيرهم ، فالعمل فيها لم ينقطع مدة طويلة ، وهي قائمة على خمسة صفوف من الاساطين وطولها ١٢٠ متراً وأربعون سنتيمتراً ، وعرضها ٥٩ متراً و١٣ سنتيمتراً و بناؤها من الحجر المحبب ، إلا أن نقوشها الخارجية والداخلية هي في الحجر الكلسي ، ولا يضارعها في أسبانية إلا كنيسة اشبيلية من بعض الوجوه وكنيسة طليطلة أطول من كنيسة اشبيلية بعشرة أمتار إلا أن كنيسة اشبيلية أعلى بعشرة أمتار . ومزايا كنيسة طليطلة على كنيسة اشبيلية هي في تناسب الأقسام وبداعة الزخرف وتخريم المذبح الأعظم ، حتى كأنه قطعة من العاج المحرّم المرصع .

ولا غب ، فقد بقى العمل في القاعدة العظمى ، بحسب قولهم ، مدة ثلاثة قرون ولها ثمانية أبواب ، أكثرها من الأعاجيب . وهي أبواب الغرب التي لا يفتحونها ، مقتصرين على الباب الجنوبي المسمى بباب الاسود ، والباب الجوفي المسمى بباب الساعة ، الذي يشرع من جهة المدينة العليا . وفيها عدة مذابح ، منها مذبح نصف عربي . ولكن جميع بدائع الصنعة والمقش والتصوير مستوفاة في المذبح الأعظم . وعقود الاقواس كلها من المرمر ، تحيط بأعناقها قلائد مذهب من الصنعة العربية

Arabesque

وفي هذه الكنيسة من صنوف الحرط والنجر وفنون التنزيل والحفر ما يعجز القلم عن وصفه ، فليس له إلا النظر بالعين ! وماذا تقول في بناء لبثوا يعملون فيه ثلاثمائة سنة ، وبذلوا عليه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، واستجادوا له أشهر الصنّاع في أعصرهم ، وأمهر النحاتين والمصورين في أوقاتهم ؟ ! وفي خزائن هذه البيعة كنوز هي فوق التخمين من كل نوع ، قد تراكت من قرون . ولكن الذي يريد الفرجة لا يقدر أن يتبين محاسنها ، من ضعف النور الذي يدخل إلى الكنيسة ، لأنهم ، كما لا يخفى ، يستحب عندهم في الكنائس أن يكون نهارها ليلاً ، لما في ذلك من الهيبة بزعمهم ، وهذا ما رأينا الكثيرين من الافرنج ينتقدونه ، ويقابلون بينه وبين مساجد الإسلام التي تفيض نوراً .

وأما المذبح نصف العربي فقد جعلوه بقرب الباب ، وقد كان بناؤه على يد المهندس هنرى دوايفاس ، بأمر الكردينال شيمانيس الشهير Jiménes وذلك سنة ١٥٠٤ ، وهم يقدسون على هذا المذبح بحسب الطقس القوطى الذى وضعه سان ايزيدور . وكانت فى طليطلة قد بقيت ست كنائس محافظة على الطقس القوطى إلى سنة ١٨٥١ ، فمن ذلك الوقت توحد الطقس ، وصار رومانياً محصاً .

ومن كنائس طليطلة المعدودة كنيسة سان جوان ^(١) الملوك ، وهى كنيسة بناها فرديناند وإيزبلا على الأسلوب القوطى ، والأسلوب المعروف بالريناسنس ^(٢) مجموعين فيها وقد بذل فرديناند وإيزبلا فى بنائها قناطر مقنطرة من الذهب فجاءت من أبداع الكنائس زخرفا وكانا أعداها لدفعهما فيها ، إلا أنهما عدلا عن ذلك الرأى بعد استيلائهما على غرناطة سنة ١٤٩٢ ومحوها كل أثر للملك الاسلام فى الأندلس . فقررا عند ذلك أن يكون دفعهما فى كنيسة غرناطة ، وتوقف العمل فى كنيسة سان جوان هذه ، ولم تم إلا فى القرن السابع عشر . فلذلك اختاف طرز بنائها فى داته بحيث جمعت بين أسلوبين متعايرين . وعلى جدران هذه الكنيسة الخارجية سلاسل حديد يقولون انها كانت قيوداً للأسارى المسيحيين الذين أنقذهم فرديناند وإيزابلا يوم دخلا غرناطة ، وفى هذه الكنيسة صور للقديس سان جوان . وصورة شعار الملكين فرديناند وإيزابلا وأسلحتهما ، والمذبح الاعظم من هذه الكنيسة منقول من كنيسة سنت افرج ^(٣) القديمة ، قال فى دليل بديكر : إن زينة حواء غرناطة ونقوشها قد تمثلت هنا بصور مسيحية . وقد كانت هذه الكنيسة فى يد الفرنسيسكانيين ، ثم تحوت من زهاء مائة سنة كنيسة لأهالى المحلة المجاورة . وكان بجانبها دير تحول متحفاً ومدرسة صناعية .

San Guan de las Reyes (١)

Renaissance (٢)

Santa Cruz (٣)

وموقع هذه البيعة هو على أكمة مشرفة ، تشرح منها الأنظار على وادى تاجه ، وعلى البقعة ^(١) ، وعلى شاربات سان برناردو وغريدوس . وإلى الشمال الغربى من دير سان جوان الملوك يقع الباب المسمى عند العرب بباب المكاره ^(٢) ، وعلى مقربة من هناك فى بقعة يقال لها باجّه كنيسة سانتا لوقادية . وهى قديمة ، بنيت فى القرن الرابع ، فى المكان الذى يقال ان القديسة لوقادية نالت فيه اكليل الشهادة ، وكان

La Vega (١)

(٢) Al - Makara وحق هذه اللفظة أن تكون « المكاراة » ، بألفين اثنتين وهى مصدر كراه الدابة ، والفاعل مكار ، ويقال مكارى الدواب وكرى الدواب أيضاً . هذا ويقال إن هذا الباب كان موجودا فى زمن القوط ثم جاء العرب فبنوه على ذوقهم ثم لما استرجع الاسبان طليطلة هدموه وبنوه من جديد على طرز أبنتهم ولكنه بق منه قوس عربى واحد يعتمد على أعمدة مكتوب على أحدها : الله اكبر . اشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . وقد نقل « جوسه » فى جغرافية أسبانية والبرتغال عن « سلازار مندوزه » كتابة يقولون إنها كانت باقية فى الحجر إلى زمن فيليب الثانى ومعناها على عهدتهم هو هذا : لا اله إلا الله محمد رسول الله جميع المؤمنين الذين يعتقدون بنينا محمدا يقبلون أيدي المرابط مولاى عبد القادر يغفر الله لهم ذنوبهم ولا يكونون فى يوم من الأيام صما ولا عمياً ولا مقطوعى الأعضاء ويتلقون منه البركة فى ساعة الموت ولا يعتلون قبل موتهم إلا ثلاثة أيام ويذهبون إلى الجنة وعيونهم مفتوحة وذنوبهم مغفورة انتهى قلت : هذه القصة مستغربة جدا فانه لا يذكر أى عبد القادر هو المقصود هنا ؟ فان كان عبد القادر الجيلانى الولى الشهير الذى تقال فيه مثل هذه الأقاويل فالشيخ عبد القادر الجيلانى مات سنة ٥٦١ أى بعد فتح الاسبان لطليطلة بثلاث وثمانين سنة ويستبعد جداً أن يكتب المسلمون فى طليطلة على باب من أبواب المدينة كتابة منقوشة على الأحجار ان لم تكن البلدة فى أيديهم ولم تكن الولاية عليها للإسلام . وأما إن كان المراد بالمرابط عبد القادر شخصاً آخر من الأولياء الذين عاشوا قبل خروج طليطلة من يد الإسلام فمن العجب أن يذكر اسم هذا المرابط غفلاً بدون نسبة ومن العجب أيضاً أن تقال جمل كهذه فى كتابة مزبورة على الحجر لمخالفتها لسنة ولذلك لنا شبهة قوية فى صحة وجود كتابة كهذه

العرب قد هدموها ، فلما رجع الاسبانيول جددوها .
 وعلى ضفة نهر تاجه قريباً من هناك معمل السيوف ، وتاريخ إنشائه سنة ٧٨٨
 ولكن لم تبق لسيوف طليطلة تلك الأهمية ، بعد أن بقيت قروناً مشهورة بهذه الصناعة
 من زمن الرومان إلى زمن القوط ، إلى زمن العرب ، إلى زمن الأسيان ، لاسيما
 القرن السادس عشر ، ومن النصال الطليطلية انموزجات بديعة في متحف مجريط ،
 وإلى الجنوب من باب المكاره ، قطعة من السور تنتهى بباب سان مرتين ، وإلى
 الشمال من هذا الباب المسلخ الذى يقال انه كان فى مكانه قصر الملك لذريق ، الذى
 منه انتزع العرب جزيرة الانداس ، وهو الذى افتض كريمة الكونت يليان المسماة
 فلورنדה ^(٢) ، ولأجل ذلك حنق هذا الكونت حنقاً بلغ به أن دعا العرب لاجتياح
 الانداس ، ففتحوها ويقال من حملة الاساطير انه كان يوجد هناك كهف يقال له
 كهف هرقل ، نظر فيه لذريق مرة معثر على كتابة تؤذن بانتهاء ملك الانداس .
 وعلى الوادى يوجد حسر سان مرتين ، معقود فوقه الى الغرب من البلدة . وكان
 بذؤه سنة ١٢١٢ ، ثم تجدد سنة ١٣٩٠ . وله حسة أقواس . الاوسط منها يرتفع
 ثلاثين متراً ، وعليه رجان . والى ايمين منه تحت السور حمام يقال له حمام الكهف ^(١)
 حيث الملك لذريق شاهد فلورنדה كريمة الكونت يوليان تستحم ، وكان بعد
 ذلك ما كان .

والى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت فى التقديم حارة اليهود ، التى كان
 يقال لها « الجديرة » ، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصناً حصيناً يضعون فيه أموالهم
 وأما كنيسة مارية الميضاء فكانت فى الأصل كنيسة لليهود ، بى فى القرن الثانى عشر ،
 ثم تحول كنيسة للنصارى فى بداية القرن الخامس عشر ، ثم صارت محل خلوة
 للمتفكرين ، ثم ثكنة عسكرية ، ثم مخزنا . وهى دات بناء فخم على ثمان وعشرين

Florinda (١)

Bain de la Cave (٢)



الملك لدرىق مع الأميرة فلوريندة ابنة بليان صاحب سبته التى من أجل قصتها أغرى بليان العرب بغزو اسبانية

قوساً ، وقواعد أساطينها مزينة بالزليج ، والصنعة العربية . وأما الكنيس الشهير الذي يقدم الكلام عليه فيقال له كنيس^(١) الانتقال ، فقد بناه الحاخام «ماير عبدلي» على نفقة صموئيل لاوى ، كما تقدم الكلام عليه . واتقن بناؤه إلى النهاية ، فلما طرد الملوك الكاثوليك يهود اسبانية حولوا هذا الكنيس إلى كنيسة باسم سان بنيتو ، وسلموه إلى فرسان قلعة رباح ، ثم تحول كنيسة باسم العذراء . وإلى الشرق من هذا الكنيس يوجد بيت المصور الشهير غريغو^(٢) الذي له آثار كثيرة في كنائس طليطلة وأصله يوناني من جزيرة كريت وقد ساقته الأقدار من البندقية إلى طليطلة سنة ١٥٨٥ فسكن في طليطلة في قصر المريكز « فيلنه »^(٣) والآن يوجد هناك متحف لآثار غريغو

ومن كنائس طليطلة كنيسة يقال لها سان جوان الندامة^(٤) بناها الكردينال شيميناس سنة ١٥١٤ ، وجعل معها ديراً ، وهي في شرقى البلدة . ومن الكنائس المعدودة كنيسة سانتو طومي^(٥) وكانت جامعاً فحولوه كنيسة ، وجددوا بناءه في القرن الرابع عشر ، ولكن منارته لا تزال على أصلها . وفي هذه الكنيسة قبر الكونت أورعاز الذي جددها على نفقته . وإلى الجنوب من هذه الكنيسة قصر كان يقيم به الأمراطور شالكان ، وفيه ماتت امرأته ايزابلا البرتغالية ، وفي هذا القصر صناعات عربية وقوطية مختلطة

ومن كنائس طليطلة المعدودة كنيسة سانت ياقو الر بوض بنيت لعهد الاذفونش السادس ، وهي على الهندسة العربية ومنارتها لا تزال منارة مسجد اسلامي . وأما

(١) أى انتقال مريم العذراء إلى السماء Sinagoga del transito

(٢) Greco

(٣) Villena

(٤) Penitencia

(٥) Santo Tomé

الدار الاسقفية التي يقيم بها برماط اسبانية ، وكان له ذلك الشأن العظيم حتى كان يجاذب الملك الحبل فهي قبالة الكنيسة الكبرى من الجهة الغربية

قال المسيو جوسه صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال المصورة : لو أردنا أن نتكلم عمّا في طليطلة من قصور كانت لنبلأء العرب والاشبيليين في تلك الشوارع الضيقة وعلى مفارق الطرق ، وذلك مثل قصر آل بركاش^(١) وآل ما كيدة^(٢) ومونارس^(٣) وغيرهم وقصر البقعة^(٤) ، وقصر الميزة^(٥) بقاعته العربية المدهشة لاستنزم ذلك كتاباً مستقلاً . وقاعة الميرة هذه ذات سقف نادر النظير في صنعته العربية . وطولها ٢٠ متراً ، وعرضها سبعة أمتار وعلوها ١٢ متر

ومن قنطرة طليطلة يسير الانسان صُعداً إلى الشمال الغربي فيمر بالسور العربي الذي كان للمدينة وبسور أحدث منه بُني لأجل حماية الحارة المسماة بالربض^(٦) .

(١) Vargas وهي عائلة معروفة مشهورة ربما كان منها بركاش المغرب الذين منهم والى رباط الفتح الحالى السيد عبد الرحمن بركاش ومن أراد أن يطلع على تاريخ هذه العائلة فعليه بكتاب « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح » للشيخ محمد أبى جندار

(٢) Maqueda حتى الآن لم يظهر لنا حقيقة هذا الاسم

(٣) Munarriz

(٤) Vega

(٥) Mesa

(٦) Arrabal الاسبانيول يقولون للربض « الربال » بقلب الضاد لاما وهو بدون شك تحريف الا انه وجد لذلك أصل في اللغة العربية وقد نص على ذلك علماء اللغة ولما كنت في جبال الحجاز سمعت هذه اللغة من ثقيف وهذيل في ناحية يقال لها الشفا فسمعتهم يقولون « الليف » باللام المفخمة يريدون بها « الضيف » وصلاة « اللهم » في صلاة « الظهر » وقرية « الليق » في قرية « الضيق » وهلم جرا . وقد ذكرت ذلك في كتابي « الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف » وعقبت عليه بقولى : ولما كنت في الأندلس سمعتهم يقولون في كل بلدة « الربال » يعنون به ضاحية البلدة فاردت أن أعرف مأخذها فقرأت في كتبهم انها لفظة عربية محرقة عن « الربض »

وبعد مسيرة خمسة دقائق يصل إلى باب عربي البناء يقال له باب « السول »
Puerta del Sol قيل إنه بنى سنة ألف ومائة مسيحية ، أى بعد استرداد
الاسبانيول لطليطلة ، ولكنه بنى على الطرز العربى ، وكان هذا الباب في القديم هو
باب طليطلة الحقيقى . ولم يتفق المؤرخون في تاريخ هذا الباب : فقال بعضهم : إنه بنى
لمهد الادفونش السادس ، وقال بعضهم : انه بنى في آخر زمان العرب ، وعلى مقربة
من هذا الباب باب آخر يقال له باب « بيزَغرة » Visagra وأصله باب شقره
بناه الأسبانيول ، وعليه تمثال النسر، شعار الأمبراطور شارلكان ، ويوجد باب آخر
يقال له « بيراغرة انتيكا »^(١) Visagra Antigia أى العتيقة لأنه من زمان العرب

ففكرت حينئذ في قلب الضاد لاما عند هذيل ومن جاورهم من ثقيف وقلت من يدري ؟
فاعل أول من تلفظ بالربض هناك تلفظ بها باللام ، فقد كان في غزاة الاندلس كثير
من هذيل وثقيف . انتهى . ولما كان كتابى هذا قد طبع بمطبعة المنار في القاهرة وتولى
تصحيح مسوداته الأستاذ الأكبر فقيد الاسلام السيد رشيد رضا رحمه الله فقد علق
على عبارتى هذه في الحاشية ما يأتى : مخرج الضاد العربية الفصحى قريب من اللام
المفخمة ، فهو بينها وبين مخرج الضاد ، فلهذا تشبه الضاد تارة بالطاء في نطق اكثر العرب
الى عهدنا هذا وتارة باللام المفخمة في نطق هؤلاء الهدلين والثقيين . ومثل هذا الاشتباه
يكثُر في النطق ، ولا سيما نطق الذى يعجل بالكلام فيتلقاه بعض السامعين محرفاً فيصير
التحريف اصلاً متبعاً . وذكّر علماء اللغة انه سمع ابدال اللام من الضاد فقالوا « الطجع »
أى اضطجع كعكسه في قولهم رجل « جضد » أى « جلد » . وبعد كتابة ما تقدم
راجعت مادة ضجع في الناج فاذا هو يقول : قال المازنى : ان بعض العرب يكره الجمع
بين حرفين مطبقين فيقول « الطجع » ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها وهى
اللام . زاد في اللسان : وهو شاذ . وقال الأزهرى : وربما أبدلوا اللام ضادا كما أبدلوا
الضاد لاما قال بعضهم « الطراد » وه « اضطراد » لطراد الخيل . انتهى . نقلنا كلام السيد
الامام هنا لفائدته

(١) هذه اللفظة محرفة عن ييب شقرة إذ لا يخفى كون الآماله الاندلسية جعلت

وهو بناء يستحق النظر ومنه يسير الانسان على طريق عريض على جانبيه الأشجار إلى باب يقال له باب « قرون » Cambron وهناك بقايا قصر آل بركاش . ولا يجوز أن ننسى من آثار طليطلة التاريخية الكنيسة التي بقرب باب السول ، والتي يقال لها « سانتو كريستو دولالوز » Santo Cristo de la Luz أى النور وأصل هذه الكنيسة الصغيرة مسجد صغير بنى سنة ٩٢٢ مسيحية ، كما يستنتج من الكتابة العربية التي على بابه ^(١) ، وهو على ستة صفوف من الأعمدة ويقال إن أعمدته مأخوذة من كنيسة قوطية قديمة والله أعلم ، وتعلق خرافة بهذا المسجد المقلوب كنيسة والذي له ولأمثاله قال الشاعر العربي راى طليطلة يوم استولى عليها النصارى :
 مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ ! أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرَأُ وَلَا يَطِيرُ ؟ !
 وهذه الخرافة معناها انه لما دخل الاذفونش السادس إلى طليطلة ، وكان معه القمبيدور الملقب بالسيد مسجد حصان السيد بزعمهم امام حائط هناك ، فهالهم سجد الحصان من نفسه فبحثوا فى الحائط ، فوجدوا فيه مصلوباً ، وبجانبه سراج يضىء زيته من زمن القوط .

(١) يقال لهذه الكنيسة الصغيرة كنيسة بيب مردوم أى الباب المردوم والبيب كما لا يخفى هو الباب بلفظ أهل الأندلس الذين كانوا يتكلمون بالامالة وكان على باب الجامع الذى تحول كنيسة كتابة تاريخها ٣٧٠ للهجرة كشفوها سنة ١٨٩٩ وتكلم عنها مارسه Marçais فى كتابه عن الفن الاسلامى . وكذلك ذكرها لامبار Lambert فى كتابه عن طليطلة وفى كتابة أخرى « فن البناء الاسلامى بقرطبة و طليطلة فى القرن العاشر » . وكان العالم الاسبانيولى أما دوردولوس ريوس Amador de Los Rios قد حل هذه الكتابة بما يفيد أن الجامع بنى بمعرفة مهندس اسمه موسى بن على وشخص آخر اسمه سعادة وذلك فى المحرم سنة ٣٧٠ وفق ٩٨٠ قال لاوى بروفنسال الذى نقلنا عنه هذه الرواية من كتابه « الكتابات العربية فى اسبانية » ، إنه هو فى سنة ١٩٢٥ لم يستطع قراءة هذه الكتابة ما عدا البسملة . فلعلها سنة ١٨٩٩ كانت لاتزال محفوظة وكانت قرائتها لاتزال ممكنة .

وأشهر قصر في الاندلس هو قصر طليطلة المبنى على أعلى قمة من تلك البلدة ،
 فقد كان فيما يظهر مقر الامارة من قديم الدهر ، ففيه أقام الايبيريون ، ثم القوط ،
 ثم العرب ، ثم الاسبان ، وفيه نزل اذفونش السادس يوم دخل طليطلة . ولقد تبذلت
 هيئته كثيراً بكثرة ما توالى عليه من الحريق . وكان كلما احترق جددت الملوك بناءه
 ولكن الذى لا يتغير فيه هو مسرح النظر الذى له ، والذى لا يضارعه منظر لقصر
 من قصور اسبانية كلها . وقد كان هذا القصر تارة حصناً وطوراً قصراً ، وتعاقبت
 عليه أدوار مختلفة .

وأشهر ساحة في طليطلة ، وهى التى فيها أكثر حركة البلدة ، الساحة التى يقال
 لها ساحة البر^(١) أى ساحة القمح ، ومنها يصعد الصاعد إلى القصر ، وبالاجمل
 لا يوجد بلدة أكثر من طليطلة قد حفظت الهيئة والبيئة المر بيتين ، وكيف ما توجه
 السائح فيها يعثر على نقوش عربية ، وزليج ، وخشب محفور من آثار العرب ، وقد
 ذكر جوسه انه وجدت تيجان ذهب مخزومة في ضواحي طليطلة ، وتحقق انها من
 كنوز العرب المدفونه ، ومن قديم الدهر كان في طليطلة أبنية فخمة ، وللارشيبيرست
 يوليان بيريز Julian Pérez تاريخ أحصى فيه عدد الكنائس القوطية التى هدمها
 العرب أو حولوها الى جوامع ، مثل شان قرشتوبل Cristobal ، وسان لورنزوه ،
 وسان يشته Justo وسانتا مريه المجدلية ، وسان ايزيدور ، وسان انطواين والمقبرة
 التى كانت في كنيسة شنت ليقودية ، فقد زعم هذا التمسيس ان العرب خربوا جميع
 هذه الكنائس ، وجعلوا عاليها سافها ، وقال انه كانت في طليطلة اديار كثيرة من قبل
 ما أعلن الملك القوطى ريكارد إلنا ، المذهب الار يوسى ، وأمر بأن تكون الكتلكة
 هى المذهب السائد بدون منازع ، وذكر ان العرب تركوا بعض هذه الأديار للمسيحيين
 مثل سان سيلفانو Silvano

وأما تاريخ طليطلة فخلاصته انها كانت العاصمة الدينية والمدنية لاسبانية في زمن القوط ، وانه انعقد فيها ستة عشر مجماً ، آخرها كان انعقاده سنة ٦٣٣ ، تحت رئاسة يزيدور مطران اشبيلية ، الذي كان عندهم قديساً ، وأكثر أسباب هذه المجمع الدينية كانت ناشئة عن الجدل بين الاريوسية والكثلكة . وكان مبدأ الاريوسية آراء قسيس شهير اسمه آريوس Arius ، ولد في برقة أو الاسكندرية سنة ٢٨٠ للمسيح ، ومات سنة ٣٣٦ . واشتهر بتجديد عقيدة سابليوس وبولس المريسي ، وهي التي تقول بأن المسيح لم يكن هو ابن الله فعلاً ، وانما كان ابنه اسماً ، والله هو الآب فقط ، واتبع عقيدة اريوس جم غفير فحكم مجمع الاسكندرية بكفره سنة ٣١٩ ولكن بقي له تبع كثير بحيث ان الامبراطور قسطنطين اضطر إلى عقد مجمع عام هو المجمع المسمى بالمجمع النيقى ، لأنه انعقد في نيقية بقرب القسطنطينية سنة ٣٢٥ ، فقرر المجمع المذكور بالأكثرية لا بالاتفاق ان الابن والآب طبيعة واحدة ، وأن المسيح هو الله مثل الآب ، وانه هو الابن ، وحرر دستوراً للايمان على هذه القاعدة ولم يزل هذا الدستور هو قانون الدين المسيحي إلى يومنا هذا . وقد صدر أمر الامبراطور قسطنطين بنفى اريوس مدة من الزمن ، إلى أن سكنت الخواطر ، ثم أذن له في العودة الى الاسكندرية ، وربما كان قسطنطين في الباطن مائلاً إلى عقيدة اريوس ، لكنه كان مضطراً إلى مجارة العامة ، ثم مات اريوس ولم تمت عقيدته وانقسم بها الرومانيون إلى قسمين ، فتمسك بها بعض قياصرتهم كقسطنس ، وحمل عليها الآخرون كتيودوسيوس . وأخيراً تلاشت في المملكة الرومانية ، إلا أنها عادت فظهرت بين البرابرة الذين جاءوا من الشمال مثل القوط ، والوندال ، والبرجونيين ، واللونبرديين ، ثم تغلبت عليها الكثلكة في القرن السابع ، ثم عادت فظهرت مرة ثالثة بعد الاصلاح البروتستانتي ، وعرف بها فئة يقال لهم السوسينيون ، نسبة إلى رجل لاهوتي من ايطالية انتصر لهذه العقيدة ، بل أنكر أكثر قواعد النصرانية . وقد كان في طليطلة هذه عقد المجمع الذي حكم بتحريم مذهب اريوس .

ولما افتتحها العرب لم يجعلوها عاصمتهم ، كما كانت في زمن القوط ، وآثروا عليها قرطبة لكونها أقرب إلى افريقية ، فصارت طليطلة تعصى أمر قرطبة ، وتثور على بني أمية ، ولكن عمرانها لم يتقلص بالثورات ، لكثرة ما كان بها من الصنائع ، مثل صناعة السيوف ^(١) وصناعة نسيج ^(٢) الحرير والصوف ، ولأن بقعتها من

(١) يقال إن الرومانيين عند ما ملكوا طليطلة وجدوا فيها صناعة السيوف زاهرة ثم لما جاء العرب اليها وجدوها أيضاً كما وجدها الرومانيون وإنما زادوها إتقاناً بما كان لأهل دمشق من رسوخ القدم في هذه الصنعة . وبقيت طليطلة تصنع السيوف طول مدة العرب فيها ثم بعد أن رحلوا عنها مدة ستة قرون والناس تتنافس بالسيوف الطليطلية . ولكن عند ما جددت الأسلحة الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر قضت على سيوف طليطلة . وكان الطليطليون غير مقتصرين على صنعة السيوف بل كانوا يصنعون أيضاً ابر الفولاذ وكانوا يصنعون السروج وعدد الخيل والمهاميز وزرد الدروع . وكانت عندهم صناعة الخزف والصناعة المسماة في دمشق بالقاشاني

(٢) كانت طليطلة مركزاً لصناعة نسيج الحرير والصوف والمخمل والأطلس بجميع أنواعها ولم تكن اشيلية ولا قرطبة تفوقها في هذا وكان الساجون في طليطلة وارباضها خمسين ألف عامل . وفي القرن السادس عشر كانت فيها صنعة الطربوش فكان يعمل بها بضعة الآف عامل وكانوا يشحنون في ذلك الوقت إلى نحو من خمسة ملايين طربوش في السنة إلى افريقية وإلى البلاد الشرقية . وكانوا يصنعون القلانس والسكم والطافات المزركشة بأنواعها

ومما اشتهرت به طليطلة لذلك العهد صنعة الخبز التي كانت فيها المثل الأعلى وكانوا يصنعون نوعاً من الاقراص بالسمن والسكر واللوز لم يكن أحد يباريهم فيه وكانت للخبازين في طليطلة مكانة لا يستخف بها وأول كتاب في الطبخ طبع في اسبانية وكان طبعه سنة ١٥٢٥ في طليطلة . ولا يزال إلى هذا اليوم مع تقلص عمران طليطلة محفوظاً بها بعض الشيء من ذلك الاتقان في الخبز وهم يصنعون مريات كثيرة من الفواكه أما الصناعات الباقية إلى الآن في طليطلة بعد أن سقطت عن معالمها القديمة فهي نسيج الحرير والقطن ونقش المعادن على طرز دمشق مما يسمى في اوربة بالاراباسك والادوات الكنسية والحفر والتنزيل في الخشب وما أشبه ذلك . فطليطلة بعد أن نزل عدد سكانها من مائتي ألف نسمة إلى عشرين ألفاً لاتزال تعد من المدن الصناعية

أخصب بقاع الاندلس فكانت تبقى السنين الطوال والخلفاء يحاولون اخضاعها ،
ويفادونها ويراوحونها بالجيوش ، وهى مع ذلك عزيزة منيعة ، ثابتة راسخة ، أمنع
من عقاب الجو . وقد كان استرداد الاسبانيول لطليطلة مبدأ تأخر العرب بدون
نزاع ، وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال :

حُثُوا رَوَّاحِكُمْ يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْغَلَطِ
الثَّوْبُ يُنْسَلُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثَوْبَ الْجَزِيرَةِ مَنْسُولًا مِنَ الْوَسْطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ عَوَاقِبَهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ؟

وقد أصاب هذا الشاعر فى قوله هذا ، لأنه لما استولى النصارى على طليطلة
كانوا كأنهم دخلوا فى وسط بلاد الاسلام ، وجاءت الاسلام الضربة فى حامل
رأسه لأنه كان المسلمون فى ذلك الوقت لا يزالون فى سرقسطة ونواحيها ، وكان
لا يزال لهم قواعد وحواضرهى إلى الشمال من طليطلة . ثم إن موقع طليطلة بمنعته
الحارقة للمادة جعلت الأسبانيول منها فى حصن حصين لا يؤتى وعصمتهم فى حرز
حريز لا يؤخذ ، وهم أنفسهم لم يقدرُوا على طليطلة فى حقيقة الأمر إلا بفساد أحوال
المسلمين ، والفتن التى كانت بينهم . وخلاصة الأمر أنه بعد أن نشبت الفتنة
الكبرى فى قرطبة بين العرب والبربر ، وانتثر السلك ، ونجمت الملوك الذين يقال
لهم ملوك الطوائف ، استبد بأمر طليطلة بنو ذى النون ، كما سيأتى الكلام عليه ،
فوقعت المداوة بينهم وبين بنى هود الذين استقلوا بسرقسطة ، وتوالت الوقائع بين
الفرقيين ، وكل منهما يستظهر بالاسبانيول على الآخر

ولنأتك بمثال ننقله لك عن ابن عذارى المراكشى فى كتابه « المغرب فى أخبار
الأندلس والمغرب » وهو خير كتاب عرّف بأخبار الأندلس . قال عند ذكره
سقوط طليطلة : « وخرج فرديلند الطاغية أيضا المظاهر لسليمان بن هود ، وهو
فردلند بن سانجة ، أمير جليقية إلى ثغر طليطلة فى خلق كثير . وجاءه ابن عم

ابن ذى النون ليدله على عورات البلاد ، وتهارب الناس أمامه من كل جهة إلى طليطلة حتى غصت بهم ، واضطربت أحوال أهلها . كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذى النون غائب عنهم بجيشه فى مدينة سالم ، مقيم بها لثلا يدخلها ابن هود فلما تيقن بخروج هذا الامين إلى عمله ، وضجت رعيته إليه ، جاء فى جموعه ، فلم يصنع شيئا ولا قدر على لقائه (أى على لقاء الطاغية) واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك ، فلما رأى ذلك أهل طليطلة أرسلوا إلى الطاغية فردلند المظاهر لابن هود ليمقدوا معه صلحاً على بلدهم طليطلة وما حولها على ما يؤدونه إليه ويرحل عنهم . فقال لهم : ما أجيبكم إلى سلم ، ولا أعفيكم من حرب ، حتى تفعلوا كذا وكذا . واشترط عليهم شروطاً لا يقدرون عليها . فقالوا : لو كنا تقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لا نفقناها على البرابرة ، واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة . فقال لهم فرلند : « أما قولكم لا تقدرون على هذه الأموال فذلك محال ، فلو كسفت سقوف بيوتكم لبرقت ذهباً لكثرتة ، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ، ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم ، ونحن قد صمدنا إليكم ، مانبالى من أتانا منكم ، فاما نطلب بلادنا التى غلبتمونا عليها قديما فى أول أمركم ، فقد سكتتموها ما قضى لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم بردائتكم ، فارحلوا إلى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم فى سكتناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم » اه .

فلم يجد رسل أهل طليطلة عند فردلند وأصحابه النصارى قبولا لما عرضوه عليهم من الصلح .

وكان أخو هذا العليج صاحب يحيى بن ذى النون مظاهراً له فخرج فى هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها ، وأغلظ فى اهلا كها ، وأخل بالثغر الأعلى ، فعل أخيه فردلند فى نظر ابن ذى النون ، ودامت الفتنة بين هذين الأميرين ، ابن هود وابن ذى النون ، على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة واتقطعت بموت سليمان بن هود فى السنة المذكورة . ولما تنفس مخلق ابن ذى النون

بموت سليمان المذكور جعل يطلب جاره ابن الأفطس صاحب بطليوس فجرت له معه حروب كثيرة النخ

قلنا إن بيت القصيد في هذا التاريخ هو قول الطاغية : « وقد نُصِرنا عليكم بردائكم » . جاء في نفتح الطيب : ومن أول ما استرد الأفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ . وقال بعض المؤرخين : أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله ابن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين ، وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ هـ . وفيه بعض مخالفة لما قبله ، وسيأتي قريباً بعض ما يؤيده . قال : وهى مدينة حصينة قديمة أزلية ، من بناء العماقة ، على ضفة النهر الكبير^(١) . ولها قسبة حصينة في غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجبية البنيان ، على قوس واحد ، والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى . ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسمون زراعاً ، وهى تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة .

وطليطلة هذه دار مملكة الروم ، وبها كان البيت المغاق الذي كانوا يتحامون فتحه ، حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب هـ .

وقد حكى ابن بدرون في شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرأ تأنق في بنائه ، وأنفق فيه مالا كثيراً ، وصنع فيه بحيرة ، وبنى في وسطها قبة ، وسبق الماء إلى رأس القبة ، على تدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالها ، محيطاً بها ، متصلاً ببعضه ببعض ، فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب^(٢) لا يفتر ، والمأمون ابن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء

(١) العماقة المعروفون فى التاريخ لم يكونوا البانين لطليطلة ولكن العرب يطلقون لفظة عماقة على جميع الأقدمين الذين اشتهروا بالقوة والعظمة وأما قولهم النهر الكبير فان كان يريد به نهر تاجه فهو صحيح لأنه من أكبر أنهار الأندلس ولكن جرت العادة بأن يسمى بالوادي الكبير نهر قرطبة النازل إلى اشيلية وهو غير تاجه كما لا يخفى

(٢) إن طليطلة هى من الأقاليم المعتدلة فى اسبانية ولكن الحر يشتد فيها جدا أيام

شئ ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل ، فبينما هو فيها إذ سمع منشداً ينشد :
 أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ
 لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَعْتَرِبُهُ رَجِيلُ
 فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قضى نجه . ٥١ .

وقال ابن خلكان : إن طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد
 حصار شديد . وقال ابن علقمة : إن طليطلة أخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من
 المحرم سنة ٤٧٨ ، وكانت وقعة الزلافة التي نشأت في السنة بعدها ٥١ .

وجاء في دليل بديكر أن الأذفونش السادس ملك قشتالة دخل طليطلة ومعه
 السيد^(١) في ٢٥ مايو ١٠٨٥ ونقل كرسى الملك من برغش إلى طليطلة عام ١٠٨٧
 وجعل مطران طليطلة هو أسقف اسبانية الأعظم ، وبدأوا ببناء الكنائس والأديار
 فأكثرها منها . ولكن المدينة العربية بقيت حافظة سيادتها في وجه الحملة المسيحية ،
 وبقى الناس في طليطلة يبنون مدة قرون متطاولة على الطرز العربي (إلى أن قال)
 وكان أساقفة طليطلة مثل لوذريقة وفونسيقة وتنووريو ومندوسة . وشيمينيس
 وطلبيرة ولورنسانة هم أصحاب الأمر والنهى في البلدة ، وكان دخل الأسقفية السنوى
 ثلاثمائة الف دوكة ، وكان في دار الأسقفية ١٥٠ قسيساً هم حاشية برماط اسبانية ،
 وكانت لهم عناية بالعلوم والآداب^(٢) وكانوا أيضاً يسوقون الجيوش إلى القتال

الصيف بما يلفحها من رياح افريقية حتى تبلغ درجة الحرارة فيها أربعين ، يزان سنتيغراد
 وهى تجمع الاضداد ففي الشتاء تنزل درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر ولكن لا يطول
 فصل البرد الشديد أكثر من شهر واحد وفصل الربيع فيها لا يطول أيضاً بل يبدأ
 الحر فيها من شهر مايو . وأحسن فصولها هو الخريف

(١) Le Cid وهو القمبيدور الذى سبق ذكره عند ذكر مدينة برغش
 (٢) فى دار الاسقفية خزانة كتب مفتوحة للزائرين ثلاث ساعات قبل الظهر ولكن
 خزانة كتب الكنيسة الكبرى هى أهم بكثير وفيها مخطوطات نفيسة واسفار من
 الطابع القديم . وليس اليوم فى طليطلة معاهد علمية تستحق الذكر كما كان فى الماضى فقد

فأسماؤهم داخله في جميع الحوادث الكبيرة في عصرهم . ولقد كان الكردينال بطروه غونزاليس مندوزه هو الذي أغرى أكثر من الجميع بقتال مملكة غرناطة ا ه . ولنذكر الآن ما جاء في معجم البلدان عن طليطلة قال : طليطلة ، هكذا ضبطه الحميدى . بضم الطائين ، وفتح اللام ، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية مدينة كبيرة ذات خصائص محودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة ، وهى غربى ثغر الروم ، وبين الجوف^(١) والشرق من قرطبة . وكانت قاعدة ملوك القوطيين ، وموضع قرارهم ، وهى على شاطئ نهر تاجه ، وعليه القنطرة التى يعجز الواصف عن وصفها . وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف . قال : وبالقرب منها موضع يقال له جنان الورد ، فيه أجساد أهل الكهف لا تبلى إلى الآن ، والله أعلم . وقد قيل فيهم غير ذلك ، كما ذكر في الرقيم ، وهى من أجل المدن قدراً ، وأعظمها خطراً . ومن خاصيتها أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير ، وزعفرانها هو الغاية في الجودة . وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس وما زالت في أيدي المسلمين منذ أيام الفتح إلى أن ملكها الافرنج في سنة ٤٧٧^(٢)

كان أمرها في زمن العرب معلوماً وسيرى القارىء من كثرة عدد من خرج منها من العلماء والادباء درجة رقيها العلمى في الدور العربى . ولما عاد الاسبانيول إليها وردوها عاصمة لهم لم تبلغ الدرجة التى كانت عليها لعهد العرب لأن مدينة العرب كانت بلاجدال أرقى جداً من مدينة الاسبانيول . إلا أنه في القرن الخامس عشر بنى الاسبانيول فيها مدرسة جامعة وظهرت فيها نهضة علمية وتحولت قصور عبد الله بن موسى أحد امراء طليطلة لعهد العرب معاهد للتدريس ولكن انتقال الحكومة إلى مجريط رد طليطلة إلى الدرجة الثانية بل الثالثة من جهة العلم والتعليم

- (١) يستعمل باقوت الحموى هنا لفظة الجوف بمعنى الشمال على نسق المغاربة
- (٢) روى بعضهم أن استيلاء الفرنج على طليطلة وقع في سنة ٤٧٥ وروى آخرون أنه وقع سنة ٤٧٧ وروى آخرون أنه في سنة ٤٧٨ وهى أصح الروايات وأما بالتاريخ المسيحى فدخول الاذفونش السادس إلى طليطلة فاتحاً كان في ٢٥ مايو عام ١٠٨٥

وكان الذى سلمها اليهم يحيى بن يحيى بن ذى النون ، الملقب بالقادر بالله ، وهى الآن فى أيديهم (إلى أن قال) : ينسب اليها جماعة من العلماء ، منهم أبو عبدالله الطليطلى روى كتاب مسلم بن الحجاج ، توفى يوم الأربعاء الثانى عشر من صفر سنة ٤٥٨ وعيسى بن دينار بن واقد الفافقى الطليطلى ، سكن قرطبة ، ورحل ، وسمع من أبى القاسم ، وصحبه ، ووعول عليه ، وانصرف إلى الأندلس ، فكانت الفتيا تدور عليه ، لا يتقدمه فى وقته أحد . قال ابن الفرضى : قال يحيى بن مالك بن عائد : سمعت محمد بن عبد الملك بن أيمن يقول : كان عيسى بن دينار عالماً متفتناً ، وهو الذى علم المسائل أهل عصرنا .

وكان ألقه من يحيى بن يحيى ، على جلالة قدر يحيى . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعلمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى ابن يحيى . وتوفى سنة ٢١٢ بطليطلة ، وقبره بها معروف . ومحمد بن عبدالله بن عيشون الطليطلى أبو عبدالله ، كان فقيهاً ، وله مختصر فى الفقه ، وكتاب فى توجيه حديث الموطأ ، وسمع كثيراً من الحديث ، ورواه . وله إلى المشرق رحلة ، سمع فيها من جماعة ، وتوفى بطليطلة اتسع لياح خلون من صفر سنة ٣٤١ هـ كلام ياقوت ولما تغلب الاسبانيول على ضيطة اهتر لذلك الاسلام ، وأدرك العقلاء سوء المصير ، لأن ذهاب هذه القاعدة من أيدي المسلمين ، وهى فى وسط أسبانية ، كان مقدمة حوادث كبار توقعوها ، ولم يخطئوا فى حسابهم لها . وقد كانت وقعة الزلاقة فى السنة التالية ، وهى اتى أجاز فيها يوسف بن تاتفين إلى الأندلس اصراً لمسلميها هى نتيجة سقوط طليطلة فى أيدي النصارى . وبالرغم من كون ابن تاشفين أحرز فى وقعة الزلاقة نصراً عزيزاً ، وفتحاً مبيناً ، وخضد شوكة الاسبانيول فى ذلك اليوم ، فانه لم يتمكن من استرداد طليطلة ، وبقيت العلة فى محلها ، وإنما تأخر انحلال دولة الاسلام فى الأندلس بواسطة المرابطين ، ثم بواسطة الموحدىن نحواً من ثلاثمائة سنة

ولنذكر هنا مرثية قيلت لدى سقوط طليطلة ، وحتى الآن لم نعرف اسم قائلها ، ونحن ننقلها عن نفع الطيب كما هي . وهي هذه :

لِشُكْلِكَ كَيْفَ تَبْتَسِمُ الثُّغُورُ
أَمَّا وَأَبِي مُصَابٌ هُدًى مِنْهُ
لَقَدْ قُصِمَتْ ظُهُورٌ حِينَ قَالُوا :
تُرَى فِي الدَّهْرِ مَسْرُورًا بَعِيثُ ؟
أَلَيْسَ بِنَا أَبِي النَّفْسِ شَهْمٌ
لَقَدْ خَضَعَتْ رِقَابٌ كُنَّ غُلْبًا
وَهَاتَ عَلَى عَزِيزِ الْقَوْمِ ذُلٌ
طَلَيْطَلَةٌ أَبَاحَ الْكُفْرُ مِنْهَا
فَلَيْسَ مِثَالَهَا إِيوَانُ كِسْرَى
مَحْصَنَةٌ مَحْصَنَةٌ بَعِيدٌ
أَلَمْ تَكُ مَعْقَلًا لِلدِّينِ صَعْبًا
وَأَخْرَجَ أَهْلَهَا مِنْهَا جَمِيعًا
وَكَانَتْ دَارَ إِيمَانٍ وَعِلْمٍ
فَعَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً
مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ أَيُّ قَلْبٍ
فِيَا أَسْفَاهُ ! أَسْفَاهُ ! حُزْنَا
وَيُنْشَرُ كُلُّ حُسْنٍ لَيْسَ يُطَوَى
أَدِيلَتْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ كَانَتْ
وَأَدْرَكَهَا فُتُورٌ فِي انْتِظَارِ

سُرُورًا بَعْدَ مَا بَدَسَتْ فُتُورُ ؟ !
تَبِيرُ الدِّينِ ، فَاتَّصَلَ الثُّبُورُ
أَمِيرُ الْكَافِرِينَ لَهُ ظُهُورُ
مَضَى عَنَّا لِطَيْتِهِ الشَّرُورُ !
يُدِيرُ عَلَى الدَّوَائِرِ إِذْ تَدُورُ ؟ !
وَزَالَ عُتُوهَا وَمَضَى النُّفُورُ
وَسَامَحَ فِي الْحَرِيمِ قَتَى غَيُورُ
حِمَاهَا ! إِنْ ذَا نَبَأٌ كَبِيرُ !
وَلَا مِنْهَا الْخَوْرَتُقُ وَالسَّدِيرُ
تَنَاوَلَهَا ، وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ
فَذَلَلَهُ كَمَا شَاءَ الْقَدِيرُ
فَصَارُوا حَيْثُ شَاءَ بِهِمْ مَعِيرُ
مَعَالِمُهَا الَّتِي طُمِسَتْ تُنِيرُ
قَدْ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِهَا الْأُمُورُ
عَلَى هَذَا يَقْرَأُ وَلَا يَطِيرُ ؟ !
يُكْرَرُ مَا تَكَرَّرَتْ الدُّهُورُ
إِلَى يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ النُّشُورُ
مَصُونَاتٍ مَسَاكِنُهَا الْقُصُورُ
لِسِرْبٍ فِي لَوَاحِظِهِ فُتُورُ

وكان بنا وبالقينات أولى
 لقد سخنت بحالتين عين
 لن غبنا عن الإخوان إنا
 ندور كان للأيام فيهم
 فإن قلنا العقوبة أدر كتهم
 فإننا مثلهم وأشد منهم
 أنامن أن يحل بنا انتقام
 وأكل للحرام ولا اضطرار
 ولكن جرة في عقر دار
 يزول السر عن قوم إذا ما
 يطول على ليلى ، رب خطب
 خذوا ثار الديانة وانصروها
 ولا تهنؤا وسأوا كل غضب
 وموتوا كلكم فاموت أولى
 أصبرا بعد سبي وامتحان
 فأم الصبر مذكور ولود
 نخور إذا دهبنا بالرزايا
 ونجبن ليس نزار ، لو شجعنا
 لقد ساءت بنا الأخبار حتى
 أتتنا الكتب فيها كل شر
 وقيل تجتمعوا لفرق شمل

لو انضمت على الكل القبور
 وكيف يصح مغلوب قرير
 بأحزان وأشجان حضور
 بملكهم فقد وقت الذور
 وجاءهم من الله النكير
 نجور ، وكيف يسلم من يجور
 وفينا الفسق أجمع والفجور
 إليه ، فيسهل الأمر العسير
 كذلك يفعل الكلب العقور
 على العصيان أرخيت الشور
 يطول لهوله الليل القصير
 فقد حامت على القتلى النشور
 تهاب مضاربا عنه النحور
 بكم ، من أن تجاروا أو تجوروا
 يلام عليهما القلب الصبور
 وأم الصقر مقلات نزور
 وليس بمعجب بقر تخور
 ولم نجبن لكان لنا زير
 أمات الخبيرين بها الخبير
 وبشرنا بأحسينا البشير
 طليطة تملكها الكفور

قُلْ فِي خُطَّةٍ فِيهَا صَفَارٌ يَشِيبُ لِكُرْبِهَا الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
 لَقَدْ صَمَّ السَّمِيعُ فَلَمْ يُعَوَّلْ عَلَى نَبَأِ كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ
 تُجَادِبُنَا الْأَعَادِي بِاصْطِنَاعٍ فَيَنْجَذِبُ الْمُمُولُ وَالْفَقِيرُ
 فَبَاقٍ فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خِزْيِ تَشْبِطُهُ الشَّوْهِةُ وَالْبَعِيرُ
 وَآخِرُ مَارِقٍ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ دِينِهِ فَلَهُ السَّعِيرُ
 كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا إِلَى أَيْنَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ؟
 أَذَرْنَاكَ دُورَنَا وَنَفَرْنَا عَنْهَا؟ وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورُ
 وَلَا نَمَّ الضِّيَاعُ تَرُوقُ حُسْنًا نُبَاكِرُهَا فَيُعْجِبُنَا الْبُكُورُ
 وَظِلٌّ وَارِفٌ وَخَرِيرُ مَاءٍ فَلَا قُرَىٰ هُنَاكَ وَلَا حَرُورُ
 وَيُؤْكَلُ مِنْ فَوَاكِهَهَا طَرِيٌّ وَيُشْرَبُ مِنْ جَدَاوِلِهَا نَمِيرُ
 يُوَدَّى مُغْرَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَيُؤْخَذُ كُلُّ صَائِفَةٍ عُشُورُ
 فَهُمْ أَحْمَىٰ لِحَوَزَتِنَا وَأُولَىٰ بِنَا ، وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْعَشِيرُ
 لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ وَغَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ
 فَلَا دِينَ وَلَا دُنْيَا وَلَكِنْ غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَا غُرُورُ
 رَضُوا بِالرِّقِّ ، يَا لَللَّهِ ! مَاذَا رَأَىٰ وَمَا أَتَارَ بِهِ مُشِيرُ؟
 مَضَىٰ الْإِسْلَامُ فَبِكَ دَمًا عَلَيْهِ ! فَمَا يَنْفِي الْجَوَىٰ الدَّمْعُ الْغَزِيرُ
 وَنُحْ وَانْدُبْ رِفَاقًا فِي فَلَاحٍ حَيَارَىٰ لَا تَحُطُّ وَلَا تَسِيرُ
 وَلَا تَجْتَنِعْ إِلَىٰ سَلْمٍ وَحَارِبٍ عَسَىٰ أَنْ يُجَبَّرَ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ
 أَنْعَمَىٰ عَنِ مَرَاشِدِنَا جَمِيعًا وَمَا إِنْ مِنْهُمْ إِلَّا بَصِيرُ؟ !
 وَنَلَقَىٰ وَاحِدًا وَيَفْرُ جَمْعٌ كَمَا عَنْ قَانِصٍ فَرَّتْ حَمِيرُ !
 وَلَوْ أَنَا ثَبَّتْنَا كَانَتْ خَيْرًا وَلَكِنْ مَالَنَا كَرَمٌ وَخَيْرُ
 (٢٩ - ج أول)

إذا ما لم يكن صَبْرٌ جَمِيلٌ فليسَ بِنافعٍ عَدَدٌ كَثِيرٌ
 أَلَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ أَصِيلٌ بِهِ مِمَّا نَحَاذِرُ نَسْتَجِيرُ!
 يَكُرُّ إِذَا السَّيْفُ تَنَاوَلْتَهُ وَأَيْنَ بِنَا إِذَا وَلَّتْ كُرُورُ؟
 وَطَمَنٌ بِالْقَنَا الخَطَّارِ حَتَّى يَقُولُ الرَّمْحُ : مَا هَذَا الخَطِيرُ؟
 عَظِيمٌ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ طُرًّا بِأَنْدُسٍ : قَتِيلٌ ، أَوْ أُسِيرٌ
 أَذْكَرُ بِالْقِرَاعِ اللَّيْثِ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَقْرَعَ البَيْضَ الذِّكُورُ
 يِبَادِرُ خَرَقَهَا قَبْلَ اتِّسَاعِ لِخَطْبِ مِنْهُ تَخْصِيفِ البُدُورِ
 يُوسِّعُ لِلَّذِي يَلْقَاهُ سَدْرًا فَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا تَلْقَى صُدُورُ
 تَنَفَّصَتِ الحَيَاةُ فَلَا حَيَاةُ وَوَدَّعَ حَيْرَةً إِذْ لَا مُجِيرُ
 قَالِيلٌ فِيهِ هَمٌّ مُسْتَكِينٌ وَيَوْمٌ فِيهِ شَرٌّ مُسْتَطِيرُ
 وَنَرْجُو أَنْ يُتِيحَ اللهُ نَصْرًا عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ نِعْمَ النَّصِيرُ!

ويقال في قضية أخذ الأسيانيول لطيطلة النكتة الآتية : كان الأذفونش السادس
 قد فر من وجه أخيه شانجه ، فالتجأ إلى ابن ذي النون ملك طليطلة ، فسمح له بالإقامة
 عنده ، ولم يكن من عادة العرب أن يستنكفوا في وقت من الأوقات من إيواء الدخيل .
 وكان المسلمون أنفسهم إذا حزب الواحد منهم أمر يذهب زيبلا عند أحد ملوك النصارى ،
 وهم التجأ فيما بعد مسلمون من غرناطة إلى اشبيلية ، ونصارى من اشبيلية إلى غرناطة
 فلأمون ابن ذي النون تلقى الأذفونش أو انشد برأ وترحيباً ، واثتلف الضيف والمضيف
 وكانا يتدهبان معاً إلى الصيد ، وكانت أرض طليطلة شجراً ، أكثر جداً مما هي اليوم
 فبينما ذات يوم المأمون والأذفونش في إحدى الجنان بجوار طليطلة ، أدركت القائلة
 الأذفونش ، فاضطجع في ظل شجرة ، وجلس المأمون يتحدث إلى أصحابه على مقربة
 منه ، فبينما هم في الحديث ، عن لهم موضوع طليطلة وما هي عليه من المنفعة الطبيعية ،

على شفير ذلك الوادى العميق . فأجمع من حضر من أهل النظر على أن طليطلة لا تؤخذ ولا ينال منها مرام . فأنبرى أحد الذين كانوا فى ذلك المجلس ، وخالف رأى الجماعة ، وقال إنه يكفى لتذليل طليطلة ، أن يعمد العدو إلى ضواحيها فيجتاحتها ، ويقطع الميرة عن أهلها ، فيضطروا إلى التسليم . فان لم يمكن أخذ طليطلة بالسيف فيمكن جداً أخذها بالجوع .

وكان الأذفونش بين النائم والواعى . فلما سمع الحديث عن أخذ طليطلة ، أصغى إليه ، وتنبه له ، ووعى كل ماسمعه . ولكنّه أسرّها فى نفسه ، ولم يشعر القوم بأنه سمع مما قيل شيئاً . ثم إنه لما جلس على عرش قشتالة تذكر ذلك المجلس ، وعمل برأى من قال إن طليطلة قد تؤخذ بالحصر والجوع .

ويظهر من هنا أن الأذفونش لم يكن يجهل العربية ، لأن ابن ذى النون وجماعته إنما تكلموا فى تلك القائلة بالعربية ، لا بالاسبانيولية . فلو لم يكن الأذفونش عارفاً بالعربية لما فهم الحديث .

والخلاصة أنه حاصر طليطلة عدة سنوات وعاث فى نواحيها ، وقطع الميرة التى كانت تأتيها من ضواحيها ، وما زال يجوع أهلها حتى أخذها فى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ كما تقدم

وقيل ، وهو الأرجح ، إنه استولى على تلك البلدة بدون عناء كبير ، بل بأقنائه القادر بن المأمون بن ذى النون بأنه يكون خيراً له لو ذهب إلى بلنسية ، وملاك فيها وهى فى محبوحة من الاسلام ، وترك له طليطلة الواقعة دائماً فى حلق العدو .

وقد أجمع المؤرخون على سوء تدبير القادر بن ذى النون ، وأنه لم يكن كفوّاً لعروس مثل طليطلة ، فكان وجوده فيها السبب فى ذهابها من يد الاسلام . وكان ذلك نبأ كبيراً ، كما جاء فى مرثية طليطلة ، لان القشتاليين أخذوا بعدها بمخنق الاسلام وبركوا على قلبه فى جزيرة الأندلس ، وصار بعدها ثغرهُ مُعوراً وأمرهُ مديراً .

وأصل بنى ذى النون من البربر الذين كانوا فى خدمة الدولة العامرية . وروى

ابن عذارى أن اسم جدّهم لم يكن « ذا النون » ، وإنما كان « زنون » ، وهو اسم من أسماء البربر فتصحف بطول المدة ، وصار « ذا النون » بالذال .
قال : ولم يكن لهؤلاء القوم نباهة قديمة ، ولا ذكر إلا في دولة ابن أبي عامر ، فانهم تقدموا في دولته واشتهروا ، فكان منهم من يقود الجيوش ، ويلى الأعمال والبلاد . وكان منهم في آخر أمد الجاعة وال بكورة « شنت بريه » ، فلما وقعت الفتنة بالأندلس كان الوالى بمدينة طليطلة وذواتها عبد الرحمن بن منبوه ، وأدركته منيته في خلال ذلك ، فورث نظره عبد الملك بن عبد الرحمن بن منبوه ، فأساء السيرة بالرعية . وكان أهل طليطلة على قديم الدهر أهل فتنة وقيام على الملوك ، فلم يرضوا سيرة هذا الفتى فخلعوه ، وولوا على أنفسهم من ينظر في أمرهم . ثم إنهم تقموا عليه شيئاً فمزلوه وولوا غيره ، ثم خلعوه . ثم رأوا أن يرسلوا إلى ابن ذى النون بشنت بريه ، فوجه إليهم ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون . فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة و بلادها ، فساس أهل مملكته السياسة الحسنة

وكان أكبر أهل طليطلة رجلاً يسمى أبا بكر بن الحديدى ، وكان شيخها ، والمنظور اليه بها من أهل العلم ، والعقل والدهاء ، وحسن النظر في صلاح البلد . وكانت العامة تمضده ، وتقوم دونه ، فكان هذا الفتى اسماعيل بن ذى النون لا يقطع أمراً دونه ، ويشاوره في مهات أموره ، فحسده قوم من أهل طليطلة على منزلته عند أميرهم ، فناقشوه وعادوه ، وحضرت منية اسماعيل بن ذى النون ، فولى بعده ابنه يحيى بن اسماعيل الملقب بالمأمون ، ولما ملك يحيى بن ذى النون طليطلة جرى على سيرة أبيه في استعمال قانون العدل ، وجرى مع بن الحديدى على سنن أبيه ، فاستقامت طاعته ، وضحخم ملكه . انتهى . قلنا ولم يكن القادر بن المأمون على شيء مما كان عليه أبوه فلذلك أضاع تلك البلدة العذراء ، والخطة الغراء ، وأى ملك أضاع !
وأى ثغر مكن منه عدو الاسلام ، فتمكن بقدر ما استطاع ؟ !

ولنذكر هنا ملخصاً ما قاله المستشرق لاوى بروفتسال فى الانسيكلوبيديّة

الاسلامية قال : توليدو ، وبالعربي طليطلة ، مدينة في اسبانية ، موقعها في وسط الجزيرة الايبيرية على مسافة ٩١ كيلومتراً إلى الجنوب ، والجنوب الغربي من مجريط وارتفاعها عن سطح البحر ٥٦٨ متراً ، وهي على أكمة من الصخر ، يحيط بها نهر تاجه من الجهات الثلاث ، جاريا في واد عميق ، يسقى حفافيه إلى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، بقعة بديعة مريمة ، ومن بعدها ترى بسائط قشتالة الجرداء . وليس في طليطلة اليوم أكثر من ٢٥ ألف نسمة من السكان ، إلا أنها لا تزال مركز ولاية ، ولا يزال فيها كرسى الأسقف الأعظم برماط اسبانية . وأما موقعها فلا يضاويه موقع في العظمة .

وقد ذكرها جغرافيو العرب فأطالوا ، وقصروا ، وجعلها الشريف الإدريسي من إقليم الشارات ، وفي زمانه كانت طليطلة انتقلت إلى أيدي الاسبانيول ، وإنما نوه الإدريسي بمنعة موقعها ، وبحصانة أسوارها ، وبالتفاف جناها التي تجري فيها قتي الماء المرفوع بالنواعير .

ومن أطرى طليطلة أبو الفداء الذي ذكر بساينها ، وقال إنه يوجد فيها رمان ذو حجم غير معهود . وقال ياقوت الحموي : إن الخنطة التي تنبتها بقعة طليطلة تبقى سبعين سنة ولا تتعفن ، وإن زعفرانها هو بفاية الجودة . وقد ذكر طليطلة المؤرخ الروماني تيتليف وسماها « توليته » وقال : إن الرومانيين استولوا عليها بصعوبة سنة ١٩٣ ق . م . وذلك في زمن فولفيوس Fulvius ، وكانت مدينة زاهرة لعهد الرومان وصار لها شأن عظيم بعد انتشار النصرانية . وفي سنة أربع مائة للمسيح انعقد فيها مجمع أساقفة حضره ١٩ أسقفا ، وفي سنة ٤١٨ استولى عليها القوط ، وجعلوها حاضرة ملكهم . وفي سنة ٥٦٧ استقر بها « أتانا جلد » ملك القوط ، ولما تنصر ريكاريدي سنة ٥٨٧ عظم شأنها ، وصارت عاصمة الكتلكتة في اسبانية . وفي طليطلة كان لنديق ملك اسبانية ، ويتحدثون أنه فيها شاهد فلورنדה ابنة الكونت يوليان صاحب سبته تفتسل في الجمام ، الذي يقال له حمام الكهف ، فقام بها ، ولما فتح طليطلة طارق بن

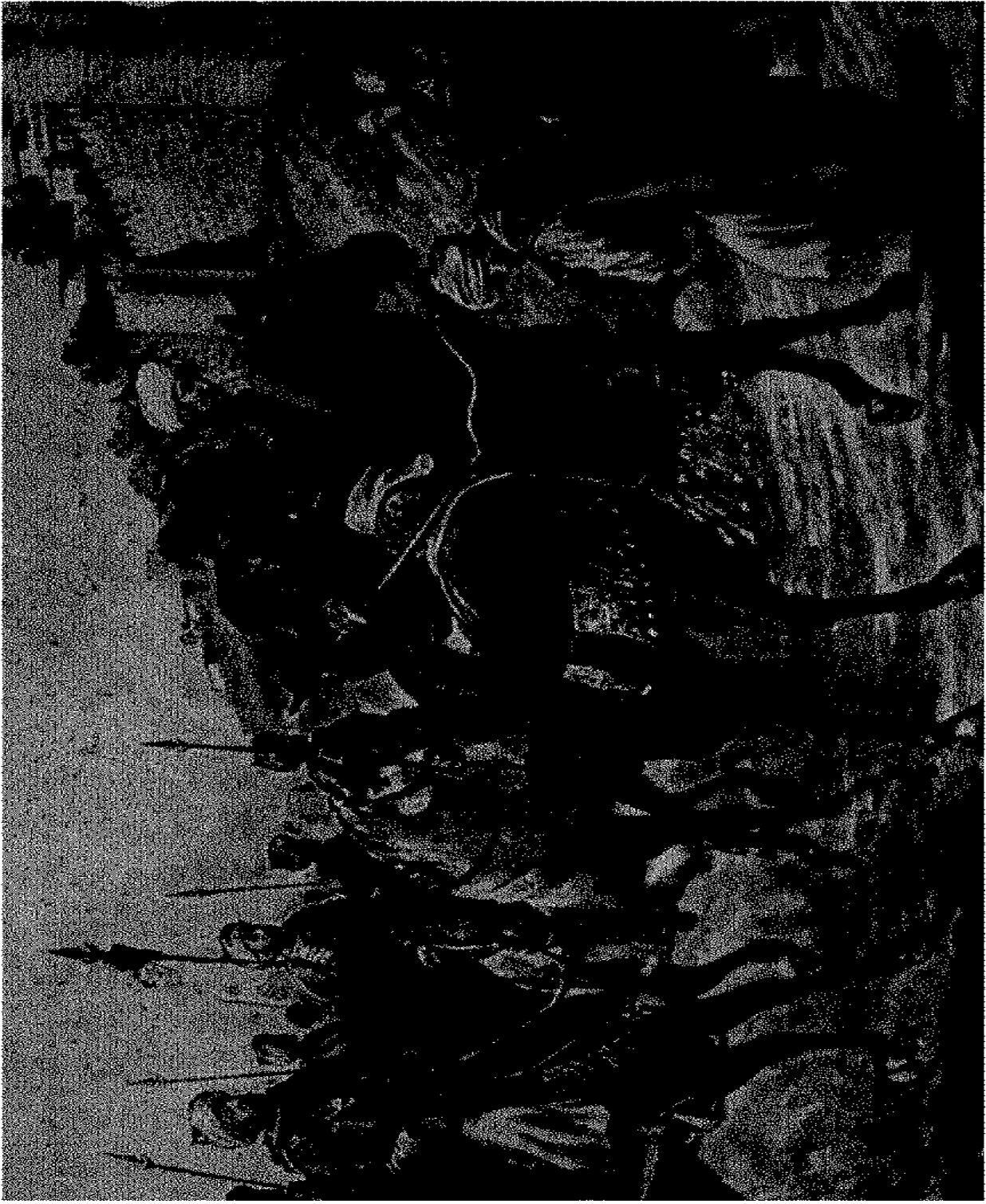
زياد سنة ٩٢ للهجرة ، او ٧١٤ للميلاد ، كانت تقريباً حاوية على عروشها ، ولم يكن فيها غير نزر من اليهود ، ضمهم طارق إلى جيشه . ثم وافاه الجيش الذي كان سرحه لأخذ غرناطة ومرسية . وفي طليطلة جعل مؤرخو العرب ملتقى طارق مع موسى ابن نصير سيده ، ولكن موسى لم يترث في طليطلة ، بل ساق منها إلى الشمال قاصداً سرقسطة . وجميع من كتبوا من العرب عن الأندلس ينقلون الأخبار التي كانت شائعة ، والتي هي أشبه بالأساطير منها بالحقائق عن الكنوز والأموال التي وجدها العرب في طليطلة عند ما فتحوها ، وأشهر هذه الأخبار قصة « البيت المغلق في طليطلة » وقد بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً المسيو « ريني باسه » René Basset في رسالة ألفها سنة ١٨٩٨ .

ويدور ذكر طليطلة كثيراً في كتب العرب ، ولا سيما من بعد استقرار دولة بني أمية في قرطبة ، فان طليطلة لم تكن تطيع قرطبة ، وأصبحت مركز عصيان دائم على الدولة ، ومما لا شك فيه أن السواد الأعظم من أهلها بعد استيلاء الاسلام عليها لم يتركوا الديانة الكاثوليكية برغم استعراهم ، وأهم كانوا لا يطيقون حكم المسلمين برغم شدة تسامح هؤلاء ، فكانوا لا يدعون فرصة تمر ، ولا غرة تلوح ، حتى يطغوا ويتمردوا

وفي طليطلة وجدت التورة البربرية التي وقعت سنة ١٢٢ للهجرة أعظم أنصارها وبجانب طليطلة كانت واقعة وادي السليط التي استأصل فيها جيش قرطبة دابر ثوار طليطلة .

ثم الى طليطلة هذه انهزم يوسف الفهرى من وجه عبد الرحمن الداخل ، وبقى متمتماً بها حتى قتل^(١) سنة ١٤٢ ، ومن زمن عبد الرحمن الداخل إلى زمن عبد الرحمن

(١) بعد أن تمت الغلبة لعبد الرحمن الداخل على يوسف الفهرى في خبر سنأق على تفصيله في قسم التاريخ إن شاء الله ، فر يوسف إلى « فريش » ثم إلى « فخص البلوط » كما جاء في كتاب « اخبار مجموعة » أقدم تاريخ عربى للأندلس ، ثم واقع بحجة طليطلة



ملاقة موسى بن نصير مع طارق بن زياد بأرض طليطلة

الناصر لم تقترب طليطلة يوماً واحداً عن المقاومة ، وفي سنة ١٤٧١ ثار فيها هشام بن عذرة فرماه عبد الرحمن باثنين من قواده : بدر وتمام بن علقمة اللذين حصرا المدينة (١) ،

يريد بن عروة ، ليأمن عنده ، وهو إلى طليطلة على عشرة أميال ، فر بعد الله بن عمر الانصارى . وهو بقرية من قرى طليطلة ، فقبل له : هذا يوسف منهزماً . فقال لأصحابه : ويحكم ! اخرجوا بنا نقتله ، ونزيح الدنيا منه ، ونزيحه من الدنيا ، ونزيح الناس من شره ، فقد صار رجلاً ناجساً للحرب . فخرج حتى لحقه ، وليس بينه وبين مدينة طليطلة إلا أربعة أميال ، وليس معه إلا سابق الفارسي ، مولى لبني تميم ، ومن يحمله يقول مولى يوسف . وبقيته بسرقسطة ، ووصيف واحد فقط ، وقد ماتوا من شدة الركض ، وليس معهم منعة ولا مدفع ، فقتل عبد الله يوسف الفهرى ، وقتل سابق ، وهرب الغلام حتى دخل طليطلة . ثم أقبل عبد الله بن عمر برأس يوسف ، فلما بلغ ابن معاوية (أى عبد الرحمن الداخل) إقبال عبد الله بن عمر برأس يوسف أمر بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف المكنى بأبي زيد ، وكان عليه حرذاً لما صنع بعياله ، ثم أخرج رأسه إلى رأس أبيه . اه قلنا ظاهر من هذا النص ، وصاحبه أدري بالحقيقة لأنه أقرب عهداً بالحوادث المذكورة ، ان يوسف الفهرى لم يكن دخل طليطلة ، وإنما كان قاصداً دخولها يوم قتله عبد الله بن عمر الانصارى

(١) الذى فى « أخبار مجموعة » هو هشام بن عروة الفهرى ، لاهشام بن عذرة ؟ ولا نعلم هل التصحيف فى كلام أخبار مجموعة أو فى كلام لاوى بروفنسال ؟ وقال فى « أخبار مجموعة » إنه كان مع هشام فى الثورة حياة بن الوليد التجيبى والعمري من ولد عمر بن الخطاب رحمه الله فخرج إليه الامير عبد الرحمن إلى طليطلة لخاصره فيها فلما عضته الحرب ، وناله الحصار ، دعا إلى الصالح وأعطى ولده رهينة ، ورجع عنه الأمير . فلما انصرف عنه خلع أيضا ، وعاد إلى نفاقه ، فعزاه الأمير السنة الثانية ، فنزل به وحاربه ودعاه إلى الرجوع فصبر ، فلما يئس منه أمر بابنه الرهينة فضربت عنقه ، ثم جعل الرأس فى المنجنيق ورمى به إليه فسقط فى المدينة . ورجع عنه ذلك العام (إلى أن يقول) ثم رجع الأمير ، وبعث بعد ذلك بدرأ مولاة ، وتمام بن علقمة إلى طليطلة فحاصر هشام بن عروة ، وقطع الأمير البعوث على الأجناد ، وجعلها بينهم دولا فى كل ستة أشهر . فاذا انقضت دولة نذب أخرى ، حتى مل أهل المدينة الحصار ، واستثقلوا الحرب ، وكانهم مع ذلك تمام وبدر ، فاسلبوا هشاماً والعمري وحياة (إلى أن يقول) ثم أمر بهم الأمير فقتلوا وصلبوا

ولما تولى هشام الاول ونازعه أخوه سليمان، ذهب هذا إلى طليطلة، والتزم الامير هشام أنه يذهب ويحاصر طليطلة، وبعد حصار شهرين رجع عنها خائباً. وسنة ١٨١ تولى الحكم بن هشام فثارت عليه أيضاً طليطلة بقيادة رجل اسمه عبيدة بن حميد، وكان أكثر من يغري أهل طليطلة بالثورة شاعرهم غريب، الذي كانوا يحبونه^(١) حباً جماً، فولي الامير الحكم على طليطلة مولداً أصله من وشقه، اسمه عمروس، وكان اتفق مع الامير أن يأخذ أهل طليطلة في شرك يوقعهم فيه، وذلك انه دعاهم وقتلهم جميعاً، في الواقعة المسماة بواقعة الحفرة^(٢) (سنة ١٩١) ولكن لم يمض أكثر من عشر سنوات

(١) قال في النسخ: وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار من أهل طليطلة
 (٢) يقول دوزي المستشرق العظيم، أشهر أوربي كتب على الاندلس، إن طليطلة كان فيها من الاسبانيول المستعربة أكثر مما فيها من العرب والبربر الذين كانوا ينتشرين في قراها. فبسبب ذلك، وبسبب نفوذ كلبة القسيسين والأساقفة، كانت طليطلة مستعدة دائماً للانتفاض. وكان الاسبانيول لا يزالون ينظرون إليها نظرم إلى عاصمة لهم في الدين والدنيا، وأهل طليطلة بفطرتهم مترعون إلى الثورة لا يضاهيهم في ذلك قبيل، وكان عندهم شاعر اسمه غريب من عائلة اسبانيولية مسلمة يغريهم بالانتفاض أبداً. وكان أمير الاندلس يحسب الحساب لغريب، ولم يقدم على شيء بحق طليطلة ما دام غريب حياً، ولكن بعد موت غريب استدعى الأمير اسبانيوليا مسلماً من وشقة اسمه عمروس وقال له: انه لا يوجد غيرك من يقدر أن يريحني من أهل طليطلة الذين لا يرضون عليهم والياً عربياً، فلذلك أنا اخترتك والياً عليهم لأنهم من جنسك. ثم أسره اليه رأيه في الاقتصاص منهم فوافقه عمروس عليه لما كان من شدة طمعه ورغبته في ارضاء الأمير، ثم كتب الأمير إلى أهل طليطلة كتاباً يقول لهم فيه إنه نزولا عند رغبتهم اختار لهم والياً من جنسهم

وما وصل عمروس الى طليطلة حتى بدأ بإعمال الخيلة حتى ينال ثقة الطليطليين التامة، وأخذ يتظاهر بالمصيبة للجنس الاسبانيولي، ويبدى في الأحايين بغضاه لبني أمية وللعرب على الاطلاق، ثم قال للطليطليين ان سبب العداوة بينكم وبين السلطان هو وضع الجنود في بيوتكم، وتثقيلم عليكم باصناف المغارم فن هناك كانت تنشأ أسباب الخصام فإذا ساعدتموني في بناء حصن لا يواء هذه الجنود في طرف البلدة تكونون

على هذه الواقعة حتى ثارت طليطلة مرة أخرى ، وذلك سنة ١٩٩ فزحف اليها الأمير الحكم بنفسه ، ودخل البلدة ، وأحرق الجانب الأعلى منها ، ثم في سنة ٢١٤ وفق

كفيتم أنفسكم مؤونة هذه المشاجرات . ولما كان الطليطيون قد أولوا عمروس مزيد ثقتهم رضوا باقتراحه هذا بل آثروا أن يكون هذا الحصن في وسط البلدة بدلا من أن يكون على طرف منها . ولما انتهى بناء الحصن أعلم عمروس السلطان بأنه قد أتم بناء الحصن وانتقل اليه بجنوده . فأسرع السلطان بإعلام أحد القواد الذين يرابطون في الثغور بأن يكتب اليه عن حركة بدت من جهة العدو ، وذلك حيلة منه حتى يتمكن من ارسال الجنود الى طليطلة . فلما وصل كتاب القائد أمر السلطان بزحف الجيوش على رأسها ثلاثة من وزرائه بمعية ابنه الأمير عبد الرحمن ، ولم يكن بلغ من العمر اكثر من ١٤ سنة ، فوصلت الجيوش الى ضواحي طليطلة فإشار عمروس الى أعيان الطليطليين بالسلام على الأمير ففعلوا وقابلهم الأمير بالحفاوة الزائدة ورجعوا مسرورين فقال لهم عمروس : تقتضى المصلحة ان ندعو الأمير ليقم بين أظهرنا عدة أيام ، فان هذا الأمير سيكون هو الملك في المستقبل ، وانه يحسن أن تكون علاقات الطليطليين به وثيقة فاستحسن القوم رأي عمروس ، وأقبلوا على الأمير يدعونه ليقم عندهم أياماً فأجاب دعوتهم بعد أن اعتذر ثم لما حصل المقصود أمر الامير بدعوة أهالي طليطلة وضواحيها الى طعام فكتبوا الى جميع الأعيان والوجوه واقبلوا زرافات في الميعاد المعين ، فلم يأذنوا لهم في الدخول إلا واحداً واحداً فكان الواحد يدخل من باب ويرسل فرسه مع تابعه لا تنظاره أمام الباب الآخر . وكان عمروس أمر بحفر حفرة في دار الحصن أقام بجانبها عددا من الجلادين فعندما يصل الواحد من أعيان طليطلة الى جانب الحفرة يتلقونه بالسيوف ويلقونه فيها . ولم يعلم على التمام عدد الذين قتلوا في ذلك اليوم : فابن عذارى يقول سبعمائة والنويرى وابن القوطية يحملونهم خمسة آلاف . ولما صار الوقت ضحى قال أحد أطباء طليطلة لجماعة كانوا أمام باب القصر : ماذا تراه حصل بهؤلاء المدعوبين ؟ فقليل له : لعلمهم خرجوا من الباب الآخر . فقال لهم : كنت عند الباب الآخر فلم أجد احداً خرج . ثم نظر فرأى دخاناً يتصاعد فقال لهم : ليس هذا دخان الوليمة وإنما هو دخان أجساد قتلاكم . وبعد ذلك هدأت طليطلة مدة طويلة . اه وأما غريب الشاعر الطليطلي فقد قال عنه في « بغية الملمس » ما يلي : غريب (بكسر أوله) الطليطلي شاعر قديم مشهور الطريقة في الفضل والخير ومما يتداول الناس من شعره :

٨٢٩ ، ثارت طليطلة أيضاً بتحريرىض مولد اسمه هاشم الغراب ، فاستمرت الفتنة سنتين إلى أن سكنت . وفي زمن عبد الرحمن الثانى ثارت أيضاً فأرسل إليها جيشاً بقيادة الأمير أمية ، وكان ذلك بعد الفتنة السابقة بخمس سنوات لاغير .

ثم في السنة التى بعدها حصر الامير طليطلة حصاراً استمر عدة أشهر ، ثم أخذها عنوة في عام ٢٢٢ ولم يرجع عنها حتى أخذ منها رهائن بقيت في قرطبة الى سنة ٢٣٨ ولكن في هذه السنة نفسها عند ولاية الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم رفعت طليطلة لواء العصيان ، وعزل أهلها الوالى العربى الذى عندهم وزحفوا بجيش هزم جيش الأمير محمد في اندوجر سنة ٢٣٩ ، ولما كانوا يتوقعون زحف الجيوش اليهم من قرطبة تحالفوا مع « أوردونوه » الأول ملك ليون الذى أمدهم بجيش من عنده ، ولكن الجيش الأموى تغلب عليهم وقتل منهم عشرين ألفاً .

وسنة ٢٤٤ قوّب الأمير محمد تحت جسر طليطلة بينا كتائب الجند فوق القنطرة ، فوقعت وهاكوا جميعاً ، فاضطر الطليطليون إلى الخضوع ، ولكن على صورة دفع جزية سنوية ، وتمتعهم باستقلالهم الداخلى .

وبقيت الحال على هذا المنوال إلى زمن الخليفة الناصر ، فلما انتهى من إخضاع

يهاب من المنية ما أهاب	يهددنى بمخلوق ضعيف
وليس إليه محيا ذى حياة	وليس إليه محيا ذى حياة
سيلغ حيث يباغى الكتاب	له أجل ، ولى أجل ، وكل
قريب ، أينا قبل المصاب	وما يدرى ، لعل الموت منه
إذا اكتاب الملوك ولا حجاب	لعمرك ما يرد الموت حصن
إلى ملك تذلل له الصعاب	لعمرك إن محياى وموتى
وتخضع من مهابة الرقاب	إلى ملك يدوخ كل ملك

فظاهر من شعر غريب أنه شاعر نائر صعب المقادة لا يهرب الملوك ولا يعرف فرقاً بين الملك والصعلوك وهو يذكّر ما يذكّر من استواء الجميع أمام الموت تهويناً للموت على الناس صنع كل داع إلى ثورة

جميع الثائرين أرسل إلى طليطلة جماعة من الفقهاء ، ليبلغ أهلها بأن استقلالهم الداخلي غير مقبول . فنصح الفقهاء لهم ، فذهب نصحهم بدون فائدة فزحف الخليفة إلى طليطلة بنفسه بجيش جرّار ، وخيم على الجبل المقابل لطليطلة ، وأصرّ وصمّم على أن لا يبرح مكانه حتى يفتحها .

ثم جعل يبنى في الحميم بالحجر ، وأقام سوقاً ، وسمّى الحميم مدينة الفتح . ودام الحصار إلى سنة ٣٢٠ ، وفق ٩٣٢ ، فاضطر الطليطليون إلى الاستسلام . وجعل فيها الناصر حامية أموية ، وصارت مركزاً للشعر الأوسط .

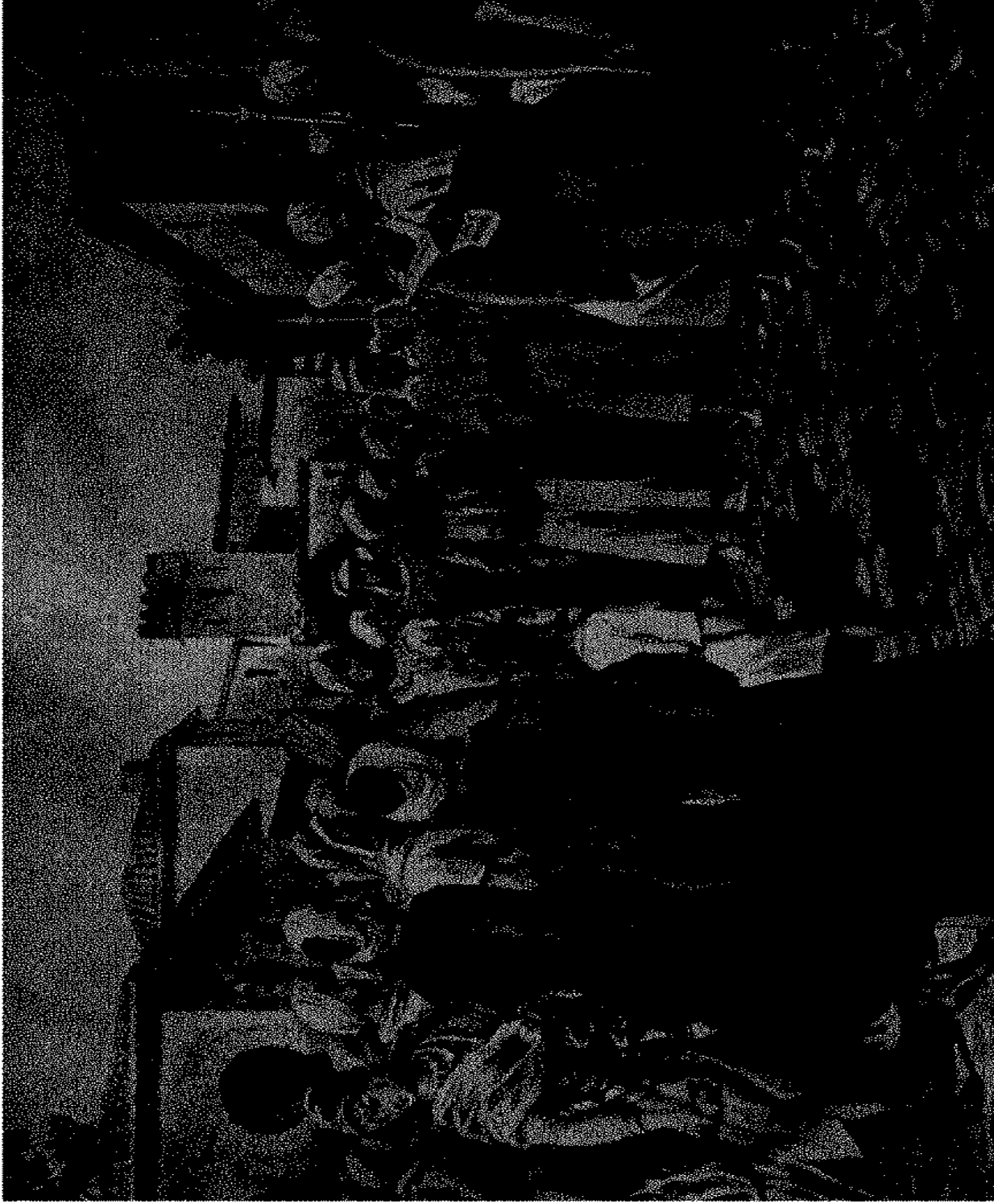
وكان والى طليطلة معدوداً من أكابر رجال الديوان ، فتولاها محمد بن عبد الله ابن حدير ، ثم القائد أحمد بن يعلى .

وفي زمن الحكم المستنصر بن الناصر تولاها غالب بن عبد الرحمن الناصري ، حو الحاجب المنصور بن أبي عامر

ولما نشبت في قرطبة الفتن التي أفضت إلى سقوط دولة بني أمية ، لم تستفد طليطلة من تلك الحوادث ، كما كانت تفعل قبل ذلك ، وكانت على مدة سنين مقرأ للقائد واضح ، وملجأً لمحمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولكن لما انقسمت الأندلس إلى ممالك صغيرة صارت طليطلة مملكة مستقلة يابها بنو ذى النون

وكان بنو ذى النون من زعماء البربر خدموا المنصور بن أبي عامر ، وكانوا في شنته بريّة^(١) . فلما سقطت الخلافة في قرطبة أرسل أهل طليطلة إلى عبد الرحمن ابن ذى النون يعرضون عليه ولاية بلدهم ، فأرسل إليهم ابنه اسماعيل ، فتولّى طليطلة وملحقاتها ، واعتمد على أحد أعيانها أبي بكر بن الحديدي . وذهب بعض مؤرخي العرب إلى أنه بعد سقوط الخلافة لم يكن ابن ذى النون أول أمير طليطلة ، بل سبقه ابن مسرة ، ومحمد بن يعيش الأسدي ، وولده أبو بكر يعيش . وذكروا أيضاً سعيد

(١) Santaver وهي من مقاطعة قونكة



نسيم طليطلة لعبد الرحمن الثاني سنة ٨٣٨ م

ابن شنظير ، وولده أحمد وعبد الرحمن بن منيوره وولده عبدالمالك . على أن بداية حكم ابن ذى النون كانت سنة ٤٢٧ وفق ١٠٣٥ إلى ١٠٣٦ ، فتلقّب ابن ذى النون بالظافر . وكانت وفاته سنة ٤٣٥ ، وخلفه ابنه يحيى ، وتلقّب بالمأمون . ولما مات يحيى سنة ٤٦٧ كانت الملكة الطليطلية قد عظمت واتسعت ، فخلفه حفيده يحيى بن اسماعيل بن يحيى ، الذى تلقّب بالقادر ، ولم يكن فى هذا شىء من حسن تدبير جده ولا من دهائه . فأخذت مملكة طليطلة بالأنحطاط ، وفارقه جميع حلفاء جده من أمراء الاسلام ، فانفرد وأحسّ بالضعف ، والتزم أن يلجأ إلى الأذفونش السادس صاحب قشتالة وليون ، فرضى الأذفونش بأن يحميه لكن على شرط أن يؤدى إليه إتاوة سنوية كان الأذفونش يزيدا سنة عن سنة . فاضطر القادر إلى أن يزيد الضرائب على أهل مملكته ، فثاروا به فتقبض على كثير من أعيانهم ، وأوقع بهم ، ومن جاتهم وزيره ابن الحديدى ، فازداد بذلك غضب الطليطليين ، حتى فرّ القادر من طليطلة ، وباع أهلها المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس الذى تولاها سنة ٤٧٢ .

فلما زحف إليها الأذفونش السادس بحجة أنه يريد حفظها لابن ذى النون كان ذلك خداعاً منه ، ودخاها فى ٢٧ محرم سنة ٤٧٨ ، وفق ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ وكان قد أجبر القادر على عقد معاهدة معه يتخلى له بها عن الملكة ، فكانت مرحلة شاسعة من مراحل استرداد المسيحيين للأندلس .

وحصل لأخذ طليطلة وقع عظيم فى النصرانية وعند المسلمين أيضاً . وكانت هذه الواقعة سبب غارة المرابطين فى السنة التالية . إلا أنه مع ظفر يوسف بن تاشفين ، والأيام التى أدالها الله للموحدين بعد المرابطين فى جزيرة الأندلس ، لم يتمكن المسلمون من استرجاع طليطلة ، ولبثوا يحاصرونها حيناً بعد حين ، فقد حصروها مرة فى زمن الأذفونش السادس نفسه ، ومرة أخرى فى زمن ساطان الموحدين أبى يوسف يعقوب المنصور ، وذلك سنة ٥٩٢ ، وفق ١١٩٥ ، وكان المنصور يعقوب استرجع فى هذه

الغزاة قلعة رباح ، ووادي الحجارة ، ومجريط ، على أثر واقعة الأرك (١) ، التي كانت للمسلمين على النصارى (٢) ، إلا أنه بعد واقعة نافس طولوزه (المسماة عند العرب بالمقاب) في ١٦ يوليو سنة ١٢١٢ ، لم يبق أذى أمل للإسلام في استرجاع طليطلة . ولما رجعت طليطلة مسيحية ، وصارت عاصمة قشتالة ، بقيت حافظة مسحة إسلامية راسخة ، فان قسما من أهلها لبثوا مسلمين ، فكما أنها كانت مدينة الموزاراب

(١) يسميها احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة صاحب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، واقعة الأركة فهو يقول ما يلي : وكان جواز عسكر الموحدين أعزم الله - يقول أعزم الله لانه هو كان في ذلك العصر - الى الجزيرة الخضراء في عام تسعة وثلاثين وخمسمائة وكان النصارى وقهم الله قد استجاش بهم ابن غانية ودخل بهم قرطبة وغلبوا عليها وأدخلوا دوابهم في جامعها المعظم ومزقت أيدي الكفار به مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وجمع بعد جهد . ولما سمع النصارى وزعيمهم الانبراطور بان عسكر الموحدين قد جاز الى الجزيرة خاف وخار وجمع الاعوان والانصار واستشار فاشاروا عليه بان يرجع الى بلاده وينظر في حمايتها فخذله الله وتوافق مع ابن غانية على أن يتركه بقرطبة وينصرف فتركه بها ثم خدعه وطلب منه يياسه فدفعها اليه مخافة أن يستقر بقرطبة . واستولى الأمر العالى أدامه الله بعد ذلك على جميع ما كان بأيدي المسلمين بالأندلس وارتفعت المحن والفتن والجور والجزية واجتمعت الكلمة وجرت على الروم دمرهم الله هزائم جمه آخرها هزيمة أذفونش بن شانجه قصمه الله عند الأركة على مقربة من قاعة رباح في التاسع لشعبان المكرم عام احدى وتسعين وخمسمائة . وكان عسكره الذميم ينيف على خمسة وعشرين الف فارس وماتى الف راجل . وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشترأ أسرى المسلمين واسلابهم واعدوا لذلك أموالا فهزمهم الله تعالى واستوعب القتل أكثرهم وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلثهم الذميمة وعابن اللمين الحمام ونجا برأس طامرة ولجام وكانت هزيمة شنيعة على الشرك واهله لم يسمع بمثلا والحمد لله رب العالمين والعاقة للمتقين .

(٢) الذين يعرفون تاريخ دولة الموحدين يحزمون بأنه لو طالت حياة يعقوب المنصور لاسترجع طليطلة وجميع ما كان خلا من الإسلام من بلاد الأندلس .

أى الأسبان المستعربين في دولة الاسلام ، كانت أيضاً مدينة المورسك أى المسلمين المدجنين في دولة النصارى . ومن الغريب أنه لم يبق آثار كثيرة في هذه البلدة للمسلمين عن إقامتهم الطويلة بها ، وكل مابقى هو آثار جامع صغير في بيب^(١) مردوم هو الذى تحول إلى كنيسة باسم كنيسة مسيح النور ، وكذلك وجد في طليطلة من بقايا الاسلام بعض أقسام من قصر « تورنييرياس^(٢) » ، ومن الباب القديم المسمى بيب شقره^(٣) . ولكنه وجد كثير في الأرباض من قبور المسلمين التى عليها كتابات عربية^(٤)

(١) ذكرنا من قبل أنهم فى الأندلس كانوا يلفظون بالامالة ويقولون للباب بيب ولا يزال فى قرطبة وفى اشبيلية وفى غرناطة أبواب كثيرة يقال للواحد منها بيب كذا وبيب كذا وهى إمالة يرجح عندى انهم أخذوها من الشام فقد سمعت باذنق بعض أهالى بعلبك يقولون للباب بيب وإن كان الآكثرون فى الشام اليوم لا يلفظون الباب بالامالة . ولقد حررت رسالة فى علاقة اللهجات العربية بالتاريخ القيتها فى مؤتمر المستشرقين بليدن سنة ١٩٣١ ونشرتها فى مجلة المقتطف وربما أطبعها على حدة إن شاء الله .

(٢) Tornerias (٣) Visagra

(٤) وجدت سنة ١٨٧٨ فى ديرسان برتلى فى بقعة طليطلة كتابة هى الآن محفوظة فى المتحف الأثرى الوطنى فى مجرىط هذا نصها بعد البسمة : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور . هذا قبر محمد بن أحمد بن محمد ابن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمه الله ليلة الاحد ثمان بقين من ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ،

ذكر لاوى بروفنسال : أن الغزال سفير المغرب زار سنة ١٧٦٦ طليطلة واطلع على هذه الكتابة وروى ذلك فى رحلته فقال : « وركبت فى الحال مع الحاكم للدواضع التى أرشدنا إليها فاذا بمقبرة المسلمين رحمهم الله سارية من الرخام مكتوب عليها بخط كوفى : يا أيها الناس الآية ، وهذا قبر الامام أحمد بن أحمد بن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق

وختم لاوى بروفسال هذا الفصل فى الانسيكلوبيديا الاسلامية بقوله : برغم أن طليطلة كانت ثغراً ، وكان فيها عناصر عظيمة من النصرانية ، فقد كانت لآخر عهد بنى أمية ، وفى أيام المأمون بن ذى النون ، من القواعد الكبرى للثقافة الاسلامية فى الاندلس ، وإن كثيراً من التراجم والسير لتتعلق بعلماء وحكام وفقهاء من مسلمى طليطلة . انتهى

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمة الله عليه ليلة الأحد ثمان بقين من ربيع الثانى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ثم سارية أخرى مكتوب فى أولها ما فى الأول من الآية الشريفة غير أن صاحب القبر لم يعرف من هو لمحو المحل الذى هو مكتوب ولم يبق من الحروف إلا لفظ أربع وأربعين فى محل التاريخ لا يقرأ ما قبله ولا ما بعده قال لاوى بروفسال : إن صاحب هذا القبر فيما يترجح هو ابن أبى عمر احمد بن محمد بن مغيث الصدى المحدث الطليطلى الذى مات سنة ٤٥٩ و ترجمه ابن بشكوال فى الصلة وقال إن السفير المغربى لم يكن فيما يظهر ما مرا بقراءة الخط الكوفى وقد وجدت أيضاً فى تلك البقعة كتابة أخرى هى هذه : البسملة . . . هذا قبر أحمد بن فرج مولى محمد بن جهور توفى رحمة الله يوم الأحد يوم خمس عشرة من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وأربعمائة رحمة الله عليه ، وكتابة أخرى على قبر مجهول نصها : البسملة . . . هذا قبر محمد بن يوسف ابن العاسل توفى رحمة الله يوم الخميس لسته عشر خلون من المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة فرحم الله من ترجم عليه ، ووجدت كتابة بخط نسخى تاريخها سنة ٦٦٠ للهجرة هذا نصها بعد البسملة والتصلية : يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر زهرة بنت محمد بن محمد رحمة الله توفيت وهى تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فى عام ستين وستمائة ،

فهذه الكتابة هى بعد رجوع طليطلة للاسبانيول بنحو من مايتى سنة فقد بقى فيها عدد غير قليل من المسلمين المحافظين على جميع شائهم وقد بقى فيها مسلمون إلى ما بعد ذلك العهد بكثير ولكن بعد صدور الأوامر من ملوك الاسبان بتنصير جميع المسلمين قسراً أصبحوا لا يقدررون أن يعلنوا اسلامهم وبقى فى تلك البلدة مسلمون مكرهون على النصرانية وقلوبهم مطمئة بالايمان إلى ما بعد سنة الف للهجرة

وجاء في الانسيكلويدية الاسلامية تحت لفظة « أندلس » بقلم المستشرق سيبولد كلام قال فيه : إلى الآن لم يتيسر القيام بتحقيق علمي تام عن كيفية تأثير المدنية الاسبانية العربية بأوربة في القرون الوسطى ، وإلى أية درجة بلغ هذا التأثير . فهذا الأمر يتعلق بالبحث عن دار الترجمة التي كانت بطليطلة ، وهي الوسطة التي قام بها أدباء اليهود بين الشرق والغرب ، وكان هؤلاء اليهود بأجمعهم منسويين إلى الثقافة العربية . انتهى

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي : أن موقع طليطلة في آخر الاقليم الخامس قال ابن سعيد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة ، قال في تقويم البلدان : وهي من أمنع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والأشجار محدقة بها من كل جهة ، ويصير بها الجُلنار بقدر الرمانة من غيرها ، ويكون بها شجر الرمان عدة أنواع ، ولها نهر يمر بأكثرها ، ينحدر من جبل الشارة ، من عند حصن هناك يقال له تاجه ، وبه يعرف مهر طليطلة . ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقية ، عند الحاجز الذي هو جبل البُرت ، نحو نصف شهر . وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شلب . ثم ذكر القلقشندي من مضافات طليطلة مدينة وليد^(١) ، ومدينة الفرج^(٢) ، ومدينة سالم^(٣) التي فيها قبر المنصور بن أبي عامر

بقي علينا أن نذكر قضية المائدة التي يقال إن طارق بن زياد وجدها في طليطلة عند فتحها ، وأطال مؤرخو العرب ، في وصفها ، وهاموا في أودية الخيال ، وقالوا ما ليس وراءه مقال ، وسموها مائدة سليمان ، ورغزوا أسا كانت من دخائر أشبان ، ملك الروم الذي بنى أشبيلية ، وأنه أخذها من بيت المقدس . وقالوا إن هذه المائدة قومت عند

(١) Valladolid

(٢) ويقال لها وادي الحجارة وبالاسبانيولي Guadalajara

(٣) والاسبانيول يقولون لها مدينة سالي بالترخيم Medinaceli

الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار ، وقيل إنها كانت من زمرد أخضر . وقالوا إن طارقا وجد بطليطلة ذخائر عظيمة ، منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل إن الخيل تلمب فيه فرسانها برماحهم لوسعه . وذكروا أن أواني المائدة من الذهب ، وصحافها من البشم والجزع ، قال المقرئ في نفع الطيب بعد سرده هذه الأشياء : وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدق الناظر فيه

قلنا : هذه أخبار أشبه بالأساطير ، وحكايات المعجزة منها بالتواريخ ، وقد كان مؤرخونا رحمهم الله في غنى عن نقل كل ما تلوكه ألسن العوام الذين يتكلمون بقدر عقولهم ، وكما بعد الزمان أو المكان ازدادت المبالغة في الخبر . ورحم الله ابن خلدون الذي عاب على المؤرخين تسوقهم من الأخبار كيف اتفقت ، بدون تمحيص ولا تفكير وبدون عرض الأشياء على أصولها ، ولا قياسها بأشبابها ، وأطال في هذا الموضوع . وكان حجة للعرب في أمر التحقيق .

والحقيقة التي لا مفر منها أن من عادة مؤرخي العرب ، إلا من رحم ربك ، نقل الفث والسمن بدون أن يأذنوا لأنفسهم في الاعتراض على ما يكونون هم أنفسهم مرتابين في صحته ، وذلك تورعاً عن تكذيب من قبلهم ، وبجدة ان هذه الرويات قد تكون صحيحة ، وان هذا العالم هو عالم الامكان ، فليس ثمة شئ لا مستحيل ، وان قدرة الله تعالى لا يعجزها شئ ، وما أشبه ذلك من التعليقات .

والجواب : نعم ان قدرة الله تعالى لا يعجزها شئ ، وان هذه الرويات وأغرب منها بكثير غير خارج عن حيز الامكان ، ولكن هذا شئ والذي نحن فيه شئ آخر ، فعدم خروج الغرائب عن حيز الامكان لا يوجب أن يكون كل ما يروى منها صحيحاً ، اذا لم توجد له أسانيد لا يتطرق اليها الشك ، وحجج لا يمكن فيها النزاع . والحال انه في ما يروى عن هذه المائدة التي قيل ان العرب وجدوها في طليطلة ، لا توجد اثبات تحمل على الجزم بصحتها ، وقد يكون طارق وجد في عاصمة القوط هذه

بعض ذخائر ونفائس ، مما لا تخلو منه عواصم الملوك ، وربما وجد مائدة مرصعة بالدرر والياواقيت ، وهذا عند الملوك شىء معتاد ، وقد قيل : عن الملوك ولا تسل ، ولكن العوام جعلوا الواحد مئة ، وواصلوا المسألة إلى الحد الذى يتخيل فيه الانسان قصص ألف ليلة وليلة .

وأما الافرنج فقد تكلموا عن هذه الروايات فحملوها على الخيالات ، وعدوها من المحالات ، وهذا أيضاً مردود لأن عاصمة كعاصمة اسبانية يجوز أن يجد فيها الفاتح من ذخائر ملك القوط حجارة كريمة ، وتيجاناً مرصعة ، ومائدة من الذهب والفضة ويجوز أيضاً أن يطن إواناً واسعاً ، مموهة أطرافه بالذهب ، وإن كانت الفرسات لا تلعب فيه بأرماحها .

وأما طول قنطرة طيطلة وعرضها ، وإن الطول ثلاثمائة باع ، وإن العرض ثمانون باعاً ، فهو من المبالغات التى تتناقلها العوام بدون روية ، ولعلها من خطأ النساخ الذين نقلوا نفح الطيب .

أما ابن حوقل فى المسالك والممالك فىقول عن طيطانة : وهى مدينة كبيرة جليلة مشهورة ذات سور منيع ، وهى على وادى تاجه ، وعاليه قنطرة عظيمة ، ويقال ان طولها خمسون باعاً ، الشيخ ، فظهر من هنا اختلاف الرواية من ثلاثمائة إلى خمسين ، على ان المقرئ فى النفح يروى أن هذه القنطرة قد خربت أيام الأمير محمد الأموى ، لما عصاه أهل طيطلة ، وقال فيها الحكيم عباس بن فرناس أول من اخترع آلة للطيران :

ما كان يبقئ الله قنطرةً نُصبت لحال كتائب الكفر

والأمير محمد قد توفى سنة ٢٧٣ ، وابن حوقل كتب كتابه هذا فى الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة ، أى بعد وفاة الأمير محمد الأموى بستين أو سبعين سنة ، فتكون القنطرة الشهيرة الموصوفة قد خربت ، وقام مقامها القنطرة الحديثة ، التى يقول ابن حوقل ان طولها خمسون باعاً فهل بين القنطرتين كل هذا الفرق ؟ وطى كل حال

لا نجد القنطرة الحاضرة على تلك المظمة التي حدثوا عنها ، فهي قنطرة كبيرة بجانبها أخرى صغيرة أصلها من بناء العرب ، ثم تشعبت في زمن الاذفونش الملقب بالحكيم فأصلحها . ثم جددتها تينوريوه رئيس الأساقفة .

وجاء في مروج الذهب للمسعودي عن طليطلة قوله : قصبة الاندلس يشقها نهر عظيم يدعى تاجه : يخرج من بلاد الجلالة والوسقيد (Basque) وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لأهل الأندلس كالجلالقة والافرنجة ، وبصب هذا النهر في البحر الرومي .

هذا تحريف من النساخ أو هو سهو من المسعودي نفسه ، لأن نهر تاجه مصبه في البحر الاطلانتيكي وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتنعة ، لا سبيل للامويين اليها . فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثيرأ من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة إلى هذا الوقت . . . (إلى أن يقول) : ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة ، وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير انه يخاطب بأمر المؤمنين اه .

قلت : ذكر هذا المسعودي في زمن عبد الرحمن الناصر ، ويظهر انه كتبه قبل أن علم أن الناصر رحمه الله تلقب في آخر الأمر بالخليفة ، وبأمر المؤمنين معاً . وذلك بعد أن توحدت الجزيرة الاندلسية تحت حكمه ، وامتد سلطانه إلى بر العدو ، وكان قد بدأ الضعف في دولة بني العباس في بغداد .

وربما يكون الناصر لم يكن اشتهر تلقيبه بالخلافة في سنة ٣٣٢ التي كتب
المسعودى فيها كتابته هذه فإن وفد قسطنطين بن ليون ملك القسطنطينية إلى الناصر ،
كان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، على رواية ابن خلدون ، أو سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة ، على رواية غيره ، وقد خاطب فيه صاحب القسطنطينية المذكور عبدالرحمن
الثالث الأموى الناصر لدين الله بقوله : « العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب
عبد الرحمن الخليفة ، الحاكم على العرب بالاندلس ، أطال الله بقاءه » وفي الاحتفال
الذى جرى عند وصول سفراء ملك الروم وتكلم فيه القاضى المفوه المشهور ، منذر
ابن سعيد الباطى ، كان من جملة كلامه في ذلك الجمع : فأصبحتم بنعمة الله إخواناً
و بلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح
الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات . (إلى أن يقول) : فقد أصبحتم بين
خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل
الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً الخ .
فمن هنا يظهر أن لقى الخليفة ، وأمير المؤمنين كأننا في ذلك الوقت مستعملين
بحق عبد الرحمن الناصر ، وإذا رجعنا إلى رواية النفي نجد أن الناصر تاقب بهما من
قبل ذلك ، فإنه يقول في صفحة ١٦٥ من الجزء الأول ، الطبعة المصرية الاولى ،
ما يلي : وهو أول من تسمى من بنى أمية بالاندلس بأمر المؤمنين ، عند ما التاث
أمر الخلافة بالمشرق ، واستبد موالى الترك على بنى العباس ، وبلغه أن المقتدر قتله
مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فتاقب بألقاب الخلافة . انتهى .
وفي بغية الماتمس لابن عميرة : ان موسى ابن نصير لما افتتح الاندلس ، مضى
على وجهه يفتتح المداين ، حتى انتهى إلى مدينة حليظة . وهى مدينة الملوك ، فوجد
فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ، وجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكالة بالدر والياقوت ،
وهى على عدد الملوك الذين ملكوها ، كلمات ملك جعل تاجه في ذلك البيت ،
وكتب على التاج اسم صاحبه ، وكم آتى عليه من الدهر إلى يوم مات . انتهى .
فهنا خمسة وعشرون تاجاً لا غير .

وأما في نفتح الطيب فقد ذكر في الجزء الأول في الصفحة ١٣٥ أنه وجد في طليطلة مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد فيها الف سيف ملوكي ، ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال ، ومن الذهب والفضة مالا يحيط به وصف . ومائدة سليمان ، وكانت فيما يذكر ، من زمردة خضراء وزعم بعض العجم أنها لم تكن لسليمان ^(١) ، وإنما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم ، إذا مات أحد منهم ، أوصى بمال للكنائس ، فإذا اجتمع عندهم مال له قدر ، صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة ، والكراسي من الذهب والفضة ، تحمل الشامسة والقوس ، فوقها الأناجيل في أيام المناسك ، ويضعونها في الأعياد للباهاة . فكانت تلك المائدة في طليطلة مما صنع في هذا السبيل ، وتأنق الملوك في تحسينها ، يزيد الآخر منهم فيها على الأول ، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات ، وطار الذكر بها كل مطار . وكانت مصوغة من الذهب الخالص ، مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد . وقيل إنها من زبرجدة خضراء ، حافاتها وأرجلها منها ، وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا ، وكانت توضع في كنيسة طليطلة ، فأصابها طارق ، اه .

قال المقرئ : وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان ما فيه نظير هذا ، وذكرنا فيما مضى من أمر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالف . وما ذلك إلا لأننا ننقل كلام المؤرخين ، وإن خالف بعضهم بعضاً ، ومرادنا تكثير الفائدة

وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار ، وإن حصل الخلاف في صفتها ، وجنسها ، وعدد أرجلها . وهي من أجل ماغم بالأندلس ، على كثرة ما حصل فيها من الغنائم

(تم الجزء الأول والحمد لله)

فهرس الكتاب

المقدمة صفحة ٦ - ١٩

الأسباب التي حملت على تأليف هذه المعلة الأندلسية — علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء فضلا عن الارتقاء — درس تاريخ السلف أحسن وسائل النشاط من العقال ليقال للناشيء : هكذا كان آباؤك فأين إناؤك ؟ وهذا ما فعله أجدادك فأين جهادك ؟ — الأسباب التي حملت العرب على فتح الأندلس ، وما بذلوا في فتحها من دماء ، حتى خيم الإسلام بعقرتها تخيم من أجمع الاعتمار ، والأسباب التي عادت فأخرجتهم منها — مختصر تاريخ الأندلس الذي كتبناه من أربعين سنة — اختيارنا النقل عن المؤلفين لتكون هذه الموسوعة معرضاً لآراء جميع الذين كتبوا عن الأندلس ، مع ذكر رأينا الخاص في ما نقله — بدايتنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ — إدخالنا في القسم الجغرافي ذكر من نغ من العلماء ، ولا سيما علماء العرب ، في كل بلد من البلدان التي وصفاها — تويجما الكتاب باسم الأمير عمر طوسون الذي وقف نفسه على خدمة الإسلام والشرق ، وقد علمنا ذلك بنفسنا منذ خمس وعشرين سنة إلى اليوم .

صفحة ٢٤ - ٤٢

لمحة عامة عن شبه الجزيرة الايبيرية من الجهة الجيولوجية ، ومن جهة الاقوام الاولى الذين سبقوا إلى سكنى هذه الجزيرة — التقسيمات الطبيعية لهذه الجزيرة — اشتقاق اسم الجزيرة الايبيرية واسم الأندلس — خطط هذه الجزيرة في أيام العرب ، وعدد سكانها من قبل ومن بعد —

صفحة ٤٢ - ٥٤

أقوال العرب عن جغرافية الأندلس — قول ابن حوقل — رد ابن سعيد على ابن حوقل في ما زعمه بحق مسلمى الأندلس — المناقشة بين مسلمى الأندلس ومسلمى الشرق في من هو أولى بالملامة على خذلانه لقومه — كلام ابن حوقل عن الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان هو في عصره — بحث عن الصقالبة وخصيانهم — قرطبة كأحد جانبي بغداد — وصف ابن حوقل لقرطبة وللزهراء — مسالك الأندلس بحسب تعريف ابن حوقل —

صفحة ٥٤ — ٦٠

قول ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن الأندلس — صنم قادس من بناء
الفينيقين — لفظة الجوف الذى كان الأندلسيون والمغاربة اليوم يعنون بها
الشمال والبحث عن سبب هذه التسمية —

صفحة ٦١ — ١٤٨

وصف الشريف الأدريسى لجزيرة الأندلس — زعم الأولين أن الاسكندر هو
الذى خرق بحر الزقاق وهذا من أساطير الأولين — كون اتصال الأتلاتيك
بالبحر المتوسط هو من الحوادث الجيولوجية القرية بالنسبة إلى الجيولوجية —
ذكر البلاد المغربية المقابلة للأندلس مثل طنجة وسبته وتطوان وغيرها —
تقسيمات الأندلس بحسب قول الأدريسى — سياحة المرحوم أحمد زكى باشا
المصرى إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ — خبر كنيسة الغراب فى غربى الأندلس —
قصة الاخوة المغرورين الذين حاولوا الوصول إلى أميركا الحاضرة — قصة هذه
المحاولة نفسها من ملك «مالى» فى السودان الغربى على ما روى القلقشندى فى صبح
الأعشى — أسماء بلاد الأندلس كلها بالعربية وما يقابل ذلك بالاسبانية — خبر
الشريف الأدريسى واتصاله بخدمة روجار الثانى ملك صقلية — وصف الأدريسى
بالتطويل لقرطبة ولمسجدها الجامع ومقابلة ذلك بأقوال الجغرافيين الآخرين .

صفحة ١٤٨ — ١٥١

قول أبى محمد الحسن بن أحمد الهمداني عن الأندلس — أقوال بطليموس عن
الإقليم السبعة وتأثير الكواكب بزعمه فى طبائع سكانها

صفحة ١٥١ — ٢٦٢

ما قاله المقرئ صاحب نفع الطيب عن الأندلس — نفع الطيب على علانه واشتماله على
مادب ودرج لا يزال أحسن مرجع لتاريخ الأندلس — رغبة المقرئ فى السنجع —
كلامنا عن نفع الطيب منذ أربعين سنة فى ذيل «آخر بنى سراج» وكلامنا عنه اليوم —
أهل البلاد الجنوبية من اسبانية أجمل خلقة من البلاد الشمالية لأن الدم العربى فيها أكثر —
أكثر الأمم مآثر فى الأندلس قبل مجئ العرب الصينقيون والقرطاجنيون ثم الرومان
ولليونانيين علاقة بكتلونية — كتاب رافائيل بالستر عن اسبانية هو من أحسن
الكتب الحديثة عنها — بحث آخر عن استعمال الجوف بمعنى الشمال ، ملك الأندلس

قبل مجيء العرب وما ورد في ذلك من أساطير ومن حقائق — ملوك القوط ومدة كل منهم — الحساب اليولياني والحساب الغريغوري وحساب الصفر الاسبانيولى — بحث عن المعادن بالاندلس وما نقله المقرئ وما قاله لاوى بروفسال المستشرق المعاصر — قول رافائيل بالستر إن اسبانية الاسلامية كانت من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكاناً ، في عصر الخلفاء ، كان فيها ست حواضر كبرى وثمانون مدينة معمورة جد العمران وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية — مملكة غرناطة آخر ممالك الاسلام بالاندلس كانت قبل سقوطها ثلاثين مصراً وثمانين قسبة وعددها أربعة ملايين نسمة — المرية مرسى الاسطول الاسلامى الاندلسى وفيها دار الصناعة — دور الصناعة في دانية والجزيرة الخضراء وشلب والقنت وقستلون والمنكب ومالقة وقصر أبى دانيس وطرطوشة وجزيرة يابسة — كان في المرية ألف إلاثلاثين فندقاً مقيدة في ديوان الخراج — طليطلة قاعدة ملك القوطيين — كلام أبى بحر صفوان بن ادريس عن الأندلس بشكل مفاخرة بين مدائنها — أهل شلب وفصاحتهم بالعربية وأن الفلاح الذى خلف فدانه كان يقرض الشعر — كتاب من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب عن لسان سلطانه بترجيح الجهاد في الاندلس على الحج وصف سرقة و ذكر السمور المنسوب إليها — التين المالحى والزيب المنكبي والزيت الاشيدلى والمان السفرى الخ — أفاويه الاندلس المتنوعة — حيوانات الاندلس وطورها — مقاطع الرخام بالاندلس — صناعات الاندلس المتعددة الفائقة — قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مريبتر — رواية أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول من أوصى بفتح الأندلس — كلبه للشيخ عبد العزيز الثعالبي عن هذه الرواية — خبر البيلتين اللتين كانتا بطليطلة — منارة اشيدلى التى من بناء يعقوب المنصور — دخل الدولة الاندلسية أيام الناصر عشرون مليون دينار ذهب وثلاثمائة وأربعون مليون درهم من الفضة . ويقول لاوى بروفسال إنه تضاعف في زمن المستنصر إلى أربعين مليون دينار وهذا عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر — تعاقب الولاة المستمر بسرعة على القيروان وبالتالي على الأندلس كان السبب في وقوف الفتوحات العربية في أوربة لأن الثبات والاطراد هما من أهم شروط النجاح . وأما بعد أن صار الحكم إلى بنى أمية في قرطبة فقد زال التذبذب الذى كان في ولاية الاندلس — الجهاد العربى في أوربة صار مقصوراً على مسلى الاندلس وحدهم وفي الأحايين من يأتيهم من المغرب وذلك بسبب

انفصال هذه البلدان عن الخلافة العباسية وشتان بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذي كان ينظم بين الشرق والغرب — استقامة أحوال بني أمية في قرطبة إلى أن جاء هشام الثاني ابن المستنصر الذي كان ضعيفاً واستبد بالامر حاجبه المنصور بن أبي عامر وأولاده فنقم عليهم ذلك بنو أمية وسائر البيوتات العربية فلجأ العامريون إلى إيقاد الفتنة بين العرب والبربر فوقع ما وقع بقرطبة من الحروب بين الفريقين ونجحت ملوك الطوائف وكان ذلك مبدأ انهيار الاسلام في الاندلس — أهل الاندلس أشد الناس تهاقاً على الثورة وغراماً بتغيير الدول — خطط الدولة في الاندلس من وزارة وكتابة وقضاء وشرطة وحسبة وغيرها — العلوم في الاندلس وما كان يرغب فيه أهلها منها ولا سيما علم العربية — كانت الاندلس على مذهب الاوزاعي فلما اشتهر مالك وجاء شبطون وغيره من علماء الاندلس وأخذوا عن مالك نشروا مذهبه في تلك البلاد برأى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل — زى أهل الاندلس وتقليدهم النصارى في الحقب الأخيرة — بحث ان المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب مما أشار إليه بن خلدون وإيراد الشواهد عليه مما رأيناه من الدول الشرقية في عصرنا هذا

صفحة ٢٦٢ — ٢٦٦

ما قاله المسعودى في مروج الذهب عن الاندلس .

صفحة ٢٦٦ — ٢٦٧

ما قاله القلقشندى في صبح الأعشى .

صفحة ٢٦٧ — ٢٦٨

ما قاله ابن العماد الحنبلى في شذرات الذهب .

صفحة ٢٦٨ — ٢٧٩

قول المقدسى في كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » — بحث المقدسى في المذاهب عند أهل المغرب والاندلس .

صفحة ٢٧٩ — ٢٩١

وصف لسان الدين بن الخطيب لعرب غرناطة وهو ينطبق على جميع الاندلس نقلاً عن الاحاطة — شرحنا لجميع الأنساب العربية التي وردت في كلام لسان الدين بن الخطيب — عرب الاندلس كانوا يتكلمون بالامالة — سكان مملكة

غرناطة أكثرهم من العرب - بحث المجاهدين في الاندلس من أهل المغرب من

بربر وعرب

صفحة ٢٩٢ - ٣٠١

ما ذكره المقرئ في النفع عن أنساب عرب الأندلس

صفحة ٣٠١ - ٣٠٣

نظرة اجمالية نحو اسبانية والبرتغال -

صفحة ٣٠٤ - ٣١٤

العمران والفن في اسبانية - ذكر أشهر كنائس اسبانية ومبانيها المذكورة
في الكتب - ذكر الآثار العربية فيها - ذكر أعظم المصورين والنحاتين

صفحة ٣١٥ - ٣١٦

كلام القاضي أبي القاسم صاعد الطليطلي عن الاندلس في كتابه « طبقات الامم »

صفحة ٣١٧ - ٣٣٤

التقسيمات الجغرافية الحاضرة - قشتالة القديمة وقشتالة الجديدة - الوادي الجوفي -
وادي إبره - قشتالة القديمة ست مقاطعات : برغش وآبله وسقوية وشورية
ولوكرونى وشنت اندر - قشتالة الجديدة : مجريط وطليلة وسيودادريال وقونكة
ووادي الحجارة - ولاية ليون - أمة البشكونس وأصلها ولغتها وأخلاقها - الحدود
بين فرنسة واسبانية وتفصيل بلاد ليون وقشتالة

صفحة ٣٣٤ - ٣٣٨

مدينة برغش - خبر لذريق دوييفار بطل الاسبانيول الذي كان يلقب بالسيد
والذي عظامه محفوظة في دار البلدية ببرغش

صفحة ٣٣٨ - ٣٤٣

بلد وليد وتوابعا - ذكر آبله

صفحة ٣٤٣ - ٣٥٣

ذكر مجريط عاصمة اسبانية - من انتسب من علماء العرب إلى مجريط - عند
ما استردها الاسبانيول كان فيها أربعة جوامع - أسباب نقل فيليب الثاني عاصمة
اسبانية من طليطلة إلى مجريط - حروب الكرلوسيين - خزنة كتب مجريط واشتمالها
على ستمائة وخمسين الف مجلد منها ثلاثون الف مخطوط وفيها عشرون الف ورقة

من الوثائق وثلاثون الف صورة يدوية وثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط -
خزانة الآثار القومية فيها متا الف وثيقة - الآثار العربية التي فيها

صفحة ٣٥٣ - ٣٥٥

ذكر خزانة الاكاديمية التاريخية في مجريط والكتب العربية التي طالعها فيها

صفحة ٣٥٥ - ٣٦٠

ذكر الاسكوريال - معارفنا مع المستشرق آسين بلاسيوس

صفحة ٣٦٠ - ٣٦٣

ذكر بلدة شقوية

صفحة ٣٦٣ - ٤٧١

ذكر طليطلة - قسم كبير من نصارى طليطلة كانوا قد استعربوا وصارت لغتهم
العربية وكانت جميع مكاتباتهم بها حتى إن الكتابات المنقوشة على قبورهم كانت
بالعربية - انمودجات من صكوك البيع والشراء العربية بين نصارى طليطلة
واختلاط الاسماء الاسلامية بالاسماء المسيحية - نقل ما قاله الوزير الغساني
المتوفى سنة ١١١٩ للهجرة وذلك في رحلته إلى اسبانية عن مدينة طليطلة - بقاء
الاسلام سرأ في طليطلة إلى القرن الحادى عشر للهجرة - نقل كلام ابن عبد الرفيع
الاندلسى المتوفى عام اثنين وخمسين والف - أمثال من أعمال ديوان التفتيش
الثقافة العربية في طليطلة تبقى فيها مدة ستائة سنة من بعد رجوعها إلى الاسبانيول -
الطقس اللاتينى فى الكنائس والطقس الخاص بالمستعربين - صكوك متعلقة بأرقاء
المسلمين فى طليطلة - كيفية أخذ الاذفونش السادس لطليطلة من القادر بن ذى النون -
الجامع الأعظم يتحول كنيسة خلافاً لتعهد الاذفونش - كنائس طليطلة وأما كنها
المشهوره - صناعات طليطلة المتعدده - حروب بنى ذى النون مع بنى هود أصحاب
سرقسطه وكيف كان ذلك أعظم سبب لسقوط طليطله فى ايدى الاسبانيول - رثاء
طليطلة - ملخص ما قاله عن طليطلة المستشرق لاوى يروفنسال فى الانسيكلويدية
الاسلامية - بعض أقوال مؤرخى العرب عن طليطلة - ثورات طليطلة المتكررة
فى أيام العرب - مبلغ تأثير المدنية الاسبانية العربية باوربا فى القرون الوسطى ،
بواسطة دار الترجمة التي كانت بطليطلة

فهرس الاعدام

الواردة فى الجزء الأول من كتاب

الحلل السندسية فى الآخبار والآثار الأندلسية

رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

		(١)
أحد بن ربيعة بن نزار ٢٩٤	أحدوخا ٢٥٥	إبراهيم بن اسحاق ٢٧١
أحد بن عبد الله ٢٧٢	أدریس بن عبد الله بن الحسن	إبراهيم بن خليل ٢٨٢
اسكندر المقدوني ٦١ ، ١٧٠ ، ٦٢ ، ١٧٠	العلوي ٢٤٨ ، ٢٩٢	إبراهيم بن عبد الرحمن ٣١٨
١٨٤ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٩	أدریس بن يحيى الجوى ٢٤٨	إبراهيم بن على بن سعيد ٣١٧
اسماعيل (عليه السلام) ٢٩٤ ، ٢٩٥	الأدریسی (الشریف) ٢٧ ، ١٦ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٧ ، ٦١ ، ٤٠	إبراهيم بن القاسم القروي (الرقيق) ١٨٣
اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى	١٦١ ، ١٧٠ ، ٣٥٤ ، ٤٥٢	إبراهيم بن وهب ٢٦٧
النون ٤٥٢ ، ٤٦٠	الأدریسیة ٢٧٢	إبراهيم بن يحيى ٤٠٤
الإسماعيلية ٢٧٢	الأدوونش (الملك الحكيم) ٣٥٨	أطرقس ١٦٨
أشبان بن طيش ١٦٨	٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٦٩	أناجيلد (الملك) ٤٥٣ ، ٣٦٣
أشنان بن لازرة ٢٧٦	الأذفونش (السادس) ١٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢	أناواتونوس ١٧٥
أشنان مشتابار ٢٨٥	٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠	أحد بن الأمين الشنقلى ٢٤٣
أشنان بلباس ٢٨٧	٤١٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨	أحد بلافريج ٢٥٩
أشجع بن ريث بن عطفان ٢٩٤	٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨	أحد بن سعيد بن شظير ٤٦٢
أشعاره القهيرياني ٢٨٤	٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	أحد بن على الحداد ٤٠٨
الاصطخرى ٢٩	٤٦٢	أحد اللوقى ٤٠٢
أغسطس قيصر ٢٦١	الأذفونش (الثامن) ٢٣٠	أحد بن محمد ٣٦٧ ، ٤٠٨
أعيلاز ٢٨	الأرجبرشت ٢٨٢	أحد بن محمد بن حجاج ٢٥٥
أباردوسيركور ١٦	الأرسيد ناغن ٣٦٦	أحد بن محمد بن موسى الرازى ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٨
آل بوربون ٣١٤ ، ٢٤٧	أرنلد فرانساشك ٢٨٥	أحد بن المهدي الغزال القاسى ٢٥٤
ألبيرة (زوج فرتده) ٢٧١	آريوس (قسيس) ٤٢٩	أحد بن يعلى ٥٤ ، ٤٦٠
أليروه البرسى ٢٩٢	الأزد بن القوث ٢٩٥	أحد بن يوسف الأنصارى ٣١٨
أليبرغومس (مهندس) ٤٢٩	أسينوزه (مصور) ٢١٢	أحد بن يوسف الرحوى الأسمرى ٤٠٧
الونزو بروغيت ٢١١	آسين بلايوس (مستشرق) ٢٦٠ ، ٢٥٩	أدم (الحكيم) ٢٥٥
الونزوكانو (مصور) ٢١٢	اسحاق بن سلمان ٢٥٥	
الونزو (المطران) ٢٢٩		
آل هيبورج ٢١٢		
البيان بن سعيد ٣١٨		

بيطرة قولو نيبريانه ٣٧٤
بيطرة بن بليان بن أبي الحسن
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩
بيطرة بن يوسف بن مروان ٣٧٤
بيطروه بن أشافن ٣٩٧
بيطروه بن أندراش ٣٨٤
بيطروه بن أنفونش ٣٦٩
بيطروه جلبرت ٣٨٤
بيطروه دبس ٣٨٥
بيطروه رويس ٣٩٨
بيطروه بن مرتين بن يلول ٣٨٧
بيطروه بن مرتين (مسترب) ٣٩٤
بيطروه تقولا (البنا) ٣٩٧
بيطروه بوانش (الوزير) ٤٠٥
بيطروشى بن غايام ٣٨٦
البيهي ١٧١

(ت)

تحيب (امرأة أشرس) ٣٩٧
تراجانوس ٣٦١
تقلب بن وائل الأسدي ٣٩٤
تمام بن علقمة ٤٥٦
تميم بن مرة بن أد ٣٩٣
تتوان (مصور) ٣١٢
تووريو (أسقف طليطلة) ٤٤٤ ،
٤٦٩
نوطة بنت لب ٣٩٦
توكادا (كرديال) ٣٣٩
توما دوتوكادا ٣٣٣
نيالدي (مصور) ٣٥٦
توتليف (مؤرخ) ٣٦٣ ، ٤٥٣
تيريزة (قديسة) ٣٣٩ ، ٣٤٢
تينيوريو (مطران) ٤٢١ ، ٤٣٣
تيدوسوس (امبراطور) ٤٣٩
تيوفيل غوتيه ٤٢٤

بالومينو (مصور) ٣١٤
باهين (الاقنمجي) ٣٧٤
بترو (الناشم) ٣٠٨
بختصر ١٦٩
بدر بن علقمة ٤٥٦
بدر الدين الميني ٣٥٤
بدر (الدون) ٣٣٩
براديل (مصور) ٣١٤
برنار (رئيس الأساقفة) ٣٨٠
بروكا (الدكتور) ٣٣٦
بريان (الملك) ١٦٩
بست بن عبد العزيز ٣٨٩
بصر بن عياض القشيري ٣٩٩
بطرس بترى (مهندس) ٤٢٨
بطروه غوترايس ٤٤٥
بطليموس (القلودي) ٣٦ ،

١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١

بكر بن هوازن ٢٩٣
بكر بن وائل ٢٩٤
بلاي (الملك) ٣١٧
بلد البيرة (مهندس) ٣٠٩
بلديون قبيار ٣٧٤
بلج بن بصر ٢٩٤ ، ٢٩٩
بلي بن عمرو ٢٩٨
بليدور (مصور) ٣١٤
بيلول بن عمر ٢٧٥
بيلول بن غالب ٢٨٧
بيلول بن مرتين بن بيلول ٢٧٥
بوان باطرس ٣٨٣
بياترو توريجاني ٣١١
بيطره بن البيلول (البنا) ٢٧٥
بيطره تليقيس ٣٧٤
بيطرة (الخياط) ٣٧٤
بيطرة بن سهل ٣٧٣
بيطرة بن عبد العزيز بن عطف
٢٧٥

اليزى ركلوس (جغرافي) ٣٢٦
أمة (الامير) ٤٥٩
اتالين بن غلتارلقواس ٣٨٥
انجيل غوانزاليز ٣٦٦
اندراش دحجاج ٣٨٤
اندراش فرنوم ٣٨٦
اندلس بن طوبال بن يافت بن
نوح ١٥٧
انريك دوايلاس ٣٠٩
انار بن تزار بن معد بن عدنان ٣٩٧
اوجيني (الامبرطورة) ٣٣١
أوردونوه (الاول) ٤٥٩
اوردوتيو (الثاني) ٣٣٧
اورغاز (السكونت) ٤٣٤
اوزوريو (مصور) ٣١٢
أوسلة بن مالك بن زيد ٢٩٦
اوغست مولر ٢٧
اولالية بنت ديقة ٣٨٥
إياد بن تزار ٢٩٤
إيزابلا بنت هنري (الرابع) ٣٣٩ ،
٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
٣٦٢ ، ٤٣٠
إيزابلا البرتغالية (الملكة) ٤٣٤
إيزابلازاسن ٣٨٢
إيزيدور الباجي ١٦ ، ٢٥٠
أيوب بن يحيى اللخمي ٢٩٩

(ب)

بادس بن حيوس ١٢٩
باديس ١٩٠
باسه ٣٨
باطره بن عمر بن غالب ٢٩١ ، ٤١١
باطره بن عمر الفلاس ٣٧٦ ، ٣٨٩
باطروه جبولين ٢٩١
باق بن عمر بن باقي ٢٧٥

خير بن مورن ٢٧٢
 خير بن يحيى ٢٧٠
 خيل دوسيلو ٢٠٦ ، ٢١١
 (د)
 دايان (الجزائر) ٢٣١
 دايان فرمان ٢١١
 داتى (الشاعر) ٢٥٩ ، ٢٦٠
 داود الاسمر بن سليمان ٤٠٨
 دقيانوس (صاحب آمل الكهف)
 ٤٤٥
 دمنة برتدة ٤١٢
 دمنة نقلاوش ٢٨٧
 دومنقه أطولين ٤١٥
 ديمقه بنت أبي الربيع سليمان ٢٩٤
 ديمنقه البرينقى ٢٨٨
 ديمقه بشكوال ٢٩٦
 ديمنقه بيطروس الباسى ٢٨٧ ، ٢٩١
 ديمنقه بيطريس ٤١٣
 ديمنقه بنت خصوره ٢٨٤
 ديمنقه بنت الريم ٢٨٦
 ديمنقه سبريان ٢٨٥
 ديمنقه سربطول نغش ٢٧٦
 ديمنيقه بن سليمان بن غيصن ٢٨٩
 ديمنيقه بنت شلبطور ٢٨٧
 ديمنقه بنت عبد الرحمن بن جابر
 ٢٩٥
 ديمنقه مرزاه ٢٨٣
 ديمنقه بن مقيال ٢٨٢
 ديمنقه نقره ٢٨٤
 ديمنقه بن يحيى ٢٧٢ ، ٢٧٥
 دمقربوانش ٢٨٤
 دنيس (ملك البرتوغل) ٤٠
 دوريزى ٢٧
 دوزميت يواكين ٢٥٩
 دوزى (المستشرق) ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ١٦

الحاج القرناطى ٢٥٥
 الحازمي ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
 حامد بن سمحون (الطيب) ٢٢٩
 الحجارى ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧
 حذيفه بن الاحوص القيسى ٢٩٩
 الحر بن عبد الرحمن الثقفى ٢٩٩ ، ٢٩٤
 حسان بن جهيد ٢٧٢
 حسين بن جعفر ٢٨٢
 الحسين بن على ٢٩٢
 حضرموت بن قحطان ٢٩٩
 حكم بن شلمون ٢٧٥
 الحكم المنصر ٤١ ، ٣٠٠ ، ٤٦٠
 الحكم بن هشام ١٩٨ ، ٢٦٥ ،
 ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٣٠٠
 الحميدى ٤٤٥
 حمير بن سبأ ٢٩٧
 حمير بن يشجب ٢٩٥
 حنة (أخت فلييب الرابع) ٢٢٩
 حنين اليهودي ٢٤٠
 حيوس الصنهاجى ١٢٩
 (خ)
 ختم بن أعمار بن أراش ٢٩٧
 خشنش (ملك القوط) ١٧٥ ،
 ١٧٨
 خشين بن تنوح ٢٩٨
 الحضرمي (عليه السلام) ١٧٢ ، ١٧١
 خلف بن جواد ٢٦٩
 خلف بن عبد الله ٢٦٨
 خلف بن عمر ٢٧٢
 خولان بن عمر ٢٩٧
 الخولاني ٢٤٣
 خيران الصقلبي ١٧٩
 خير الدين بارباروس ٢٥٢
 خير بن ركوي ٢٦٩

(ث)
 ثابت بن قره ٢٥٥
 ثعلبة بن سلامة العامل ٢٩٩
 ثوابه بن سلامة الجدامي ٢٩٩ ، ٢٩٧
 ثور بن عفير بن عدى ٢٩٧
 (ج)
 الجاحظ ٢٧٦
 جاشريولين ٢٢٤
 جان قان ايك ٢١٢
 الجيباني ٢٧٦
 جذية (الأبرش) ٢٢٠
 جرم بن كهلان ٢٩٥
 جلبانش بطريس نشنا ٢٦٨
 جمال الدين الجزائر ٢٥٤
 جميلة بنت فرح ٢٦٧
 جهينة بن أسود ٢٩٨
 جوان ابن ايزابلا ٢٤١
 جوان بوتيسنا ٢٥٥
 جوان خيل اوتانون ٢٦٢
 جوان (الدون) ٢٤٩
 جوان ديمتوس ٢٩٩
 جوان رويس ٢٦٨
 جوان غواس (مهندس) ٤٢٩
 جوان فرناندس ٢٥٦
 جوان كارينيو (مصور) ٢١٢
 جوان كرادو ٢١٥
 جوبرت (جنراى) ٢٧
 جوسه (جنراى) ١٦ ، ٤٢١ ،
 ٤٢٥ ، ٤٢٨
 جوقاره (مهندس) ٢١٠
 جيوردانو (مصور) ٢١٢
 (ح)
 حاتم (الطائي) ٢٢٠ ، ٢٥٩

سلامة بن مقيال ٢٧٣
 سلمة بن حسان ٢٧٥
 سلمة بن سعد ٢٧٢
 سلمة بن يونس الأنصاري ٣٦٨
 سلول ٢٩٣ .
 سليمان بن عمر ٣٦٨
 سليمان (عليه السلام) ١٦٩ ،
 ٢٠١ ، ٤٥٧
 سليمان بن المدجاله ٣٦٨
 سليمان بن هود ٤٤١ ، ٤٤٢
 سليم بن زكريا ٣٦٨
 سليم بن منصور ٢٩٣
 السمح بن مالك الخولاني ٢٩٩
 السموأل بن عاديا ٢٢
 سنعة (أم الملك نيودوريق) ٢٢٨
 سهل بن خلف بن علي ٢٧٢
 سوزة ٢٧
 سيوله (مستشرق) ٢٢ ، ٤٦٦ ، ٣٦
 سيريزو (مصور) ٢١٣
 سيف بن الزراد ٢٧٢
 سيف الدولة ٢٢ ، ٢٣٥
 سيلو (مهندس) ٣٠٩
 سيمونة ١٦ ، ٢٨
 (ش)
 شاتوربريان ١٥٣
 شارلمان ٣١١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
 ٣٦٢ ، ٤٢٦
 شارلمان ٢٢٢
 شانجة مرتينوس ٤٠٠
 شانجة (الملك) ٤٠٠
 شيب بن عبد الرحمن (دون) ٢٨٢
 شربند بن باطره ٢٨٤
 شعيب الرحوي المطيرش ٤٠٩
 الشقندي ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٥

(٣١ - ج أول)

ريكاريد (الملك) ٢٢٨ ، ٢٦٢ ،
 ٤٢٨
 ريموند بلدي ٢٨٥
 رينه شاتوربريان ١٢
 رينو (المستشرق) ١٦
 ريني ياسه ٤٥٤
 (ز)
 زار سيلو ٣١١
 الزغل ١٥٥
 زكري بن عثمان ٣٦٩
 زوباران (المصور) ٣١٢
 زوكارو ٣٥٦
 زيان بن مردنيش ٣٠٠
 زيدان (السلطان) ٣٥٨
 زيد بن حارث ٤١٠
 زينب بنت الحاج ٤٠٤
 زين الدين العيني ٣٥٤
 (س)
 سافيدار ٢٨
 سان أبلدفونس ٤٢٣
 سان إزيديور ٤٣٠
 سان جوان (قديس) ٤٣٠
 سبأ بن يشجب بن يعرب ٢٩٦
 سبت بن يافت بن نوح ٢٣
 سيروز (جغرافي) ٢٧
 سبريان بن بسنت ٢٨٩
 سبريان بطرس تشاش ٣٧٦
 ستالي لانيول ٢٧
 سعدان بن عبد الله ٣٧١
 سعد بن بكر بن هوزان ٢٩٣
 سعيد بن سالم الثغري ٣٤٤
 سعيد بن سالم المجرطي ٣٤٥
 سعيد بن شطير ٤٦٠
 سفيان بن أبي البقي ٣٧٢
 سلازار دومندوسه ٤٢١

دوسار فتنس (الأسقف) ٣١١
 دوق أوشونة ٣٥٠
 دومارليس ١٦
 دوموراه (الكونت) ٤٢٣
 دوبا (الحكيم) ٣٥٥
 دون كيشوط ٣٥٠
 دونة بنت عبد الله بن يحيى ٢٩٢
 دوهار ٢٢٨
 دياغود وريانو ٣٠٩
 ديمتقوس الاريجيقي ٢٧٠
 (ذ)
 ذو أصح بن مالك ٢٩٨
 ذورعين ٢٩٧
 (ر)
 الرازي ٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٣٥٥
 رامير (الاول) ٣٠٤
 ربي بو اسحاق اليهودي ٣٦٧
 ربيعة بن نزار ٢٩٤
 رديقة (القيس) ٣٦٨
 الرساق ٢١٨
 رقاقة بن يحيى ٢٨٣
 رمان بن طاهر ٢٧٣
 الرندي ١٥٥
 رودريس ، ورسالوس ٢٢٧
 رودريقة أوردوناز ٣٧٥
 رودريقة بن بشكوال ٢٨٩
 رودريقة ديمونقس ٢٨٥
 رودريقة شلبطورس ٤١٧
 رودريقة شمانس ٢٩٦ ، ٢٩٨
 رودريقة القواسه (مهندس) ٤٢٩
 رومان بن باطروز (وزير) ٢٩٥
 ريبارا (مهندس) ٣٠٩
 ريباره (مصور) ٣١٣
 ريبالنا (مصور) ٣١٣
 ريكاردو القوطي ٤٠٣ ، ٤٢٥

عبد الملك بن يهلول ٢٧٢
عبد الملك بن حبيب السلمي ٢٩٢ ،
٤٤٦
عبد الملك بن عامر ٢٧٠
عبد الملك بن عبد الرحمن بن مينو ٤٦٢
عبد الملك بن عبد الملك ٣٦٨
عبد الملك بن قطن ٢٩٩ ، ٢٩٢
عبد الملك بن السكرديوس ٢٥٤
عبد الملك بن مرتين بن خير ٢٧١
عبد الملك بن هارون ٤١١
عبد الله أتوال ٣٦٨
عبد الله بن ادريس ٦٧
عبد الله بن جابر ٢٧٠
عبد الله بن حسان ٢٧٢
عبد الله بن داود ٢٧٥
عبد الله بن سعيد الجريطي ٢٤٤
عبد الله بن عبد العزيز ٢٨٩
عبد الله بن عبد الله الجريطي ٢٤٤ ، ٢٩٩
عبد الله بن اليعصب ٢٧٥
عبد الله بن عثمان ٢٧٢
عبد الله بن عمر ٢٨٧ ، ٢٨٢
عبد الله بن فرسان ٢٧٢
عبد الله القزاز ٤١٧
عبد الله بن محمد ٣٠٠
عبيد الله بن قاسم (مطران طليطلة)
٢٧٧
عبيد الله القوطي ٢٧٠
عبيد بن أسد ٣٦٨
عبيدة بن حميد ٤٥٧
عتبة بن وايد ٢٧٢
عتبان بن أبي نسة ٢٩٧ ، ٢٩٩
عتبان بن سليمان ٢٧٤
عتبان بن عثمان ٢٧٢
عتبان بن عفان ٢٣٥ ، ٢٣٧
عذرة بن سعد ٢٩٨
عذرة بن عبد الله الفهري ٢٩٩
عريقو (المصور) ٤٢٤

عائشة بنت معين (الحداد) ٤٠٨
عامر بن تمام ٢٧٥
عامر بن يحيى بن بلاى ٢٨٧
عاملة القضاية ٢٩٦
عباد بن محمد بن عباد ٢٤٨
عباس بن فرناس ٢٠٢ ، ٤٦٨
عبد بن معاوية ٢٦٥
عبد الرحمن بن ابراهيم ٢٧٥
عبد الرحمن بن احمد الفهري ٢٦٧
عبد الرحمن الاوسط ١٨٥ ، ٣٠٠
عبد الرحمن الثالث ٤٧٥
عبد الرحمن الثاني ٤٥٩ ، ٤٦١
عبد الرحمن الداخل ٢٦٧ ، ٢٩٢ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٤٥٤
عبد الرحمن بن ذي النون ٤٦٠
عبد الرحمن بن زكريا ٣٦٨
عبد الرحمن بن زيدان ٢٥٨
عبد الرحمن بن عبد الرحمن ٢٧٢
عبد الرحمن بن عبد الملك ٢٨٧
عبد الرحمن بن عيسى الجريطي ٢٤٤
عبد الرحمن الناصر ٣٩ ، ٤١ ،
٤٨ ، ٤٩ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٠ ،
٣٢٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،
٤٥٩
عبد الرحمن بن تيبوه ٤٥٢ ، ٤٦٢
عبد الرحمن بن يحيى ٢٧٦ ، ٢٦٩ ،
٢٨٦
عبد الرحمن بن يوسف بن
عبد المؤمن ٢١٠
عبد الرحمن بن غلمير ٢٧٠
عبد العزيز بن أبي الرجال ٢٧٢
عبد العزيز بن خير ٣٦٨
عبد العزيز بن سعيد ٢٧٠
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٢٩٩
عبد العزيز (قسيس) ٢٩٦
عبد المؤمن ٢٤٩ ، ٣٠٠

شليطور بن سهل بن عبد الرحمن
٢٧٦
شليطور بن عبد الملك بن عريب
٢٨٦
شلمون بن علي بن وعيد ٢٨٢ ،
٢٩١
شمس الدين محمد بن نور الدين ٢٥٤
شمسي بنت لب (الفخار) ٤٠٩
شوقي بك الشاعر ١٣
شولي بنت عمر بن هشام ٢٧٧
شيبانة (امرأة القمبيدور) ٢٣٦
شيبانيس (السكرديتال) ٤٣٠ ،
٤٣٤ ، ٤٤٤

(ص)

ساعد بن احمد ٣١٥
ساعد الطليطلي ١٦
سمرت ٣٥٥
صموئيل لاوي ٤٣٤
الصهاجي حيوس ١٩٠

(ض)

ضبة بن أدبن طابحة ٢٩٢

(ط)

طارق بن زياد ٨١ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٤٥٣ ،
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ،
طريف (البربري) ٣٦ ، ٢٠٠
طابيرة (أسقف طليطلة) ٤٤٤
طلويش بن بيطة ١٧٢
طوبار (المصور) ٢١٢
طونال بن ياقث بن نوح ٢٢

(ع)

عائشة بنت احمد السكوي ٤٠٨
عائشة بنت الدودي ٣٦٨

فرناندس (بنديس) ٢٤٥
 فرتندوه لبوس ٢٩٨
 فرنسوا الاول ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢
 فرنسيسكو ديزي (مصور) ٢١٣
 فرنسيسكو غويا (مصور) ٢١٤
 فزارة بن ذبيان ٢٩٤
 فطوة الماشطة ٤٠٠
 فطيمة بنت عمر ٤٠٤
 فلاسكس (مصور) ٢١٣
 فلافيانوس ٢٦١
 فليش القيصرى ١٧٥
 فلورنده بنت الكونت بليان ٤٢٣ ، ٤٢٣
 فليس بن مروان ٢٧٢
 الفنش (أذفونش) ٢٤٠
 فورتوفي (مصور) ٢١٤
 فولفيوس (الملك) ٤٥٢
 الفونسو دوماريفال ٢٤١
 فونسيقه (أسقف طليطلة) ٤٤٤
 فجيل (الشاعر) ٢٥٨
 فيفارنى (البناء) ٢٢٩
 فليب الثالث ٢٢٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩
 فليب الثانى ٢١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦
 ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
 فليب الخامس ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢
 فليب الرابع ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 ٢٥٢ ، ٢٥٣
 فليب فيكارنى ٢٠٩
 فلير شنجس ٢٨٥
 فليس بن غيلام ٢٨٦
 فيليز بن يحيى ٢٩٧
 فيسنت (قديس) ٢٤٢
 ق
 قاسم بن احد ٤٠٤
 قاسم بن محمد (البناء) ٤٠٠

(غ)

غانق بن عك المدنائى ٢٩٦
 غالب بن عبد الرحمن ٥٤ ، ٤٦٠
 غالب بن غلمون ٢٩١
 غانيوس ٢٧
 غريب بن خلف المجرطى ٢٤٥
 غريب الشاعر ٤٥٧
 غرسيه رويس ٢٩٨
 غرسيه القميراني ٢٨٥
 غريب بن سعد ٢٥٥
 غريشوار التورى ٢٦
 غليم طبلد ٢٩٧
 غنصالة الجزائر ٤٠٦
 غنصالة فرولس ٢٧٤
 غنصاليه بن الفونس ٢٩٩
 غنصاليه (القاضى) ٢٩٩

(ف)

فار الميورق ٢٠٦
 فارسكوزارزا (نحات) ٢٤١
 فاطمة بنت احد الانصارى ٤٠٤
 الفاطمى ٢٨٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 فاليسكو (أمير الجيوش) ٢٢٧
 فاسكو (دكتور) ٢٢٦
 فرج بن عبد الله ٢٦٩
 فرديناند الثالث ٢٢٥ ، ٢٢٨
 ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٣٠
 فرديناند الرابع ٢٤٦
 فرديناند السابع ٣٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢
 فرديناند السادس ٢٥٨
 فرديلند بن شانجه الطاغيه
 ٤٤١ ، ٤٤٢
 فرنانده يوانش ٢٨٩
 فرنان غوتزاليز ٢٢٧
 فرناندس دولونا (قسيس) ٣١٠

عزوز بن معمر العربى ٤٠٢
 عزيز بن خطاب ٢٥٦
 عريب (المؤرخ) ٢٥
 عريم بن زيد ٢٩٨
 عقبه بن نافع الفهرى ٢٩٢
 على باشا (أمير البحر) ٢٥٢
 على بن سعيد ٢٤٥
 على بن عياش ٢٧٥
 على بن عبد الرحمن الفزاري ٢٥٤
 على بن علي الفهرى ٤٠٤
 على بن عيسى ٢٠٧
 على الأستر (البناء) ٢٩٩
 على بن اليلوشى ٢٦٧
 على بن الحرير ٢٦٨
 على بن محمد بن الوزير التجيبى ٢٥٤
 على بن يحيى ٤٠٨
 على بن يوسف بن تاشفين ٢٢٦ ، ٣٠٠
 على الرمنقارة القمارى ٤٠٣
 على ولد القليق ٢٩٤
 عمر بن أبى العرج ٢٨٦ ، ٢٨٧
 عمر بزاره ٤٠٣
 عمر بن حفصون الخارجى ٤٧
 عمر بن سعيد ٢٧٢
 عمر طوسون (البرنس) ١٨ ، ١٩
 عمر بن عامر ٢٧٠
 عمر بن عبد العزيز ١٩٣
 عمر بن عبد الله ٢٧١ ، ٢٧٦
 عمروس (والى طليطلة) ٤٥٧
 غنيسه بن سحيم الكلبى ٢٩٩
 غنى بن مالك بن أدد ٢٩٦
 عيسى بن الحسن ٢٦٩
 عيسى بن دينار الطايطلى ٤٤٦
 عيسى (المسيح عليه السلام)
 ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٦٢
 عيشون بن يحيى ٢٦٩

المقري (صاحب نفع الطيب) ١٦٦ ، ٢٩٠٢٣ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩٢ ، ٢٧٧ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١	مرتيز شانجس (مهندس) ٤٠٠ ، ٤٢٩ ، مرتيز غرسية ٣٩٩ مرتيز فرتدس القرمادي ٤٠٦ مرتيز قاليه ٣٨٦	محمد بن عباد (العمد) ٣٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤٨ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٣٠٠ ، ٣٤٣ ، ٤٥٩
مقيال بن سليمان ٣٨٧ مقيال بن سيد (الوزير) ٣٩٣ مقيال بن علي بن عمر ٣٩٢ مقيال بن يوانس ٣٧٣ ملرن ٣٨٠ ، ٣٧٠	مرتيز بن يحيى بن عبد العزيز ٣٩١ مرشكيطه ٣٨٥ مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ٣١٧ مروان بن غالب ٣٧٠ مريه بنت تام ٣٨٤	محمد بن عبد الرحمن الصفار ٤٠٤ محمد بن عبد الرحمن بن محمد ٤٠٨ محمد بن عبد الرقيب ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ محمد بن عبد الله ^{عليه السلام} ٤٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٩٠ ، ٤٢٣
ماندة الدليل ٣٨٧ ملندة فرندس ٤١٨ منبه بن معد المشيرة ٢٩٦ مندوزا (مطران طليطلة) ٣٣٩ ، ٤٤٤ مذر بن سعيد البلوطي ٤٧٠ المنذر بن محمد ٣٠٠	مريم بنت حسين بن فرون ٣٩٧ مريم (زوج عبد الله القزاز) ٤١٦ مريم بنت محمد ٤٠٧ المستظهر عبد الرحمن بن هشام ٣٠٠ المستين سليمان بن الحكم ٣٠٠ المستكفي محمد بن عبد الرحمن ٣٠٠	محمد بن عبد الله الأشجعي ٢٩٤ ، ٢٩٩ محمد بن عبد الله الانصاري ٣٦٨ محمد بن عبد الله بن حدير ٤٦٠ محمد بن عبد الله بن عيشون ٤٤٦ محمد بن عبد الملك بن أين ٤٤٦ محمد بن عمر بن ليابة ٤٤٦ محمد بن غازي المسكناسي ٣٥٤ محمد بن مردنيش ٣٠٠ محمد المناري ولد القنان ٤٠٣ محمد المهدي الجابي ١٩
المنصور بن ابي طامر ٢٠٢ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٤٢ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦ منسكة ٣٧ المهدي محمد بن هشام ٣٠ مهرة بن حيدان ٢٩٨ مورلو ٣١٣	مسلمة بن احمد المجر يطي (الفلكي) ٣٤٥ مسعود زرقون ٣٦٩ المسودي ١٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ١٥٩ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠	محمد (مهندس عربي) ٣٠٩ محمد بن هاني (الشاعر) ٢٩٥ محمد بن هشام بن عبد الحيار ٤٦٠ محمد بن يعيش الاسدي ٤٦٠ محمد بن يوسف بن اسماعيل ٣٩١ مدرازو (مصور) ٣١٤ مراد بن مالك بن ادد ٢٩٦ المراكشي ٣٦ مرة بن ادد ٢٩٦ مرة بن حصصه ٢٩٣ مرتيز الارجيد ياقن ٣٧١ مرتيز بن استافن ٣٧٤ مرتيز باطروس ٣٧٦ مرتيز بن حسن ٤١١ مرتيز الحياط ٣٧١ مرتيز بن رمانش ٣٧٦ مرتيز سلمة بن ابي حجة ٣٧٦
موسى بن الشحات الازيلي ٣٩٥ موسى بن نصير ٦٣ ، ٨١ ، ١٦٩ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧١	مسعود بن يحيى ٣٧٣ مطرف (شاعر غرناطة) ٣٠٠ المعافر بن يعفر ٢٩٧ المعتضد (البياسي) ٢٤٨ المعتد بن عباد (محمد) ٣٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤٨	
مؤنس المظفر ٤٧٠ ميشال دوسر ٣٢٩ ميقايل أرتند ٣٨٦ ميقايل بن بقى ٣٧١ ميقايل بن سلمة ٣٨٤ ميقايل بن شيب بن عبد الرحمن ٣٨٣ ميقايل ميطاس ٣٧٥ ميقايل يوانش ٣٨٤ ميكال (ملك البرتغال) ٣٤٩	مفرج بن خير ٣٧٢ مفرج بن عثمان ٣٦٩ المقدر بالله ٤٧٠ المقدسي ١٦ ، ٤٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧١	

يحيى بن عبد الرحمن الجريطي ٣٤٥
 يحيى بن عبد السلام ٣٦٩
 يحيى بن عبد الله الفائق ٣٦٨
 يحيى بن عدي ٣٥٤
 يحيى بن علي المالقي ٣٨٩
 يحيى بن علي بن يحيى ٣٧٣
 يحيى بن العوام الاشيلي ٣٥٥
 يحيى بن قريش ٣٦٩
 يحيى بن مالك بن طانذ ٤٤٦
 يحيى بن محمد الجريطي ٣٤٤
 يحيى بن محمد الانصاري ٤٢٠
 يحيى بن محمد ٣٧٠
 يحيى بن مفرج ٣٧٥
 يحيى بن وليد ٣٧٦ ، ٣٨٦
 يحيى بن يحيى الفقيه ٤٤٦
 يزيدور (مطران) ٤٣٩
 يشة ست مرتين ٣٨٣
 يشة الحريري ٣٦٨
 يشة فليش لطره ٣٦٩
 يعقوب البرساوتي ٣٧١
 يعقوب المصور (ملك المغرب)
 ١٩٦ ، ٢٤٠ ، ٤٦٣
 اليقوي ٣٩
 يعيش الحيايط المرناطي ٣٠٣ ، ٣٠٤
 يعيش بن قليبش ٣٧٣
 يعيش بن قريش ٣٧٦
 يلبان بن أبي الحسن ٣٨٤
 يلبان بن فرحون ٣٨٤
 يلبوشاد ٣٥٥
 يوان بن خلف ٣٦٨
 يوان رودميروس ٤٠٩
 يوان بن ظار ٣٧٥
 يوان بن عثمان ٣٨٤
 يوان فرتندس ٤٠٦
 يوان الكراستي ٣٧٥
 يوان (مستعرب) ٣٨٧

مند بنت جبران ٤١٣
 مند بنت عبد الرحمن ٤٢٠
 هنري الثالث ٣٤٦ ، ٣٥٨
 هنري دوايقاس (مهندس) ٤٣٠
 هنري الرابع ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٢
 هوازن بن عوف ٣٩٨
 هوازن بن منصور بن عكرمة ٣٩٣
 هور الافرنجي ٣٧٤
 هود (عليه السلام) ٢٩٤
 الهيثم بن عبيد الكلبي ٣٩٩
 (و)
 واضح (القائد) ٤٦
 وياك دواتس ٣٧٤
 الوطني ١٥٥
 وهب بن عيسى ٣٤٤
 وهب بن مسرة ٣٤٤
 وهب بن وهب ٣٧٢
 الوليد بن عبد الملك ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٤٦٧
 (ي)
 ياحوج بن يافت بن نوح ١٧٨
 يافت بن نوح ٢٦٢
 ياقوت الحموي ١٦ ، ٣٣ ، ٣٩
 ٤٠ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٥٧
 ٢٢٣ ، ٣٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣
 ياصب ٢٩٨
 يحيى بن اسماعيل ٣١٦
 يحيى بن دي التون ٤٤٢ ، ٤٤٣
 ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦
 ٤٦٣ ، ٤٦٥
 يحيى بن خلف ٣٦٩
 يحيى بن خليل ٣٨٣
 يحيى بن سرير ٣٧٢
 يحيى بن سعيد ٣٧٦
 يحيى بن سلمة الكلبي ٣٩٩

ميكال لويس ٣٣٠
 مينوز (مصور) ٣١٣
 مينوه ادفونس (القائد) ٣٧٥
 ميمونة بنت يحيى ٤٠٤
 (ن)
 نابليون الاول ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،
 ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
 الناصر علي بن حمود ٣٠٠
 الناصر السلواي (مؤرخ) ٣٥٨
 ناقرت السكروني (مصور) ٣٥٦
 نافع (شيخ القراء) ٢٧٢ ، ٢٧٣
 نرسيزو يشكوال ٣٤٩
 نزهة بنت سعيد الاوربوني ٤٠٨
 نزهة بنت الفلاحي ٢١٤ ، ٢١٨
 نزهة الركوني ٢١٤
 النعمان بن المنذر ٢٩٧
 نقلاش دطوريش ٣٨٥
 النمر بن قاسط الاسدي ٢٩٤
 نعيم بن عامر بن صصمة ٢٩٣
 (ه)
 هارون بن موسى الاديب ٣٤٣ ، ٣٤٤
 هاشم القراب ٤٥٩
 هامر ٣٧ ، ٣٨
 هذيل بن حكم ٣٦٩
 هذيل بن مدركة بن الياس ٢٩٣
 هربرت بلنك ٣٧٤
 هرقلس ١٥٨
 هريرة (الباء) ٣٣٨ ، ٣٥٥
 هريرة (مصور) ٣١٣
 هشام الاول ٤٥٧
 هشام بن الحكم ٣٠٠
 هشام الرضي ٣٠٠
 هشام بن عبد الرحمن ٣٦٥ ، ٣٦٨
 هشام بن عبد الملك بن مروان ٣٦٥
 هشام بن عذرة ٤٥٦
 الهذلي ١٦ ، ٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥١

بن عذاري ١٦، ٤٤١، ٤٥٢	ابن جبير ٢٦٣	يوان بن يليان الصقلي ٣٦٩
ابن المسال الشاعر ٤٤١	ابن جزى ١٩٠، ١٩٣، ٢١٥	يوانش بن تمام ٢٨٧
ابن علقمة ٤٤٤	ابن جهور ٣٠٠	يوانش بن عطف ٢٨٧
ابن العماد ٢٦٧	ابن حجاب ٢٣٦	يوانش بن مقاريل بن عبد العزيز
ابن عمار ٢٢٢	ابن حزم ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٨	٣٦٩ ، ٣٩٢
ابن عميرة ١٦ ، ٤٧٠	٣٣٠	يوانش بن ملوك ٢٧٣
ابن غالب ٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٠	ابن حوقل ١٦ ، ٤٢، ٣٩ ، ٥٤	يوسف (عليه السلام) ١٩٧
٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤	٤٦٨، ٢٤٤، ١٥٧	يوسف بن ابي الحجاج ٢٩١
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨	ابن حيان ١٦٠، ١٧١، ١٩٣، ٢٤٥	يوسف بونابرت ٢٤٧
ابن فرحون (قسيس) ٢٧٢	٤٧١، ٢٩٩، ٢٤٧	يوسف بن تاشفين ٣٠٠، ٤٤٦، ٤٦٢
ابن الفرضي ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٣٥٥	ابن خرداذبه ٢٧٦، ٢٦٨، ٢٩	يوسف بن عبد الرحمن الفهري
٤٤٦	ابن خفاجة ٢٠٩، ٢٤٣	٢٩٩، ٣٠٠، ٢٤٤، ٢٤٥
ابن الفصال ٣٥٥	ابن خلدون ١٦، ١٩، ١٨٦، ٤٦٧	يوسف بن عبد المؤمن ١٩٥
ابن الفقيه ٢٧٦	٤٧٠	يوسف النعماني ٤٠٤
ابن القباية ٢٠٩	ابن خلصكان ٤٤٤	يوسف الفهري ٢٦٧، ٤٥٤
ابن اليسع ١٥٩، ٢٠٣، ٢٤٢	ابن الحجاره ٢٣٨	يوسف بن محمد اشقيق ٤٠٧
ابن مالك ٢٨١	ابن ذى النون ٣٠٨، ٤٢٨	يوسف بن هارون الرمادي الشاعر
ابن مالك الرعيني ٢١٤	ابن دزين ٧٧، ١٠٤	٢٩٧
ابن مسرة ٤٦٥	ابن رشد ٢٤٥	يوسف بن يعيش اليهودي ٢٧١
ابن المطرف ٢٥٤	ابن رشيق ٢٤٨	يوليان بيريز ٤٢٨
ابن مفلح ٢٤١	ابن الرميمي ٣٠١	يوليان فيسون ٢٢٤
ابن مقاتا الاشبوني ٢٤٨	ابن زاكور ٢٥٣	يوليان بن يحيى ٢٧٤
ابن حلاله ٣٠٥	ابن الزقاق ٢١٧	يوليوس قيصر ١٩٧
ابن هود ٢٤٩، ٢٥٦	ابن سعيد ٢٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠	(ابن)
(بنو)	١٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥	ابن الأمار ١٦، ٣٥٤، ٣٦٠
بنو أبي عبدة ٢٩٨	٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨	ابن الاثير ١٦
بنو الأحمر ٢٩٥، ٣٠١	٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١	ابن ابي الجود ٢٥٥
بنو أسد ٢٩٤	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٢٧	ابن الاحمر ٢٥، ٢٥٦
بنو أضحى ٢٩٤	٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٧	ابن ابي عامر ٣
بنو أمية ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢	٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٤٦٦	ابن الافطس ٤٤٣
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٩	ابن سفر ١٩٧، ٢٤٢	ابن بدرود ٢٢٢، ٢٢٣، ٤٤٣
٣٠٠، ٣١٥، ٣٦٤، ٤٤٤، ٤٥٤	ابن سيده ٢٦١	ابن بسلام ٣٥٤، ٢٧٧، ٤٢٨
٤٦٠، ٤٦٩، ٤٦٥، ٤٧٠	ابن شرف ١٩١	ابن بشكوال ١٦، ١٩٦، ٢٣٥، ٢٣٦
بنو الباجي ٢٩٧	ابن طورينو ٢٧٥	٢٤٤، ٢٤٣، ٣٦٠
بنو الجند ٢٩٢	ابن عباد ٣٠٠	ابن بطلان ٣٥٤
	ابن عبدون ٢٢٢	ابن بطوطه ١٩٣، ٢١٤، ٢١٥

	(أبو)	
ابو حفص بن عمر ٢٩٣	ابو اسحاق الطرسوسى ٢١٨	بنو حمور ٢٩٨
ابو حنيفة النعمان ٢٧٢	ابو اسحاق العمراى ٢٧٢	بنو جودى ٢٩٣
ابو خالد بن اسطر ٢٦٩	ابو الأصبح القاضي ٤٣٥	بنو حزم ٢٩٣
ابو الخطار الكلبي ٢٩٩	ابو بكر بن الحديدى ٤٥٥ ، ٤٦٠	بنو حمديس ٢٩٤
ابو الخير الاشبيلى ٢٥٥	ابو بكر بن زهر ١٩٦	بنو حمود ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠
ابو زكريا يحيى ٣٠١	ابو بكر بن زيدون ٢٩٢	بنو ذي النون ٢٠٠ ، ٢٦٤ ، ٤٤١ ، ٤٥١
ابو زيد ٢١٣	ابو بكر بن سماعة ١٩٦	بنو رشيق ٢٩٤
ابو سرور فرج ٤٠٥	ابو بكر بن سعيد ٢٢٧ ، ٢٢٨	بنو زهرة ٢٩٢ ، ٢٩٤
ابو صفوان بن ادريس ٢١٠	ابو بكر بن عباد ٢٩٥	بنو سراج ٢٩٦
ابو الطاهر (صاحب المقامات اللزومية) ٢٩٣	ابو بكر بن عمار ٢٩٨	بنو سعيد ٢٩٦
ابو الطيب حمدان ٢٧٣	ابو بكر بن القيطرنة ١٩٦	بنو سهاك ٢٩٦
ابو الطيب المقترى ٢٨٤	ابو بكر السبكي ٢١٥	بنو عباد ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧
ابو طاهر السلمى ١٥٨	ابو بكر الخزومى الشاعر ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٩٢	بنو العباس ٤٦٩ ، ٤٧٠
ابو عبد الله الاحمر ١٥٥ ، ٢٤٨	ابو بكر يعيش ٤٦٥	بنو عبد البر ٣٩٤
ابو عبد الله الحياط الشاعر ٢٩٧	ابو تغلب الضنفرى ٤٩	بنو عبد البار ٢٩٢
ابو عبد الله بن ابي الخصال ٢٩٦	ابو جعفر بن خاتمة ٢٠٣	بنو عبد السلام ٢٩٧
ابو عبد الله الطليطلي ٤٤٦	ابو جعفر بن عقدة ٢١٧	بنو عبد المؤمن ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢
ابو عبد الله قاضي الجماعة ١٩٣	ابو جعفر الكتانى ٢٩٣	بنو عذرة ٢٩٨
ابو عبد الله بن عياش ٢١٨	ابو الحجاج البلوى ١٩٢	بنو عطية ٢٩٤
ابو عبد الله الحشنى ٣٥١	ابو الحسن بن حاتم ٤٠٩	بنو القاسم ٢٩٢
ابو عبد الله المصفى ٢١٨	ابو الحسن بن حريق ٢١٨	بنو القسيى ٢٩٥
ابو عبد الله بن ميمون ٢٠٧	ابو الحسن بن ذكوى ٣٦٩	بنو مازن ٢٩٥
ابو عبد الله الياكورى ٢٠٣	ابو الحسن زيزة ٤٠٥	بنو محارب ٢٩٢
ابو عبيد البكرى ١٥٨ ، ٢٩٤	ابو الحسن بن سراج ١٩٦	بنو مرديش ٢٩٧
ابو عمر بن ابي سليمان ٢٩٩	ابو الحسن البشري ٣٩٨	بنو مروان ٢٤٤ ، ٢٩٩
ابو عمر بن اسرائيل ٢٩٩	ابو الحسن على بن موسى ٢٠٠	بنو المنتصر ٢٩٦
ابو عمر بن شهيد ١٩٧	ابو الحسن بن نزار ١٨٩	بنو المهلب ٢٩٥
ابو عمر شوشان ٢٩٠	ابو الحسن بن ياقان ٤٠٦ ، ٤٠٧	بنو هاشم ٢٩٢
ابو عمر بن الشيخ ابي سليمان ٤٠٥		بنو هود ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٤٤١
ابو عمر بن عبد البر ٢٩٤		بنو وافتد ٢٩٧

فهرس الأماكن والبلاد

الواردة في الجزء الأول من كتاب
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية
رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

		(١)
٠ ٢١١٠٣١٠٠٣٠٩٠٣٠٦٠٣٠٠	أربلى ٥٤	أياجو ٣٥٥
٠ ٣٥٠٠٣٤٧٠٣١٦٠٣١٥٠٣١٢	أزبلا ٦٦	آبار الرتبة ١١٨
٠ ٤٥٠٠٤٣٩٠٣٨٢٠٣٨١٠٣٦٤	استجة ٤٠، ٧٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤	أبان ١٣٤، ١٣٥
٤٦٦	٢٣٤، ٢٠٥	أبنة ١١٦، ١٢٨، ١٨٠، ٢٠٥، ٢٠٩
الاشتورياس ٣٣٠	الاسترامادور ٣١٨، ٣٢٠	أبلة ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٤٠، ٣٤١
اشكونية ٢٢٢	استورقة ٢١١	٣٤٢
اشمة ٤١	استورية ٢٢	أبلش ٥٤، ٥٣
اشونة ٤٠، ٧٤	اسطبة ٢٠٥	الابواب ٦٠، ١٦٣، ١٦٦
اصهبان ١٦٨	اسفى ٩٨	اخشابة ٥٢، ٢٦٨
اطرانزنده ٤٧	اسكندرية ١١٩، ١٤٨، ٢٤٢، ٢٤٩	اراغون ٢٢، ٣١٢، ٣١٧، ٣٤٩
اطرية ٤١	الاسكوريال ٣١٠، ٣١١، ٣٥٥	ارانجويز ٣٦٢، ٣٦٣
اغريطة ١٦٣	٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩	ارائدة ٢٢٢
إفراغة ٤١، ٧٩، ٣٦٥	اشبانيا ٣٤، ٦١، ٧٢	ارافورن ٢٢٢
أفرايدة ١٢٦	الاشبلونة ١٨٠	أربونة ٣١، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ١٥٩
آقارية ٣٤	اشبونة ٣٦، ٤٠، ٥٥، ٥٨، ١٥٩	١٦٠، ٢٦٥، ٢٦٧
آقريف ٦٩	١٨١، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٦٠	أرجدونة ٤٧
اقشونة ٤٠	٢٦٧	أرجونة ٢٦٨، ٢٦٩
اقليش ٧٩، ١١٦، ١٦١	اشيلية ٢٧، ٣٠، ٣٣، ٤٠، ٤٥، ٥١	أرجيرة ٤٠، ٧٦
اكاديمية التاريخ ٣١١، ٣٥٣	٧٤، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٩	الأردن ٤٠
اكشونية ١٧٩	١١٧، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥	أرشدونة ٧٤، ١٣٠
اكشيتانية ٤٠	١٤٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٨٠	أرغانزون ٢٣٠
الب ٤٥، ٥٢	١٨٧، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨	أرمينية ٥١
البة ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٠٨	أونيدة ٤٠
الش ٣١، ٥٢، ٧٦، ١١١، ١١٢، ١٤٠	٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٣	أونيط ٧٩
اليسانة ١٣١، ١٣٢، ٢٠٥	٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٠	أريخالو ٣٤٠، ٣٤٢
أموربيطة ٢٣١	٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٢	
انتقيرة ١٣٠	٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩	
اندة ٢١٩		

برج الشياطين ٢٨٤
 برج لوجانس ٢٤٦
 مرجة ١٢٠٠٧٥ ، ١٢٩ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ٢٢٢
 برديل ٥٩٠٥٦ ، ٥٦٠ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦
 مررعة ٥١
 مرشاة ٧٥
 مرشلونة ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٨٠
 ١٠٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٧٦
 ١٨١ ، ٢١٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٢
 مرغش ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
 ٢٢٩ ، ٢٣٩
 برقة ٢٧٤ ، ٤٣٩
 برقة منسا ٢٢٠
 برلمانية ٢٠٧
 برهيو ٢٢١
 بروكل ٢٥٦
 بريانة ٧٦ ، ٢٦٩
 بريفسكا ٢٢٢
 بريانة ١٢٢
 برليطة ٢٠٠
 بسطة ٧٦ ، ١٢٦ ، ١٢٨
 بسقاية ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
 بسكونس ٤٢ ، ٤٥
 البشارات ٤٠ ، ٧٥ ، ٧٦
 البشرة ١٧٩
 البصرة (المغربية) ٦٦
 بطرية ١٢١ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢١٩
 بطروش ٧٧ ، ١٤٥
 بطليوس ٢٩ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٨
 ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 ٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٩٨
 ٤٤٣
 بغداد ٤٨ ، ١٥٥ ، ٢٦٩

باب عبد الحيار ٢٢٤
 باب المطارين ٢٦٩
 باب العقاب ٢٠٢
 باب قرون ٤٢٧
 باب انقطرة ١٣٦ ، ٢٢٤ ، ٢٦٩
 باب لاتينه ٢٤٦
 باب المحاضه ٢٨٩
 باب مردوم ٤٦٤
 باب المسخ ٤٢٢
 باب المسكاره ٤٣١ ، ٤٣٢
 باب الهدى ١٩٧
 باب وادي الحجارة ٢٤٦
 باب اليهود ١٩٧ ، ٢٦٩
 بابل ١٤٩
 بانكة ٢٢
 باجة ٢٦٠ ، ٢٦٨
 بادس ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩
 باروشة ٤٠ ، ٢٠٧
 باشكونية ١٨١
 باطقة ٢٤
 باعة ١٣٠ ، ١٨٩ ، ٢٢٢ ، ٢٠٠
 باوية ٢٤٦ ، ٢٥٢
 بالشر ٧٥ ، ١١٢
 بشطر ٧٤
 بحاجه ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٥
 ١٢٤ ، ١٤٧ ، ١٨٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨
 ٢٧١
 البجانس ١٢٠
 البحيرة ٤٠
 بذه ٧٩
 برباطانية ٤٠
 بربشتر ٤١
 البرتات ٤٠ ، ٧٩
 برتمان الكبير ١١٢
 برجوان ١٧١
 برج سرافوس ٧٢

اندرش ٢٠٥
 انزلان ٦٨
 انطاكية ١٤٧
 انكور ٥٤
 اوبيط ٤٠ ، ٤٨ ، ٢٢٦
 اوردونية ٢٢٢
 اوربولة ٧٦ ، ١١١ ، ١١٧ ، ٢٠٦ ، ٢٩٢
 اوسا ٢٢٤
 اولبة ٢٧٠
 اوليدور ٢٤٢ ، ٢٤٢
 ولبش السكرى ٢٩٠ ، ٢٠٤ ، ٣٠٤ ، ٤٠٤
 اونة ٢٠٨ ، ٢٩٤ ، ٢٢٢
 اونداروه ٢٢١
 ايبار ٢٢١
 ايرون ٢٢٩
 ايكجا ٢٧٥
 ايليا ١٧٢
 ايوان كسري ٤٤٧
 (ب)
 باب الابواب ٥١
 باب أقلام ٦٧
 باب بيزغره ٤٣٦
 باب الجعفرية ٢٥١
 باب الحديد ٢٦٩
 باب العباغين ٢٢٩
 باب ساحة التارنج ٣٠٦
 باب سانتو دومينكو ٢٤٦
 باب سان مرتين ٤٢٢ ، ٤٤٦
 باب سرادة ٢٤٦
 باب السول ٤٣٦ ، ٤٢٧
 باب الشقرة ٤٣٦ ، ٤٦٤
 باب الشمس ٢٤٨
 باب الصول ٢٤٦
 باب طلبطة ٤٣٦
 باب طمر ٢٦٩

جبل ايقندو ٢٢٩	بيجة ٤٠	بكة ٧٣
جبل البرانس ٢٢٢، ١٨١	البيرة ٤، ٤٦، ٧٥، ١٢٩، ١٨٠،	بكيران ١١١
جبل البرت ١٦٠، ١٦٢، ١٦٦، ٢٦٧	١٨١، ١٨٨، ١٩٠	البلاط ٤٠، ٧٧، ٧٨، ١٠٠
جبال بسقاية ٢١٧	بيفو ٢٦٨، ٢٧٠	بلاط مروان ٢٦٨، ٢٦٩
جبال البشرات ٢٨	بيلة انتقوه ٢٩٧	بلاطة ٧٨
جبل البشكنس ١٦٣	بيوة ٢٢٤	بلداو ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢
جبل البصرة ٦٦	(ت)	بلد الوليد ١٣٩، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١،
جبل بطش ٤٨		٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٥٢
جبل الثلج ١٢٩، ٢٧	تافر كنيث ٦٩	بلنوذ ١٢٥
جبال جة ١٨١	ناكرونة ٤١	بلشانة ١٣٣
جبل سهيل ٢٠٤	ناهرت ٢٦٨، ٢٧١	بلش ٢٠٦
جبل الشارة ٢٦٧	تدمير ٤٠، ٧٦، ١١٤، ١٦٤، ١٨٠،	بلسكوتة ٢٠٥، ٢٧٠
جبل شحيران ١٨٠	١٨١، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٧١، ٢٩٣،	بلنسية ٣٩، ٣٦، ٤٠، ٤٥، ٥٣، ٥٨،
جبل الشرف ١٩٨	ترجيلة ٥٣، ١٠٠،	٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٤،
جبال طليطلة ٢٩	تشمش ٦٥، ٦٦،	١١٥، ١١٧، ١٨٠، ٢١٢، ٢١٣،
جبل عافور ١٤٦	تطوان ٣٥،	٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٦٦،
جبل المروس ١٣٦	تطيلة ٢٨، ٤٠، ٤١، ٧٩، ١٠٦، ٢٠٧،	٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٣، ٣١٢،
جبل العليا ٢٢٩	٢٧١، ٢٧٤، ٣٠٥، ٣١٢،	٣١٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٣٦،
جبل القور ٥٥	تلمسان ٦٩	٤٥١، ٣٥٠
جبل فأره ١٢٩	تمريط ٢٠٧	بليانة ٢٠٧
جبل قاعون ١١٠، ٥٦	تتس ١٤٧	بليسانة ١٢١
جبال قشالة ٢٦	تور كادة ٢٢٣	بليونش ٦٣
جبال قنطيرية ٢٨، ٣١٨، ٣٢١	تورو ٢٢٤	بمقام ١٠٢
جبال الكواكب ٦٨	تونس ٥٤، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٦٨،	بفلوة ٢٧، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٤،
جبال كور ١٢٧	٢٧٥، ٣٥٢، ٣٥٣،	بنك بلاو ٢٢٣
جبل لامم ١١٩	تيطل ٢١٩	بنى عبدوس ١٢٤
جبل منت ليون ٨٤، ١٧٩	(ث)	بنى وزار ٦٣، ٧٠
جبل المنية ٦٤		بوتسهام ٣٦٣
جبل موسى ٦٣	الثغر الأعلى ٢٠٦	بورقة ٤١
جبال نيفادة ٢٦	(ج)	بوريانة ١٠٨، ١٠٩
جبال يابسة ١١٠		بوزكور ٦٨، ٦٩
جراو ٦٩	جاجة ٧٢، ٧٩	بياسة ١١٦، ١٢٨، ٢٠٥، ٢٦٨، ٢٧١،
جرف ٤٠	جبال الاحراف ٦٩	٣١٠، ٣٠٩
الجزائر ٢٥٣	جبال استورياس ٣١٧، ٣١٨،	بيانة ٧٤، ١٣١، ٢٠٥،
جزيرة أبلناسة ١١٢	جبال الاغن ١٦٣	بوظل جبل طارق ٢٧، ٣٠، ٣٢،
جزيرة أحيال ١٧٦	الجبال الايرية ٣١٨	بيت المقدس ٢٠١، ٤٦٦،

الحرثة ٧٠	جزيرة قبرص ١٤٩	جزيرة إرشقول ٦٩
حصن أبال ١٤٧	جزيرة قرنبيرة ١١٤	جزيرة أقود ٦٠
حصن ابن هارون ٧٧	جزيرة الفشقار ٦٩	جزيرة أم حكيم ٨١
حصن أرجونة ٥٢٠	جزيرة القنير ٨٠	الجزيرة الأندلسية ٣١، ٣٢، ٣٦،
حصن أركش ٧٣	جزيرة كريت ٤٣٤	٤٠، ٤٥، ٦١، ٧٠، ١٦٠، ٢٠٤،
حصن أرند ٩٩	جزائر مزغناي ٥٤	٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٦، ٢٦٦،
حصن أسلان ٧٠	جزيرة ميورقة ٣٠، ٥١، ٥٦، ١٤٧،	٤٣٣، ٤٥١، ٤٦٣، ٤٦٩
حصن أشر ١٣٠	١٦٣، ١٦٣، ٢٠٩، ٢٦٦، ٢٦٧،	الجزيرة الأييرية ٢٢، ٢٢، ٢٦، ٢٧،
حصن أشونه ١٣٣	٣٣٣	٢٨، ٣١، ٣٣، ٤١، ٣٠٢، ٣٠١،
حصن إفرد ١١٧	حريرة مينورقة ٥٦، ١٤٨، ١٦٠،	٣١٧، ٣٣٦، ٤٥٣
حصن آقه ١١٣	١٦٣، ٩، ٢٦٧،	جزيرة بريطانيا الكبيرة ١٦١،
حصن أدة ٢١٩	جزيرة النساء ١٧١	١٦٦، ١٧١، ٢٠٨، ٢٢٩،
حصن اندوحر ١١٦	جزيرة بادسة ١٤٧، ٢٠٩،	جزيرة تولى ١٧١
حصن برعش ٣٣٤	جزيرة ينشتالة ٨٣	جزيرة جيل طارق ٣٦٨، ٥٥
حصن بكيران ١١١	جسر سان ماريس ٤٣٣	جزيرة المحجل ٣٣٨
حصن بطروش ١٤٦، ١٤٥	جسر قرطبة ١٩٣، ١٩٤، ٣٠٤،	الجزائر الحاملات ٢٠٧
حصن البلاط ١٠٠	جسر طليطلة ٤٣٤	الجزيرة الحصارا ٢٥٠، ٨، ٣٣، ٥٦،
حصن بلاي ١٣٣	جلنكش ٣٦٧	٦٣، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٣٠،
حصن بلكوتة ٣١٨	جلاية ٥٢	١٧٠، ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٩٧،
حصن بندر ١٤٦	جلاية ٤٤١، ١٦٦، ٤٥	٢٨١، ٢٩٨
حصن بنشكة ١٠٨	جنان الورد ٤٤٥	جزيرة سرداية ١٤٨
حصن بوترون ٣٢٧	جنة الخنثى ٤١٢	جزائر السعادات ٢٠٨
حصن البوت ١٨٠	جنة السات ٣٥٠	جزيرة شقر ١٠٩، ١١٠، ١١٥،
حصن بيانة ١٣١	جنجاله ٧٦، ١١٤، ١١٥،	٢٠٦، ٢٤٣،
حصن بيرة ١١٣، ١١٨	جنوة ٣٠٩	جزيرة شلطش ٥٨، ٧٤، ٨٥، ٨٦،
حصن تاجمريت ٦٩	الجوف ٥٨، ١٦٣، ٤٤٥،	٢٠٨، ٨٩
حصن تاجه ٤٦٦	الجويبار ٣٣١	جزيرة سقلية ٤٥، ١٧١، ٢٥٩،
حصن تشكر ٧٦	حيان ٤٠، ٤٥، ٧٥، ١٢٧، ١٢٨،	٢٦٨
حصن قطاوان ٦٨	٢٠٥، ٢٠٠، ٢٦٦، ٣٦٨، ٣٧٠،	جزيرة طريف ٣٥، ٣٦، ٥٨،
حصن تقساس ٦٨	٢٤٥، ٣٨١، ٣٨٢،	٦٣، ٧٦، ٨٠، ١٧٠، ١٨٤،
حصن الجرف ١١٧، ١٣٥	جيرة ٤٢	٢٠٠
حصن جليانة ١٩٠	جيرة ٣١	جزيرة العرب ٣١، ٦٠،
حصن جيرة ١٠٦	(ح)	جزيرة الغم ٧٠، ٩٧،
حصن الخنش ١٤٧، ١٤٦	الحامة ٢٠٦	جزيرة الفيران ١١٣
حصن الحة ١١٧، ١٢٤	حجر ابن خالد ٦٧، ٧٩،	جزيرة قانس ٥٨، ٧٣، ٨٦، ٨٣،
حصن دالر ١٢٥	حديقة الثبات (في بلنسية) ٣٥٠،	١٣٤، ١٥٩، ٢٠٧، ٢٣٣، ٣٣٤،
		٣٦٦

خليج برديل ٢١	حصن المدور ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،	حصن الرياحين ١٠٩
الخليج الرومي ٤٥	٢٩٢ ، ٢٢٨	حصن الزهر ٨٣
خليج قانس ٢٩	حصن مراد ٣٩٦ ، ١٣٥	حصن سان سرفندي ٤٢٣
الحنادق ١٣٥	حصن مرية بلش ١٢٣	حصن شقوري ١١٤
خندق آش ١٢٦	حصن مسكاه ٦٨	حصن شفت أفرج ١٩٨
خندق قبر ١٢٥	حصن المدن ٩٢	حصن شفت ياله ١٩٢
الخورتق ١٩٤ ، ٤٤٧	حصن منت ميور ١٨٠ ، ٩٢	حصن شنش ٢٠٤
(د)	حصن منترك ١٢٣	حصن شوذر ١٢٨
دار البقر ١٤٥	حصن مندوجر ١٢٥ ، ١٢٤	حصن صالحه ١٢٣
دار البلدية ٣٠٩	حصن المنكب ٥٦	حصن طشكر ١٢٧
دار الطيخ ٨٩ ، ٩٠	حصن مورة ٣٧٣ ، ٣٧٥	حصن طشكره ٨٠
دار الخازن ٤٦٢	حصن موله ١١٧	حصن طويه ١٢٨
دار المؤتمر ٣٤٩	حصن ولبه ٨٧	حصن غانق ١٤٦
الماموس ٨٩	حصن مومت ٢٩٨	حصن فريره ١٢٥
داية ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١	حلب ٢٤٥ ، ٢٤٢	حصن فريش ١٣٥
١١٥ ، ١٤٧ ، ٢٠٦	حلق الزاوية ٨٧	حصن فنيانه ١٢٥
درب الممرين ٩٤	حلوق بالش ١١٢	حصن قبره ١٣١
دروقة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٣٥١	حاه ٢٤٢	حصن قذاق ١٣١
رشته ١٣٦	حام بلباو ٣٣٢	حصن القصير ١٢٥
الذقل ٧٥	حام الكوف ٤٥٣ ، ٤٣٢	حصن قليره ٥٨
دلایه ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٧٩	الحه ١٣٣ ، ٩٤	حصن قسطله ٨٦
دشق ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ١٩٨	حده عشر ١٢٥	حصن قسطينه الحديد ١٣٥
٣١٥ ، ٣٤٢ ، ٣٧٥	حده وشتن ١٢٥	حصن قصرس ١٠٠
دنهاجة ٦٦	الجره ٣١٤ ، ٣١٤ ، ٣٠٨ ، ٤٣٠	حصن القصر ٧٤
الدواميس ٢٠٨	حصن ٤٠ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢١٠	حصن قطيانه ١١٧ ، ١٣٤
دورنغو ٣٣١	حصن ١٢٥	حصن قليده ١١٠ ، ١١٥
دويره ٤١	حوز الريحانه ٥٨	حصن قيشاطه ١٢٨
دويناس ٣٣٣	حوز الموره ٥٨	حصن القيله ١١٧ ، ١٣٤
دير الاسكوريال ٣٤٣	(خ)	حصن كاستيليو ٣٣٥
دير البدال ٣٠٦	خراسان ٢٧١	حصن كركال ٦٨
دير بيدره ٣١٢	خزانه الانار ااقوميه ٣٥١	حصن كركوي ٩٩
دير راهبات برغش ٣٣٧	خزانه الاسكوريال ٣٥٨	حصن ابراله ١١٧
ديرسان بابلو ٣٠٥	خزانه دير لورنزو ٣٥٨	حصن اورقة ١١٨
ديرسان بادروه ٣٠	خزانه الكتب الوطنيه ٣٥٠	حصن لوره ١١٧ ، ١٣٤
ديرسان توماس ٣٤١	خشبة ٣٧١	حصن مارته ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٩
ديرسان سلفادور ٣٣٣	الحضراء ١٨٤ ، ٢٠٧	حصن مادلين ١٠٠
	خليج اشبونه ٢٩	

سجلنامه ٢٦٨، ٢٧١
 سرتہ ١١٧، ٧٧
 سرقسطہ ٢٨، ٤٠، ٤٥، ٧٩، ٨٤،
 ١٠٦، ١٠٩، ١١٤، ١٦٤، ١٧١،
 ١٩١، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٢٨، ٣٠٠،
 ٣٠٨، ٣١١، ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٥١،
 ٤٥٤، ٤٤١
 سرقوسہ ٢٧١
 سقویہ ٢٤٦، ٣١٠، ٣٦١، ٣٦٢،
 ٣٧٤
 سلا ٢٢٢، ٢٠٨، ٥٦
 سمورہ ٣٦٥، ٤٥
 سمور ٤٨
 سیمپاط ٣٦٣
 سفنا کروس ٣٠٦
 السہلہ ٢٠٦
 سہیل ٢٠٤
 السواتی ١٢٥
 سور مدیہ آتہ ٣٤٢
 السوس ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٨
 سول ٢٢٥
 سیمٹکس ٤١
 سیستون ٢٢٥
 سیودادریال ٢٢٥
 (ش)
 شارات آتہ ٢٤١
 شارات استریلا ٢٩
 شارات سان برناردو ٤٣١
 شارات غانا ٢٩
 شارات غریبوس ٤٣١
 شارات قنفریا ٣٦١
 شارات مالاغون ٢٤١
 شارات مورتیا ٣٠
 شارات مورتیا ٣١٩، ٣١٨
 شارات وادی الریل ٢٢٩، ٣١٩، ٢٤٢،
 الشارات ٧٨، ٤٥

(ز)
 الزامرہ ١٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠،
 زجان ٦٨
 الزرادہ ١١٧
 الزقاق ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٨
 زمورہ ٤١، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٤،
 الزہرا، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٧٤، ١٤٤،
 ١٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٥١،
 الرولہ ٢٣١
 زومراقہ ٢٣٥
 زوریتہ ٤٥
 زومیہ ٣٣٥
 زواغہ ١٤٦
 زبرد الخالہ ٨٤
 الزیتون ٤٥، ٧٩
 (س)
 ساحۃ السطیطہ ٤٣٨
 ساحۃ السوقہ ٣٦٢
 ساحۃ الشرق ٣٥٠، ٣٥٢،
 ساقیہ أشر ٧٧
 سات اندر ٢٢٢
 سان ایلد فوسو ٣٦٢
 سان ایلو ٣٠٦
 ساتو کریستو ٣٠٨
 سانت یاقو ٣٠٩
 سان دورازوانزو ٣٦١
 سان سیباتیان ٢٢٩
 سان عربوربو ٣٠٦
 سان کنتین ٢٥٥
 سان مرقس ٣٦١
 سان میلان ٣٦١
 سبأ ١٤٨، ١٤٩
 سبتہ ٣٥، ٣٣، ٥٤، ٥٦، ٦٣، ٦٤،
 ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨١، ١٥٧، ١٨٤،
 ١٨٥، ٢٠٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٤٢،
 ٤٥٣
 سبریزوس ٢٤٢

دیر سیلوس ٢٢٨
 دیر شنت باترو ٢٩١
 دیر شنت قلمنت ٢٨٩، ٣٩٠، ٤٠١،
 ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧،
 دیر القدیس أغناطیس ٢٣٥
 دیر کارڈینیہ ٢٣٦، ٢٣٨،
 دیر بنبلونہ ٢٩٥
 دینا (مرسی بحری) ٢٣٥
 دیوان القتیث ٢١٤
 (ذ)
 الذرادہ ١٢٥
 (ر)
 رابطہ کشطاب ١٠٨، ١١٨،
 رأس روکہ ٣٦
 رأس قسان ٣٦
 رأس کریوس ٣٦
 رأس الحجاز ٦٥
 رأس مراکش ٣٦
 رأس نان ٣٥
 راقویل ٤٥
 الران ٥١
 رض التبانین ١٢٤
 رض قنتالہ ١٢٤
 الرتبہ ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧،
 الرسافہ ٤٩، ٢١٧، ٢١٨،
 الرصیف ١١٤
 رندہ ٣٣، ٤١، ٧٥، ٢١٩، ٣٠٧،
 روطہ ٨٣
 رومہ ٢٤، ١٠٢، ١٨٦، ١٩١، ٢٠١،
 ٣٥٦
 رومیۃ الکبریٰ ١٧١، ٢٣٥، ٢٣٤،
 رومیۃ یولیس ١٩٨
 الریہ ٣٥٥
 ریو ٤٧
 ریہ ٤٥، ٤١، ٧٤، ١٢٩،

طرسونه ٢٠٧	شتت رمعان ٢٨٤	شارع جريمنو ٢٤٨
طرش ١٢٢	شتت طانكش ٢٤٠	د القامة ٢٤٨
طرطوشه ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٥ ،	شتت فليش ٢٨٤	شارمارتين ٢٤٢
٧٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ٢٦٥ ،	شتت ماريه ٧٧ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٦ ،	شاط ١٢٢
٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩	٢٠٧	شاطبه ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ،
طرف الأغر ٥٨ ، ٢٣١	شتت ماريه ١٦٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،	الشامة البيضاء ١١٤
طرف ثلال ٦٩	شتت ياقوب ٧١	شجانه ١١٣
طرف حياقيه ٢٣٤	د ياقور ٢٦٦	شدوة ٤٠ ، ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
طرف العرف ٥٨	د ياقور ٢٢٢	٢٦٨ ، ٢٧١
طرف القيطال ١١٢	د يانوه ١٦١	شروان شاه ٥١
طرف الناظور ١١٢	الشنيده ٢٦٨ ، ٢٧٠	شرف أشليه ١٩٨ ، ١٩٩
طركونه ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ،	الششين ٨٧	الشرف ٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
١٠٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢٢ ، ٢٦٦ ،	شوذر ٢٦٨ ، ٢٦٩	شريشه ٧٨ ، ٩٩
٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٦١	شوريه ٣١٩	شربش ٧٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٧ ،
طريانه ٢١٩	شوشيل ١٢٥	٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٣٠٩
طريف ٢٢	(ص)	ششله ٣٩٧
طريق الزنجيار ١٣٤	صاع ٦٩	شطور ٨٨
طريق لوره ١٣٤	صالحه ٢٩٥	شمره القوارير ٥٤
طريق الوادي ١٣٤	سان استيان ٢٢٢	شقرش ٧٧
طشان ٧٣	صاف ١٣٤ ، ١٣٥	شقر ٧٦
طلييرة ٥٣ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،	الصغانيان ٢٧١	شعه ٢٧١
٢٩٣	المفيحة ٦٢	شقده ٢٢٤
طلمنكه ٢٠٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،	صقليه ٢٥ ، ١٨٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،	شقوره ٧٦ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ٢٩٦ ،
٢٢٠	صنعه ٢٤٣	شلبونه ١٢٢
طلوزه ٣٠٥ ، ٣٣٠	صم حياقيه ١٥٩	شلب ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٨٧ ،
طليطم ٣١٣	صم قادس ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،	٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٦٠ ،
طليطه ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٣ ،	٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧	٢١٣ ، ٤٦٦
٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،	سور ١٨٥ ، ٢١٦	شلطيش ٨٦ ، ٢٩٤
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ،	الصيرة ١٢٣	شليز الثلج ٣٠
١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،	(ط)	شتت اردم ٣١٩
١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،	طالعه ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ،	شتتيرييه ٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠
٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢ ،	طبرشانه ١١٧	شتت بيطر ٨٣
٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ،	طبرقه ٥٤	شتتيرين ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ،
٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ،	طبييرة ٥٨ ، ٨٦ ، ٣٠٠ ،	٧٨ ، ٩٩ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٨٢ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،	طرجاله ٧٥	١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢٦٨ ،
٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،		٤٥ ، ٥٤ ، ٧٨ ، ٢٠٣ ،
٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ،		

فرغاره ٢٣٠	٢٣٠، ٣٦٦	٢٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٦
فرنجلوش ١٣٥	٦٥	٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٢، ٣٧١
فريره ٤٠ ، ٧٥	المرآة ٥٤	٣٨١، ٣٨٠ ، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٦
فريس ٤٠	غرغيرة ٥١	٣٨٦، ٣٨٥ ، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢
القساط ٢٤٢	غرناطة ١٤ ، ٢٣ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٣٩	٣٩٣، ٣٩٢ ، ٣٩١، ٣٩٠ ، ٣٨٧
الفساط ١٢٣	١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ١٢٢ ، ٧٥	٣٩٩، ٣٩٨ ، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٥
الفقر ٧٧	١٥٢ ، ١٤٧ ، ١٣٣ ، ١٣٠ ، ١٢٩	٤٠٩، ٤٠٦ ، ٤٠٣، ٤٠١ ، ٤٠٠
الفلجة ٤٠	١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤	٤١٨، ٤١٥ ، ٤١٤، ٤١٣، ٤١١
فلسطين ٤٠	٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٠	٤٢٣، ٤٢٢ ، ٤٢١، ٤٢٠ ، ٤١٩
الفت ١٠٤ ، ٧٧	٢٣٨ ، ٢٣٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤	٤٣٠، ٤٢٨ ، ٤٢٦، ٤٢٥ ، ٤٢٤
١١٦	٢٩٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٢٥٠	٤٣٧، ٤٣٦ ، ٤٣٥، ٣٣٤ ، ٤٣٣
الفدون ١١٣	٣١٣ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧	٤٤٢، ٤٤١ ، ٤٤٠، ٤٣٩ ، ٤٣٨
الفهميز ١٠٣ ، ٧٩	٣٨١ ، ٣٥١ ، ٣٤٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦	٤٤٧، ٤٤٦ ، ٤٤٥، ٤٤٤ ، ٤٤٣
فوترايين ٣٦	٤٥٠ ، ٤٤٥ ، ٤٣٠ ، ٣٩٩ ، ٣٨٢	٤٥٣، ٤٥٢ ، ٤٥١، ٤٥٠ ، ٤٤٨
فيتورية ٢٣٠	٤٥٤	٤٥٩، ٤٥٨ ، ٤٥٧، ٤٥٦ ، ٤٥٥
فيسانه ٨٤	غرنيقة ٣٣١	٤٦٤، ٤٦٣ ، ٤٦٢، ٤٦١ ، ٤٦٠
فيا ٢٨٢	علسانة ٨٤	٤٦٩، ٨٦٨ ، ٤٦٧، ٤٦٦ ، ٤٦٥
فينستير ٣٦	عمدان ١٩٤	٤٧١، ٤٧٠
فيلابه ٢٤٢	عوتارية ٣٣٠	ملنجه ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٢٥
(ق)	غوطة ، بنسبة ٣١	٣١٢ ، ١٨٤ ، ١٧٠ ، ١٤٩
قابلة ابن اسود ١١٤	غوطة دمشق ٣١	طوروزلاس ٣٤٠
قانس ١٤٧ ، ١٧ ، ٥٦	الغيران ١٣٤	(ظ)
قاعة الاسود ٣٥١	غضة ألسى ٧٨	ظراكونه ٨٣ ، ٨٢
قات ٢٧٠ ، ٣٦٨	غيوسكوه ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤	(ع)
القاهرة ٢٤٢	٣٢٧ ، ٣٢٧	عجلة ١٣٥
قبتور ١١٧ ، ٨٣	(ف)	عذرة ١٣١
قبرة ٢٣٥ ، ٢٠٥ ، ١٣١ ، ٧٤ ، ٤٠	فاس ٦٧ ، ٦٨ ، ١٥٥ ، ٢٤٢	عساوكة ٨٤
قبرس ٣٥١ ، ٢٥	٢٧٤ ، ٢٦٨	المطوف ٨٣
قبطال ١١٧ ، ٨٣	فانداليسيا ٣٣	عقبة أبيتشه ١٠٨
القدس الشريف ١٦٩	فتة ٧٧	عقبة شقر ١١٨
قوت ٦٧	فج ابن لقيط ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨	عكسكس ٥٥ ، ٤٥
قرسيس ٢٧٠ ، ٢٦٨	فخص بلاطه ٩٨	عين السمك ٢١٤
قرطاجنة ١١٢ ، ١١١ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٥٦	فخص البلوط ٤٠	(غ)
٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٦٣ ، ١١٤ ، ١١٣	فخص عجلة ١٣٦ ، ١٣٥	غادرة ١١٦
٢٥٢	الفخر ٤٠	ظنق ٢٠٥ ، ٧٧ ، ٤٧
	فرساي ٣٢٢	
	فرضة محاة ٥٣	

قلعة شنت فيله ١٣٤	قصر تاركا ٦٨	قرطبة ٤١، ٤٠، ٣٣، ٣٠، ٢٧، ٢٩
قلعة ظائق ١٤٦	تورنييراس ٤٦٤	٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٧١
قلعة ملبال ١٣٥	الجعفرية ٣٠٨	٧٤، ٨٩، ١١٤، ١١٦، ١١٧
قلعة ورد ٢٣٥	الجواز ١٧٠	١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤
قلعة بحصب ٢٩٨	شارلكان ٤٣٤	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤
قلعة ١١٥، ١١٦	شقوقية ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٦٠	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٧١، ١٨٠
قلعة مولاى حسن ٢٧	طليطلة ٤٣٨	١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٤
القناتان الملقتان ٣٠٤	عبد الكريم ٦٦، ٦٥	١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩
القناة الرومانية ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢	غالبان ٤٣٤	٢٠٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٩
قناة لوزويا ٣٥٢	فلاسكو ٣١٠	٢٢٢، ٢٢٤، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٠
القناطر ٨٣	كازادل ٣٠٩	٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١
قناش ٢٨٩	السكردون ٣٣٧	٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠
القت ٣١، ٤٢، ٧٦، ١٠٩	مجلس الشيوخ ٣٥٠	٣٠٧، ٣١٨، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٤
١١٣، ٢٠٦	المركيزه فيلقه ٤٣٤	٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٦٤، ٣٨١
القنباية ٤٠، ٧٤، ١٩٥، ٣٦٩	مصمودة ١٨٤، ٦٥، ٦٣، ٥٦	٣٨٢، ٣٩٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٥
٢٧٠	الملك لتربق ٤٣٢	٤٤٦، ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٩
قناش ٣٦٨، ٣٦٩	القصر الملوك ٣٥٩، ٣٤٥	قرمونة ٤٠، ٧٤، ١٣٣، ١٣٤، ١٩٨
قفسرين ٤٠	قصر مندوزه ٣١٠	قسطة ٢٠٥، ٢٦٨، ٣٦٩
القنطرة ٦٣، ١٠٤	موتا ٣٢٤	القسطنطية ٤٧، ١٧١، ٢٣٥، ٤٢٩
قنطرة استشان ١١٦	مونارس ٤٣٥	قشالة ٢٨، ٢٩، ٧٢، ١٧١
قنطرة إشكابة ١١٧	ميرانده ٣١٠	٣١١، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢
قنطرة سنجه ٢٦٣	قطيانية ١٣٥	٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٥
قنطرة السيف ٧٨، ٩٠، ٩١	القلعة ١٠٤	٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣
٤٦٩، ٢٦٣، ٣٢٤، ١٠٠	المليمة ١٣٤	٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٤٥١
قنطرة طليطلة ٢٣٤، ٤٣٥، ٤٦٨	قلعة أزلية ٩٩	٤٥٣، ٤٦٣
قنطرة قرطبة ١٩٣، ١٩٤	قلعة أيوب ١٠٤، ٧٩، ١٠٥، ١٠٦	القصر ٧٨، ٨٨، ٣٠٨، ٣٤٦، ٤٢٥
قنطرة لبله ٨٥	٢٠٧، ١٨٠	القصر ١١٦، ٢٠٥
قنطرة ماردة ٢٣٤	قلعة يشتر ١٣٠	قصر الاسكوريال ٣٠٢
قنيطرة محمود ١٠٤	قلعة بنى سعيد ٢٩٨، ٢٩٦	آش ٥٣
قلمرية ٩١، ١٠٢	القلعة البيضاء ٣٠٦	بريون ٣١٠
قلهرة ١٠٦	قلعة خولان ٢٩٧	بينافنت ٣١٠
القواطم ٤٠، ٧٧، ١٠٤	قلعة خيران ٢٠٢	ماكده ٤٣٥
قورية ٤٠، ٧٨، ٩١	قلعة دروكة ١٠٥، ٧٩	مدينة سالم ٣١٠
قوس العصر ٣٠٤	قلعة تراج ١٤٦، ١٠٠، ٩٩، ٧٧، ٥٣	أبي دانس ٤٠، ٥٢، ٧٨
قونسه ٤٠	٢٠٥، ٢٢٦، ٢٩٧، ٣٩٠، ٤١٨	الافاتاجو ٣٠٩
قونسكه ٣١٠	٤٣٤، ٤٦٣	

كنيسة طلمنكة ٢٦٢	كنيسة سان جوان الندامة ٤٣٤	قوتك ٢٢٠
» طليطلة ٤٢٩ ، ٤٣٥	» سان سربين ٣٠٥	قويمرة ٤٠
» القراب ٥٨ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ٨٨	» سان سفونديو ٢٤٢	القيروان ٢٣٥ ، ٢٧١
» غرناطة ٤٣٠	كنيسة سان سلفادور ٢٤١	(ك)
» لورنزو ٢٥٥	» سان سليفانو ٤٣٨	كارانزا ٢٢٢
» مارده ١٦٩	» سافوتومو ٤٣٤	الكامبو ٢٢٤
» ماريا البيضاء ٤٢٢	» سنت فليس ٢٧٥	كلونية ٣٠ ، ٣١ ، ٣٠٦ ، ٣١٢
» مالقة ٣٠٩	» سان فيسيت ٢٤٢	٣١٤ ، ٣٤٩
» مرسية ٢١٠	» سان قرشويل ٤٣٨	كندة ٨٠ ، ١٠٩
» مسيح اللور ٤٦٤	» ساتو كريستو ٤٢٧	كرتش ١٨١
كنيس اليهود بطلي له ٤٢٠	» سان لورنزه ٤٣٨	كرط ٦٩
كهف مرقل ٤٢٢	» سانتا ماريه نارنكو ٣٠٥ ،	كركويه ٥٣
كورنيه ٣٠٥	٢٢٩ ، ٢٠٩	كرت ٢٥
كوغواودو ٣١٠	» سانتا مريه المدلية ٤٣٨ ، ٢٢٩	كستيلو ٢٣٠
كونسكة ٧٦ ، ١١٥ ، ١١٦	» سان ميكال ٢٦٢	كشال ٨٠
كوكو ٢٤٣	» سان يقولا ٢٣٥	كش ٢٧١
كيتانا بالا ٢٢٢	» سانت ياقو ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،	كنيسة آبله ٣٠٦ ، ٣٥١
(ل)	٢٢٤ ، ٢٢٤	كنيسة استورقه ٣٠٦
لايورد ٢٢٧ ، ٢٢٥	» سان يشته ٤٣٨	كنيسة اشيبه ٣٠٦ ، ٤٢٩
لارده ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٩ ، ١٠٦ ،	» سرقسطه ٣١٥	كنيسة انيوم شتوروم ٤٢٠
٣٠٥ ، ٣٦٥ ، ٣٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨٠	» السيدة العفرا ٢٤٦	كنيس الانتقال لليهود ٤٣٤
لاغرجه ٢٦٢	» سيده المدية ٢٥٣	كنيسة باليسو ٣١١
لاميغو ٤١	» شت اوج ٤٢٠	كنيسة برشونه ٣٠٦ ، ٣١٢
ابله ٤١ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،	» شت روال ٢٩٦	كنيسة برغش ٣٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥
٤١٥ ، ٣٦٩ ، ٣٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٨٠	» شنه قلميه ٢٨٩	كنيسة بلد الوليد ٢٢٨
لبيرة ٢٧١	» شات لوقاديه ٣٧٠ ، ٤١٢ ،	كنيسة ببلونه ٣٠٦
لشبون ٥٢ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ،	٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٨	كنيسة جيان ٣٠٩
لقنت ١١١ ، ١١٢	» شنت مارنين ٤٠٦ ، ٤١٢	كنيسة سان اشقان ٣٥٣
لورقه ٣١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١١٣ ، ١١٧ ،	» شنت مريه ٢٨٦ ، ٣٩٢ ،	» سان اطوين ٤٣٨
١١٨ ، ١١٣ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،	٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ،	» سان ايزيدور ٣٠٥ ، ٤٣٨
٤٠٨	٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ،	» سان بابلو ٢٢٩
لورة ١٣٤ ، ١٣٥	٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٥	» سان بدرو ٢٤١
لوزان ٤٢٤	» شنت ياقوب ٧٠	» سان بطرو ٢٣١
لوشة ١٢٩ ، ١٨٩ ، ٢٠٥	» شات يناس ٢٩٦	» سانت نينيو ٣٠٦ ، ٤٣٤
لوكوني ٢١٩	» شنت يوالث ٢٨٩ ، ٤١٧	» سان جوان الملوك ٤٣٠ ،
	» طركونه ٣١٠ ، ٣١١	٤٣١ ، ٤٣٢

١٣٩، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٠، ١١٩، ١٩١، ١٨١، ١٧٩، ١٤٧، ١٤٥، ٢٣٢، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢ ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٣٨، ٢٣٣ ٢٣٤، ٢١٦ مرية بليش ١٢٣ المزعة ٦٣، ٦٩، ١٤٧ المساجد ٨٣، ١١٧ مسجد أقليش ١٩٨ المسجد الأقصى ٣٠٦ مسجد ابن طولون ٣٠٦ المسجد الحرام ٣٠٧ مسجد الزاهر ١٩٧ مسجد طليطله ٣٠٨ مسجد قرطبة ٣٥٤، ٣٠٧، ١٩٣، ٣ مستقام ٦٣ مهر ٤٠، ٤٦، ٥٦، ١٠٣، ١٢٣، ١٤٨، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٠٧، ٣٧٤ المدن ٥٢ مقام ٥٤ مقبرة الملوك ٣٥٧ مكتبة مجريط ٣٥٢ المكتبة الوطنية ٣١١ مكتاسة ٥٣، ٧٩، ١٠٠، ١٠٧ ملاعب التيران ٣١٤ ملعب مريبطر ٢٣٤ ملقون ٥٣ مليحة ٦٣، ٦٩ منار الاسكندرية ٩٥ منارة اشيلية ٣٠٨ منتزه راميرو ٨٥ منتزه طراكونه ٨٣ منتزه النخل ٧٣ منقشه ٣٦٨، ٢٧٠	مدرسة سان غريغوريو ٢٣٩ مدلين ٥٢، ٧٨ المدور ١١٧، ٢٠٥ مدينة ابن السليم ٧٣، ٨٤ المدينة البيضاء ١٠٦ مدينة سالم ٤٠، ٥٤، ١٠٢، ١٠٤، ٢٠٧، ٢٧١، ٤٤٢، ٤٦٦ مدينة غالب ٥٤ مدينة الفتح ٤٦٥ مدينة الفرج ٤٦، ٤٦٦ مدينة القلعة ٣٠٩ مدينة وليد ٤٦٦ مراد ٥١ مراكش ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٢، ٣٠٥ مرباطر ٤٠، ٧٦، ١٠٩، ٣٠١ مربله ٧٤، ٧٥، ١٢٥، ١٣٠ مرتفعات ديتند ٢٩ مرسية ٣١، ٣٦، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٥، ٧٦، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٧١، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٥٦، ٣١٦، ٣١١، ٣٩٨، ٣٩٦، ٣٦٨ ٣٥٤، ٣٤٥، ٣١٨ مرسى البيرة ١٢١ مرسى الشجرة ٨٢ مرسى طبرشانه ٨٣ مرسى الفروج ١٢١ مرسى قاندر ٣٦ مرسى القنت ٧٩ مرشانه ٤٠٤ مرطيلة ٢٧١ مرمويه ٤٠، ٨٠ مرو ١٤٩ المرية ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٦، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ١١٤، ١١٧، ١١٨	لينط ٣٥٢ ليسكتصاد ٧٤ ليكينو ٢٣٠ ليون ٢٢، ٤٥، ٤٨، ١٨١، ٣٠٥، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٤٧، ٣٢٧، ٣٢٨ (م) المائدة ٣٦٨ مارتش ٢٧٠، ٣٦٨ مارتله ٧٧ ماردة ٤٥، ٤١، ٤٧، ٥٢، ٧٨، ٨٩، ٩٩، ٩٥، ١٠٠، ١٤٧، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٣٠٩، ٣٠٤ المازان ٣٣٤ ماسنة ٦٧ مالطه ١٨٥ مالقة ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٥٦، ٧٤، ٨٢، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٤، ١٣٩، ١٣٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٨٠، ١٩٣، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٤٥ متحف البرادو ٣٥٠ مجريط ٧٩، ١٠٣، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٨٢، ٤٠٤، ٤٢٢ مخاضة البلاط ٥٣، ١٠٠، ١٠٤ المدائن ٨٤ ما سا آ رور ٣٣٩
---	---	---

نهر مزانارس ٢١٩	نهر أريسيحه ٢٦١	المنكب ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٠٥
➤ الملاحة ١٢٣	➤ أشبيلية ٢٦٠ ، ٥٨	المنصف ٢١٨
➤ ملبال ١٣٥ ، ١٣٦	➤ الأودر ٢٢	منية ابن أبي طر ٢١٧
➤ ملوية ٧٠	➤ أوروله ٢٢٠	المنية ٦٤
➤ منديق ٩٢	➤ أوربة ٢٢٠	موتريكو ٢٢١
➤ ميل ١٢٢	➤ برباط ٨٤ ، ٨٢	مورون ٤٠ ، ٤١
➤ مينو ٢٨	➤ بسبورق ٢٢٨ ، ٢١٩	موزاراب ٢٦٤ ، ٢٦٦
➤ وادي الأليار ٢٠	➤ بكة ٨٢	مونسير ٢٩٧
➤ يان ٢٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ٢١٩	➤ بلون ١٢٨	مولة ٧٦
نيسابور ٢٧٢	➤ بيداسيو ٢٢٨	ميراندة ٢٣٠
(ه)	➤ تاجه ٢٨ ، ٢٩ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤	الميريتا الأيبريه ٢٠
هارو ٤١	➤ ٢٠١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩	ميندا كا ٢٢١
هضاب غريديوس ٢٩	➤ ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩	ميسطه ٢١٩
هضاب وادي لب ٢٩	➤ ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣	مبورقة ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
هداي ٢٢٨	➤ ٤٤٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	(ن)
هين ٦٣ ، ٦٩ ، ١٤٧	➤ الجوفي ٢١٨	نارحة ٢١٥ ، ٢١٦
هيطل ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١	➤ حدرو ١٢٩ ، ٢١٥	ناشرة ١٨٠
هيكل الزهرة ٦٠ ، ٧٠ ، ٢١٦	➤ جلق ١٨١	ناصح ١٣٦
هيكل المريح ٢٠٤	➤ دورو ٢٨	ناقس مالوز ٤٦٣
(و)	نهر زاروره ٢٣٠	ناكرونه ٤٠
وادي أيره ٤١ ، ١٦٣ ، ٢١٨	نهر ترقيون ٢٢١ ، ٢٢٢	نباره ٢٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢
➤ آش ٢١ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧	➤ الرينون ١٠٦	٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
➤ ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٥	➤ سفدر ٦٥ ، ٦٦	٢٢٧ ، ٢٤٩
٢٩٤	➤ شقر ٣٠ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢١٩	نخبة ١١٦
➤ ارش ٢٤٢	➤ شقوربه ٣٠	ندرومة ٦٩
➤ بيداسو ٢٢٩	➤ شيل ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩	نربونة ١٦٦
➤ بلنسيه ٣٠	➤ ظليطله ٩٢	نشتاله ٢٢٢
➤ بيره ١١٣	➤ المسل ٨١	نشوز شوربه ٢٩
➤ تاجه ٥٤	➤ الفيستول ٢٢	نفضة ٤٠ ، ٤٧
➤ الحجارة ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٤	➤ قرطلة ٨٥ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٣٥	نسكور ٦٣
➤ ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٧١	١٩٩	نهر أيرة ٢٧ ، ٣٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ٢١٨
➤ ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤٤	➤ لاردة ١٨١	٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
٤٦٣ ، ٤٤٥	➤ لكس ٦٦	النهر الأبيض ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧
➤ دورو ٢٢٣	➤ مارده ٨٦	نهر أئنه ١٤٦
➤ النوره ٢٩	➤ مرسيه ١١١ ، ١١٧	➤ أرنلسون ٢٢٤
	➤ المريه ٣٠	

ومران ٢٥٢،٢٥١،٧٠،٦٣	وبذة ٤٠٤	د الرمان ١٣٦ ، ٢٧٠
(ى)	وبذي ١١٦	د الرمل ٢٥٩،٢٤٣
يابرة ٢٠٧،٧٨،٥٢	ود ١٢٦	د زنقظو ١٦٠
يابسة ٢٧١	الوردانية ٦٩	د شنورينة ٣١
يانه ١٠٨،٩٩	وريوالة ١١١	د طبرتش ٢٠٤
يبرة ١٨١	وسكة ٤٥	د عبد الله ٢٦٨،٢٧٠
بيورة ٨٨	وشقة ٤٠،٤١،٤٢، ٧٩ ، ١٠٦ ،	د عذراء ١٩١
يسانه ٧٤	٤٥٧،٣٠٥،٢٠٧	الراذى الكببر ٥١،٢٩
يلاق ٢٧١	ولبة ٨٦،٨٥	واذى مالقة ٣٠
يابش ٩٩	ولجة ٧٧	د النسا ٨٠
	ولدين سربى ٢٧٥	د واذى يانه ٥٨،٢٩

تم فهرس الأماكن والبلاذ والحمد لله



الخطأ والصواب الواقع في الجزء الأول

من الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
سهام غير حطاء	سهام غير خطأ	١٦ ^٤	٥٠
هما	وهما	١٦	٦
فقلشت	فقلشت	١٤	٨
العناصر الغرية	العناصر العربية	٢٢	٢٥
الكتلونيون	الكتكلونيون	٢٢	٢٦
الميزيتا	و الميزيتا	١٧	٢٨
نشوز	نشوذ	٦	٢٩
الستيون	الستون	١٢	٣٤
Lisbonne	sisbonne	١٩	٣٦
درايزن	دوريزين	٥	٣٧
réunissent	réuniment	٢١	٣٧
نواحي	في حوالى	١٦	٣٩
الهمداني	الهمداني	١٦	٣٩
في أكثرهم	من أكثرهم	٢٠	٤٢
إغراء	أغراء	٢٠	٤٣
ابن سعيد	بن سعيد	١٢	٤٤
سلاع	قلاع	٦	٤٦
Verdun	Verdune	٢٢	٤٦
مقدود	مقدت	٢	٤٧
خمس عشرة دقيقة	خمسة عشر دقيقة	٤	٥٠
فرسا فارها أو بزدونا هجينا	فرس فاره أو بزدون هجين	١٠	٥٠
من يقبض رزقه	فن يقبض رزقه	١٣	٥٠
murcie	marcie	١١	٥٥

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
أزلية	الزلية	٩	٦٩
البلوطيين	البلوطين	١١	٧٧
المجتازين	المجتازون	١٧	٨٧
١٢٧٦	١٨٧٦	٢٣	٩٠
جوبي	جنوبي	٢٧	٩٤
ما بين	(قرب) ما بين	٣	٩٥
شالطيش	شاليش	١٥	٩٥
باتفاق	باتقان	٣	١١٥
ثلاث	ثلاثة	٦	١١٥
(ولا تزال عادة	ولا تزال عادة	١٢	١١٥
إلى يومنا هذا)	إلى يومنا هذا	١	١١٦
رجار	دجار	١٨	١١٩
خمس ^٥	خمسة	١٢	١٢٢
أتقان	إتقان	١٢	١٤١
نحو من	نحو من	٨	١٤٧
نشك	لشك	٢	١٥٦
L'islam	L'islam	٢٥	١٥٦
درر	در	٣	١٥٨
اليونانيين	اليونانيين	٨	١٥٨
متمين	متمين	٣	١٧٢
الصفير	الصفير	٢٠	١٧٨
الاشبونة	الاشبلونة	٦	١٨٠
ولدنا	والدنا	١٥	١٩٩
و Vargas	Vargas	١٧	١٩٩
Baena	Baossa	٩	٢٠٥

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
الفوهات	القهوات	١٨	٢٠٦
القلعية	القلبية	١٢	٢١٤
يجب هنا وضع رقم ٣ على جبل شلير ووضع رقم ٢ على قوله « مائتان وسبعون قرية »		٦	١٢٥
شنت يا قور	شنت يا قور	٢	٢٣٢
فازدردت	فازدردت	١٤	٢٤٨
اي بعد	الى بعد	٨	٢٦٤
عما بايدي	عن ايدي	١٣	٢٦٥
الاندلس	الالس	١٣	٢٦٥
الصفانيان	الصفانيان	١٥	٢٧١
ولا يأخذون به	ولا يأخذونه على	١٠	٢٧١
محمد بن عبد الله	محمد بن عبد الله	١٥	٢٩٩
الارضين	الاراضين	١٨	٣١٩
قونكة	قونلة Cuenla	٥	٣٢٠
ابن حماد	ابن الحاج	٢٥	٣٤٤
واقعة	موقعة	٢٠	٣٥٢
المكتبة	المملكة	١٩	٣٥٣
تحصيله	تحصله	٩	٣٥٦
ورد فيها	وردفها	٢٢	٣٦٥
ز كرى	ذ كرى	٥	٣٦٩
المأمونية	المأحونية	٤	٣٧٢
الفرايلية	الفرايلية	٢٤	٣٧٩
والى	و على	٢٧	٣٧٩
خمس دقائق	خمس دقائق	١	٤٣٦
حافة رأسه	حامل رأسه	٩	٤٤١

تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونِ

المُسَمَّى بِكِتَابِ الْعَبْرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ وَمَرَعَا صَرْمٍ مِنْ زَوْجِ السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

ابن خلدون : هو حجة التاريخ العربي ، وإمام فلسفته ، وواضع علم الاجتماع الانساني والعمران على غير مثال . أطلعتته سماه تونس الحضراء سنة ثنتين وثلاثين وسبعائة كوكياً متألّق النور في العالم العربي كله ، تفرد بعقليته ، وتوحد بصقريته قطع التاريخ العربي بطابع ثابت من عقله الحكيم ، وذوقه السليم ، فلم يكن في شيمته من سفه أو لحقه من المؤرخين في سرد التاريخ وقائع ، وروايته أعلاماً ودولاً وسنين ومواقع ؛ بل أرسل عليه من هديه ودقة خبرته وقوة تفكيره وسعة اطلاعه ، أتمعة ساطعة تكشف عن دقائقه في ثنايا المبالغة والابهام ، وتبين عن حقائقه في أثناء الحوادث الجسام ، وتجرد هذه الحقائق من غواشيتها ، ثم تجلوها ناصحة كأنه رآها وسأيرها ، بل كأنه دارحها وعاصرها

مزية تلك ، بل مزايا مجتمعة . بنى عايبا ابن خلدون مقدمته ، ثم كتابه « العبر » فجاء مصدراً للتحقيقات العملية للتاريخ ومرآة صافية تلوح فيها دول الاسلام كل دولة في زمانها ، وكل أمة بأخيلة أعيانها ، وسياسة كل عصر مفعونها وأفنانها ، وتقلبها ودوراتها

وقد كان كتاب « العبر » في كل زمن حجة المؤرخين وبخاصة من الأوربيين الذين آمنوا بأنهم من المؤلف بازاء عقل جبار دقيق الوزن للحوادث ، دقيق التقدير للأقدار ، مستندا في إثبات ما يثبت ونقي ما ينفي وتضعيف ما يضمف على أقيسة من التاريخ نفسه . فهم إليه يرجعون في تحقيق بحوثهم العمرانية والاجتماعية والتاريخية ، وعليه يعولون في تحقيق جغرافية الممالك والأقاليم ، وصفار المدن وكبارها .

طبعة ابن خلدون الجديدة : وقد كانت طبيعته القديمة كما تشهد على نفسها بنفسها فأنضة بصنوف من الهنات والمفوات ، مردها إلى عبث النساخ وجهالاتهم . ولكننا لحسن الحظ حصلنا

على صورة مصبوبة من نسخة بخط المؤلف نفسه وقد كان أهداها إلى سلطان المغرب في عصره
موقع الاهداء . بامضائه . وبقيت منذ ذلك العهد مصونة في خزانة الكتب القروية بفاس ؛
حتى أذنت لنا وزارة مولاي السلطان سيدي محمد ملك المغرب أعزه الله بالمراجعة عليها لطبعها
وتعميم نفعها : ما عدا المجلد الأول فقد أخذنا نسخته عن مخطوطة الشنيطي المحفوظة بدار
الكتب المصرية ، وما يجدر ذكره أننا عثرنا فيها على زيادة تبلغ نحو ٦٠ صفحة موقفاً من
الطبعة القديمة صفحة ٢٢ من المجلد الثالث .

: فكان من هذا المجهود الشاق صورة كاملة نادرة المثال ، كما راجعناه على
الأجزاء الموجودة من نسخة المرحوم أحمد تيمور ناشا والرحوم أحمد ركي باشا بدار الكتب
ولم نشأ أن نطبع الطبعة الجديدة مكتفين بدقة التصحيح على نسخة المؤلف كما قدمنا ، بل
أردنا أن يكون لهذه الطبعة مزايا على الطبعة القديمة أسرها الدقة والتصحيح ، فوكلنا ذلك إلى
لجنة علمية من الأستاذين الكبار بن السيدين محمد علال الفاسي ، وعبد العزيز بن إدريس بالمغرب ،
فعبنا بتصحيح الأصول وضبط الأعلام والتعليق عليها ، وتعمير مواضع البياض الموجودة بالأصل ،
والاعتماد على مختلف المراجع العلمية في التصحيح والتنقيح . وإلى أمير البيان ، ونحز كتاب
المرية في هذا الزمان ، الأمير شكيب أرسلان فعلق عليها أو في تعليق خرجت به النسخة أصح
صحة وأجل جلالاً ، وأنتم تماماً . وبخاصة في الجزء الشامل لمبدأ تاريخ الدولة العثمانية فقد آتي في
تمايقاته على هذا الجزء بمعلومات دقيقة كانت صدره خزائنها . وعلمه الواسع جسيماً .
وقد نفضل حضرة الأستاذ الكبير أحمد أمين بك بكنانة مقدمة هذه الطبعة .

وقد امتازت هذه الطبعة بوضع عدة فهارس لها مرتبة على حروف الهجاء ، عنى بترتيبها
وتنسيقها الأستاد محمد عبد الحواد الأصمى افندي الموظف بدار الكتب المصرية
وستخرج هذه المجموعة من الكنوز التاريخية في أربعة عشر جزءاً تبعاً لكل جزء منها
يقع في قرابة ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط والورق المصقول .

الاشتراك قبل الطبع وبعده : وقد جعلنا قيمة الاشتراك في كل جزء أثناء الطبع ، ولادة
أربعين يوماً داخل القطر وستين يوماً في الخارج منذ اليوم ، ١٥ قرشاً مع ثلاثة قروش اجرة
البريد داخل القطر وأن يدفع المشترك قيمة جزئين ثلاثين قرشاً صاعاً مع اجرة البريد ، فاذا
وصله جزءان اتان أرسل ثلاثين قرشاً من الجزئين التاليين وهكذا يرسل في كل مرة من جزئين
وقد باشرنا طبع «تعلقات» الأمير شكيب أرسلان على الجزء الأول في مجلد مستقل في نحو
٥٥٠ صفحة ، وكذلك باشرنا طبع الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون وسيصدران بعد شهر واحد
إن شاء الله وسيكون ثمن كل جزء بمدا الطبع عشرين قرشاً صاعاً وقد تم طبع الأول وهو الآن
نحت طلب من يتنبه محرراً في أول أكتوبر سنة ١٩٣٦ محمد المهدي الحبابي بوسطة القنولية

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ نو، یہ دیرا نہ لیا جائے گا۔

کتابت

۱۔ در کتب میں سے ایک ایک کتاب کو ایک ایک جگہ پر رکھنا چاہئے۔

۲۔ اساتذہ کرام سے اپنی کتابوں کو لینا لینا اور دینا دینا سے اجتناب کرنا چاہئے۔

۳۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۴۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۵۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۶۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۷۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۸۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۹۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۱۰۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۱۱۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۱۲۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۱۳۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۱۴۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔

۱۵۔ کتابوں کو دیکھ کر ان کی قیمتوں سے متعلقہ چیزیں خریدنی چاہئیں۔